

جمع وتحقيق

محمد حسن بريغش

مكتبة المنار

الأردن - الزرقاء




ديوان
هاشم الرفاعي
"المجموعة الكاملة"

الطبعة الثانية
مراجعة ومنقحة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

مكتبة المنار
شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي
هاتف ٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والشكر له على نعمائه ومننه، والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لديوان، الشاعر المرحوم هاشم الرفاعي بعد أن نفذت معظم الطبعة الأولى إن لم تكن جميعها(١)!!!!..

وميزة هذه الطبعة أنها منقحة، وفيها قليل من الزيادات والملاحظات، إضافة إلى إعادة ترتيب الديوان على أساس الموضوعات، بينما كانت الطبعة الأولى قد رتبت وفقاً لتواريخ القصائد والمقطوعات، مما جعل كثيراً من محبي الشاعر يصدمون وهم يقرأون

---

(١) لقد اقتصر توزيع الطبعة الأولى على المملكة العربية السعودية ـ ولم ترسل أية كمية لغيرها من البلدان إلا ما حمل من النسخ بأيدي أصحابها الذين يعملون في المملكة.

أول ما يقرأون شعره المتعثر ونظمه الضعيف الذي يعبر عن سن الثالثة عشرة. . .

مما جعل بعضهم يغيِّر شيئاً من رأيه بالشاعر، لأنه لا يصل إلى شعره القوي إلا بعد منتصف الديوان تقريباً، لهذا عمدت إلى ترتيبه حسب الموضوعات، واجتهدت في هذا أن أجمع القصائد التي نلتقي في موضوع واحد، وإن لم يكن ذلك الأمر دقيقاً، وربما كانت القصيدة الواحدة تشترك بين عدد من الموضوعات، ولكن هذا الترتيب يتيح للقارىء أن يجد شعراً متنوعاً، ومقطوعات مختلفة من حيث القوة والضعف، ومن حيث القدم والحداثة. وإذا كان للطريقة الأولى في ترتيب الديوان أهمية عند الدارسين، لأنها تتيح لهم بسهولة معرفة التطور الدقيق للشاعر من حيث الفن والفكر. فإنَّ الطريقة الجديدة تعطي صورة عن التنوع، والصدق أيضاً.

وإنني بهذه المناسبة أشكر كل الذين كتبوا لي، أو نشروا أو تحدثوا عن الديوان، فلقد سمعت من عبارات الثناء والتشجيع ما جعلني استسهل ما عانيت في سبيل إخراجه، وكذلك فإنني أهمس بأذن الذين صدموا بعد رأوا الديوان، وتغيرت صورة الشاعر عندهم، أهمس لهؤلاء قائلاً: بأن الشاعر هاشم الرفاعي كبقية الشعراء، إنسان مرهف الحس، يعكس صورة صادقة لنفسه ولمجتمعه ولفكره، فهو ليس شاعر قصيدة واحدة، أو قصيدتين أو ثلاثة مما عرفنا

من شعره الجيد، بل هو شاعر الخاطـــرة، والمناسبة، والذكريات، والطبيعة، والشباب كما هو شاعر إسلامي أصيل، يعبِّر عن تجربته وسط الأجواء العاتية والطغيان الـظالم، في الوقت الـذي سكت فيه كبـار الأدبـاء والمفكـرين يؤثرون الســلامـة، أو ينـافقـون للسلطة الحاكمـــة. . .

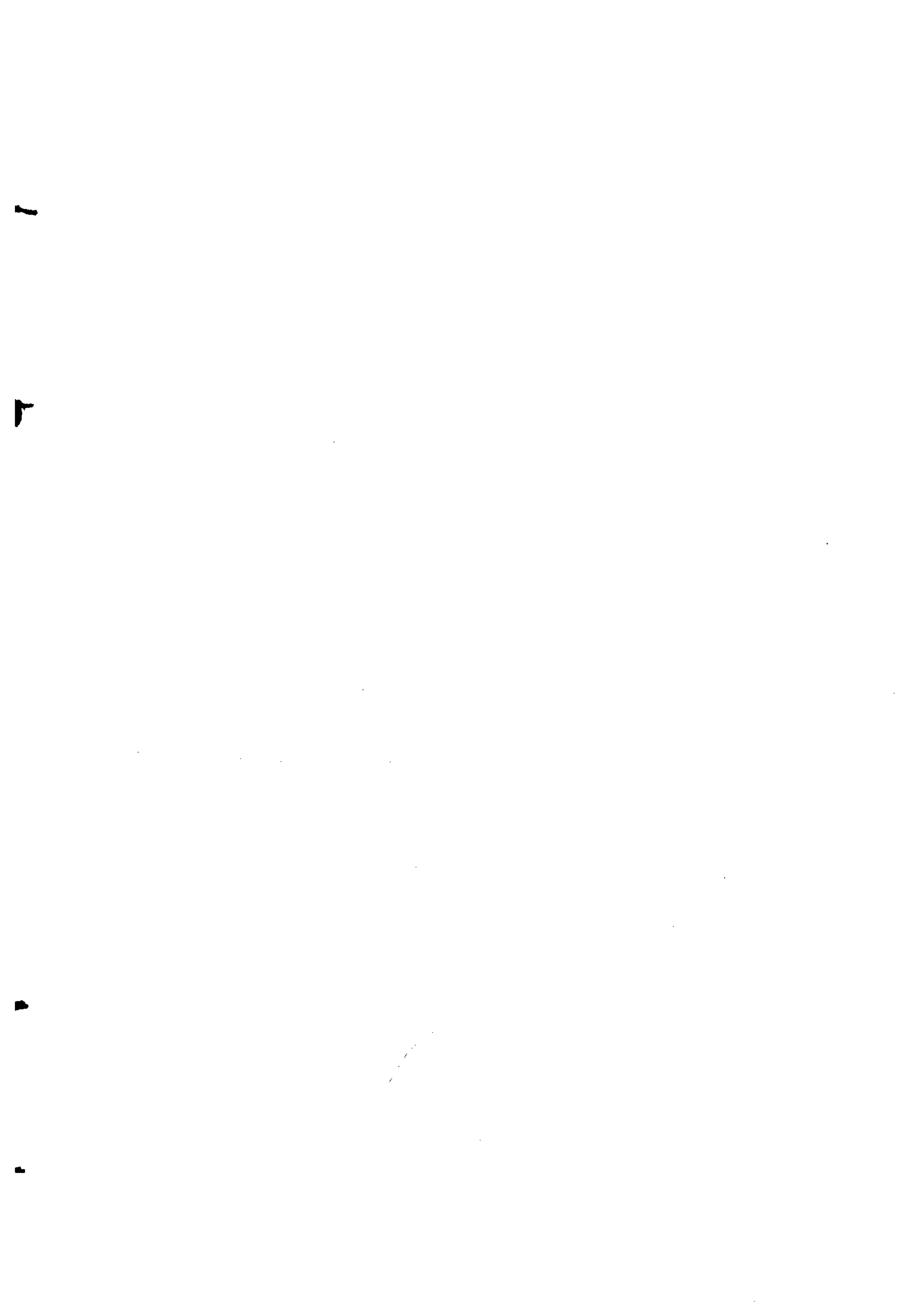
إننا حينما ننشر الديوان الكامل للشاعـر نضعه بواقعيته، وحقيقته أمام القراء، إنساناً فيه من الضعف كما فيه من القـوة، فيه الفكـر وفيه العـاطفة، يمـر بلحظات الضعف الإنساني، والنزوة الجامحة كما يمر بلحـظات الإشـراق والإيمـــان المتـأجـــج. . ولقـــد ألمحـت إلى هذا في مقدمة الطبعة الأولى عند حديثي عن الديوان. . . .

وأملي أن أكـون في هذه الـطبعة قـد قـدمت الشـاعر إلى قـرائه بصـورة أفضل إخـراجـاً وتـرتيبـاً وتدقيقاً[1]، وأن يأخـــذ طريقه إلى أيدي القـــراء في شتى أقطار الوطن العربي ليكون مساهمـــة جديدة في بـنــاء الأدب الإســـلامي الـمعــاصـــر، والله ولـــي التوفيـــق. .

* . * . * . *

---

(١) لقد أساء أحد الناشرين، والمطبعة للديوان، بعد أن التزم بطباعته، ومضت سنة دون الوفاء بالتزاماته مما دفعني لسحبه منه بعد مناقشات، ولكنه ألزمنا بالمطبعة وهذا الشكل مما جعل الطبعة الأولى غير جيدة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الديوان

لوحات مصورة من مخطوطات الديوان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللّهم ألهمنا الرشد، واجعلنا من الصالحين وبعد: فإنَّ قصتي مع هذا الديوان طويلة وقديمة، ابتدأت منذ عام **١٩٥٩** م، حينما كنت طالباً في المرحلة الثانوية أستمع إلى القصائد التي ألقيت في مهرجان الشعر الأول(١) في دمشق، وكنت إذ ذاك أعشق الكلمة المجنحة، والعبارة الشفافة، وأهوى المطالعة، فإذا بي أسمع شاعراً يخاطب أباه بثقة وإيمان:

أبتاه ماذا قد يخط بناني ... والحبل والجلاد منتظران

ثم يستمر وهو يحكي قصة المأساة لجيل كامل على لسان الشهيد الذي ينتظر تنفيذ الحكم فيه حتى يقول:

أهوى الحياة كريمة لا قيد لا ... إرهاب لا استخفاف بالإنسان
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتي ... يغلي دم الأحرار في شرياني

ويتابع الشاعر إلقاء قصيدته، وينال إعجاب سامعيه، وتتحدث عنه

---

(١) كان ذلك في عام ١٩٥٩.

الصحف، ويظفر بالجائزة الأولى لهذا المهرجان من بين عشرات الشعراء العرب الذين اشتركوا في المهرجـان.

وتمنيت حينها أن أكون قريباً من الشاعر أراه وأعرفه، ولم يكن ذلك ممكناً. ورحت أبحث عن هذه القصيـدة في الصحف، ولكني لم أعثر عليها وانقضـت تلك الذكرى ومضت الأيـام.

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن ألتقي بالشاعر مرة أخرى. حين أعلنت وزارة التربية في الجمهورية العربية المتحدة ـ آنذاك ـ عن مسابقة ثقافية للقراءة الحرة لطلاب المرحلة الثانوية، ففوجئت بديوان شعر لهاشم الرفاعي بين الكتب الموزعة على الطلاب المشتركين بالمسابقـة.

واغتبطت بهذه المصادفة السعيدة، ولكني حزنت عندما عرفت من الديوان بمقتله. ومن ذلك اليوم وأنا أبحث عن آثار الشاعر، وكان ديوانه المطبوع مصدراً أساسياً لمعرفتي به، ثم صدر كتيباً صغيراً في سلسلة إقرأ بعنوان «الشاعر الشهيد ـ هاشم الرفاعي» بقلم محمد كامل حتـه، ناشـر الديوان الأول وهو يحتوي على المقدمة التي كتبها للديوان، مع كلمات الرثـاء التي ألقيت في حفل تأبين الشاعر يـوم ٢٧ أكتوبـر تشرين أول ١٩٥٩، بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهـرة. وختم هذا الكتيب بمختارات من شعـره..

** .. ** .. **

ثم حاولت دراسة هذا الشعر، والكتابة عن الشاعر، وجعلت ديوانه ذاك والكتيب الذي نشر عنه مصدراً أساسياً في ما كتبت. ونشرت عنه موضوعين في مجلة حضارة الإسلام[١] التي تصدر في دمشق، ثم تابعت الكتابة عنه

(١) نشر المقال الأول بعنوان (هاشم الرفاعي ـ حياته) في العدد رقم ٢ عام ١٩٦٩ م. والمقال الثاني بعنوان (هاشم الرفاعي ـ شعر الطبيعة) في العددين (٥ ـ ٦) عام ١٩٦٩.

حتى كدت أنتهي من الدراسة المطولة لشعره، ثم توقفت لأستكمل معرفتي بآثار الشاعر لا سيما عندما نشر الأستاذ عبد الحي دياب كتابه «مع الشعراء المعاصرين في مصر» وأشار إلى شعره المخطوط.

وحاولت التعريف بالشاعر في كل نطاق يمكنني أن أتحدث فيه، ومن ذلك إلقائي محاضرة بعنوان «هاشم الرفاعي ـ شاعر الشباب»[١].

** .. ** .. ** .. **

وخلال دراستي للديوان كانت هناك أسئلة كثيرة لم أجد لها جواباً، ولا سيما بعد أن أمعنت النظر في ما نشر من شعره، فرأيت أن ناشر الديوان قد وضع مقدمات للقصائد المنشورة، ولا سيما ما كان يتعلق بالأحداث التي كانت تجري في مصر وسوريا والسودان، وبعض هذه المقدمات لا يأتلف مع مضمون هذه القصائد، ولا تتوافق مع آراء الشاعر المنشورة في الديوان.

وكان ذلك محل تساؤل..

وكذلك فإن ما نشر عن وفاة الشاعر كان مثيراً للعجب، ويدعو إلى التساؤل عما يدور وراء هذا الحادث الذي أودى بحياته.

** .. ** .. ** .. **

وحاولت الإتصال بعائلة الشاعر، ولكن أنَّى لي ذلك، وأنا لا أملك ما يعينني على السفر إلى مصر لجمع ما أستطيع عنه وعن آثاره، وبقيت أنتظر فرصة سانحة حتى هيأ الله لأخ كريم السفر إلى القاهرة بقصد الدراسة[٢]، وكان يهتم مثلي بالشاعر ويحبه، فطلبت منه أن يقوم بهذا الاتصال، وقام ـ

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بقاعة المركز الثقافي العربي في التل.

(٢) هو الأستاذ الكريم منير غضبان، حيث كان يدرس في معهد الدراسات العربية ويحضِّر لنيل شهادة الماجستير سنة ١٩٦٩م.

جزاه الله خيراً - في تحقيق رغبتي، واتصل بالشيخ مصطفى الرفاعي شقيق الشاعر - رحمه الله [1] وكان اللقاء مثمراً، فظفرت من شقيقه. بمعلومات كثيرة عن حياة هاشم وظروف وفاته، وعن شعره، وأجاب على كثير من الأسئلة التي كتبتها له، وكان مغتبطاً بعملي لحبه لهاشم، وشكرني على اهتمامي بالشاعر، وكان حين يتحدث عن أخيه تدمع عيناه، ويبدو عليه التأثر.

وعاود الأخ منير الإتصال بشقيق الشاعر مرة أخرى فوجده على فراش الموت في النزع الأخير، واكتفى بهذه الزيارة الأخيرة حيث قرأ نعيه بعد يومين في صحف القاهرة.

ثم واصلت الإتصال بشقيقه الآخر، وأطلعته على ما كتبت عن الشاعر فزادت معرفتي بهاشم. وقد أفادتني هذه الصلة بمعلومات كثيرة، وكشفت عن غوامض لم أكن أعرفها، وأدركت أن شاعرنا كان في سنواته الأخيرة صوتاً إسلامياً، يصارع تيار الفساد والتجهيل والإرهاب بشعره، ونشاطه الإجتماعي.

وكان أخوه المرحوم - وهو عضو في مجلس الأمة آنذاك - يخشى من بطش السلطات إذا ما خرجت أشعار أخيه، لهذا لم يجرؤ على إعطاء شعره لمن يتصل به، بل كان يكتفي بقراءة بعض الأبيات من القصائد الرائعة التي كتبها الشاعر وأخفاها بعيداً عن عيون الرقيب الظالم.

ومرت سنوات أخرى، فعاودت الإتصال مرة أخرى بأسرة الشاعر وسافرت إلى القاهرة، وإلى أنشاص، وجهدت في معرفة كل ما يتعلق بشاعرنا، ولم أترك فرصة تمنحني هذه المعرفة إلا واهتبلتها بل دأبت على ذلك واتصلت بالأصدقاء والمقربين من الشاعر حتى حصلت على دواوينه

(١) توفي شقيق الشاعر الشيخ مصطفى الرفاعي سنة ١٩٧٠ م.

وقرأت مذكراته، وصوَّرت آثاره، وعدت بظفــر سميــن.

ولقد كنت حريصاً على جمع الديوان كله، وتحقيقه ونشـــره، وعلى معرفة آثاره ودراستها ونشر ما يصلح منها. ولهذا عكفت على دراسة ما حصلت عليه سنتين كاملتين في أوقات الفراغ، حتى أنجزه هذا الديوان وسرت خطوات مهمة في الدراسة المفصلة عن الشاعــر.

لقد بذلت ما أملك من طاقة، ما بخلت في سبيل ذلك بالراحة والوقت والمال، ولا يئست طوال عشرين عاماً من تحقيق هذه الرغبة، رغم ما كنت أراه في المجلات من موضوعات تنشـــر، ومقالات تكتب، عن الشاعر[١] وقصائد تنشر له ومعها تعليقات صحيحة أو خاطئة، ولكنني في كل ما قرأت كنت أشعر أن كاتبيها يعتمدون على دراسة «محمد كامل حتـه» في ما نشره عن هاشم الرفاعي في ديوانه المطبوع، ولا يملكون مصدراً آخــر.

وكان شاعرنا ـ كما كان غيره من المشهورين ـ عـرضة لـلاستغلال والسرقات حتى دأبت بعض دور النشر على طباعة قصائد له في مجموعات صغيـرة، لا سيما قصيدته «رسالة في ليلة التنفيذ» و«شباب الإسلام» دون إذن من أحد بغية الربح والتجارة، وهذه عادة يؤسف لها، فيها من الاستهانة بالفكر وأصحابـه، وإيثار المصلحة الخاصة على القيم ما لا يقبـل.

ولهذا فإني اعتبرت هذه الطبعة للديوان هي الطبعة الأولى الكاملة لشعر هاشم، وهي الطبعة المشروعة. لأن الطبعة الأولى التي نشرت لم تكن كاملة من ناحية وكذلك فقد أضيفت إلى القصائد مقدمات توحي بأفكار خاطئــة عن الشاعر وتوجه القارىء إلى فهـــم القصائد بشكل يتلاءم مع

---

(١) آخر ما نشر عن الشاعر نبذة عنه مع مقتطفات من شعره في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية» الجزء الثالث لمؤلفيه: أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار.

الأوضـاع التي كانت قائمة آنذاك فضلاً عن كونها طبعة رسمية بإشراف وزارة التربيـة، لهذا كان توزيعهـا محدوداً..

** .. ** .. ** .. **

وكما قلت قبل قليل فقد آثرت التوقف عن دراسة شعر هاشم لإنجاز ما وعدت نفسي به من جمع ديوانه وتحقيقه ونشره. وسوف أتبع هذا الديوان ـ إن شاء الله ـ بالدراسة المستفيضـة، فإذا أوجزت في الحديث عن شعره هنا، أو تركت الحديث عن ميزاتـه، واقتضبت في البحث عن مراحل تطوره وجزئيات حياته، فإني سأفصـل ذلك هناك إن شاء الله.

وأنا أعلم أن كثيرين كتبوا عن الشاعر أو حاولوا ذلك، ولديّ قائمة بالمقالات والموضوعات التي تناولت الشاعر، ولكن أكثر هؤلاء كان يعتمد على ما نشر من شعره تحت إشراف وزارة التربية بمصر، أو بما استقوه من الأخبـار القليلة من إخوانـه وزملائـه، دون أن يكون عنـد أحدهم هـذا الاستقصـاء الذي حاولتـه.

وأرجو أن يخدم عملي هذا هؤلاء الدارسين، بعـد نشري للديـوان والدراسة بما فيها من آثار كتابيـة، ومخطوطات ومذكرات تركها الشاعر. وسيلقي ذلك ضوءاً على حياته ويكشف عن كثير من مميزاته، ولقد شجعني على هذا العمل استفسار الكثيرين عن الشـاعر والحـاحهم في نشـر ما حصلت عليه، وأرجو من الله سبحانه التوفيق على إتمام هذا العمل ابتغاء لمرضاته إنه نعم المولى ونعم النصيـر.

* * *

لمحة عن حياة الشاعـر

لقد حان الوقت للتحدث عن الشاعر ذاته، وإلقاء بعض الضوء على حياته، ولن أستفيض في الحـديث عن ذلك، لأنني سـأرجيء هذا إلى الدراسة إن شاء الله.

اسم الشاعر الحقيقي هو: سيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي، ولكنه اشتهر باسم جده هاشم لشهرته ونبوغه، وتيمناً بما عرف عنه من فضل وعلـــم.

وعرف شاعرنا بهذا الاسم، وانطوى الاسم الحقيقـي عنه.

وله أخ بهذا الإسم ـ هاشم ـ وكذلك له ابن عم أيضاً.

وكان والده جامع شيخاً لإحدى الطرق الصوفية المنتشرة في مصر وقد توارثها عن أجداده، وأصبح رائداً لها بعد أبيـــه.

ولم يكن والده متعلماً، إذ لم يدرس في المعاهد العلمية، بل تربى على يد والده وأخذ عنه العلوم الدينية، وحفظ القرآن الكريم، وتوفي عام ١٩٤٩م. أما جده «هاشم» فقد كان من الأفاضل، العلماء، تسلم ريادة الطريقة بعد والده مصـطفى ـ جد العـائلة ـ وتلقى العلم على والده في الأزهر، وكان يطوف على تلاميذه ومريديه في الأقاليم ويفقِّه النـاس في الـدين، ويدرِّس شـروح البخاري، وكـان يؤثـر عنـه شـدة تـأثيـره على المنحرفين، وقد عاد كثيـــر منهم من ضلالـه إلى الله تائبـاً على يديـــه.

وكان لجده هذا أخ شقيق اسمه جامع، مات في شبابه وترك بعض الأناشيـد والأشعار الصوفيـة.

أما جده الأكبر - مصطفى الرفاعي - فقد كان من علماء الأزهـر، وشيخ الطريقة الرفاعيـة، وله مؤلفات في التصوف والفقه والأدب، وله ديوان شعر، وكلها مخطوطـة.

وهكذا فشاعرنا سليل أسرة متدينة، عرفت بريادتها لطريقة من طرق الصوفية، نشأ في بيت يعنى بالعلم، ويهتم بالتفقه في دين الله، ويحرص على التربية الإسلاميـة.[1]

وكـان الشاعـر يحضـر مجـالس أبيـه، ويستمـع إلى دروس العلم، والأناشيد، ويحضر الاحتفالات الدينية، ويستمع إلى شاعر الربابة في قريته وقد يذهب ليستمع إلى قصائد التي تروي قصة (أبي زيد الهلالي) للشاعر فرج السيـد.

أما أخوة الشاعر فهم:

١ ــ الشيخ مصطفى الرفاعي، الذي سماه أبوه باسم الجد الأكبر وقد أصبح شيخ الطريقة الرفاعية بعد وفاة أبيه، وأباً للعائلة يرعى إخوته بالقدوة الحسنة والتوجيه الرفيق، وترك أثراً كبيراً في نفوسهم ولا سيما عند شاعرنا لهذا نراه يهدي له واحداً من دواوينه المخطوطة «نسيم السحـر»، وينم إهداؤه عن إعجاب وحب كبيريـن.

تخرج من كلية أصول الدين في الأزهـر، وعمل مدرساً للغة العربية والمواد الدينية في المدارس المتوسطة والثـانويـة بأنشـاص، وكان يقـول

---

(١) مع أن هناك كثيراً من الملاحظات على الصوفيـة، وما اختلط فيها من مفاهيم بعيدة عن حقائق الإسلام، وسنّة رسول الله ﷺ، فإن أثرها في أتباعها كبيـر، فإذا كان شيخ الطريقة تقياً صالحاً، فسوف يترك أثراً عند أتباعه.

الشعر. وله ديوان مخطوط، ومن شعره بعنوان «الزائـــرة» يقول:

لا تـســألـيــه فـؤاده ودعـيــه	بـالذكـريات يعيش في مـاضيه
واقني ضياءك في الغرام فـإنَّما	هـذا التبذل سـوف لا يـرضيـه
إن كنت صادقةالمزاعم فيالهوى	أو كنت كـاذبة، فمن يـدريـه؟
الحب يـا هذي، أراه خـطيئـة	ضـلٌ الذي بين الـورى يبغيـه
إني خبرت العاشقين فلم أجد	غير الخداع الصـرف والتمويـه
وشربت كأس الحب من كرم المنى	والحب فيه من الأسى ما فيـه
فــرجعت مكلوم الفؤاد كـأنني	طيـرٌ أصـاب جنــاحـه راميــه

ويقــول في قصيــدة أخرى بعنوان «الجبــان»:

هلا سألت الشمس عن أجدادنا	وسألت ركب الدهـر عمَّا كـانا
فعرفت حقاً أنَّ قـومي من هم	تخـذوا السمـاء محلة ومكــانـا
رفعـوا لواء الـدِّين خفاقـاً كمـا	قادوا الزمان وسيّروا الركبانـا(١)

وقد كان المرحوم ينشر بعض المقالات في الصحف والمجلات يبيِّن فيهـا المفهوم الصحيـح للتصوف، ويحـاول تنقيتها من البـدع والمفاهيم الخاطئة التي دخلتها.

وانتخب عضواً في مجلس الأمة ما بين عامي ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ م، وكان ينادي دوماً بالقيم الروحية والأخلاقيـة في المجلس.

وقد توفاه الله سبحانه في عام ١٩٧٠ م.

٢ ـ أما أخوه الثاني فهو «محمد» وهو يقرأ ويكتب، وليست له أي نشاطات مميزة.

---

(١) هذه المقتطفات من مجموعة مخطوطة للمرحوم الشيخ مصـطفى الرفـاعي، وقد حصلت على نسخة مصورة من هذه القصائد، سوف أعود إليها في الدراسة إن شاء الله.

٣ ـ ويأتي الشاعر بعد أخويه مصطفى ومحمد.

٤ ـ ويأتي بعده أخوه هاشم ، وهو يقرأ ويكتب، ولكن شاعرنا اشتهر بهذا الاسم.

٥ ـ ويأتي بعده أخوه عبد الرحيم، وهو متخرِّج في كلية الزراعة ويدرِّس مادة العلوم في المدارس الإعدادية والثانوية.

٦ ـ ثم أخوه أحمد وهو مدرِّس لمادة العلوم، وقد أصبح رائد الطريقة الصوفية بعد وفاة أخيه مصطفى، يقول الشعر، وله قصائد كثيرة ومشهورة بين طلبة الجامعات لأنها ألقيت في مواقف مهمة على منبر الجامعة(١).

٧ ـ ويأتي بعده سالم وهو متخرج من كلية الفنون الجميلة.

أما والدة الشاعر فهي امرأة عادية لا تقرأ ولا تكتب.

** .. ** .. ** .. **

نشأ الشاعر في هذه الأسرة، وتربى على يد والده، الذي أثر عنه الحزم في التربية، وكان يريد أن يربي الشاعر تربية خاصة، ليكون رائد الطريقة من بعده، ولكن الشاعر أبى ذلك ورغب أن يدرس في الأزهر، فرفض أبوه تحقيق رغبته وحاول أن يثنيه عن رغبته تلك فأبى فعالجه باللين ثم بالضرب، ولكن الشاعر زاد إصراراً وتمسكاً برغبته رغم صغره، واشتدت الأزمة بينهما وحار الوالد في أمر ابنه العصي ولكن الطفل الذكي لجأ إلى طريقة أخرى، فاتصل ببعض أقاربه وأصدقاء أبيه، وأقنعهم برغبته، وطلب منهم إقناع والده بها، وفعلوا ذلك ورضخ الوالد لهذه الرغبة أمام تدخل الأقارب والأصدقاء، وهكذا ذهب إلى الأزهر والتحق بمعهد الزقازيق الديني الذي يتبع الأزهر سنة ١٩٤٧ م وحصل على الشهادة الإبتدائية الأزهرية في

---

(١) أرجو الله عز وجل أن يعينني على دراسة آثار إخوته جميعاً.

عام ١٩٥١ م ثم أكمل دراسته الثانوية في هذا المعهد وحصل على الشهادة الثانوية في عام ١٩٥٦ م ثم التحق بدار العلوم، وتوفي قبل أن يتخرج سنة ١٩٥٩ م .

وكان في مراحل دراسته كلها بارزاً بين زملائه، كان يقول الشعر ولما يبلغ الثانية عشرة من عمره، ويقود الطلبة في المظاهرات والاحتفالات ضد الاحتلال البريطاني، والأوضاع الفاسدة السائدة في مصر، ولقد أصيب برصاصة طائشة تركت أثراً في أعلى رأسه، وفُصِلَ من معهد الزقازيق مرتين: الأولى قبل قيام الثورة، والثانية بعدها ولمدة سنتين من سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٦، وكان فصلُه في المرة الثانية لقيادته للمظاهرات التي خرجت من معهد الزقازيق ضد رجال الثورة الذين ضربوا الاتجاه الإسلامي وأقصوا محمد نجيب عن قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية.

ولكنه عاد بعد قصيدة ألقاها أمام المهندس سيد مرعي - وزير الإصلاح الزراعي - آنذاك في احتفال أقيم في أنشاص، ثم تقدم إليه بعد الاحتفال بعرض لمشكلته.

وبعدها زار السادات - رئيس مجلس الأمة آنذاك - أنشاص فألقى الشاعر قصيدة بين يديه وعرض عليه الأمر أيضاً، ثم استطاع أن يتصل بكمال الدين حسين وزير التربية وأعيد إلى المعهد مرة أخرى، وهذه السنوات التي أُبعد فيها عن المعهد جعلته يتأخر عن بعض زملائه.

وفي كلية العلوم برز بين الطلاب شاعراً، ثم تولّى مسؤولية النشاط الأدبي في الكلية التي كان عميدها الأستاذ الشاعر علي الجندي وكان معجباً به، يتنبأ له بمستقبل عظيم ولهذا قال عنه في رثائه:

لهف نفسي على الصِّبا المنضورِ   لفّه الغدر في ظلام القبورِ
لهف نفسي على القريض المصفّى   صوَّحت زهره عوادي الشرور

لهف نفسي على النبوغ المسجّى بـرداء مـن الـبـلى والـدثـور
فجعتنـا عصابـة الكفر والإلحـا د والبغي والخنى والفجـور[1]
بالمجلّى السامي على كل قرن في مجـال المنـظوم والمنشـور
بالرفـاعيِّ في غرائب مـا يأتيـ ـه من زخـرف ومن تـحبيـر
بـالمكنّى في شعره بـابن أوس والمسمى بالبحتريِّ الصغيـر[2]
ذبحـوه، ويأرج المسـك مذبـو حـاً، وبالذبح كان فخر العطور
قـتلوه بـغيـاً لـيخـفـوا سنـاه كيف يخفى سنى الصباح المنير؟

وكان يتنبأ له أن يصبح أشهر شعراء العربية في العصر الحديث.

وفي سنة ١٩٥٩ في الثاني من يوليه تموز قتل الشاعر على يد بعض حساده ومبغضيه من الشيوعيين الذين حاربهم وكشف ضلالهم وخداعهم ولؤم نفوسهم.

وكانت الأحداث الظاهرة التي أدت إلى مقتله هي الخلافات التي وقعت بين الشاعر ومؤيديه وبين فئة أخرى من الشيوعيين ومؤيديهم في نـادي أنشاص الرياضي الثقافـي.

وحصل صراع بين الفريقين حتى حاول الفريق الآخر تشكيل مجلس إدارة للنادي في ٥ أغسطس آب ١٩٥٨، فقام هاشم وزملاؤه بالاستيلاء على النادي وشكلوا مجلس إدارة وأخذوا أغراض النادي.

واشتد الصراع حتى تدخلت السلطة في الأمر.

وفي ٢٨ أغسطس اجتمع الطرفان في منزل واحد منهم، واتفقوا جميعاً وعادت أغراض النادي إلى المقر الجديد.

---

(١) إشارة إلى قاتليه من الشيوعيين.
(٢) ابن أوس هو أبو تمام واسمه حبيب بن أوس الطائي.

ولكن هذه التسوية الظاهرة لم تكن إلا تسوية مؤقتة، لا سيما بعد أن رأوا هاشماً يزداد تألقاً، وتزداد مكانته وشهرته بين الشباب المثقف في أرجاء الوطن العربي فضلاً عن بلدته.

وكان واضحاً أنه يمثل الإتجاه الإسلامي في الصراع الدائـر في مصر بين المسلمين وأعدائهم، وكان الشيوعيون من ذوي النفوذ في تلك الفتـرة، يحاولون طمس الإتجاه الإسلامي والتنكيـل بأصحابـه.

اجتمعت كل هذه العوامل لتؤدي إلى استدراج الشاعـر إلى خصام مصطنع في ملعب النادي، وطنعه بالسكاكين.

ويشاء الله أن يموت الشاعر، الذي لحق بمن طعنه ليثأر لنفسه حتى نزفت دماؤه وسقط ميتاً.

وظل سؤال يدور على الألسنـة: هل كان قتل الشاعـر نتيجة لهـذا الحسد والخلاف بينه وبين هؤلاء.؟

أم أن لقصائده التي ذاعت، وحملها الشباب، وأنشدها المـظلومون وشباب المسلمين في السجون والشوارع هي التي دفعت إلى قتلـه.؟

وهل كانت هناك أصابع خفيـة أرادت أن تستغـل هذه الصورة الظاهـرة من الخلافات بينه وبين أقرانـه لتقضي عليه دون ضجـة؟

كل ذلك ممكن، لا سيما وأن صوراً كثيرة كانت تحدث للذين يختفون فجأة بعد أن تشيـر تقارير العيون والجواسيس إلى خطورتهـم.

وتنطوي صفحات حياتهم فجأة، بحادث مصطنع، أو مرض مفاجىء أو. . أو. . . فهل لقـي شاعرنا هذا المصيـر وبهذه الطريقـة بتدبيـر خفي أم أن موته كان ضربة غادرة لم تحسب للمصيـر حسابـاً. .؟

** .. ** .. **

هكذا ظهرت قصة هاشم، قصة الشاعر الفذ كما قال أخوه مصطفى - رحمهما الله -: «كذلك كان هاشم يا أحباب»:

مصباح أشرق ثم اختنق، وزهـرة زهت وألقت ثم ذبلت وصوَّحت، وحلم جميل طاف بنا ثم دنا في عنف إلى الواقع المر.

وأمل تلألأ ثم بان أنه ومض سراب بقيعـة، وبيرق طوي ونكّس وانفضَّ عنه السامـر الحزين.

** .. ** .. ** .. **

أما المؤثرات التي تركت بصماتها لدى الشاعر، فهي حفظه لكتاب الله عز وجل منذ صغـره، ووالده وأجداده وما تركوه له من مكتبة تحتوي على المؤلفات الإسلاميـة، مع تربية تهتم بالجانب الروحي والخلقي، ثم ما كان يقرأه من الكتب والمؤلفات، ولا سيما كتب التراث الإسلامي، والأدبي، .

يقول أخوه: إنه كان يحفظ كثيراً من شعر القدامى، ويحفظ المعلقات السبع وشعر المتنبي والبحتري. وأعجب أيضاً بشوقي وغيره من الشعراء المحدثين ولقد ترك مجموعة مختارة من شعر المتنبي، مما يدل على شدة حبه له وإعجابه به[1]، وكذلك فقد كان لأستاذه الشاعر علي الجندي أثر كبيـــر لديه، ونصحه أخوه مصطفى بالإتصال به، وفعل ذلك، فأعجب به الجندي، وجعله مسؤولاً عن لجنـة الشعر في الكليـــة.

وكان يطالع لعدد من الكتّاب والأدباء أمثال العقاد وطه حسين والرافعي وغيرهـــم.

ولم يكن موقفه سلبياً مما يقرأ، بل كانت له مواقف ضد طه حسين في

---

(١) انظر اللوحة رقم - ١ - ٢ - ٣ - وهي نسخة مصورة من بعض صفحات هذه المختارات.

الكلية ورده على آرائه التي يشايع فيها المستشرقين ويفتري على الإسلام والعربيـــة.

** .. ** .. ** .. **

وكان لمنطقته الجميلة، وما فيها من مناظـر طبيعيـة خلابـة، وصفاء واخضرار أثر في نفسه، لقد أحب تلك الطبيعـة الوادعة، أحب صفاءها وألفتها وطهرها، وبعدها عن زيف المدنيّة، وفساد المدينة [1].

** .. ** .. ** .. **

وكان قوي الشخصية، شديد الثقة بنفسه، يعتد اعتداد المتنبي، ويفتخر افتخار الفرزدق، ويخاطب حساده وأعداءه من علٍ مخاطبة جريـــر[2].

ولكن هذه الثقة، كان لها ما يبررها: فهو يثق بأن المسلم عزيز بربه، قوي بالله عز وجل مترفع عن الصغار ممن يغرقون في الفساد.

وهو شاعر متفوق بين زملائه، بل في مصـــر كلها.

وهو جريء يتحدى الطغيان ويصرخ هـاتفاً قبـل سنة ١٩٥٢ «يسقط الملك الفاسد» «ويسقط الإستبداد» يوم كان الناس يتساقطون لتقبيل الأيدي والأقدام، وهو شجاع ينشد بإسم الدعاة، ويتحدى الظلم:

أهـوى الحياة كـريمة لا قيـد لا   إرهـاب لا استخفـاف بـالإنسـان
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتي   يغلي دم الأحـرار في شـريـاني

ثم يقــول متحديـــاً:

دمع السجين هناك في أغـلاله   ودم الشهيــد هنــا سيلتـقيــان

---

(١) انظر إلى القصائد التي قالها في الطبيعة والريف.
(٢) انظر إلى قصيـــدة «صور نفسيـــة».

حتى إذا ما أفعمت بهم الربى لم يبق غيـر تمـرد الـطغيـان
وتتـابـع القـطرات ينـزل بعـده سيـل يليـه تـدفق الـطوفـان

وحينمـا سقط ـ سقط ودمـوع النـاس تشيـعـه، وحبهـم يـدعـو لـه بالرحمـات والغفـران..

** .. ** .. ** .. **

آثـــار الشاعـــر

لقد بدأ شاعرنا يقول الشعر مبكراً، وكان في أول أمره يقلد بعض الشعراء كشوقي والمتنبي[1] وقال أول شعره ولم يبلغ الثالثة عشرة. وكانت طموحاته كبيـــرة، وثقته بنفسه عظيمة، لهذا نراه منذ تلك السن الصغيرة ينظم الشعر، ويجمع ما ينظم في مجموعات ودواويـــن[2].

وكلما مرت سنة أو سنوات، يعود لجمع ديـوان آخر، ويـرجع إلى قصائده القديمة فينقحها، ويزيد فيها أو يحذف منها.

ودواوينه التي تركها مخطوطـــة هي ما يلي:

١ ــ «نسيم السحـر» وهو مجموعة صغيرة، تضم ـ ١٣٠ ـ بيتاً، نسخها الشاعر بخطه، ورتب قصائدها ومقطوعاتها بطريقته الخاصة، ووضع فيها تقريظات زملائه المعجبين ـ وقال في مقدمتهـا:

«هـذه أول جولـة في عالم الشعـر، استلهمت أبياتهـا من الأحداث والمناسبات فإذا كان هناك بعض الأخطاء، فذلك راجع إلى أنني لم أصل بعد إلى مرتبة الرقي في الشعر والسمو عن الأخطاء. وإنني إذ أجمع هذه الأبيات في هذا الكتيب أضرع إلى الله أن يجعلها مفتاح الغزير من البيـــان

---

(١) طالع قصائده الأولى في «البـراعم»، والقصائـد التي نظمهـا في عامي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ م.

(٢) انظر اللوحة رقم ــ ٤ ــ ٥ ــ .

السليم القوي من الأشعــار».   [المؤلــف]

ثم كتب في الصفحة الثالثة الإهداء، فكان كما يلي:

«إلى من أقتبس من نوره وأسير على هديه، إلى تلك العقليــة الجبارة، والبقرية الفذة، إلى الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى الرفاعي أهدي باكورة أشعاري». [هاشم جامع هاشم الرفاعي]

هذه المقدمة تبين ثقة الشاعر بنفسه، رغم حداثة سنه، وطموحه إلى أن يكون من أصحاب القلم، وأرباب البيان، وهي تكشف عن وعي الشاعر ومتابعته لما يدور حوله، فلا يترك مناسبة إلا ويكتب فيها ما توحيه له من شعر، والإهداء يبين تأثر الشاعر بأخيه مصطفى رحمه الله، حيث كان له - بعد وفاة أبيه - الأخ والأب والصديق. وكان محباً ومخلصاً له، يسدي له النصح، ويأخذ بيده إلى كل ما ينفعه.

ثم يترك الصفحتين الخامسة والسادسة لتقريظات زملائه حيث كتب ابن عم له واسمه هاشم أحمد هاشم الرفاعي ما يلي:

«أخي الأستاذ هاشم جامع الرفاعي:

أقرر في غير تملق ولا مراءاة أنني لمست فيك شاعراً مجيداً، وأديباً مذللاً له القول، وليس الحين حين إطراء ولا وصــف، ولكني آمل أن تصبح قريباً ممن تعتـز مصر ببنوتهـم وتفخر بجليل أعمالهـم، حقق الله لك ما ترجــو، وإلى الأمـــام.».

هاشم أحمد الرفاعي - معهد الزقازيق

ثم كتب له زميلــه الآخــر ما يلي:

أخي الأستاذ هاشم جامع الرفاعــي

لما أطلعت على باكورة شعركم داخلني سرور شديد، فقد قيض الله

لأنشاصْ شاعراً مجدداً، وكلي أمل أن تصبح قـريباً مثـل عباقـرة الشعر وجهابذته أمثــال شوقي والجارم، وأرجو من الله العلي القدير أن يوفق أخي إلى ما فيه رفعة بلده ووطنه وجعله فخراً لأنشاص التي أنجبتــه[1].

أخـــوك

مصطفى السيد الزق من طلاب القسم الثانوي

أما قصائد هذه المجموعة، فهي على التوالي:

صديقي ـ يوم النصر ـ ميلاد الرسول ﷺ ـ آلام عاشق ـ أحزان ـ نهج البردة ـ اليمن ـ فلسطين «ويقول عن هذه القصيدة: إنها باكورة شعره» ـ صور ساخرة ـ حسرة وندم ـ خيانـة ـ صداقـة «وهي ثاني قصيـدة نظمهـا الشاعر» ـ هجــاء ـ إلى بطل قصة مأساة ـ ملل وضجــر ـ تحيــة[2].

ثم قال في آخر هذه المجموعـــة:

«تمَّ بحمد الله كتابة هذه النسخة في يوم الاثنين الموافق ٢٢ / رمضان ١٣٦٨ هـ الموافق ١٨ / يوليه حزيران ١٩٤٩ م، فلله الحمد.

وكتب بعدهــا كلمـة الشكر التاليــة:

أشكر الأخ الأستاذ هاشم أحمد هاشم، والأخ مصطفى السيد الزق، والأخ البسيوني قنعان على كتابة تقاريظهم القيمة لهذا الكتيب، وأسأل الله أن ينفعنا بهم، ويجعلهم من أئمة هذا البلد إنه سميع مجيب.

[المؤلــف]

---

(١) انظـر اللوحة رقم ـ ١٠ ـ .

(٢) سيجد القارىء الكريم أكثر مقطوعات هـذه المجموعـة في الجزء الأول ـ قسم البراعــم.

وصنع به كأي كتاب مطبوع: زيَّنه بالصور والرسوم والخطوط البديعة. كل ذلك مما توحيه المقطوعات والقصائد، وأشار إلى مؤلف آخر له فقال «مأساة يتيم، أو النفس المعذبة»[1]

«قصة واقعية تصور حياة طفل من أولئك الكثيرين الذين اصطلوا بنار القدر، والذين كتب عليهم الشقاء حتى أودي بحياتهم».

ومن استعراض هذه المجموعة نرى أنها تتألف من مقطوعات كان يقولها في مناسبات مختلفة، يقلد في بعضها الشعراء المشهورين كشوقي وغيــره، مع ترتيبه ورسومه مما يدل على موهبته المبكرة في الشعر والتأليف والتنسيق والإخراج، ! وهي تنم عن ذوق فني أصيل تجلى في هذه الطريقة الجميلة التي جمع فيها هذه المجموعة وغيرهــــا.

٢ ــ المجموعــة الثانية وتشبه مجموعة «نسيم السحــر» وقد جمعهــا الشاعر سنة ١٩٤٩ م، أيضــاً، وتحتوي على اثنتي عشرة ورقة وتحتوي على التوالي المقطوعات والقصائــد التاليــة:

المقدمة ـ الإهداء ـ أخي الأستاذ مصطفى الرفاعي كما أعرفه ـ اليمن ـ نهج البردة ـ أحزان ـ يوم النصر ـ ميلاد الرسول ﷺ ـ آلام فلسطين ـ صور ساخرة ـ خيانة ـ هجاء ـ صداقــة.

وهذه المجموعة تشبه إلى حدٍّ كبيــر المجموعة الأولى، وقصائدها تشبه قصائد المجموعة الأولى من حيث عدد الأبيــات والموضوعات مع بعض الزيادات التي لم تضمها المجموعة الأولــى.

---

(١) هذه القصة مخطوطة، ولديّ نسخة مصورة منها، وسوف أتحدث عنها وعن بقية كتابته النثرية في الدراسة المنتظرة عن الشاعر (هاشم الرفاعي حياته وشعره) إن شاء الله.

٣ ــ المجموعة الثالثة: «المختار من أشعاري» وهي مجموعة أكبر من سابقيها تحتوي على خمس وعشرين ورقة، كتب في صفحتها الأولى: بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.. إنَّ من البيان لسحرا وإنَّ من الشعر لحكمة.

وقسّمها إلى عدة أقسام وهي:

أ ــ السياسيات: ويضم القصائد التالية:

عهد وعهد - الدستور الخالد - نحو المجد - جهاد ضائع.

ب ــ الغزل ويضم القصائد التالية: قلب ممزق - يا إله الحب - دمع وحب - لوعة وشجن.

ج ــ الإجتماعيات ويضم القصائد التالية:

ميلاد الرسول ﷺ - تحية إلى الزميل الشيخ أحمد علي أحمد - النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد - هزيمة المعهد - تحية الشباب - الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم - الأديب بدر مصطفى يوسف - من وحي المولد النبوي الشريف - مولد الرفاعي - الذكرى العطرة.

د ــ المراثي، ويضم القصائد التالية: الشهيد أحمد عبد العزيز - عزاء - عزيز يفارق - الشهيد أحمد عمر.

وبدأت المجموعة بمقدمة قال فيها:

« هي ثمرة كفاح طويل شاق، وجهاد مرير صعب - كفاح من أجل القراءة وجهاد من أجل الإطلاع، إنها قطعة من روح هامت بالأدب، فحلقت في سماء أسفاره تستقي منها ما يروي الغلة ويطفيء اللهب...

إن كل بيت من أبياتها ليروي لك قصة مضنية أليمة، هي قصة السهر والعرق والدموع، قصة العمل المتواصل، والسعي الدؤوب، العمل على

تحقيق الغاية والسعي في سبيـــل إشباع الهوايــة[1] ».

وحين نقارن هذه المقدمة بمقدمة المجموعة الأولى نجد فرقاً واضحاً، فالمقدمة الأولى تشيــر إلى البداية المتعثرة، ويتعذر فيها عن الأخـطاء، ولكنه يومىء إلى أملــه البعيــد.

بينما نجد الشاعر قد صلب عوده، وكثــرت قصائده، فاختار من أشعاره أصلحها، وصحح بعض الأخطاء التي وقع فيها، وعدّل الضعيف منها، ولهذا نراه يقول في كل مناسبة تمر به في المعهد، أو المجتمع، ويشارك في الاحتفالات ويتابع الأحداث، حتى يغلب على هذه القصائد المناسبات.

ولعلَّ الإهداء الذي بدأ به المجموعة يدل على نفسية الشاعر في هذه المرحلة حيث قال فيها:

«إلـــى أحبائي وأصدقـائي ممن يودون لي الخيــر والتقـدم في هذا المضمار، وإلى أعدائي وحسادي ممن يحزنهم ويؤلم نفوسهم أن أتقدمهم وأسمو عليهم، فإلى الأحباء والأصدقاء، لتقرّ أعينهم وتفرح قلوبهم، وإلى الأعداء والحساد ليزدادوا كمداً وغيظـــاً.

[هاشـــم]

هكذا يبدأ نبوغه وظهوره، وهكذا يتقدم على زملائه، فيغبطه بعضهم ويحبه ويعجب به، ويبغضه آخرون ويحسدونه ويكيدون له، وتبرز شخصيته قـائداً للطلبـة، وزعيماً لهم، لهـذا كثر حســاده ومبغوضـه، وهـذا شـأن المتفوقين، الذين تبرز مواهبهم، ويتقدمون على غيرهم بسرعـــة.

وكذلك كان شاعرنا يزين هذه المجموعة برسومه وخطوطه الجميلــة.

٤ ــ المجموعة الرابعة وأساها «آهات شريــدة» وتحتوي على خمس

---

(١) انظر اللوحة رقم ـ ٢٠ ـ .

وأربعين ورقة قسمها إلى الموضوعات التالية بعد المقدمة والإهـــداء:

أ ــ السياسات : وتضم القصائد التالية مرتبـة كما يلــي:[1]

بين عهدين ـ الدستور الخالد ـ مصر الجريحة ـ مصر في الميدان ـ جهاد ضائع ـ صوت الوطنية «إلى الزعيم مصطفى النحاس» ـ تحية الشعر إلى الـزعيم مصطفى النحـاس ـ مـأسـاة زعيم ـ صيحـة البعث ـ صـوت التحريـــر.

ب ــ الغــــزل ، ويضم القصائـد التاليـــة:

قلب ممزق ـ لوعة وشجن ـ دمع وحب ـ أنشودة عاشق ـ من أغنيـات الربيـــع.

ج ــ الاجتماعيات، ويضم القصائـد التاليـــة:

ميلاد الرسول ﷺ ـ النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد(١) ـ تحية الشباب ـ الشهيد أحمد عمر ـ وحي المولد ـ مولد الرفاعي (١) ـ الذكرى العطرة ـ النائب المحترم (٢) ـ مولد الرفاعي (٢) ـ عيد الهجـرة ـ عدلي لملوم ـ ذكرى المولد ـ عود حميد ـ عزيز يفارق ـ صريع الحقد ـ زيارة ـ تحية الأشبال ـ صورة نفسيــة ـ سامبا.

د ــ أشتــات ، ويضـــم القصائــد التاليـــة:

عودة الأبطال ـ محنة المعهد ـ ميلاد الرسول ﷺ ـ الشهيد أحمد عبد العزيز ـ عزاء ـ مأساة يتيم ـ عبد المجيد سليم ـ ندم ـ الجهــول.

هـ ــ دعابـــــات ، ويضم القصائـد التاليـــة:

هزيمة المعهد ـ زارع الخيار ـ هجاء ـ تهنئة ـ تحيـة ـ نجاح كاذب ـ

---

(١) انظر اللوحة رقم ـ ٢٢ ـ صفحتان من مجموعة «آهات شريدة».

شادي الشرق - دعوة الحبيب - قلوب العذارى - المطالب الأزهرية - الخيبة الكبرى - رد على رد - عاد الغبي - يوم القيامة - ليلة الفرح - دعابات.

وفي هذا الديوان جمع الشاعر ما كتبه في المجموعة السابقة بعد أن نقحها، وهي من أكبر المجموعات التي تركها.

٥ ـ المجموعة الخامسة : وهي مجموعة كبيرة، وأظنها المجموعة الأخيرة التي تركها الشاعر، وتحتوي على سبع وخمسين ورقة، وقد احتوت على أكثر القصائد التي وردت في آهات شريدة، وزاد عليها قصائد ومقطوعات أخرى جديدة.

وقسّمها إلى أقسام كبيرة، ورتب داخلها القصائد التي جمعها، وقد صدر المجموعة بالبيتين الآتيين:

أأقضي حياتي بين هم وحسرة إذا رمت من دهري هناء به أبى
فواحسرتا إنِّ لفني غيهب البلى ولما أنلْ قصداً ولم أقض مأرباً

ورتب القصائد على الشكل التالي:

أ ـ في المجتمع : الذكرى العاطرة - جهاد ضائع - شادي الشرق - عيد الهجرة - قلوب العذارى - ذكرى المولد - صريع الحقد - عودة - المطالب الأزهرية - زورة - صوت التحرير - صور نفسية - نشيد الوادي - سامبا - زفاف صديق - مولد الرفاعي - قصة كتاب - صلاح ذهني - أم النوائب - الزهرة الذابلة - ميلاد الرسول ﷺ - يوم الحرية - محنة المعهد - في ظلال الريف - الأسد السجين محمد مصدق - عودة المنتصرين - فرحة الشفاء - الأزهر - تهنئة - فتية التحرير - توزيع الملكية - تحية الشعر - إلى وزير المعارف - دماء في السودان - فتحي رضوان - دمعة على زميل راحل - موكب الربيع - الحياة - يوم الجلاء - أيام الطفولة - فقيد أنشاص - علي هاشم - شرق وغرب - مولد النور.

ب ـ مع العاطفـــة : قلب ممزق ـ دمع وحب ـ واقفـة ـ أنشودة عاشق ـ في شم النسيم ـ غادة الريف ـ فتاة القريـــة.

ج ـ النحاسيـــات : إلى الزعيم مصـطفى النحاس ـ تحيـة للزعيم مصطفى النحاس ـ المؤامــرة الكبـــرى.

د ـ متفرقـــات : النائب عبد العظيم عيـــد ـ دعوة الجيب ـ عدلي لملوم ـ الخيبة الكبرى ـ رد على رد ـ تهنيئة ـ العميد الرجعي ـ آخر خيبة ـ أنور السادات ـ إبراهيم جادو ـ عبد السميع السنباطي.

وكما رأينا فأكثـــر القصائد تتكرر في المجموعات كلها، وربما يزيد عليهـــا أو يجري بعض التنقيحات الطفيفـة، ويزيد في كل مجموعة عدداً من القصائد الجديدة التي لم تكن في المجموعات السابقة، ولذا فإنه يكفي مقارنة هذه القصائد في المجموعات كلها ثم إثباتها.

أما آثاره الشعرية الأخرى فهي

١ ـ ديوان «جراح مصر» وهذا الديوان مجموعة شعرية تحتوي على عشر قصائد رتبها الشاعر حسب تاريخ نظمها، وكلها تصف الأوضاع التي سادت مصر إبان حكم عبد الناصر ما بين سنتي ٥٤ ـ ١٩٥٦ م. وتحلل الأحـداث الجاريـة ـ وتصور المـأساة التي عـاشها الشعب بـاسم الثورة، والديمقراطية والشعب و.......

لقد كانت القصائد العشر بركاناً يحكي ألم الناس، ويصور أحاسيس الشباب الذين آلمهم أن يرو آمال الأمة تتحطم أمام الطغيان وشهوة التسلط.

لقد رأى كيف يساق النـاس بلا ذنب إلى المحـاكم ليسمعوا هنـاك الأحكام المقررة سابقاً، وينكل بهـــم.

وهكذا كانت هذه القصائد، ولقد جعلها الشاعر في مجموعة خاصة وأسماها ـ جراح مصر ـ ولذلك جعلتها الجزء الثاني من هذا الديوان مرتبة كما رتبها الشاعر ذاتــه.

ولقد كان الشاعر حريصاً عليها يخاف أن تقع في يد السلطات، ولذلك أخفاها عن يد الرقباء والزوار، ولم يكن يعلم بها إلا الأقربون من الأصدقاء والأخوة.

وعندما تحدث أخوه الشيخ مصطفى ـ رحمهما الله ـ عنها كان حريصاً أن لا يشاع حديثه، لأنه كان يخشى البطش والتعذيب، ولكن هذه القصائد كانت تتسـرب عن طريق الشاعر وأصدقائه، ويتناقلها المظلومون دون أن يُعــرف قائلهــا.

ومن يطالع هذه القصائد يدرك حقيقة الشاعر، ويعرف زيف الصورة التي أرادوا أن يظهروه بها عند نشرهم لديوانه. وإني أعرف مدى إعجاب الأستاذ حته وحبه للشاعر هاشم، ويبدو ذلك واضحاً من الدراسة التي صدر بها الديوان، لكنه لم يكن في نشره لبعض شعر هاشم إلا موظفاً من موظفي وزارة التربية، له مكانته، وله علمه، وهو من منطقة الشاعر أيضاً. لذلك أوكل له جمع شعره ولم يكن يستطيع أن يكتب إلا ما كتب لأنه مأمور بذلك أيضاً.

وربما يتساءل القارىء: كيف كان الشاعر يقف أمام عبد الناصر وغيره لينشد الشعر ويمدح العهد؟

والحقيقة أن الشاعر كان محاطاً برعاية هادفة، لكي تقطع عليه الطريق فلا يقف ضد العهد، ولا ينقم عليه، وبعدها يجرونه إلى الانخراط في عداد المادحين عندما يغمرونه بالأعطيات والجوائز، وهكذا كان.

لقد أعادوه إلى المعهد بعد فصله لمدة عامين، ثم بدأوا يشعرونه بالثقة

والتبني، فيدعونه في كل مناسبة ليلقي قصيدته، وأعطوه لقب الطالب المثالي في الجمهورية العربية المتحدة، ولكن ذلك كله لم يقنع الشاعر، والبرهان على ذلك أنه في اليوم الذي ألقى فيه قصيدته «في عيد الوحدة» أمام عبد الناصر، وتيتو، ونال إعجاب الرئيس، وأخذت له الصور التذكارية وهو يتوسط عبد الناصر وتيتو، عاد إلى البيت مضطرباً وتمنى أن يقتل عبد الناصر لينهي آلام الأمة، فتعجب أخوه الذي عرف منه ذلك، وسأله: أتتمنى هذا وقد حزت على هذه المكانة؟

فقال نعم: إنه سبب هذا الشقاء الذي يعيش فيه الشعب.

وفي مذكراته الخاصة رأيت ما يشير إلى تكليفه شخصياً بنظم هذه القصائد من قبل السيد كمال الدين حسين في المناسبات القومية، ولم يكن في مقدور الشاعر أن يرفض، رغم إعجاب كمال الدين حسين بالشاعر ورعايته له[١].

٣ ـ وللشاعر مسرحية شعرية بعنوان «شهيد بني عذرة» جعلتها الجزء الثالث من هذا الديوان، ولقد نشرها الشاعر في سنة ١٩٥٥ بعد أن حصل على تصريح بذلك في ١٤ / ١١ / ١٩٥٥ .

وكتب في الإهداء ما يلي:

إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير يس سويلم العميد السابق لمعهد الزقازيق الديني.

وإلى صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير عبد السلام جاويش وكيل المعهد.

إلى هذين الأبوين العظيمين اللذين لولا جهودهما الصادقة لما قدر لهذه

---

(١) انظر اللوحة رقم ـ ٢٣ ـ واللوحة رقم ـ ٢٧ ـ .

المسرحية أن ترى النور.

وإلى أساتذة المعهد. وطلابه، وموظفيه جميعاً أهدي هذه المسرحية في عامي الأخيـر بالمعهد، للذكرى والوفـاء.

الزقازيق ـ أول ديسمبر ـ كانون أول ـ ١٩٥٥

أما المقدمة فقد كتبها له الأستاذ محمد مرسي «كبير أساتذة معهد الزقازيق» وقال فيها:

«وشاء الأستاذ هاشم الرفاعي أن يساهم في أدب القصة، فأخرج هذه الباكورة «شهيد بني عذرة» وهي قصة شعرية من الأدب الرفيع، وفيها الحب والجمال، والعشق النزيه العفيف.

وقد عهد الأستاذ في تصوير القصة إلى خيال الشاعر المطبوع الذي يرسل الشعر إرسالاً لا تكلف فيه ولا تعمق، فجاءت قصته قطعة أدبية ممتازة يستعذبها قارئها وأعتقد أنه لا يكتفي بقراءتها مرة بل سيطالعها مـرات».

وقد نُشرت المسرحية في الديوان الذي نشرته وزارة التربية أيضاً[1].

** .. ** .. **

وكذلك فقد ترك هاشم شعراً فكاهياً جميلاً، نشر بعضه في مجلة «البعكوكة» التي عنيت بالفكاهة وكتب كثيـراً من الشعر الزجلي، وكان يدخل معارك زجلية في بلدته والمعهد والجامعة، وعلى صفحات هذه المجلة، وقد جمعت هذه الأشعار بعد تصويرها، وجعلتها الجزء الرابع من هذا الديوان.

وعندما انتهيت من جمع هذه الأصول بدأت مقابلة القصائد المروية في

(١) سأكتب فصلاً كاملاً عن شعر المسرح عند الرفاعي في الدراسة المنتظرة عنه إن شاء الله.

المجموعات السابقة أو في بعضها، لأتبين روايتها، وعدد أبياتها، وما طرأ عليها من زيادة ونقصان، وكان الاختلاف طفيفاً يكاد ينحصر في القصائد الأولى التي نظمها في سنواته المبكـــرة.

إضافة لهذا فقد قارنت هذه القصائد كما وردت بالأصول مع روايتها في الديوان المنشور باشراف محمد كامل حته، ولم أجد اختلافاً إلا في وضع المقدمات لهذه القصائد، وحذفت بعض الأبيات التي لم يجدها مناسبة، فضلاً عن إهمال عدد كبير من القصائد التي لا تتوافق والغاية التي أوكلت له في نشر هذا الديوان.

ولقد أثبت كل القصائد والمقطوعات، والأبيات التي رأيتها في هذه المجموعات المخطوطة، ولم أحذف إلا أبياتاً قليلة، لم تصلح أوزانها، أو خرجت عن حدود الأدب العام(١).

ورغم حصولي على هذه المجموعات المخطوطة فقد وجدت عدداً من القصائد التي نشرت في الديوان المطبوع دون أن يكون لها أصول في النسخ المخطوطة، ولهذا اكتفيت بروايتها تلك.

ولكن هذا يشير إلى فقدان بعض الأصول عند طباعة الديوان بإشراف وزارة المعارف، ولعل بعض القصائد الأخـرى قد فقـدت أيضاً أو فقـد بعضها، ما دامت هذه الأصول التي أخذت منها هذه القصائد قد ضاعت لأن ناشر الديوان كان يحذف بعض الأبيات، ويستبعد بعض القصائد من الديوان، والتي رأينا أصولها كاملة، فما الذي يمنعه من حذف ما يريد، وترك بعض القصائد التي لا تأتلف مع الغاية من نشر الديوان، ولا توافق الظروف التي كانت سائدة آنذاك..؟!.

(١) لم تزد الأبيات المحذوف عن عشـــرة.

هذا هو الديوان للشاعر هاشم الرفاعي، وقد حصرت على جمع كل ما حصلت عليه من شعره ليضم أعماله الشعرية كلها، فإذا فاتني شيء مما لم تصل يدي إليه فهو قليل، إن شاء الله.

وأستطيع أن أطمئن إلى صحة ما أنسبه إلى شاعرنا ـ رحمه الله ـ بعد أن امتلكت نسخة مصورة لكل هذه الأصول، وأخذت إذناً مشروعاً بهذا العمل.

وبقي علي أن أبين الطريقة التي اخترتها لترتيب الديوان.

لدى استعراضي لقصائد الديوان ومقطوعاته، وللطريقة التي رتب فيها مجموعاته تلك، رأيت أن مضامين هذه القصائد سوف لا تتوافق كثيراً مع العناوين التي وضعت للأبواب، فضلاً عن أن هذا الترتيب لا يعدو أن يكون تقليدياً.

ومهما حاولت من جهد لتصنيف القصائد حسب الموضوعات فإنَّه يبقى هناك اجتهادات أخرى يمكن أن تضيف أو تغير من وضع القصائد.

لذلك اخترت ترتيب القصائد وفقاً لتاريخ نظمها أو نشرها لا سيما وأن الشاعر كان يحدد ذلك بدقة.

وهذا الترتيب يرسم لنا صورة واضحة ودقيقة عن تطور الشاعر بمشاعره، وأفكاره، وأطواره، وقدرته الفنية.

لهذا جمعت القصائد والمقطوعات في مجموعات، وكل مجموعة تشير إلى سنة من السنوات التي نظمت فيها، وتأخذ كل قصيدة ترتيبها ضمن المجموعة طبقاً لتاريخ نظمها في الشهر واليوم.

ومن هنا يمكن أن نتبين بسرعة الخط البياني لتطور الشاعر فكرياً وفنياً ويمكن المقارنة بين سنة وأخرى، أو شهر وآخر من حيث غزارة الانتاج أو

ضآلته، ومن حيث المضامين وغير ذلك من الأمور التي تهم الدارس[١].

ووضعت في مطلع الديوان، القصائد الأولى التي نظمها، وهي باكورة أعماله وأسميتها «البراعم» وتضم أكثر ما في مجموعة «نسيم السحر»[٢].

ومع أن الشاعر كان حريصاً على تسجيل تاريخ كل قصيدة فهناك قصائد لم تحدد تواريخ نظمها، وقد اجتهدت في تحديد السنة التي نظمت فيها ووضعتها في أواخر المجموعات التي اخترتها.

** .. ** .. **

فضلاً عن ترتيب الديوان بهذا الشكل فقد حصرت على ضبط الرواية بالشكل المناسب، وشرح بعض الألفاظ التي قد تخفى على القارىء العادي، وتوضيح الإشارات الفنية أو الأدبية أو غيرها من الأشياء التي أحسب أن بعض القراء الكرام سيتوقفون عندها مستفسرين.

وحافظت على المقدمات التي أثبتها الشاعر لقصائده، والإشارات التي أشار إليها، والتاريخ الذي ذيّل به القصائد، والعناوين التي اختارها لهذه القصائد.

وكنت أشير بـ (*) إلى تعليقات الشاعر وشروحه، بينما اخترت الترقيم العددي ١ - ٢ - ٣ - للملاحظات والشروح التي أضفتها وختمت عملي بفهارس تساعد القارىء والدارس وضمنت هذه الفهارس ما يلي:

١ - الفهرس العام ويحتوي على عناوين القصائد حسب ترتيبها في

---

(١) سوف أتناول هذه المقارنة إن شاء الله في الدراسة المفصلة.

(٢) كان هذا في الطبعة الأولى، ثم عدلت عنها في الطبعة الثانية بعد أن وردتني بعض الملاحظات من الإخوة القراء وشعرت أن تفرق القصائد ذات الموضوع الواحد شتت ذهن القارىء فلم يستطع تكوين فكرة صحيحة عن الشاعر.

الديوان مع بيان لتاريخ النظم وعدد أبيات القصيدة، وإثبات لمطلع القصيدة.

٢ ـ فهرس الموضوعات، وهو تقسيم اجتهدت فيه توزيع قصائد الديوان على موضوعات عديدة اخترتها وفقاً لمضامين هذه القصائد[١].

٣ ـ فهرس الأسماء وجمعت فيه كل الأسماء الأعلام من رجال ونساء ودول ومدن وأنهار ودلالات تاريخية.... دون تخصيص لأي جزء منها بفهرس خاص.

٤ ـ فهرس القوافي وأشرت فيه إلى مطالع القصائد حسب حرف الروي.

وأحسب أنني بهذه الطريقة حافظت على الصورة الواقعية للشاعر في تطوره الفكري والفني والنفسي، وفي مواجهته لأحداث الحياة واجتهدت في وضع شعره بشكل مضبوط وميسر بين أيدي قرائه ومحبيه بعد غياب طويل.

وإنني ـ بمشيئة الله ـ سوف أتبع ذلك بدراسة مفصلة عن هذا الشاعر وحياته وشعره، وأعرض فيها لآثار الشاعر، ومكانته، وأفصل عن حياته منذ الولادة حتى الوفاة مستفيداً مما حصل لي من معلومات ووثائق في مذكرات الشاعر وأوراقه، ورسائله إلى كثير من زملائه ومحبيه، ولم أرغب في الإسهاب هنا في تقديم الديوان عن هذا كله حتى لا أحرم القارىء من الاستمتاع بشعره، واستخلاص الصورة التي يراها للشاعر المرحوم.

** .. ** .. **

---

(١) لم يعد حاجة لهذا الفهرس بعد ترتيب الديوان على أساسه وأصبح هو الفهرس الأصلي.

آثـــاره الأخـــرى

لقد ترك الشاعر بعض الكتابات النثريـــة الأخرى. بعضها موضوعات ألقاها في مناسبات إسلامية، أو في محافل في بلدته أو معهده، ولقـد اخترت أحسنها، ولم أستبعد إلا القليل منها، وحصلت على نسخة مصورة لها، للاستفادة منها في الدراسة فضلاً عن نشر ما يصلح منها.

وترك أيضاً بعض المحاولات الشعرية في المسرح، وبعض القصص النثريـــة وهـي:

١ ـ مسرحية شعرية بعنوان «دماء في الإسلام» كتب أهم أفكارهـا وأحداثها نثراً تمهيداً لصياغتها شعراً بعد ذلك.

وتدور أحداثها حول الفتنة التي ثارت في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقسم هذه المسرحية إلى ثلاثة فصول، ولكنه لم يتم نظمها.

٢ ـ مسرحية شعرية عن بلدته أَنشاص، وهي مسرحية رمزية يدور الحوار فيها بين أَنشاص والتاريخ، ويشترك فيها المثقف والفلاح والعامل، ويقول فيها:

أَنشـــاص:

أيهـا التـاريـخ سجِّـل لـوعتي   وبكـــائي عـزَّتي في العـــالمين
لم تذق في مصر غيـري بلدةٌ   ألم الجـــور، وظلم الــظالمين
ضـــرّني أن كنت فيهـا منـــزلاً   ومحـــطاً لـرجـــال المـالكين[1]

---

(١) إشارة إلى قصر الملك فاروق وإقطاعياته في أنشاص، حيث كانت مركزاً للهوه وفجوره.

إن عيني لتسحّ الدمع من مرٍّ ما ذاقوه أهلي البائسين

التاريخ :

فتاتي! علام، وفيم الأنين؟ ومن أنت، ما اسمك بين البلاد؟

أنشاص :

أتجهل في مصرنا بلدة رأت ما رأت من أسى واضطهاد

التاريخ : أأنشاص أنت ؟

أنشاص : أجل إنني

أنا البلد المكتوي بالفساد

أنا من شربت كؤوس العذاب ولم أشك إلا لربِّ العباد

إذا ذكر الناس أمجادهم أطأطيء رأسي كسير الفؤاد

تفرق أهلي فيما بينهم مدى العصر من ألفة واتحاد

وحولي تنال القرى ما تريد وأعجز عن نيل بعض المراد

** .. ** .. **

التاريخ :

إني أراك ظلمت نفسك فارفعي رأساً فلست كما رويت الآن لي

كم في سجل المجد قد كتبت يدي من نهضة لي في الزمان الأول

أوَ لست قبلة قاصديك ومن بها نزل الملوك العُرب أكرم منزل

** .. ** .. **

ويمضي وهويشيد بأنشاص ، ويصور فساد الملك ، وفجوره ومباذله فيقول :

التاريخ :

إن كنت يوماً قد منيت بعصبة طلعوا عليك بكل فعل مخجل

وشهدت أخلاق الملوك رذيلة   من كل باغ فاسد متبذل
فلقد خلعت ـ وقد رماهم جيشنا   بسهامه ـ ثوب الظلام المسدل
هذي الرياض الناظرات كأنَّها   عدن بها من كل واد مقبل
إبليس غادرها رجيماً إنَّه   لم يرع حق المنعم المتفضل
إنَّ الإله لممهل لكنه   ما كان يوماً للغوي بمهمل

ويتتابع رجال أنشاص ليتكلموا وهم: العالم ، والموظف ، والفلاح ويتعاهدون على التعاون والإصلاح، وتنتهي بما يلي:

أَنشاص :

أيها التاريخ فاشهد إنهم   قطعوا العهد على نشر الوفاء

ينشد الجميع :

ندرك العلياء في حاضرنا   قدماً والله خير الشهداء
ندرك العلياء في حاضرنا   مثل ماض قد تولى فارتقاء

** .. ** .. **

وكأن الشاعر يرمز من خلال بلدته أنشاص إلى مصر كلها، ويدعو إلى التعاون والإصلاح، ويحدد بعض المشكلات الإجتماعية التي ينبغي أن يتعاون الجميع على محاربتها كالجهل، والتفرقة، وعادة الثأر وغير ذلك من المفاسد الاجتماعية.

٣ ــ وهناك محاولة لكتابة مسرحية نثرية بالعامية، ولم أتبين لها عنواناً ولكن أحداثها تدور حول قضية المرأة في الريف، وامتهان كرامتها وضياع حقها.

واختار حادثة خطوبة تجري في الريف، يأتي الخاطبون ليسألوا والد

الفتاة خطبة ابنته، ويقع الالتباس، حتى يتفق الجميع، فإذا بالوالد يفاوض على بيع الجاموسة، والخاطبون يفاوضون على خطبة الفتاة، وحين ينكشف الأمر، تستمر المفاوضة، وتعقد الصفقة ولا يجد الأب حرجاً ـ أو الخاطبون ـ في استبدال الجاموسة بالبنت أو بالعكس.

ويعتمد فيها على الفكاهة واختيار الجمل التي يصح فيها أن تفهم بمعنيين وهكذا، وقد كتبها في ١٠ أبريل / نيسان ١٩٥٥ م .

ولعله كان يريد صياغتها شعراً بعد رسم أحداثها نثراً.

٤ ــ وكتب الشاعر قصة قصيرة، وما تزال مخطوطة[١] اسمها «مأساة يتيم أو النفس المعذبة».

وقال في إعلانه عنها في آخر مجموعته «نسيم السحر».

«قصة واقعية ـ ١٩٤٨ ـ حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف»، وقد وشحها بصورة طفل يذرف الدمع.[٢].

ثم قال عنها «قصة واقعية تصور حياة طفل من أولئك الكثيرين الذين اصطلوا بنار القدر، والذين كتب عليهم الشقاء حتى أودي بحياتهم».

ولعله كان يترسم خطا المنفلوطي ومدرسته في هذه القصة.

٥ ــ وكان قد أعلن ـ في مراحله الأولى ـ عن قصة واقعية أسماها «الأيام» وهي كما وصفها أخوه: سرد بديع لقصة شائقة تروي حياة المؤلف.

٦ ــ وأعلن عن قصة أخرى أسماها «الانتقام» وهي قصة خيالية تصور

---

(١) حصلت على نسخة مصورة منها.
(٢) انظر اللوحات رقم ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥.

شعور شاب غصب حقه، وظلمهُ أهله وأقاربه، فبدأ يفكر كيف ينتقم لنفسه.

٧ ـ وهناك قصة أخرى واقعية أسماها «إصبع القدر» وهي مأساة دامية ومفجعة لرجل طاردته الأقدار(١).

وبعد فهذه قصة الديوان، للشاعر هاشم الرفاعي، الذي رددت قصائده ألوف من الشباب، وحفظت رائعته «رسالة في ليلة التنفيذ» ألوف وألوف يوم سكتت الشفاه عن النطق، وألجم الخوف الناس.

لقد خطا الشاعر نحو المجد بخطوات سريعة وثابتة حتى شاء الله عز وجل له أن يلقاه فمضى في غمضة عين، وأصبح تاريخاً يذكر.

وإنني أشعر بأن كثيراً من المتحمسين سيجد في ديوانه ما لم يحسب وسيرى قصائد المناسبات، والمديح، والنفثات، وأحسبهم سيقولون لا، لا يصح أن يكون هذا لصاحب «رسالة في ليلة التنفيذ» و«شباب الإسلام» وغيرهما.

وسيجد الآخرون قصائد تقول لهم: هذا ليس شاعركم، مهما كانت المناسبات التي وقف فيها يقول ويمدح.

فإلى هؤلاء وهؤلاء أسوق هذا الديوان، حقيقة واقعية، وطبعة أولى تضم المجموعة الكاملة لشعره، رواية أمينة، ورعاية مخلصة.

والشاعر الذي أحببناه، أو غضبنا منه، أو أبغضناه، بشر من البشر فيه حالات من الضعف، وفيه حالات من القوة، فيه العاطفة والنزوة وفيه الفكر والإشراقة والسمو.

---

(١) يلاحظ من أسماء هذه القصص أو موضوعاتها تأثره بما كتبه المنفلوطي من قصص حزينة وما كان يترجم من الآداب الأجنبية آنذاك.

وهكذا ننظر إليه بمنظار واقعي، وبموضوعية، ليأخذ مكانه الحقيقي بين شعراء هذا الجيل، بل في الطليعة منهم[1].

ولعلي قصرت في أشياء، أو أخطأت في أخرى، فعذري أنني اجتهدت وثابرت، وما بخلت بجهد من أجل إخراجه بالصورة الأمينة اللائقة، وأنفقت من عمري سنوات غاليــة.

وكم يسعدني أن أسمع ملاحظات القراء الكرام كتابة أو مشافهة، لأستفيد منها، وأتعلم من النقد والتوجيهات، وأعدل ما أراه صوباً في الطبعات الأخرى إن شاء الله والله الموفــق.

محمد حسن بريغش

الرياض ١٦ صفر ١٣٩٩ هـ
الموافق ١٤ كانون الثاني ١٩٧٩ م

** ** ** **

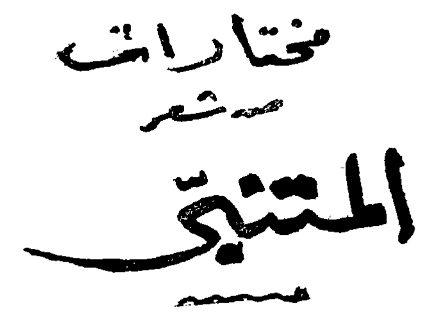
يمكن إرسال الملاحظات
إلى العنوان التالي:
الرياض ـ البطحاء ـ مكتبة الحرمين
المملكة العربية السعودية

** .. ** .. **

---

(١) لقد سمعت ما توقعت من بعض الإخوة المخلصين الذين يريدون من الشاعر أن يكون صفحة بيضاء ناصعة، ليس عنده إلا «رسالة في ليلة التنفيذ» وأمثالها ولكنهم نسوا أنه كتب شعره هذا كله في عمر لم يتجاوز الخامس والعشرين، وأن كثيراً من القصائد التي لم تعجبهم كانت في سني عمره المبكرة، فهلا أعطوه العذر.

هاشم الرفاعي



[اللوحة رقم ـ ١ ـ غلاف المختارات الشعرية من شعر المتنبي]

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

وبعد: فإنه لما كان عسيراً على المرء أن يحفظ
كل ما يقع تحت يده من شعر الشعراء ودواوينهم
فقد دأبت على أن أختار من شعر كل شاعر ما يحلو
لي ويوافق هوى في نفسي ويلائم ذوقي وطبيعتي
غير ناظر إلى شيء سوى ذلك، وبعد أن يتم
اختياري أنقل ما اخترته في كتاب أعد لهذا الغرض
لحفظه والاحتفاظ به.

وشاعر هذه المجموعة هو أبو الطيب المتنبي...
ومثله ليست مكانته بخافية على طالبي
الأدب والشعر. وقد ولد بالكوفة سنة ٣٠٣
هجرية ولحق بسيف الدولة سنة ٣٣٧ وكان مقتله
سنة ٣٥٤ في أواخر رمضان

[اللوحة رقم ـ ٢ ـ الصفحة الأولى من اختيارات الشاعر من شعر المتنبي]

قال يمدح سيف الدولة :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي
وللحب ما لم يبق مني وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضى والسخط والقرب والنوى
مجال لدمع المقلة المترقرق
وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
ومن الهجر فهو الدهر يرجو
وغضبى من الإدلال سكرى من الصبا
شفعت إليها من شبابي بريقه
وأشنب معسول الثنيات واضح
سترت فمي عنه فقبل مفرقي
وأجياد غزلان كجيدك زرنني
فلم أتبين عاطلا من مطوق
وما كل من يهوى يعف إذا خلا
عفافي ويرضي الحب والخيل تلتقي

[اللوحة رقم ـ ٣ ـ الصفحة الأولى من اختيارات الشاعر من شعر هاشم الرفاعي]

والعيش أخضر والأطلال مشرقة
كأن نور عبيد الله يعلوها

أحببته للشعراء الشعر فامتدحوا
جميع من مدحوه بالذي فيها

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني
أني بقلة ما أثنيت أهجوها

ولو نقصت كما قد زدت من كرم
على الورى لرأوني مثل شانيها

ما زلت تتبع ما تولي يداً بيد
حتى ظننت حياتي من أياديها

فإن تقل ها فعادات عرفت بها
وإن تقل لا فلا يسخو بها فوها

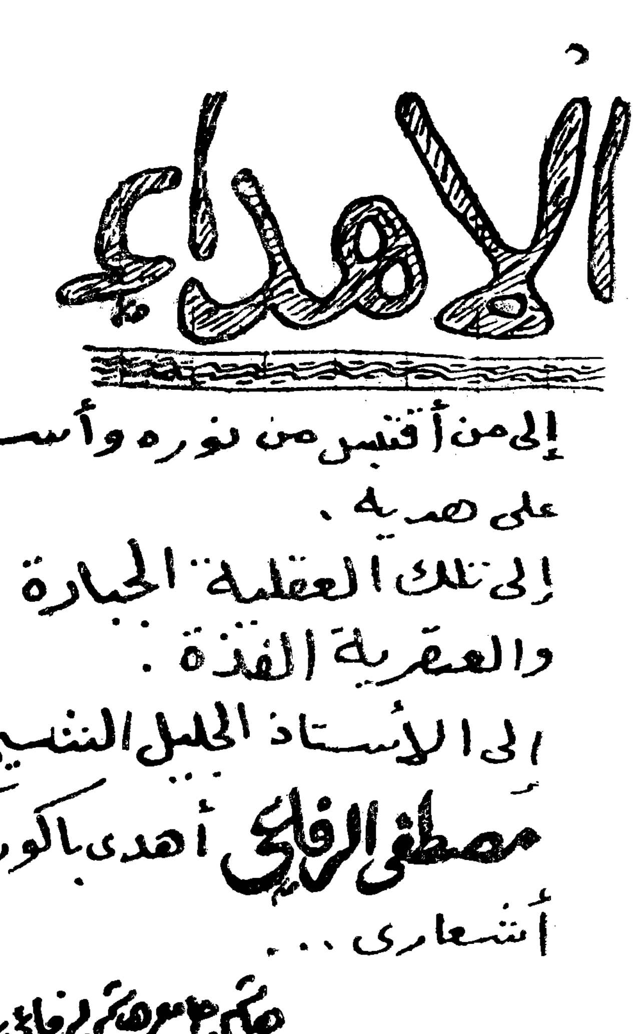
وكان الفراغ من كتابة هذه المختارات بحمد الله وعونه في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر السبت ٢٦ ديسمبر ١٩٥٢
نسأل الله التوفيق ودوام النجاح

هاشم [illegible]

[اللوحة رقم ـ ٤ ـ الصفحة الأخيرة من مجموعة المختارات من شعر المتنبي]



[اللوحة رقم ـ ٥ ـ غلاف مجموعته الأولى «نسيم السحر»]



الإهداء

إلى من أقتبس من نوره وأسير
على هديه ،
إلى تلك العظمة الجبارة ،
والعبقرية الفذة .
إلى الأستاذ الجليل الشيخ
مصطفى الرافعي أهدي باكورة
أشعاري ...

هاشم محمد هاشم الرفاعي

[اللوحة رقم ـ ٦ ـ الإهداء لمجموعته الأولى «نسيم السحر»]

مقدمة

هذه أول جولة لي في عالم الشعر ...
استلهمت أبياتها من الأحداث
والمناسبات . فإذا كان هناك
بعض الأخطاء ، فذلك راجع إلى
أنني لم أصل بعد إلى مرتبة الرقي
في الشعر والسمو عن الأخطاء .

وإنني إذ أجمع هذه الأبيات
في هذا الكتيب أضرع إلى الله
أن يجعلها مفتاح الغزير من
البيان والكثير السليم القوي
من الأشعار .

المؤلف

[اللوحة رقم ــ ٧ ــ وهي مقدمة مجموعة «نسيم السحــر»]

كلمة أخ

أخي الأستاذ هاشم جامع الرفاعي

أقرر في غير تملق ولا مراءاة أنني لمست فيك شاعراً مجيداً وأديباً فذاً له القول.

وليس لحبي حبيب إطراء ولا وصف

ولكني آمل أن تصبح قريباً ممن تعتز مصر بنبوغهم وتفخر بجليل أعمالهم

حقق الله لك ما ترجو.

وإلى الأمام

المخلص
هاشم أحمد هاشم الرفاعي
معهد الزقازيق
الثانوي

[اللوحة رقم ــ ٨ ــ الصفحة الرابعة من «نسيم السحر»]

كلمة زميل

أخي الأستاذ هاشم جامع هاشم

لما اطلعت على باكورة شعركم داخلني سرور شديد فقد قيض الله للإنشاد شاعرًا مجددًا.

وكلي أمل أن تصبح قريبًا مثل عباقرة الشعر وجهابذته أمثال شوقي والجارم.

وأرجو من الله العلي القدير أن يوفقه أخي إلى ما فيه رفعة بلده ووطنه ويجعله فخرًا للإنشاد الذي أحببته.

أخوك
مصطفى السيد الزهد
مدرس بطهطا الثانوي

[اللوحة رقم ـ ١٠ ـ الصفحة الخامسة من مجموعة «نسيم السحر» وفيهـا تقريظ زملاء الشاعر]

يوم النصر

إلى قوة الفالوجة وقائدها
"الضبع الأسود"



أعد اليوم لفظك والكلاما
لتهديها التحية والسلاما
جنود كالأسود أماثلهم
أبوا الإذلال فارتد وأكراما
وعاشوا عيشة ضنكاً ولكن
رعوا الشرف الرفيع مع الزماما
وكانوا يأكلون العشب علما
بأن سواه لن يجد وا طعاما
وجاءت حاملات الموت ترمي
حماهم كي تصيره ركاما

[اللوحة رقم ـ ٩ ـ القصيدة الأولى من مجموعة نسيم السحر]

نعم سلحوا ماذا عليهم
فليس لنا عتابا أو ملاما

ولكن الأسود أبت وظلت
مناضلة وصارعت الحماما

لإن حسبوا احتقارهم يؤدي
إلى قتل انتلم صوتا زؤاما

فقد ضلوا وزل إذ أرادوا
عدوا للأسود أو انهزاما

فلم نسمع بأن الذئب يوما
غدا اتخذ العرين له مقاما

. . . .

وباطه، عظمت بلا قطر
وبالأعمال قدرت الوساما

فمن فزع ومن رعب تراهم
أضافوا لاسمك الضبع الهماما

بنيله النيل والأهرام فخرا
بجنب لو دأبه هيا فقاما

برد فعال صهيون عليهم
ويحتضن الأرامل واليتامى

[اللوحة رقم ١٠ ــ القصيدة الأولى من مجموعة «نسيم السحر»]

سلمت من الردى يا جيش مصر

وعاش الضيغم قائدنا وداما

رعى الفاروق ربُّ العرش إنا

لنرجوا دائماً ألا يضاما

---

١٠ - ١٢ مارس ١٩٤٩



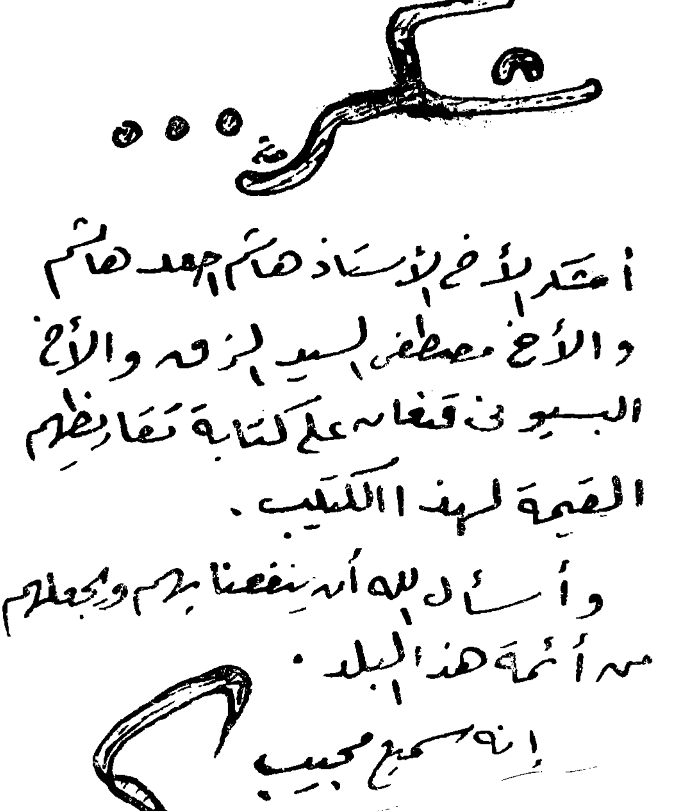
مدح الرسول اليوم كل مرادي

فمديحه يطفي لهيب الصادي

طيف الرسول سرى فهز مشاعري

والشوق ألهب مهجتي وفؤادي

[اللوحة رقم - ١١ -]



[اللوحـــة رقم ـ ١٢ ـ آخر ورقة من مجموعة «نسيم السحر»]



[اللوحـة رقم ـ ١٣ ـ غلاف قصة «مأساة يتيم»]

الإهداء

إلى الذين غلظت أكبادهم وقست
قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد
قسوة .
إلى الذين لا يعرفون من الرحمة
إلا اسمها ولا من الشفقة إلا
لفظها . أهدى باكورة قصصى
لعلهم ينتهون

المؤلف

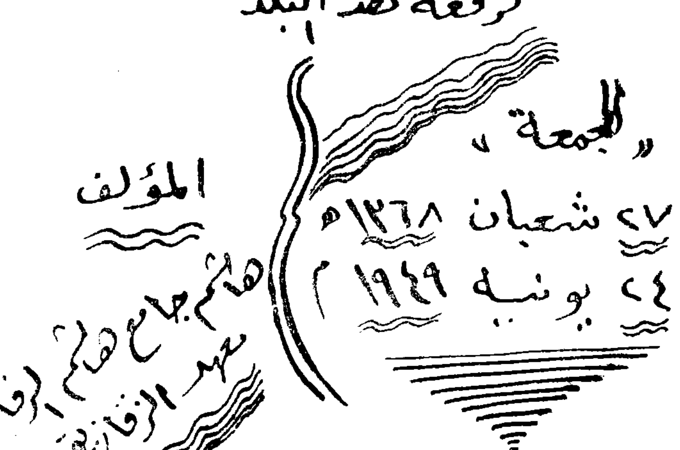
[اللوحة رقم ــ ١٤ ــ الصفحة الثالثة من قصة «مأساة يتيم» وتتضمن الإهـداء]

شكر

أشكر الأخ الأستاذ هاشم محمد الرفاعي
على كتابته تقديماً لهذه القصة ...

كما أشكر الأخ الشيخ مصطفى
السيد الرزق والأخ ابراهيم افندي
محمد رشيد على تقريظهما لهذه القصة

جعلهم الله من العاملين
لرفعة هذا البلد



[اللوحـة رقم – ١٥ – لقصة مأساة يتيم وشكر من الشاعـر]

كلمة صديق

أخي العزيز الشيخ هاشم :

قرأت قصتك المثيرة «مأساة يتيم» وألممت بحوادثها منا أثرا . ولقد كنت أثناء قراءتي لها أشعر بأن الأحداث تمر أمام عيني . وكم سكبت الدمع في كل فصل من فصولها فهي قصة لا بأس بها . وإني أيها الأخ أبشرك بمستقبل بارع وقريبا نراك إن شاء الله من أبار رجال الفصحى .

أكثر الله من أمثالك .

أخوك

ابراهيم مصطفى خورشيد

[اللوحـة رقم ــ ١٦ ــ صفحة تقريظ من قصـة «مأساة يتيم»]

المقدمة

أيها القارئ :

قد يتبادر إلى ذهنك أن هذه القصة
الدرامية من وضع القلم ونسج الخيال
ولكنها بعيدة كل البعد عن ذلك إنها
قصة من تسطير الدهر ووضع القدر لأن
أبطالها مازالوا على قيد الحياة —
والأسماء وحدها هي التي بدلت لهذا
السبب — إلا بطلها الأول الذي
ذهب ضحية الإهمال والظلم والذي
كتب عليه الشقاء حتى أودى بحياته
ففي ذمة الله أيتها النفس المعذبة
إذهبي إلى ربك راضية مرضية
فستجدين بجواره رحمة لم تألفيها
عند الإنسان الظالم الذي طبعت
نفسه على الشر وغرست فيها بذور الظلم

[اللوحة رقم — ١٧ — مقدمة إحدى قصصه]

أيام مضت وما أسرع ما تمضي الأيام
سمعت صوت نحيب وبكاء يرن في أجواء الفضاء
فأسرعت لأعلم السبب ... فعلمت أن ...
وحيدًا قد مات ... فوقع الخبر عليه وقع الصاعقة
وانهمرت الدموع من عيني .. وعدوت خلف مشهده
فوجدت أمه تكاد تجن من الحزن وشاهدت جده
وأعمامه يبكون . فقلت : أتبكون وأنتم قاتلوه؟
والذي نفسي بيده لن تفروا من عقاب الله
وليسألنكم يوم القيامة عما كنتم تعملون ....
....

ويا لهاص من لحظة رهيبة ... تلك التي أودع
فيها وحيدًا جوف القبر . !. لقد تزاحمت الدموع
في المقل . وارتفعت الأصوات بالنحيب . وقال
الجميع : إنا لله وإنا إليه راجعون .
وقفل الناس راجعين إلى بيوتهم مؤمنين
بأن هذا المصير خير وسيلة ~~ما~~ لراحة وحيد مما
كان يلاقيه في حياته ... !

[اللوحة رقم ــ ١٨ ــ صفحة من قصة للشاعر]

«وأسدل الستار على مأساة ذلك
الطفل المسكين.. الذى ذهب
ضحية الإهمال والظلم... ألا
قاتل الله من قتلوه... عليه
الرحمة والرضوان»

ونظرت إلى صديقى فوجدته قد أدار
وجهه عنى ليخفى دمعة حزن جالت فى
عينيه...



تم تأليف هذه القصة فى يوم:
١٦ أكتوبر ١٩٤٨ م
١٢ ذو الحجة ١٣٦٧ هـ
وتم كتابة هذه النسخة يوم
٤ يونية ١٩٤٩ م

[اللوحـة رقم ـ ١٩ ـ وهي الصفحة الأخيرة من قصة «مأساة يتيم»]



هذه المجموعة

هي ثمرة كفاح طويل شاق، وجهاد مرير صعب...
انها قصة صدر روحي هامت بالأدب فحلقت في سماء
أسفاره تستشف منها ما يروي الغلة ويطفي اللهيب
إذ كل بيت من أبياتها ليروي قصة مضنية أليمة،
هي قصة السهر والعرق والدموع... قصة العمل
المتواصل والسعي الدؤوب: العمل على تحقيق
الغاية - والسعي في سبيل إشباع الهواية.

[اللوحة رقم ـ ٢٠ ـ وهي تقديم مجموعة «المختار من شعر هاشم الرفاعي»]

الإهداء

إلى أحبائي وأصدقائي ممن يودون
والتقدم في هذا المضمار
وإلى أعدائي وحسادي ممن
ويؤلمهم أن أتقدمهم وأسمو
فإلى الأحباء والأصدقاء ... لتقر أعينهم،
وإلى الأعداء والحساد ... ليزدادوا كمداً

[اللوحة رقم ــ ٢١ ــ وتضم الإهداء لمجموعة «المختار من أشعاري»]

بين عهدين ...

ألقيت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٩ بحضور نائب إنشاص الشيخ محمد عبد العظيم [illegible]

أيه البشائر أصبحي وأنشدي
إن السماء [illegible]

قد أسكتت غداة تم سرورنا
بشرى يطيب لها فؤاد [illegible]

صفق البشير مهللاً ومكبراً
وحمامة بين [illegible] تردد

زال العناء وفك قيد حجيننا
لما انقضى عهد العذاب البائد

حكم الطغاة فما رأيت بعهدهم
غير الرصاص يزف للصدور ويسدد

يا مصر قد عاثت بأرضك عصبة
باسم الصيانة والحماية أفسدوا

قتلوا شباب الجامعات وجندلوا
في النزهة [illegible]

سالت دماء الأبرياء ذكية
ظلما فسقت أشجار المستعبد

ماذا جنوا حتى أريقت دماؤهم
وبأي جرم في مضاجعهم [illegible]

الله يعلم أنهم لم يجرموا
يا من بجند [illegible] فيهم [illegible]

فعليك من رب السماء تنزلت
لعنات [illegible] منهم تصعد

[illegible]

[اللوحة رقم ـ ٢٢ ـ القصيدة الأولى من مجموعة «آهات شريدة»]

القصيدة الأولى — أكتوبر ٥٤

مصر...
بين احتلالين

قالوا: الجلاء.. فقلت: حلم خيال ... لا تطمعوا في نيل الاستقلال

ليس الجلاء رحيل جيش غاصب ... إن الجلاء تحطم الأغلال

إن يترك الوادي الدخيل فإننا ... نحيا بمصر فريسة الإذلال

ما كان هذا الأجنبي ببالغ ... في البطش مبلغ سالم وجمال

...

يا سيدي.. السيل قد بلغ الزبى ... وغدت بلادك دمية الأطفال

الشعب مشدود لإيسار ملكهم ... يشكو القيود، وما له من وال

ولقد ظننا أننا في عهدهم ... ستزيح عنا مرهق الأثقال

حتى تكشف للبلاد خداعهم ... هبطت للظمآن ريّ الآل

طعنوا جبابرة الكفاح وألصقوا ... عار الخئون بجبهة الأبطال

ورموا بخنجر كيدهم من قدموا ... زهر الشباب لمذبح الآمال

هم أخرسوا الأصوات حتى أطـ ... ـباتت تكتم رنة الإعوال

هم حطموا الأقلام.. ما تركوا لنا ... غير النفاق وخسة الدجال

بثوا عيون الشر فينا، واشتروا ... بعض النفوس حقيرة بالمال

واشتد لفح الرعب حتى أخمدوا ... حرية الآراء والأقوال

[اللوحة رقم — ٢٣ — الصفحة الأولى من ديوان «جراح مصر»]

كان الخريف يظن أحلام الرياض النائمة
والبحر يدرك أن أحداثاً ستجري حاسمة
وترى الأسطول يزهو بالحشود الآثمة
بالطائرات عار المعتدين [illegible] وبالجنود الغاشمة
وتصفق الآمال في صدر الجموح القادمة
النصر والفتح المبين وأمنيات حالمة
وغرورها المجنون يحدوها ستزجع سالمة
للرقص، عند "السين" و"الشانزليز" كانت واهمة

فالشط ما وجدوه شطآناً جميلات كما حسبوا جسرا
وتراجع الليل الذي حسبوه يوماً كان فجرا
والقاع لم تلد لهم صخوراً بل صنعناه نسرا
والشعب لم يركع لما عهدوه بل وجدوه نهرا
فليرسلوا بجنودهم وعتادهم، جوادتهم تترا
إلى هنا في شاطئ البارود قد أعددت قبرا
لهم، أولاهم، لا بد من صبر يشير الهول مسرا
لا أحدوا مصرا، فإني قد حفظت اليوم [illegible]

[اللوحة رقم ـ ٢٤ ـ «قصيدة بور سعيد»]

كلمة صديق

★★

صديقى الشاعر:

ملأ الشعراء والبلغاء بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولقد قرأت بردة البوصيرى وبردة شوقى فأعجبت بهما أيما أعجاب، وقرأت قصيدتك نهج البردة، فوجدتها لا تقل عنهما فى قليل أو كثير.

أى صديقى:

لا تسل عن إعجابى بقصائدك وأشعارك فأنا محب للشعر والشعراء. فأرسل يا صديقى تغاريد الغناء فإنه لك بد من شأنه ويسر فى طريقك بحدون الأمل ويشجعك للرجاء

المخلص البسيونى قنعانة سليمان

إنتاج الشرقى - ميت اشنا

[اللوحـــة رقم ــ ٢٥ ــ]

صديقي

السيد إبراهيم رضوان .. كما أعرفه

أديب إي ورثى لا يباري
وبحر من علوم لا يباري

يفوق الكل علماً واطلاعاً
وتبياناً لنا أو قل منارا

يضيء لنا الطريق إذا أحدنا
بنصح فهو نور ليس نارا

يسود الناس بالأخلاق جمعاً
فقد أخذ الكمال له شعارا

لكم أهواه من قلبي وروحي
وأدعو خالقي ألا يضارا

ألفت يوم ١٥ يناير ١٩٤٩م

[اللوحـــة رقم ـ ٢٦ ـ]

نواب الأمة

فهم كما تهوى ... تحركهم دمى | لا يفتحون بغير ما ترضى فما
إنا لنعلم أنهم قد جمّعوا | لم يصفقوا إن شئت أن تتكلما
وهم الذين إذا أصبت لنا الأسى | هتفوا بأن تحيا لمصر وتسلما
لم تلق حزبًا منهمو ليشرعوا | ما تشتهي، ويكرروا الك كلما..
قد كنت مكشوف النوايا فاتخذ | منهم لتحقيق المطامع [illegible]
وسطوت قبل اليوم تحذر لائما | فالآن تسطو لا تخاف اللوما

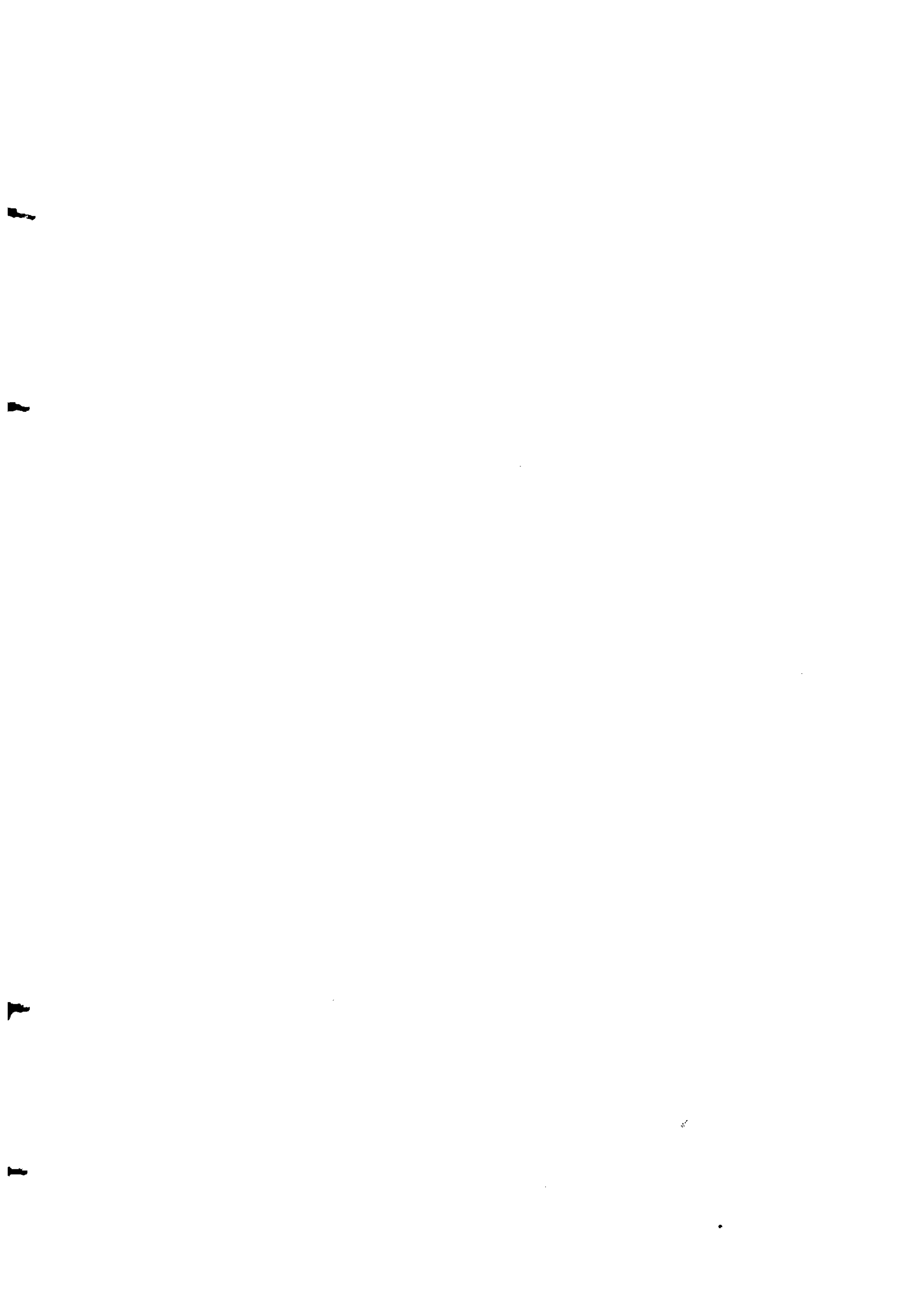
...

أتى الشاطئين احتلالك فكنت في | إحكام تدبير المكيدة ملهما
كم روعتنا لا يكيد بمثلها | بشر، وجئت لنا خداعًا مبرما
كلماتك الجوفاء كان لطنينها | صرخات ذئب في إهابك قد نما
تنساب في آذاننا معسولة | وإذا اجتلاها الذوق كانت علقما
وظللت تنسج جنة من أحرف | للشعب.. يلمح الغداة جهنما
غررتنا يوم القتال وكنت لا | تنفك إن ذكر العدا متهكما
ودعوتنا لنقيم مجلس أمة | حر.. فصدقنا وقلنا: ربما...
فأبيت إلا أن تكون كعهدنا | بك في الخصومة والضراوة أرقما
وفجعت أمتنا بمجلسك الذي | شكلت من «موافقين» ونوّما

[اللوحة رقم – ٢٧ – القصيدة العاشرة والأخيرة من ديوان «جراح مصر»]

القِسْمُ الأوَّل

في أحضان الطبيعة



بسمة الحيـــاة(*)

عـلى شطٍ مـن الألـحـا ن والأزهـارِ والـعـطرِ
بـروضِ الـحـبِّ والأنـغـا م والإخـلاصِ والـطهرِ
تـعـالـي نَـقـطعُ الأيا مَ في حلمٍ عـلى الـنـهـرِ
نـرى الـدنيـا وقـد فَـاضتْ أفـانـيـن مـن الـسـحـرِ
ونـصـغي لـلنسيـمِ الـصبِّ يُـزجـي الـشـوقَ لـلزهـرِ
فـلا يَـنـفـكُ نَـشـوانـاً بـغيرِ الـكـأسِ والـخـمـرِ

* . * . * . * . *

ونـجـوى مـثـلُ نَـجـوانـا لـعـشـاقٍ مـن الطيـر
مـضت فـي حُبـهـا تُفضي[1] بـمـكـنـونٍ مـن الـسـرِّ
وطـوراً حـيـنَ يُـضـيـنـهـا هـوىً في القـلبِ كـالجـمـرِ
تـنـالُ الـراحـةَ الـنـشـوى بـتـقـبيـلٍ عـلى الشـغرِ !

* . * . * . * . *

وعـنـدَ الشـاطـىءِ الـمـزدان بـالـيـاقـوتِ والـدرِ
كـستْ شـمسُ الأصيـلِ الـمـا ءَ أثـوابـاً مـن الـتِـبـرِ[2]

(*) نشرت بجريدة الزمان في ٣٠ مايو أيار ١٩٥٢ .

(١) تفضي : تبوح.

(٢) التبـر : الذهـب.

وفـوقَ الـيـمِ مـلاحٌ! يُـعـدُ الـفـلكَ لـلسـيـرِ
مـضـى يَـشـدو بـألـحـانٍ تـمسُّ الـنـفسَ كـالـشـعـرِ
ومـوجُ الـبـحـرِ مـا أضـنـا هُ طـولُ الـكـرِّ والـفـرِّ
صـراعُ خـالـدٌ قـد قـام بـيـنَ الـمـوجِ والـصـخـرِ
إذا مـا لـفَّـنـا لـيـلٌ تـجـلتْ بَـسـمـةُ الـبـدرِ
ونـمضـي فـي الـمـنى حـتـى نـرى إشـراقـة الـفـجـر
تـعـالـيْ فـالـربـا تـهـتـ ـز بـالأفـراح والـبـشـر
قـريـبـاً تُـظلم الـدنـيـا وتـمضـي بـهـجـة الـعـمـر

* . * . * . * . *

في ظلال الريـــف(*)

ذكـــرى كـــفـــوّاحِ الـــعـــبـــيـــرْ هـــاجـــتْ بـــأحـــنـــاءِ الـــصـــدور
واستيـقـظـتْ في الـنفسِ يُـشـ ـعِلها كـجيَّـاشِ الـشُّعـور
دعْ عـهـدهـا فـلقـد تـولـى عـنـكَ في عـمـر الـزهـور
لـنْ يـرجـعَ المـاضي ولـنْ يـتحـقَّق الأمـلُ الـعسيـر
فـانسَ الـحـديثَ عـن الأحـ ـبَّـةِ والـليـالـي والـبُـدور
وظـبـاءُ حُـسـنٍ فـي ربـو عِ الـريفِ من غيـدٍ وحـور[1]
تَـيَّـمـن قـلبـكَ وامـتـلكْـن زِمـامـهُ فـهـو الأسـيـر[2]

* . * . * . * . *

كـمْ بـالـقـرى مـن غـادةٍ حسنـاءَ كـالـرشـأِ الغـريـر[3]
الـنـائـمـاتِ لـدى الـعـشيِّ الـقـائمـاتِ لـدى الـبكـور
الـحـامـلاتِ جـرارهـنَّ وقـد سعـيـنَ إلـى الـغـديـر
لا الـجـسـمُ أضـنـاهُ الـتـأ ودُ لا ولا أَنـتكتِ النُّحـور[4]

(*) نشرت في مجلة «النهضة» الأزهرية ١٥ فبراير ـ شباط ـ ١٩٥٤ . نظمت في نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٣ .

(١) الغيـد : جمع غيداء أو غادة وهي المرأة الناعمـة .

الحور : النساء اللواتي عيونهن كبيرة وهي شديدة البياض والسواد.

(٢) تيمَن قلبـك : أي أخضعنه وأذللنه من الحب.

(٣) الرشأ الغريـر: الرشأ هو ولد الظبيـة الصغيـر.

(٤) التأود: التكسر والتلوي.

الـحـافـظاتِ عـلى الـليا | لي قُدسَ عهدٍ للعشير
الـسّـافـراتِ وفـي شـمـا | ئِلهنَّ حِصنٌ للسفور
وبـرزْنَ فـي أخـلاقِـهـنَّ | حياءُ ربّاتِ الخدور[1]
سُـقيـا لعهدٍ قد تولّـ | ـى في ربا الريفِ النَّضير[2]
أيـامَ ألـهو في الحقو | لِ فراشةً أخذتْ تطير
وأجـرُّ فـي أربـاضهـا | ذيلَ الطفولةِ في سرور[3]
ذاكَ الـزمـانُ مـضـى بـهِ | كرُّ الليالي والشهور
لا الـطفلُ طفلٌ في الحقو | لِ ولا الصغيرُ بها صغير
أيـنَ الليالي الحاليـا | تُ بساطعِ البدرِ المنير[4]
وَعَـصـاً تـأدبـنـا بـهـا | في مكتبِ الشيخِ الضرير
وضفائرُ الصفصافِ قد | مالَتْ على الماءِ النمير
لثمتْ صحيفةَ وجهِهِ | فانسابَ يهمسُ بالخرير
ماضٍ تولى من صِبا | غُصنٍ ومن بشرٍ قصير
وعلى ضِفافِ النهرِ تحـ | ـتَ التوتِ ساقيةٌ تدور
يمشي بها ثورٌ تغشّـ | ـاهُ الكلالُ فلا يَخور[5]
حَجَبوا العيونَ فما رأى | في أيِّ دائرةٍ يسير
قَدْ أحزَنتها حالُهُ | فبكتهُ بالدمعِ الغَزير
ويحثُّهُ من خَلفهِ | سوطٌ لهُ لفحُ السعير
قدْ أمسَكتهُ يدٌ بها | لشقاءِ صاحبها سطور

---

(١) الخدور: من الخدر بمعنى الستر. أي النساء العفيفات المتحجبات.

(٢) سقيا لعهد: يدعو لذلك العهد بالخير لأن السقيا من الخير والبركة.

(٣) ربض الشيء: ما حوله.

(٤) الحاليات: بمعنى الطيبات.

(٥) الكلال: التعب. يخور: الخور صوت الثور.

في شقوةٍ يحيا على الأيامِ في عيشٍ مرير
قد عَضَّهُ البؤسُ المضـ ـضُ بنابِهِ وهوَ الشكور
وعلى احتمالِ أسى الحيا ةِ يعينُهُ ولدٌ أجير
وهناكَ فوقَ الأرضِ قو مٌ يعملونَ بلا فُتور
وعلى الفؤوسِ قد انحنتْ منهمْ وقوَّستِ الظُّهور
الكادحونَ وما اشتكوا حرَّ الظهيرةِ والهجير
والشاربونَ لدى إنبلا جِ الفجرِ كأسُ الزمهرير
ولربَّ طائفةٍ عليـ ـها مالكٌ أبداً يحور[1]
صاغتْ حشَاشة قَلبها ذهباً لأربابِ القصور[2]
يا ريفُ يا مهدَ الجمالِ ومصدرَ الخيرِ الوفير
يا أيها العاني المر يض أمَا لموتِكَ من نشور؟
أَبكَ الكهوفُ منازلٌ أمْ تلكَ أبياتٌ وَدور؟
كَيف اتقاءُ الداءِ بعـ ـدَ العيشِ في هذي القبور؟

* . * . * . * . *

حييتَ يا حصنَ الفضيلةِ يا حِمى الشرفِ الغيور
مَن لمْ تُدنِّسْ أرضهُ مدنيةٌ كذبٌ وزور
إن طالعتكَ لها المعا وِلُ حُطِّمتْ فوقَ الصخور
كَم أهملوا الإصلاحَ فيـ ـكَ وأنت عانٍ لا تبور
كمْ أخلفَ الوعدَ الذي أعطاكهُ منهم وزير
فاخلعْ رداءَ الجهلِ إنّ العلمَ بينَ الناسِ نور
والبسْ ثيابَ المجدِ أنـ ـتَ بثوبهِ أبداً جدير

---

(١) حار : حار يحور حوراً، وحؤراً: رجع ونقض، وهنا بالمعنى الثاني.
(٢) الحشاشة : ما يضمه باطن الإنسان.

موكب الربيع (*)

ألا حبَّـذا جلسـةُ الـرابيـة ... على شاطىءِ الترعةِ الجاريـة
وقدْ لبسَ الريفُ ثوب الربيع ... فنبَّـه جنـاتِـهِ الغـافيـة
وظلَّت على الأيكِ فوق الغصون ... طيـورٌ بألحـانها شـاديـة[1]
تُهـامِسُ بـالحبِّ عُشَّـاقَهـا ... فتنقله النسَمةُ الـواشيـة

* . * . * . * . *

إذا جاء عهدُ الـربيعِ الجميـل ... فقمْ ننظر الحسن في ضاحيه[2]
هنـاكَ الجمالُ جمـالُ الحقـولِ ... هنـاك الطبيعـةُ كـالغـانيـه
نـرى الزَّهـرَ كلَّل هـامَ الـرُبى ... فـأكسبهـا فتنـةً طـاغيـه
فكم لـوحةٍ لبـديعِ الـريـاض ... هنالك عن سترهـا عـاريـه
ألا إنَّ هـذا لعيـدُ الـنفـوسِ ... فـفيـمَ الأنيـنُ أيـا سـاقيـه

* . * . * . * . *

هنـاك مُكـبٌ على أرضِـهِ ... سعيـداً بغلَّتـهـا النـاميـه[3]

(*) مايـو ـ أيار ـ ١٩٥٤.

(١) الأيـك الشجر الملتف الكثيـر، والغيضـة تُنبت السدر والأراك، أو الجماعة من كل الشجر حتى من النخل. الواحدة أيكـة، شاديـة: مغنية.

(٢) الضاحيـة : ما تنحى عن المساكن وكان بارزاً.

(٣) الناميـة : المتكاثـرة.

وعـانٍ تَفيَّـأ عِـنـدَ المَـقيـلْ من الـتـوتِ ظلَّتـهُ الـدانيـه[1]
ومنْ راح يسعى إلـى جـدولٍ لتشـربَ من مـائـهِ المـاشيـه
ومنْ فـوقِـهِ نِسـوةٌ قـدْ جلسنَ لـغسـلِ الـثيـابِ أو الآنـيـه
فمنْ عـذبـةِ النـطقِ ثـرثـارةٍ إلى ذاتِ سرٍ بِـهِ سـاعيـه[2]
حيـاةٌ لها البشـرُ، فيها الهـدوءُ عليهـا السلامُ، بهـا العـافيـه

* . * . * . * . *

وفيمـا تـرى العينُ صفصـافـةٌ ومِن تحـتهـا طـفلةٌ جـاثيـه
تـرى بهجةَ العيشِ في قـطعـةٍ من الـطين ظلتْ بهـا لاهيـه
وتـنـظرُ فيـهـا نعيمَ الـحيـاةِ بـه كـل ألـوانِهـا الـزاهيـه
بها أسرعتْ عن فُضول العيون إلى الـظلِّ وانتبـذتْ نـاحيـه[3]
تصـوِّرُ منها عـروسَ الخيـالِ وتمنحُهـا البسمـة الـرَّاضيـه
على أيٍّ معنى لبشـرِ الـقلوب تـدل سـعـادتُـهـا الـبـاديـه
إلى أيٍّ قـدسٍ لطهـرِ النفـوس تُـشيـرُ بـراءَتَـهـا الـطافيـه

* . * . * . * . *

وطـفـلٌ تسلَّق حـتـى يـنـالَ من الـتـوتِ دوحَتَـه العـاليـه
إذا مـا ارتقى فـوقـهـا قِمـةً وشـارف أغصـانهـا الـواهيـه
تُـهـدْهِـدُه فـي اهـتـزازٍ بِـهِ كـأمٍ على طفلها حـانيـه[4]
ويـأكـلُ حتى إذا مـا بـدا بـكـفٍ مـخضـبـةٍ قـانيـه

---

(١) عـان : من العاني وهو المتعب.
(٢) ساعيـة : يقصد أن هذه المرأة تتحدث بسر عندها وتذيعـه.
المقيـل : ما بين الظهر والعصـر.
(٣) انتبذت ناحيـة : انتقت ناحية بعيدة وجلسـت تلعب بهـا.
(٤) تهدهـده : كأنها تهزه هـزاً رفيقاً لينام.

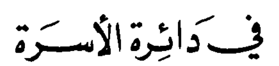
يــهــزُّ إلــيــهِ بــأفــنــانِــهــا فــتُغــدِق كــالديمــةِ الهــاميه
وتسقُطُ أثمــارهــا في الـقـنـاةِ تــخــالطُ أوراقَــهــا الــذَّاويه
فيأكُلُ منه الـرفـاقُ الصغارُ وتسحقُـه الأرجُـل الحـافـيه

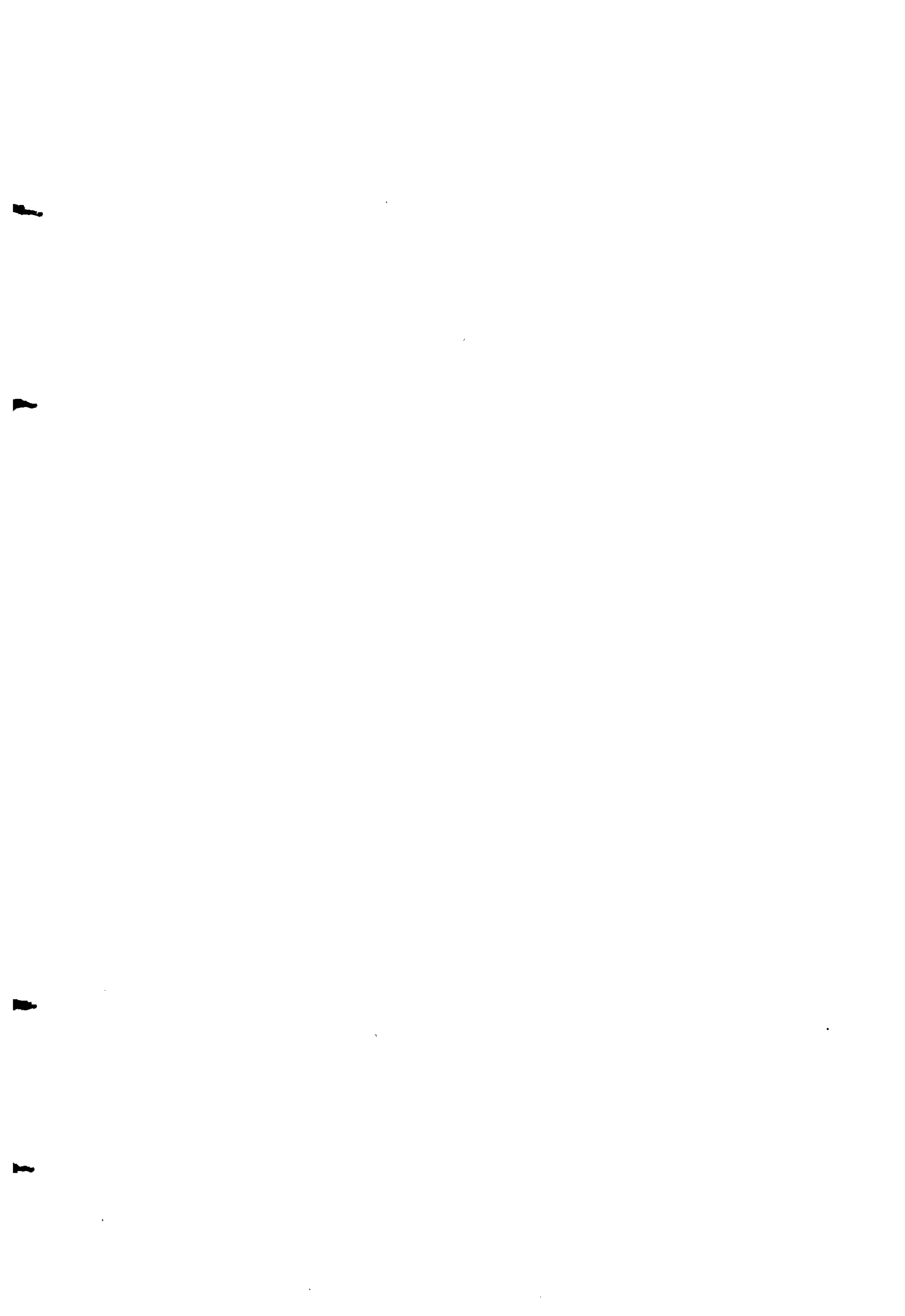
* . * . * . * . *

حـبـيـبـي إذا ما أتانـا الربيعُ وعـاد بـبـهـجـتِـهِ الـنـائـيه
وعـادتْ ليالي الصِّبا والجمال إلـى ضفـةٍ لـلهـوى ثـانـيـه
ورنَّ على الشَّطِّ نـايُ الغـرام فـغـنـى عـلى لـحـنِـهِ راويـه
بنـا قُم إلى مـوكب العـاشقين نعب كؤوسَ الهـوى صافيـه
فـليس حيـاةٌ لـنـا غيـر مـا نقضيه من سـاعـةٍ حـاليـه[1]

* . * . * . * . *

(١) هذه أوهـــام المراهقـــة. فالحياة الهانئـــة هي في رضوان الله، ولنا من دنيانـــا أعمالنا التي نحاسب عليهـــا.


فيـ دائِرة الأسـرة



مولد الرفاعي(*)

بـــات الفؤادُ صبــابَــةٍ يتحــرَّقُ ... وبـــه إلى دار الحبيبِ تَشـوُّقُ[١]

نـأتِ الأحبَّةُ، فــالــديــارُ بعيـدةٌ ... والقلبُ من نارِ الجوى يتمزَّق[٢]

عــاهـدْتُهم عهــداً وإني إذ نـأوا ... بـاق عليه ولَنْ يحَـلَّ المـوْثِق[٣]

يــا راكبــاً، وأراه ولَّى وجـهَــهُ ... شــطرَ الأحـبَّــة إنني لـمـؤرَّق

قفْ واحملنَّ فتىً أضرَّ به النوى ... يبغي المسيرَ إلى الحبيبِ ويعشق

كم فـاضَ وجـداً لـلاحبَّـةِ قلبُـهُ ... حتى غـدا وهو العليـلُ المُـرهَق

وأنِخْ رِكابَـكَ إن وصلتَ بساحـة ... منْ نورها وجـهُ الفضائـلِ مشرق

هيَ بعـدَ بيتِ الله أعـظمُ كعبـة ... حـجَّ الأكارمُ صـوبَها وتـدفَّقـوا()

قد شيَّدَت أركـانها أيـدي الألى ... بيمينِـهم قـبسُ الهـدى يتــألَّق

هم نبعُ كلِّ كـريمـةٍ وأسـاسهـا ... وبفضلِهم غصنُ المروءةِ فُورِق

وبهم يسيرُ الهديُ وثَّابَ الخُطى ... ويخرُّ شيطانُ الضلالِ ويُصعَق[٤]

همْ سرحةٌ بالهديِ بورك غَرْسها ... إن جفَّ أصلُ قام فرعُ مُعرِق[٥]

(*) القيت في الاحتفال بالليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بحضور النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد نائب أنشاص في ٣١ مايو ـ أيار ـ ١٩٥١ .

(١) الصبابة: رقة الشوق.

(٢) الجوى : الحرقـــة وشدة الوجد.

(٣) نـــأوا : ابتعـــدوا.

(٤) في الأبيـــات مبالغة في الفخـــر واعتزاز بالنســـب.

(٥) السرحـــة : الشجـــرة الطويلـــة العظيمـــة.

سوقاً أقاموا جُل سِلعَتِهِ ندىً ... يُعطى الفقيرُ به العطاءَ ويرزق
فبنوا مناراً للحنيفةِ عالياً ... وسما لدِّين الله صرحٌ شاهقُ
أسرعْ فديتك كي نلمَّ بدارهم ... ونرى وجوهاً بالجلالةِ تَنطِق
ونشاهدُ الأحبابَ إذ جُمعوا بها ... ولهمْ بذكرِ الله قلبٌ يَخفِق
ثَمِلوا بشربِ الهديِ من كأس التقى ... فشرابُهم، نعمَ الشرابُ الريِّقُ
ورعاهمُ الرحمن جلَّ جلالُه ... وملائِكٌ من فوقِهم قد حَلَّقوا
لا البُغضُ شقَّ إلى النفوسِ سبيله ... كلا ولا شملٌ هناك مُفرَّق
بل ثمَّ دِّينٌ خالص وهدايَةٌ ... واللهُ جلَّ إلى الرشادِ موفِق
أجهرْ بصوتِك إن وصلتَ ونادِهم ... من بالنداءِ من الأحبة أخلق؟[1]
يا قومُ إني قد وقفتُ ببابكم ... والبابُ دوني - لا أظنُّ - سيغلق
عطفاً عليَّ، ولست أنشدُ غيرَه ... فالعطفُ أحرى بالكرامِ وأَليق
ودَّعتُ قومي وانطلقتُ يسوقني ... أملٌ ويدفعني رجاءٌ صادق
وأتيتُكم أبغي النجاةَ من الأذى ... يومَ الغمامِ به السماءُ تَشقَّقُ
وإذا اهتدى عبدٌ بهديِ أولي التقى ... يسقيهِ من كأس النعيمِ الخالقُ
واخشع ملياً بالضريحِ مُسلِّماً ... والرأسُ منكَ من المهابةِ مُطرق
قبرٌ طوى علمينِ في جنباتِهِ ... لهما منارٌ للرَّشادِ ومَشرق[2]
كمْ جاهداً في الله حقَّ جهادِه ... كم أحرزا من رفعةٍ لا تُلحق!
لهما من الرحمن ألفُ تحيةٍ ... ما مال بالأرجاء غصنٌ باسق
وإذا ذكرتَ أولي المروءةِ والنَّدى ... وأئمةٍ في كلِّ فضلٍ تَسبِقُ
فاذكرْ بخيرٍ في المحافل سيداً ... عِطرُ الثناءِ لهُ جزاءٌ أَليَقُ

---

(١) هذا البيت وإلى البيت (وإذا اهتدى عبد) غير موجود في نسخة «آهات شريدة» بل هو في «المختارات» أخلق: أجدر وأحق.

(٢) يقصد بالعلمين جده هاشم ووالده مصطفى الرفاعـي.

وانشد: أبا عيدٍ[1] أتيتُك مادحاً فلعلَّني فيما أقول أوفَّقُ[2]

إن البيانَ بخيلِه وبرَجْلِهِ مهما مكثتُ أصوغُه وأنَمِّقُ

لنْ يستطيعَ مديحَ ذاتكمُ التي أنى تسيرُ بها المهابَةُ يُحدق

في كلِّ عامٍ أنتَ درةُ حفلِنا تُضفي علينا من سناكَ وتُغدق

وإذا الوجوهُ رأت بهاكَ جرى بها ماءُ النَّضارةِ صافياً يترقرق[3]

فخرَ الرجالِ العاملين وخيرَ من في البرلمان به الأكف تصفق

إني أراكَ لدى السلام مسالماً وأراك سيفاً في الشدائِدِ يمحق[4]

فإذا رضيتَ فأنتَ نورٌ مشرقٌ وإذا غضبتَ فأنتَ نارٌ تحرق

يا من له عند الشيوخ مكانةٌ وبه الشبابُ متيَّم ومُعلَّق[5]

إن كانَ بينَ الناسِ بَرٌ صادقٌ بالمعوزين فإن برَّك أصدقُ

أو كانَ ثَمَّةَ منْ يقولُ بأنَّه يعلوك قدراً فهو غرٌ أحمقُ[6]

فلأنتَ في كرمِ الشمائِلِ «حاتمٌ» ولأنتَ في صدق العزيمة «طارق»[7]

عوَّذْتُ جاهك بالنبي فإنني أخشى عليك من الحسود وأشُفق[8]

* . * . * . * . *

(١) أبو عيد: يشير إلى أحد أعضاء البرلمان في منطقته وهو الشيخ عبد العظيم عيد.

(٢) من «المختارات».

(٣) البهاء: الحسن. النضارة: الحسن والرونق،

(٤) هذا البيت والبيتان اللذان بعده من نسخة «المختارات».

(٥) متيم: محبٌّ ومعلَّق أيضاً.

(٦) غر: جاهل.

(٧) هذا البيت من نسخة «المختارات».
حاتم الطائي ويضرب به المثل بالكرم، وطارق بن زياد هو القائد المسلم المشهور الذي فتح الأندلس ويضرب به المثل في الشجاعة.

(٨) في القصيدة كثير من المبالغات ولكن ذلك يتعلق بالسن المبكرة التي قال فيها هذه القصيدة، إضافة إلى أن التعوذ بالنبي لا يجوز ولا تكون الاستعانة والتعوذ إلا بالله العلي العظيم.

مولد الرفاعي

[ألقيت في حفل الليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بإنشاص في ٢٢ مايو - أيار - ١٩٥٢، بحضور الشيخ عبد العظيم عيد نائب إنشاص].

دعاني إلى الإنشادِ شوقٌ سما ليا ... وما كنتُ لولاَ هِزَّةُ اشوقِ شـاديا
رمتني صروفُ الحادثاتِ بسهمها ... وحسبي شقاءً أن أرى الحبَّ دائيا
أَأُخفي وفي الإخفاءِ نارٌ ولوعةٌ؟! ... وأكتمُ والكتمـانُ يُـدمي فؤاديـا
وقد بِتُّ يُضنيني حديثُ عواذلي ... إذا ما رأوا دمعي على الخدِّ جاريا[1]
يقولون صَبٌ قـد ألمَّ به الهـوى ... فأورثَهُ سقمـاً على الوجـهِ باديـا
ألا قـاتــلَ الله البكــاءَ فــإنــهُ ... بما في فؤادي كان للقومِ واشيا[2]
سيرثي لحالي مَن أطالوا مَلامَهُمْ ... إذا حَملوا في حُبِّهم بعض ما بيا
يقول خليلي عندما شَفَّنيَ الأسى ... فرحتُ أناجي الربعَ هيمانَ صاديا[3]
ألا أيها الباكي على طَلَلِ الهوى ... تنادي: سقى الله العمودَ الخواليا[4]
وتشدو قَريضاً كلُّه الحب والنوى ... به الشوقُ والذكرى لكَ الله لاهيا

---

(١) العواذل : جمع عاذل وهو اللائـم المبغض.

(٢) الواشـي : المخبـر بالأسـرار.

(٣) شفَّني الأسـى : أهزلني الهم. الربع: مكان نزول القوم وهو مشتق من الربيع. هيمان صادياً: عطشان كثير العطش أهيم على وجهي من شدتـه.

(٤) الطلل : ما شخص من آثار الديار. الخوالـي : التي مضـت.

دع الوجدَ واترك ذكركَ العشق جانباً ... وكفَّ عن التشبيبِ واسلَ الغوانيا[1]

وسـرْ بالقـوافي نحو قـومٍ أعـزةٍ ... ومجِّد بذكرِ الأكرمينَ القـوافيا[2]

رجالٌ إذا ما المزنُ ضنَّت بماتها ... همُ القطر، كلا بل همُ الغيثُ هاميا[3]

متى تأتِهمْ تلقَ السماحَةَ والندى ... وإن عدتَ من دارٍ لهمُ عدت راضياً[4]

أبوهم إمامُ الهدى والجودِ هاشمٌ ... كثيرُ الأيادي عـاشَ للخير هـاديا

همـامٌ بنى للدِّينِ مجـداً مؤثَّـلاً ... وشيَّـدَ صرحـاً للحنيفةِ عـاليـاً[5]

تَغَنَّى مقيمٌ فـي الـديـارِ ببـرِّهِ ... ومَن سارَ في الظلماءِ للبيدِ طاويا

يجـودُ إذا ضنَّ الجـوادُ بنفســهِ ... ويرعى لحقِّ الضيف ما دام ثاوياً

ولا خيـرَ إلا كـانَ للخيـرِ رائـداً ... ولا جرحَ إلا كانَ للجرحِ آسيا[6]

هو العلمُ والتقوى. بهالخيرُ والهدى ... له الدِّينُ والدنيا، أنـارَ الديـاجيا

فهذا الذي إنْ عاشَ يحيا مكرماً ... وإنْ ماتَ يمضي خالدَ الذكرِ باقيا

* .* . . . .* .*

ألِمَّ بقبر الشيخِ إن جئتَ زائـراً ... تجد عندَ قبرِ الشيخِ للخيرِ ناديا

هناكَ وجوهٌ، ظلَّهـا الله بالهـدى ... وصَبَّتْ عليهـا من سناهُ الغـواديا

دعاها إلى الخيراتِ داعٍ فأسرعت ... تلبي إلى الخيراتِ في الله داعيا

وليسَ لعمري من يبيتُ على هدى ... كمن باتَ من ثوبِ الفضائل عاريا

مجامعُ للإرشادِ من حجَّ نحوهـا ... يكن في الورى من عثرةِ الإثمِ ناجيا

---

(١) التشبيب : التغزل بالنساء.

(٢) يقصد بالقوافــي : الشعـر.

(٣) المزن : السحابــة البيضاء أو الممطرة. والغيث هو المطــر.

(٤) الندى : الكرم .

(٥) المؤثــل : الأصيــــل.

(٦) آسيـــــاً: مداويـــاً.

أقامَ لها ركناً أخو الهديِ جامعٌ بناها له الحسنى فأعلا المبانيا[1]
عليهِ سلامُ اللهِ كمْ كان ذا تقىً وكم كـان براً للحـوائجِ قـاضيـا
قضى عُمرهُ مثلَ الزهورِ فعيشها قصيـرٌ ولكنْ تَتركُ العـطرَ زاكيـا

* . * . * . * . *

وإنْ شئتَ عداً للكرامِ أولي النُهى وكنتَ بـذكـرِ الأكـرمينَ مناديـا
فـلا تنسَ بالـذكرِ المعـطَّرِ سيداً لِما نالَ من فضلٍ مشى الدهر راويا
جـوادٌ عهدنـاهُ إلى البِّر مسـرعـاً إذا عـزَّهُ في البـرِّ أيـدي تـوانيـا
وما النُّبلُ من عبد العظيمِ تطبعٌ ولكنَّـهُ طبعٌ بـهِ عاشَ حـاليـا[2]
عـرفنا لـهُ في كل مكـرمـة يـداً ونعلمُه للبذل في الخيـرِ ساعيـا
وهمَّتــهُ في الحقِّ دونَ ثبـاتهـا ثباتُ قويِ الطودِ قد باتَ راسيا
عظيمٌ رفيعُ القدر، يسعى إلى العلا ويعشقُ في نفـعِ البلادِ التفـانيـا
لئنْ شئتَ إحصـاءً لكلِّ خصـالِهِ لأعجزتَ عن سردِ الخصالِ المعانيا
ويكفي أبـاعيدٍ من المجـد أنَّنـا نرى غُصنهُ في دوحة الوفدِ ناميا
وما الوفـدُ إلا الحقُّ والقوةُ التي تضمُّ صناديـداً وتحـوي دراريـا
رجالٌ نراهمْ ما ارتضوا أن يُذلَّنا عـدوٌ فجـاءوهُ أسـوداً ضـواريـا
يسير بهم للنصرِ إقـدامُ مصطفى قويُّ الحِجا من عاشَ للنيل حاميا[3]
زعيمٌ أبى أن نقـطعَ الدهـرَ كلَّه عبيـداً لأعــداءٍ لـنـا ومـواليـا
فهبَّ إليهمْ طـالبـاً لجـلائهـمْ ينـادي بأنَّ النيـلَ ما عـادَ غافيا
وجـاهدهم بـاللينِ والحلمِ تـارةً فما كانَ منهُ اللينُ في الحقِّ كافيا
فـأضـرمَ نيـرانـاً وأشعـلَ ثـورةً وجــرَّدَ أسيـافـاً وهــزَّ عَـواليـا

---

(١) اسم والد الشاعر جامع.
(٢) النائب الشيخ محمد عبد العظيـم.
(٣) يشير إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد. وكان الشاعر متأثراً ببيئته ويرى أن حزب الوفد أمل مصر، والمحافظ على مصالحها.

وجمّع من كلِّ البلادِ كتائباً وسيَّرَ جنداً للأسنةِ شاكياً

كذلكَ شأنُ الحرِّ إن ضاعَ حقُّه أناةً، فإن لمْ تُغنِهِ قامَ غازيا

فمنْ مثلُهُ في الناسِ يوماً وقد مضى يؤدبُ جباراً ، ويكبحُ عاتيا

يذودُ عن الحوضِ الكريمِ بهمةٍ وعزمةِ صنديدٍ تهدُ الرواسيا

ويدفعُ عن أرضِ الكنانةِ غاصباً ويحمي بحدِّ السيفِ للنيلِ واديا

ويا رُبَّ شرٍ كانَ للشر حاسماً ويا رُبَّ داءٍ كانَ للداءِ شافيا

أقامَ غداةَ الروعِ ليثاً مُظفراً وعن مصر والسودانَ ردَّ العواديا

ونحنُ لهُ جندٌ نُضحي بنفسِنا ونُرخصُ في حُبِّ الكنانةِ غاليا

بذلنا لها الأرواحَ عن طيبِ خاطرٍ وسالَ دمُ الأبطالِ أحمرَ قانيا

فلما مضينا في طريقِ جهادِنا ملياً وكِدنا أن ننالَ الأمانيا

ولاحَ لنا فجرُ الجلاءِ بضوئِه فبتنا نَرى النصرَ الذي كان دانيا

تكشَّفَ ما أخفى الهوى من مكيدةٍ وأبدتْ لنا الأيامُ ما ظلَّ خافيا

وألقى زعيمُ النيلِ رُمحَ طِعانه فخلفَّ صرحاً في الكنانةِ داميا

لقد كانَ سيفاً صادقاً يمحق العدا ومضرُبُهُ ما كان بالأمسِ نابيا

وما الذنبُ ذنبُ السيفِ في جوفِ غمده لحا اللهُ قوماً ينصرونَ الأعاديا

* . * . * . * . *

مولد الرفاعي [*]

لعبتْ بلبِّكَ ذاتُ طرفٍ أكحلِ ... وجنتْ عليكَ ببسمةٍ لمُقبَّلِ [1]

لما رمتكَ من العيونِ بفاتكٍ ... ورنتْ إليكَ بمثلِ حدِّ المِنصلِ [2]

تركتكَ نهباً للوساوس تَتَّقي ... تفنيدَ خالٍ أو شماتَةَ عُذلِ [3]

وطوتْ ضلوعَك خافقاً عبثت بِهِ ... وتقصَّدتهُ لدى الهوى في مقتَلِ

ووشتْ بأسرارِ الغرامِ إلى الدجى ... عيناكَ إذ همتا بدمعٍ مُسبلِ [4]

رقدتْ جفونُ العاشقين فكيفَ لمْ ... ترقدْ جفونُ الساهرِ المتململِ [5]

حتى متى هذا العذابُ وإنهُ ... للظى سعيرٍ في فؤادكَ مُشعَلِ

وإلامَ تستجدي الظلامَ خيالَها ... حتى يبدِّدهُ صباحُ مُنجلي

* . * . * . * . *

عادتْ بما تلقاهُ نظرةُ شادنٍ ... كَلِفٍ بتحطيمِ القلوبِ موكلِ [6]

(*) ألقيت في الإحتفال بالليلة الختامية لمولد جدي السيد هاشم الرفاعي بإنشاص في ١٣ أغسطس - آب - ١٩٥٣. (المجموعة الأخيرة).

(١) اللب: العقل. الطرف الأكحل: العين التي يعلو جفنها سواد مثل الكحل. المقبل: الفم.

(٢) رنا: أدام النظر إليه. المنصل: السيف.

(٣) التفنيد: تضعيف الرأي واللوم. خالٍ: الخالي.

(٤) وشت: من وشى: بمعنى أخبر وأذاع. همتا: من هما: بمعنى سال. المسبل: من أسبل، بمعنى هطل.

(٥) المتململ: من تململ: إذا لم يستقر.

(٦) شادن: الغزال الذي يستغني عن أمه ويظهر قرناه. كلف: مولع.

مـا كانَ أهـوَنها عليـهِ وإن تكنْ تركتكَ عن سُبـلِ الهناءِ بمعـزلِ
ماذا لقيستَ من الهوى، ونعيمِهِ نـارٌ، وحلوُ مـذاقِـه كـالحنـظلِ
أمـا الحسودُ ففي غـرامِـكَ لائمٌ تبـاً لهـذا الـلائِم المتـدفـلِ
جهلَ الذي تلقاهُ من ألمِ الهوى ما كانَ يُزجي اللومَ لو لمْ يجهلِ[1]
إن التي قـدْ غـادرتـكَ بسُحـرةٍ تـركتـكَ نضـوِ تفـرّقٍ وتـزيّـلِ[2]
بـانَ الخليطُ بهـا فعـزَّ نـوالهـا واحرَّ قلبكَ من هوى المُترحِّلِ[3]
يا راكبَ الوجناءِ قد حَثَّ الخطا في إثرِ ركبٍ في الدُّجى متحمِّلِ[4]
إنْ أبصـرتْ عينـاكَ شـامـخَ قُبةٍ غــراءَ تجتـازُ السحــابَ وتعتلي
ورأيتَ سـاحـاتٍ لهـا قـد زُينتْ فبـدتْ لعينِكَ ذاتِ ثـوبٍ أجملِ
خَـفقـتْ بـهـا للهِ أرفـعُ رايــةٍ في ظلِّها الأملاكُ تهبطُ من عَـلِ
فاقصدْ إلى بيتِ العُلا من هاشمٍ وببـابِ أربابِ النَّـدى فترجَّـلِ[5]
قسمـاً بهِمْ لو زرتَهمْ لـوجـدَتهم - أندى عليكَ من الغمامِ المُثقلِ[6]
تلكَ المنازلُ قد أقامَ بها الهدى عنهـا مـدى الأزمـانِ لم يَتحـوّلِ
يـرثُ السنا والمجـدَ فيها كـابـرٌ عن كـابرٍ علمٍ أغـرَّ محجـلِ[7]
سـوقاً أقـامـوا فيـهِ بـذل للقِـرى للبائسِ العافي وإن لم يسألِ[8]

---

(١) تزجي : من زَجّى. تُزجيه بمعنى تدفعه برفـق.

(٢) السحـرة : السحر قبل انصداع الفجر. النضو: البعيـر المهزول.
التزيــل : من زيل بمعنى المفارقة والتبايــن.

(٣) بان : افترق وابتعد المفارقة والتباين. الخليط: المخالط والجليس والنديم. عزّ: صعب.

(٤) الوجناء : الناقة الشديدة، وقيل العظيمة الوجنتين.

(٥) النــدى : الكــرم.

(٦) لقد غفل الشاعر عن عدم جوار القسم إلا بالله ودفعتــه عاطفته نحو آبائه للقسم بهم.

(٧) الأغــر : الذي في جبهته بياض وهوكناية عن شهرته بين الناس المحجــل : هوالفرس الذي في قوائمه بياض وهنا كناية عن شهرتــه.

(٨) القــرى : الإحسان للضيف وإكرامــه. العافــي : والجمــع عفاة، وهوطالــب المعروف.

قـد جُمِّعَ الأحبـابُ في ساحـاتِهِ ... من كـلِّ سـاعٍ للثـوابِ مُعجِّـلِ
المانحُ المسكينَ - حينَ يجيئُهُ - ... من فيضِهِ برَّ الكـريم المجزلِ[1]
والمصدرُ الصادي - أضرَّ به الظَّما - ... من بعدِ ما يرويه عذبَ المنهلِ[2]
في زخـرفِ الدنيـا وفي لألائِهـا ... ما كانَ غيـر الذاهلِ المتبتلِ[3]
سلكَ الـطريقَ إلى محبَّةِ ربِّـه ... فجـزاهُ بالـذكرِ الحميـدِ الأطـولِ
وحبـاهُ منـه برفعـة مـوصـولـةٍ ... وعلاً تعزُّ على السماكِ الأعزلِ[4]

* . * . * . * . *

يـا نضرَّ الـرحمنُ قبراً قَـد ثوى ... في جـوفِـهِ للبـرِّ أكبـر مَـوئـلِ[5]
من معشـرٍ باعـوا الإلهَ نفـوسَهمْ ... يـرجـونَ منـهُ مثـوبـةَ المتَقَبِّـلِ
الذاكرينَ اللهَ في حلكِ الـدجى ... والـراكعينَ بعـبـرةٍ وتـذلـلِ[6]
والـمنتمـينَ إذا نـسبتـهـمُ إلـى ... غُصنِ الفَخارِ من النبي المرسلِ

* . * . * . * . *

يـا ربِّ عشنا في الكنـانةِ حُقبـة ... نهبُ الكوارثِ والخطوبِ النُّـزلِ
مرت بنا الأيامُ في لونِ الـدجى ... نشكـو إليكَ جنـايةَ المتـوغـلِ[7]
تـركـوا ديـارهمُ فتلكَ جُمـوعُهم ... حَجت إليهِ وأقبلتْ في جَحفلِ[8]
نـادى منـاديهمْ ببـابِ خيـامهمْ ... يـا طـالبـاً للزادِ نـيـلا أقبـلِ

---

(١) المجزل : المكثـر.
(٢) المصدر : المرجع . الصادي الظمآن. المنهل: المورد.
(٣) اللألأ : اللمعان. الذاهل: ذهل عن الشيء ونسيه. التبتل: الانقطاع عن الدنيا.
(٤) السماك الأعزل: من منازل القمـر.
(٥) الموئـل : الملجأ.
(٦) الحلـك : الظلمة والسواد.
(٧) الجنايـة : الجريمـة. المتوغل: الممعن في الجريمـة.
(٨) الجحفــل : الجيش.

وبكـلِّ نـاحيـةٍ وكـلِّ مـحـلةٍ ينسـابُ للقـرآنِ صـوتُ مـرتِّـلِ

«قومي أولئكَ يـا فرزدق فـألقني إذْ ما فخرتَ على جرير بنَهشلِ[1] »

«قـومٌ نمـاهمْ للمكـارمِ هـاشمٌ فخرُ المجامعِ في الزمانِ الأولِ »

ربُّ النديِّ وصاحبُ الساحاتِ مَن كان السحابُ لكل وادٍ ممحِلِ[2]

ألقى له الأشرافُ غايةَ مجدهمْ شهدتْ له الأضيافُ أرحبَ منزلِ

وأقـامَ للدِّينِ الـحنيفِ دائـمـاً ومضى على السننِ القويمِ الأفضلِ

أمـا الفقيـرُ فقـد أجـارَ حيـاءَهُ وحماه من صرفِ الزمانِ الحوَّلِ[3]

وهدى الغويَّ إلى طـريقِ نجاتِـهِ من شـرِّ شيـطانٍ وغيٍّ مضللِ[4]

فمنـارُ إرشـادٍ وكعبـةُ قـاصـدٍ وغيـاث مـذعـورٍ وغيثُ مؤمِّـلِ

إذ مصرُ قد رُميت من القوم الأُلى ملكـوا أزمتهـا بـداءٍ مُعضـلِ[5]

حكمَ الكنـانـةَ خـائنٌ مستهتـرٌ طـاغٍ بشأن بـلادِهِ لم يحفـلِ[6]

إن شيّدَ الإصلاحُ صـرحَ كرامـةٍ يسعى إلى هـدمِ البنـاءِ بمعـولِ

حتى إذا شـاءَ الإلـهُ نَجـاتنـا منْ جائرٍ في حُكمهِ لم يعدَلِ[7]

وثبتْ على العرشِ البغيضَ جماعةٌ من جيشنـا المتحَفِّز المستبسـلِ

أعمى الضلالُ العينَ منه فما رأى أمـر الـذين عيـونهمْ لم تغفـلِ

حـتـى إذا عـزلـوهُ أدركَ أنـهُ من يبـغِ للنيلِ المهـانَـةَ يُخـذِلِ

سائلْ هناكَ القصرَ عن ربِّ الهوى والليلِ، كيفَ نهايةُ المتبذِّلِ[8] ؟

---

(١) هذا البيت وما بعده لجرير يضمنهم شاعرنا ليفخر بأجداده.

(٢) الوادي المحمـل : الذي لم يأته المطر ولم ينبت نباتاً.

(٣) الحوّل : المتقلـب.

(٤) الغـيّ : الضـلال.

(٥) الداء المعضل : الداء الشديد الذي يصعب شفاؤه.

(٦) يقصد بذلك الملك السابق فاروق.

(٧) جائـر : ظالم.

(٨) المتبذل : المسـرف على اللهو والمفاسـد.

يا قصرُ ما كانَ الغداةُ بمانعٍ   أيدي العدالةِ كلَّ بابٍ مقفلِ
تلكَ الرياضُ الناضراتُ كأنها   عدنٌ بها من كلِّ وادٍ مُبقلِ[1]
إبليسُ غادرها رجيماً إنهُ   لم يرعَ حقَّ المنعمِ المتفضلِ
طلعت عليهِ الشمسُ وهو مملكٌ   وغدا الطريدَ مع الظلامِ المُسدلِ
في هذِه الدنيا وفي أحوالها   عِظةُ اللبيبِ وعبرةُ المتأملِ
إن الإلهَ لمُمهلٌ ، لكنَّهُ   ما كانَ يوماً للغويِّ بمهمِلِ
يا ربِّ ماضينا تولى وانقضى   بعهودهِ، ندعوكَ للمستقبلِ

*. *. *. *. *

(١) المبقل : الذي ينبت فيه البقول والزرع.

ذكرى مولد الرفاعي(*)

إليكَ سعى الأحبابُ والصحب يا جَدُّ يُحرِّقُهُمْ شوقٌ ويدفعهم وجدُ
فجائبُ أضناها المسير بأهلها
وطال بها التأويب(1) والرمل(2) والوخد(3)

فما أقعدَ الساعي لأرضكِ نأيُها ولا أعجز الساعي على رحْلِهِ بعد
وذو الظمأِ المشتاقُ لا يعرفُ الونَى ولا الضعفَ حتى يستبينَ له الوردْ
نفوسٌ هي الإيمان والطهرُ أبلت يفيض بها حبٌ ويملؤها ود
وأفئدةٌ منْ كلِّ صوبٍ، تجمعتْ على طاعةِ الرحمن يُمسكها عهد
أتتك زرافاتٍ تغالبُ شوقَها وجاء إليكَ الوفد يتبعه الوفد
وفي الساحةِ الكبرى أُقيمت منازلٌ يُرى عندها الإكرامُ والخيرُ والوِّفد
خيامٌ لساداتٍ رفيعٌ عمادُها يشبُّ إذا أمسَوْا لنيرانهم وَقَدْ
بها البذلُ للعافين(4) والزادُ والقِرى وليس لمن يعشو إلى ضوئها رَدُّ

* . * . * . * . *

(*) ألقيت في الليلة الختامية لمولد الرفاعي ١١ أغسطس / آب سنة ١٩٥٥.
(١) التأويب : السير طول النهار.
(٢) الرمل بفتح الميم: الهرولة. وهي هنا ساكنة للضرورة.
(٣) الوخد : إسراع البعير وهو يرمي بقوائمه كالنعام.
(٤) العافون : الضيوف ، طالبوا الرزق.

ضريحك مثوى البرِ والفضل والتقى وقبرك فيه الزهد والعلم يا جدُّ
ودنياكَ كانت للأنام هدايةً وأُخراك فيها مجمع الهدْيِ والرشد
وفي الأرض من النبلُ يا جد والسنا وغيث رفيع القدر ما انتظم اللحد
فيا فرعَ أسمَى دوحةٍ نبويةٍ وفخرَ الأُلى في الله شفّهم السهد
ويا غصن أزكى سَرْحَةٍ[1] إلى كل ركن في المكارم تمتد
لأنت ابنُ من سادوا الأنام بدينهم ومن ليس يعدوهم إلى سؤددٍ فرد
فلا تنزلُ العلياءُ إلا بدارهم همُ القومُ عاشوا والزمان لهم عبد
كرامٌ إذا أعطَوْا، شموسٌ إذا بدَوْا كثيرٌ إذا نودوا، قليلٌ إذا عدُّوا
حسان سجاياهم، جزيلٌ سخاؤهم تواضعهم جم، فضائلهم عَدّ

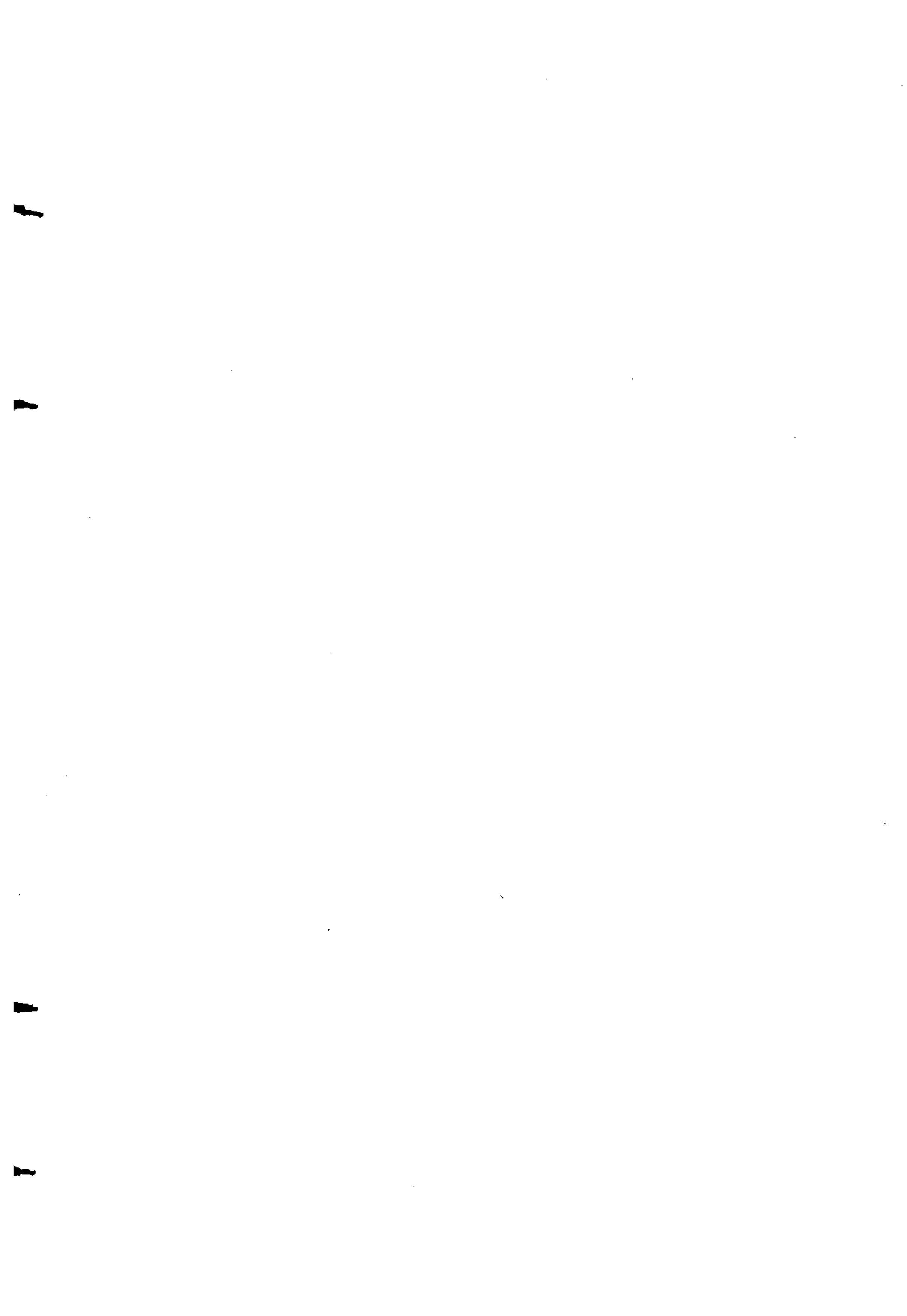
* . * . * . * . *

ويا أبتا، إنا على العهد لم نزل مقيمين مذ ألْوَى[2] بصارمك الغمد
غرستَ لنا غرسا فأخرج شَطْأه[3] فآزره فالسُّوقُ[4] تنمو وتشتد
فأينع أزهاراً وطاب مجانياً ولذَّ ثماراً عندها يُطلب الشهد
وأنت الذي شيدتها فرفعتها منائرَ للارشاد أمجادها تُلدْ[5]
مِن الباذلين الخيرَ في ساحة ومَن يدُهم في كلِّ نائبة بَرْد[6]
ومن صدقوا لله وعداً وموثقاً وكل كريم عنده يصدق الوعد
ومن لبسوا بُرد الحنيفة طاهراً فزانوه إجلالاً وزانهم البرد
فإن صغتُ فيك الشعر دُرًّا فإنما لمثلك يهدى الشعر والشكر والحمد

---

(١) السرحة : الشجرة الطويلة، لا شوك فيها.
(٢) ألوى به : ذهب.
(٣) الشطء : ما يحيط بالنبات كالأوراق أو اللحاء.
(٤) السوق : جمع الساق.
(٥) تلد : بضم التاء وسكون اللام، بفتح فسكون، بفتح ففتح. ومثله تالد وتلاد وتليد : الشيء كان أو ولد في بيتك من قديم، وعكسه طارف وطريف.
(٦) برد : سكينة.

مَع ذكريَات الدرَاسَة وَالتعليم



صـــورة ساخـــرة[1]

[٧ مارس ـ آذار ـ ١٩٤٨]

[«وهل الحياة إلا صور ساخرة، منها ما يبعث على الضحك ومنها ما يبعث على الرثاء؟. . . . وفي الصفحات التالية أقدم صوراً ساخرة في مقطوعات شعرية.

حسـرة . . وندم. . «حيث لا تفيد الحسرة. . ولا ينفع الندم»]

قــذفَ الــزمــانُ بسـهـمِـهِ ... فــأصــابَ مــنـي مــقــتــلا

لــيسَ الــزمــانُ بــظالــمٍ ... في حكـمِـهِ كــلّا ولا

فــأنــا الــذي أمــضــيــ ... ــتُ عـامي لاهياً متجـولاً[2]

فــإذا ذهــبــتُ لــمــعــهــدٍ ... أغــدو لــه مــتــثــاقــلا[3]

وإذا صــحــوتُ مُــبــكِّــراً ... فــلكــي أعــدَّ الــمــأكــلا

وإذا سـهـرتُ جـعـلـتُ مِـنْ ... دار الــخَــيَــالــةِ مَــنــزلا[4]

كــيــفَ الــنــجــاحُ إذاً ولــمْ ... أكُ لــلعـلوم مــحــصِّــلا[5]

حــكــمَ الإلــهُ ولــمْ يـكـنْ ... مُــتــغــيــراً مُــتــبــدلا

---

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة في إحدى مجموعاته بعنوان (ندم).

(٢) كانت في نسخة «نسيم السحر» (لاعبا) بدلاً من لاهياً ثم صححها في نسخة آهات شريدة على الصورة هذه.

(٣) كانت في نسخة «نسيم السحر» (متباطئاً متثاقلا).

(٤) كانت في نسخة «نسيم السحر» وإذا سهرت فللخيالة قاصداً ومعولا ثم صححها في نسخة آهات شريدة على الصورة هذه. والخيالة: السينما.

(٥) كانت في نسخة «نسيم السحر» وأروم نجحا بعد ذاك ولم أكن متأهـلاً.

خيانـــة

[«في امتحان الدور الأول للسنة الثالثة الإبتدائية وقع بيني وبين الأخ «شوقي أحمد سليم» من ميتَ يزيد شرقية ما جعلني أرسل له هذه الأبيات مازحاً].

[١٢ مارس - آذار - ١٩٤٨]

قلْ لي بربِّك هل رأيتَ صديقاً للسِّــرِّ يسرقُ أو يخــونُ رَفيقـاً

إنَّ الصداقـةَ في الأمـانـةِ إنَّهـا أُسُّ الفضـائِلِ، فـاسلكنَّ طريقـاً

فارْضِ الصديقَ وكنْ أميناً عندهُ والسرَّ لا تسـرقْ تكنْ صـدِّيقـاً

لا تفتحنْ أوراقَ غيـركَ مِـطلقـاً واحفظْ عهـودي لا تكنْ زنديقـاً

* . * . * . * . *

صداقـــة

[وهذه بعض أبيات كتبتها على سبيل الذكرى للأخ علي محمد سليم بالسنة الثانية الثانوية، وهذه الأبيات هي ثاني قطعة شعرية نظمتها»].

علـيٌّ لـلعـلا أهـلٌ وكـفءٌ جـديـرٌ بـالـمحبَّـةِ والـوِدادِ

صـديقٌ لا يعـادلـهُ صـديقٌ لـديَّ فـإنَّـهُ خيـرُ العبـادِ

صحبتُ الـدهرَ ستةَ عشرِ عـاماً وطُفْتُ جميـعَ آفـاقِ البـلادِ

فـلمْ أرَ غـيـرهُ خِـلاً وفـيـاً يصادقُ منْ أصادِقُ أو يُعـادي

عـدوِّي. فهـو لـلإخـلاص رمـزٌ جديـرٌ بالمحبَّـةِ والـودادِ[1]

---

(١) يلاحظ في القصيدة الضعف والمبالغة التي تتناسب والسن الذي نظمت فيـه.

نجاح كــاذب(*)

مضى يفتخر بنجاح كاذب كلمعة الآل في الصحراء القاحلة، وحين جاوز الحد في إظهار سروره بهذا النجاح الذي ليس له فيه أدنى حق كتب فيه:

يا صاحِ ! ياذا الصبر في الأحداث قم سائلْ حُسينا
مــا بــالُــه قَـدُ مــال فخراً واثنى تيـهاً علينــا
إنْ ســرَّهُ هــذا النجــاحُ فــإننــا منــه استحينــا
فالعارُ في نقــلٍ كهذا يورثُ الإنســـان شينا[1]
إنـا يلمُّ بنـا الـرسـوب ولا ننــال الفـوزَ مينا[2]
والعلمُ فــوق الجهــل ـ لا قر الجهولُ الوغـدّ عينا

* . * . * . * . *

(*) مايو ـ أيــار ـ ١٩٥٢ .
(١) الشيـــن : العيب .
(٢) الميـن : الكذب.

عـود حميـد(*)(١)

رجعنا، وخابَ المنـذر المتوعِّـدُ ... وعُدنا بعـونِ اللهِ، والعودُ أحمـدُ

خرجنا رجالاً يعرف الكلُّ بأسَهمْ ... وجِئنا وفي أضلاعِنا العزمُ مـوقدُ

ظُلِمنا فما لانَت لنا من عريكـةٍ ... ولا نالَ من أُسدِ الشرى المتأسدُ

فقولوا لِشيخِ السوءِ لا بوركَ اسمه ... ولا عاشَ باسم العلمِ فينا يُقيِّدُ

أبالحقِّ أمْ بالزورِ تمشي هنا؟ وهل ... إلى العدلِ أو للظلمِ تهدي وتُرشد

وهلْ جئتَ شيخاً أم تُرى جئت غازياً ... فأنتَ على الطلابِ صخرٌ وجلمد(٢)

أفي شرعةِ الإسلامِ هذا الذي نرى ... من الجورِ ؟ أو هذا الأذى المتعمَّدُ

أمْ هـديُـهُ أن يحـرمَ العلمَ فتيـةٌ ... فهـذا أخو نـأيٍ وهـذا مشـرَّدُ ؟

ومـا كانَ منهمْ من أتى بجـريرةٍ ... ولا ساعةَ الإضرابِ مُدَّت لهم يَدُ(٣)

وأقسمُ لو شِئناهُ ما كنتَ بالـذي ... يكيـدُ لنا أو يعتَليـكَ المهنَّـدُ(٤)

(*) في يوم السبت ٢٢ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٢ أصدرت إدارة المعهد منشوراً بإبعاد ثلاثة وثلاثين طالباً طوال العام الدراسي ـ وكنت من بينهم ـ وفي أول يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٣ عدنا إلى مواصلة الدرس فنظمت هذه القصيدة لهذه المناسبة. [الشاعر].

(١) وكان الشاعر قد أبعد مرتين حيث أشار في مذكراته ورسائله إلى ذلك. وورد في رسالة وردت له من أحد زَملائه (ي . نِ) بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٥٥ يهنئه بالعودة للمعهد ويقول له فيها «واستحلفك بالله إن استطعت أن لا تحضر الآن لأن الجو نحوكم لا زال فيه شيء من الاختبار» وهذا ينفي ما زعمه (الأستاذ حته) من أن إبعاد الشاعر كان في عهد الملكيـة.

(٢) الجلمـد : الصخـر.

(٣) يشير الشاعر إلى الإضراب الذي كان يتزعمه في معهد الزقازيق وطرد بعده.

(٤) وأقسم لـو شاءوه مـا تـراجعـوا ... ولـو كـان يحميـك الحسام المهند

[في نسخة أخرى]

لحا الله أعواناً لئاماً تجمعوا ... هم الذئب عذراً والرياء المجسد
ترى بينهم من يرتدي زيَّ عالمٍ ... فقيهٍ وفي أثوابِهِ الجهلُ يرقدُ
وتحسبُهُ عندَ الملاقاةِ مصلحاً ... ولكنَّهُ فينا خبيثٌ ومفسِدُ
ذليلٌ يرى «زغلولَ» رباً مُعظماً ... يكاد له خوفاً يُصلي ويسجدُ[1]
وينصب فوقَ الرأسِ منهُ عَمامةً ... تشعُّ بياضاً بينما القلبُ أسود
ولم ألقهُ إلا خئوناً وواشياً ... إلى منصبٍ بالدسِّ يرمي ويقصِدُ
ويظهرُ فينا عالماً متعبِّداً ... لقدْ ضلَّ هذا العالمُ المتعبِّدُ
يلومونَنا أن لم ندْعْ عزمةٍ لنا ... ألا خابَ لاحينا وخابَ المفندُ[2]
لقدْ حرمونا حقبةً من دروسِنا ... فما خاننا أو غابَ عنا التجلُّدُ
وقالوا عن الإبعادِ: هذا عقوبةٌ ... ولَلبعدِ عنهم معشرِ السوءِ أسعدُ
فما سرَّني أنْ عدتُ للدرسِ ثانياً ... ولا ساءَني أن قيلَ: أنت مُبعدُ
تمرُّ بنا الأيامُ، والعهدُ بيننا ... على الثأرِ من جلادنا يتجدَّدُ
دَعِ الدهرَ يمضي، والليالي تنقضي ... فنحنُ على الأيامِ للقوم رُصَّدُ
وإن كان هذا اليومُ قد ساءَ حظُّنا ... فصبراً إلى ما سوفَ يأتي بهِ الغدُ
إذا نحنُ لمْ نثأر لما قد أصابنا ... فلا ضمَّنا في حجرةِ الدرسِ معهدُ[3]

*. *. *. *. *

(١) يشير إلى تعصب بعضهم إلى سعد زغلول، وهذه بداية وعي للشاعر حيث يتخلص من الولاءات والتعصب.

(٢) اللاحي : اللائم . المفنـد : المكذب.

(٣) لقد نشرت هذه القصيدة بالديوان المطبوع بإشراف وزارة التربية والتعليم تحت عنوان «عودة» وهي مؤلفة من /١٣/ بيتاً هي على الترتيب الأبيات: (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥).

وهناك بعض التغيير في الأبيات كما يلي:

الثالث : فما أوهن الإبعاد منا عريكـة.

السادس : اجئت عميداً ؟ أم ترى جئت غازياً.

التاسع : فما كان منا من أتى بجريرة ولا ساعة الإضراب مدت لنا يد =

أم النوائب[*]

أعـوذُ بـالله رب الخلقِ والنَّسَم | من محنةٍ أقبلتْ في حُلكة الظلم
هذي النوائبُ يا للناس قد نُصبتْ | فوق الرؤوسِ كأبراجٍ من الغنم[1]
مـاذا فعلنـا لهم حتى يضـايقُنـا | منهم قـراةٌ بكـابـوسٍ من العمم
هذه العمائمُ فـوقَ الرأسِ كـارثةٌ | فكيف نلبسها في الأشهرِ الحُرم
قالوا: العمامةُ زي الدِّين، قلتُ لهم | إن الشـريعـة بـالأزيـاءِ لم تقُم
كم عِمةٍ فوقَ رأس، حشوُه خُرف | وحـاسـرٌ ليسَ في علمٍ بمتَّهم
كـأنهم أرجعـوا للدِّينِ عِـزَّتَـهُ | سـوى تـوحـدِ زيٍ غيـر مُنتظِم

= وزاد بعد البيت العاشر هذا البيت:

لحـا الله أعـوانـاً لئـامـاً تجمعـوا | هم الذئب غدراً والرياء المجسـد

الثالث عشر: . . . . | ولكنـه في الخبث والغـدر أوحـد

الرابع عشـر : ذليل يرى الملك الذليل إلهـه.

وهذا يؤكد أن هناك مجموعة مفقودة، كان الشاعر قد جمع فيها مختارات من شعره وهذب قصائده القديمة. وأن هذه المجموعة بقيت في حوزة الأستاذ محمد كامل حته أو في أدراج الوزارة. وقد عملت بها الأيدي حذفاً وانتقاء يخدم أغراض السياسة، فضلاً عن هذه المقدمات التي حشي بها الديوان المطبوع لتوجه القارىء إلى غير الغرض الذي يهدف له الشاعر إلى غير الروح التي تشع في قصائده.

[المحقق]

(*) قيلت بمناسبة القرار الذي أصدرته إدارة الجامع الأزهر والذي يحتم على طلاب المعاهد الدينية ارتداء الزي الرسمي.

نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٣

(١) النوائب : جمع نائبة وهي المصيبة.

فصاحَ صائِحُهم هذا التفرنـجُ لا يُرضي، وذلك زيٌّ غير محترم[1]
ما كان أتفههـا من فكرةٍ مَلكت عليكُم اللبَّ يا أضحوكة الأمم[2]
لو أنصفوا أصلحوا من شأنِ أنفسهم فجرحُهم ليسَ في الورى بمُلتئمِ
من للنفـاقِ، ومن للغشِّ بعدَكمُ يا قادة الدِّين، يا ناراً على علَم[3]
أقسمتُ ما عرفَ الإسلامُ غيركم حرباً عليه ـ ولمْ أحنث لدى القسم[4]
وآمــرٌ بــخـصــالٍ لا تــزيِّــنُــهُ طبيبُ قوم دنا للموتِ من سقم[5]
داءُ المناصبِ قد أعمى بصائرهم واضيعةَ الدِّينِ والأخلاق والذمم!
«أمرتك الخير لكنْ ما أئتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقمِ»[6]

* . * . * . * . *

---

(١) التفرنــج : يقصد به تقليد الأفرنج.
(٢) اللــب : العقل. ويقصد هنا به التفكيــر.
(٣) نارعلى علم : أي نارفي أعلى جبل ويضرب هذا المثل للرجل المشهوربشيء ما. والشاعريتكلم عن بعض الناس الذين ينحرفون عن الحق ويسيئون للإسلام، وينصبون من أنفسهم أوصياء على الناس ويبررون للظالمين ظلمهم، أما العلماء الأفاضل فهم بعيدون عن هذه الصورة، لأن الإسلام لا يعترف برجل الدِّين بل يعترف بالعالم فقط.
(٤) أحنث: من الحنْث وهو الإثم والذنب.
(٥) سقــم : مرض.
(٦) هذا البيت لأحمــد شوقي.

قصـــة كتـــاب[1]

زعَمتَ بـأنَّ لـلأدبِ انتسـابا   يُجمِّعنـا، كـذلـك كـان ظني
وحينَ طلبتُ ديـوانـاً لـشـوقي   ضننتَ ببـذلـهِ، فـإليـكَ عني

فلما قرأ البيتين بادر بإعطائي الكتاب. فكتبت إليه:

لقــد حققتَ مــا كـنتُ أبـغي   إليك، أخي، عظيمُ الشكرِ مني
وعـادَ بنيلِ ما أرجـوه شعـري   «ومــا نيـلُ المـطالبِ بـالتَّمني»

.* .* .* .* .*

---

(١) طلبت من الصديق الأديب كمال عطوة كتاب الشوقيات لقراءته فلم يوافق محتجاً بوجوب الإطلاع عليه سوياً، فكتبت إليه.

(*) ٢٩ نوفمبـر - تشرين الثاني - ١٩٥٣.

محنة المعهد(*)

القطرُ يوشكُ أن يفيضَ سيولا والخطبُ بات على النفوسِ جليلا[1]
إني أرى زنداً أطالوا مدْحَه من بعدِ أن أدنوا إليه فتيلا[2]
فإذا رأيتَ لهيبَ نارٍ أُضرمت كان التعنتُ وحدهُ المسؤولا[3]

* . * . * . * . *

إنا لنأبى أن نعيشَ أذلةً عبءُ الأسى والذلِّ كان ثقيلا
مشت البلادُ إلى العَلاءِ وركبُنا ركبُ العمامةِ لا يزالُ خُمولا
الأزهريونَ البواسلُ أقسموا لينشنَّ على المهانةِ جيلا
لمْ يفهموا معنىً لثورةِ جَيشنا فتعمدوا الإرهابَ والتنكيلا
أنى لمنْ ذاقوا الهوانَ شبيبةً أن يحملوا علم البلادِ كُهولا؟

* . * . * . * . *

يا ويلَ معهدِنا ويا لِشَقائِهِ من عصبةٍ تخذوا النِّفاق سبيلا
من شاءَ أن يحيا عليهِ مُراقباً أو رامَ أن يبقى لديهِ وكيلا

(*) قيلت بمناسبة الأحداث التي دهمت المعهد من جراء تفشي النفاق والخداع بين مراقبي المعهد وبعض مدرِّسيه. ووزعت نسخ منها على بعض الأساتذة والطلاب. ٢ ديسمبر ـ كانون أول ـ ١٩٥٣.

(١) الخطب : سبب الأمر. وهنا بمعنى المصيبة. جليل: عظيم.

(٢) زَنْد : العود الذي يقدح به النار.

(٣) التعنت : العنت : الإثم، وتعنت: وقع في أمر شاهد أو إثم.

فتشتُ لم أرَ مثل ضعفِ نفوسهم ... ضعفاً، ولم أرَ للطباعِ مثيلا
إن جاءنا شيخٌ جديدٌ سارعوا ... يُبدونَ منْ خُلقِ الخِداعِ ميولا
وإذا رآهُ أخو الدناءةِ مُقبلاً ... يجري ليوسعَ كفَّهُ تقبيلا
ركبَ الوشاية، وهي داءُ أولي الهوى ... ظهراً إلى نيلِ المُرادِ ذَلولا
بالزورِ والدسِّ المشين يريدُ أن ... يرقى ولو كانَ الغبي جَهُولا

* . * . * . * . *

أإذا أرادَ أخو الكرامَةِ نيلها ... عدُّوه إثماً من لدنهُ وبيلا
ودَعَوهُ فينا مُفسداً ومشاغِباً ... وهو الذي يأبى الحياة ذليلا
وتراقصتْ فوقَ الرؤوسِ عمائمٌ ... وتحسسوا لكَ شارباً مَفتولاً
وجنوا عليه، فتارةً هو مُبعَدٌ ... أو كان لو لم يعطفوا مفصُولاً

* . * . * . * . *

يا أيها الشيخ[1] الذي يبدو التقى ... والهديُ فوقَ جبينه إكليلا
القومُ[2] نعرفُهمْ ونعرفُ طبعهم ... ساءُوا نفوساً بيننا وعُقولا
لو كُنتَ تعلمهم لما كنت الذي ... يُدني له من بينهم «دَلدُولا»[3]
الماسحونَ الجوخَ للشيخِ الذي ... عنَّا أرادَ له اللطيفُ رحيلاً[4]
والحارقونَ لديهِ - قُبِّح فِعلهم - ... طيب البخورِ، عشيةً وأصيلا
والساكبونَ له مياهَ وُجوههمْ ... لمَّا أرادوا مأرباً مَأمولا

---

(١) شيخ المعهد الجديد عبد الحفيظ فرغلي (الشاعر).
(٢) المنافقون من المراقبين والأساتذة (الشاعر).
(٣) دلدول : الإنسان التابع التافه الذي يرائي وينافق من أجل المنفعة وفي الفصحى الدلْدُل : عظيم القنافذ، وهو من تدلدل الشيء أي تحرك.
والدلدل : الاضطراب، وهي قريبة من هذا المعنى.
(٤) شيخ المعهد المنقول محمد البسيوني زغلول.
(٤) الماسحون الجوخ : عمل يدل على التقرب والنفاق.

فاحذر دسـائِسَهُم ولا تسمع لهم   إنْ قَـدمـوا للمشكـلاتِ حُلُولا
فلربَّ نُصـحٍ قدَّمـوه إليـك قـد   شـاءوا بـه التمـويـهَ والتضليـلا
والغمـدُ يُعجِبُنـا بحسنِ نقـوشِـه   لكن فيـهِ من السيـوف صقيـلا
قُـل للذي يبغي التفرق خِسَّـةً   لنْ تستـطيعَ لمـا تـريـدُ وصـولا
أنصفت لو لم تُلقِ بالاً نحـوهم   وهـدمتَ غِشـاً منهـم مبـذُولا

* . * . * . * . *

المطالب الأزهريــة(*)

عــامٌ تــولَّى في الكــلامِ وعــام فعلى المــطالبِ رحمــةٌ وســلام
يــا أوليــاءَ أمــورِنــا رفقــاً بنــا فـلقــد أمضَّتْ نفســنــا الآلام
هــذي المماطلة التي يُبــدونهــا لا الحق يـرضاهــا ولا الإســلام
الــدين، ديِّن الله، نحن جنــوده فلنــا عليكم حــرمــةٌ وذِمــام[1]
يــا للشقاءِ ويــا هوانَ النفسِ إن خــاب الرجــاء وضاعتِ الأحــلام

* . * . * . * . *

(*) ولعلها قيلــت سنة ١٩٥٣. [المحقق]

(١) الذمــام : المحرمـــة.

تحية الشعر (*)

أثني عليكَ مُردِّداً ومُعيدا ... وأصوغُ فيك من القريضِ نشيدا
وأُرتِّلُ اللحنَ الطروب بما بدا ... من فيضِ علمك في الأنامِ مُشيدا
يا أيها النحريرُ: إنَّ قلوبَنا ... حملتْ لك الإكبار والتمجيدا (١)
أقسمتُ: مثلُكَ في المجامعِ نادرٌ ... يحكي طرازاً في الرِّجالِ فريدا
وشهدتُ أنك قد نطقتَ فلم تقل ... كَلِماً ولكن لؤلؤاً منضودا

* . * . * . * . *

حققتَهُ أملاً يجيشُ بصدرِنا ... قد كان حلمَ نفوسنا المنشودا
وملكتنا بالعلم شيخاً رائداً ... قبلَ الإدارة والنظامِ عميدا
وضربت للعلماءِ أمثالاً، فلو ... بذلوا كبذلك في الرَّشاد جهودا
بلغوا بهذا الدِّينِ أعرافَ الذُّرى ... وتبوَّأوا في الخالدين خلودا
ولقدْ سننتَ لدى قدومك سُنةً ... وبدأت عهداً للشيوخِ جَديدا
في الفضلِ، في العزم الموفق، في الحجا ... في الرأي يبدو من لدُنْكَ سديدا (٢)

(*) لصاحب الفضيلة شيخ معهد الزقازيق الأستاذ يس سويلم.

ألقيت في الحفل الكبير الذي أقيم «بدار جميعة المحافظة على القرآن الكريم» بالزقازيق في يوم ١٧ مارس آذار - ١٩٥٤ لسماع المحاضرة التي ألقاها فضيلته عن الفطرة الإنسانية وعلاقتها بالدِّين والتدين.

وكان إلقاء هذه القصيدة عقب فراغ فضيلة شيخ المعهد من إلقاء محاضرته.

(١) النحرير : العالم المتقن.

(٢) الحجا : العقل. السديد . الصائب.

كمْ مجلسٍ للعلمِ ضمَّك رافعاً ... لـلدِّينِ والإسـلام فيـه بُنُـودا
ومحـاضراتٍ كنت أنت عمـادُهـا ... جمعت إليها - حيثُ صرت - وفودا
ألـقيتَهـا مُتكـرِّمـاً فكـأنمـا ... ألـقيتَ زهـراً عـاطـراً وورودا

* . * . * . * . *

قد كان معهدنا - فديتك - باكياً ... بينَ المـدينةِ مجـده المفقـودا
ذاقَ المرارة في كؤوس شيوخـه ... ورأى من الليـلِ البهيم عُهُـودا
ملك الأزِمَّـة فيـه قبلكَ من بهم ... عجْـزُ العَييِّ، فـأوسعـوه قيـودا
أُسـدٌ بـه، لكنَّهمْ لمْ يتـركـوا ... في محفـلٍ أثـراً لهمْ مشهـودا
يـا ربَّ غـاشيـةٍ عليـهِ تجمعتْ ... لمـا أتيـتَ تبـددتْ تـبـديـدا
اللهُ يـعلمُ أنـت أول مـن بنـى ... ركنَ المعـارفِ بـاذخـاً ووطيـدا

* . * . * . * . *

ولنـطمعَنْ بعـد الـذي قـدَّمتَـهُ ... في أن ننال على يديـك مزيـدا
حيـا الإلـه أئمـة الـدِّينِ الأُولى ... أدوا رسـالَتهم كـرامـاً صيـدا
الحـاملين من الهـدايـة مِشعـلاً ... والبـاذلين جهـادهـم مَحـمـودا
نيـطت بهم آمـال مصـرَ وإنهم ... كـان اللواءُ لغيـرهم مـعقـودا

* . * . * . * . *

(١) السهى : كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهـم.

تحيـــة ورجـــاء

[إلى وزير المعارف(*)]

أقبلْ رعتكَ عنـايـةُ القيُّـومِ ... فقـدومُك الميمـون خيـرُ قـدوم

إني أرى وجهـاً تفجر بـالسنى ... حتى أضـاءَ جـوانب الإقليـم

هذي الوفود على هواك تجمعت ... ورنتْ إليـك بمقلةٍ التعـظيم

أولست من قومٍ كرامٍ أقسموا ... ليبـدلُن شقـاءَنـا بنعيـم

من فتيـةٍ وهبوا لمصـر نفوسهم ... وعلى الـوجوه دلائـلُ التصميم

القـادةُ الأحـرارُ منْ أيـامِـهم ... أيـامُ خيـرٍ للبـلادِ عَمـيـم

يـا رائـد التعليم إن بنفسنـا ... بعضَ الأسى يـا رائـد التعليم

نشكوا إليك جراحنا ولو أنَّ من ... غيـر الصـواب شكـايـةٌ لعليمِ

فـارفع رعـاكَ اللهُ ضيماً نـالنـا ... وافسح لما نرجوه صـدر حليم

هـذي الإعانـات التي قدْ قُـدمت ... في مـوكب الإصلاح والتنـظيم

منها المدارسُ في المدائنِ كلها ... ظفِـرتْ بحظٍ وافـرٍ وعـظيـم

نالتْ كثيراً، والمدارسُ في القرى ... قنعتْ بضيقِ نصيبهـا المقسـوم

فيهـا الفصولُ بمن بهـا مُكتظةٌ ... من كـلِ واردِ منهـلٍ لعـلومِ

والعلمُ حقٌ للجميعِ فمن ترى ... غيـرَ المجـدِّ أحق بـالتكـريم

حر التعلم منكم أجدرُ بالرضـا ... فجهادُهُ في مصر جـد قديم(1)

ولـهُ على الـوادي أيـادٍ جمـةٌ ... فـاعطفْ على حقٍ لـه مهضوم

وإلى مـطالبنا فـدتـك نفـوسُنـا ... فـانـظرْ بعيني منصفٍ وكـريم

(*) نظمت بناء على طلب من الأستاذ الشاعر محمد شاهين ١٩ مارس - آذار - ١٩٥٤.

(١) البيـت غير موزون.

الأزهــر المكافح

[ألقيت بجمعية تحفيظ القرآن الكريم بالزقازيق في ١ أكتوبر / تشرين أول سنة ١٩٥٥].

هو السؤددُ الماضي تدقُّ بشائرُهْ — وتغمــرُنــا أمجــادُه ومفــاخــرهْ
ذكرتُ به التــاريخَ يـزخرُ نهضـةً — أضاءت لها في الشرق غُراً منابره
غداةَ سما بالدِّين في مصر صرحهُ — تفيض على الأكوان علماً زواخره
ألا بـاركَ الـرحمن خـالـدَ ركنـهُ — فقـد عاش ذخـراً لا تعدُّ مـآثره
تقضَّت عليـه الألف ينشر هـديَهُ — مــآذنُــهُ مــرفــوعــة ومنــائــره
فــإن تكن الأهـرامُ آثــار ذاهبٍ — فهذا الذي لا يرهب الدهرَ عامره

* . * . * . * . *

صحائف مجد ما رأى النيل مثلها — ولا عهـدتَها في الـزمان غـوابره
بفَيض الهدى والعلم والخير والمنى — تـدفق ماضيـه وأشـرق حـاضـره
وأصبح للإسلام في الأرض قِبلةً — على بـابه لا يَـرفه الهـامَ زائـره
فمعقــلَ إرشـاد ومنبــعَ حكمــة — وبحـرَ علومٍ ليس يُـدرك آخـره
أخو عزمة لم يعرف الدهر مثلها — وذو صولة في الحق تُخشى بوادره
هل الثورة الأولى[1] سوى صنع كفِّه — له من قُوى الإيمان فيها ذخائره
أمـا أرَّقَ المحتـلَّ ليـلاً خـطيبُـه — وأفزع الاستعمارَ في مصر ثائـره

---

(١) ثــورة عــام ١٩١٩.

وأشعلها حرباً عواناً طحونةً ... يذوق لظاها جيشُه وعساكره

فما كان منصوراً بتأييد حاكمٍ ... ولكنَّ ربَّ الحق بالحق ناصره

عهدناه في ظهر التجبر شوكةً ... يخافُ ظباها فاسدُ الحكم جائره

فكان إذا ما ران للظلمِ غيهبٌ ... ينازلهُ أو تُسْتَقَلُّ[1] دياجره

وكان شجاً في حلقِ كلِ مضلِلٍ ... إلى أنْ نأى عن ساحة الدينِ تاجره

سلِ النيل يوم البأسَ مَن كان حصنه ... يلوذُ بِهِ في خَطبة.. فيؤازرهُ

ومن أعملَت يوم الجهادِ سيوفهُ ... ومن هتفتْ عندَ الفداءِ حناجره

ومن كان إن نامَ الولاةُ على القذى ... تدقُ نواقيسَ الكفاحِ مشاعره

ومن كان عوناً للرئيسِ وصحبهِ ... يؤيدهُ في زحفهِ ويظاهره

سيخبركَ النيلُ اليقينَ فتنثني ... فخوراً بصرحٍ لا تُفَلُّ بواترهْ

وتعلم أنَ المجد نلناهُ يافِعاً ... وكهلاً، فمنّا أهلهُ وعشائره

أثار نفوسَ الحاسدين خلودهُ ... وأزعجهم ألا تلين أواصره

فَكائنْ[2] رأينا حولهُ مِن دسائس ... لِذِي غرض تمتدُ حِقداً أظافره

لقد زعموا أَن الجمودَ طبيعةٌ ... يجاورُها أسلوبهُ وتجاوره

وقالوا حضاراتٌ أَتتنا فلم يعدْ ... يسايرُها في ركبهِ وتسايرهُ

أروني جديدَ العلمِ يا قومُ عندَكم ... وكيفَ مجاليهِ؟ وأين محاضره؟

لئن كانَ فيكم من أَلَّم ببعضِهِ ... فقد غابَ عنكم بين ما غاب سائره

وها نحنُ والتاريخُ ينهض شاهداً ... حماةُ تراثٍ ليس يُدْرَك نادره

أليست حياة الضاد بالأزهرِ الذي ... تظللها أفياؤه وستائره

تدفقَ منهُ النور كالصبحِ مشرقاً ... ورفَّ رفيفُ الروض يختال ناضره

وبات على هديِ الشريعة حارساً ... فما هو إلا قائم الليل ساهره

---

(١) تستقل: ترفع.

(٢) كائن بمعنى كأي التكثير، تفيدها مثل: «كم» ـ قال جرير:

وكائن بالأباطح من صديق ... يراك إذا أصبت هو المصابا

أذاكَ جمـودٌ منـهُ أمْ ذاك واجبٌ ... إذا هـو أداهُ استراحت ضمـائـرهُ
وليس قـديمـاً مـا تجـدَّدَ نفعـهُ ... وليسَ جـديداً مـا تغـرُ مـظاهـره
ويسطعُ ضوء الشمسِ وهي قديمةٌ ... فهلْ كان ضوءُ الكهربـاءِ يناظـره
سكتنا فقالوا: العَيُّ والعجزُ داؤهم ... وأكبرُ ما يُضني من القولِ فاجره
حـذار من الليثِ الكريم، فـإنـهُ ... ليوشكُ أن ينأى عن الحلمِ صابره
أرى غمزات القولِ لم يقصدوا بها ... سوى هدمِهِ والزور لم يخفَ سافره
ومـا علم الجـهـالُ أنَّ زوالـهُ ... سيترُك جرحـاً لا يُطبَّب غـائـره
بباطن هـذا الأمـر للدِّين طعنـةٌ ... وإن كانَ لم يحملْ سوى الخيرِ ظاهره
هو الحصن للإسلامِ يخشاهُ خصمهُ ... إذا ما هوى يـومـاً فمـاذا يحاذره
وليس يماري في عظيمِ جهادهُ.. ... مدى الهدرِ إلا جاحد الفضلِ كافره
ومهمـا أُعِدتْ حـولهُ مِن مـزالق ... ستعبُـرهـا رايـاتُـه وشعـائِـره
وإن ترمه بالضر يوماً يـدُ امرىء ... فـذلـكَ بيتُ الله والله قـاهـره

* . * . * . *

دار العلوم تشكو(*)

[قصيدة ألقاها الشاعر بين يدي مدير الجامعة عند زيارته لكلية دار العلوم، يشكو فيها قدم مبناها، ويتحدث عن مكانة الدار ورسالتها العلمية والقوميـــة].

مشى فـأحيا لـدى ابنـائِـهِ الأمـلا ... وقــام يُنعشُ زهـراً للمنى ذَبــلا

وقـادَ قـافلةً للعلمِ قــد سلكتْ ... على يـديـهِ إلى أهـدافهـا سُبُـلا

فإن شهدُتُم رفيفَ النورِ حينَ غدا ... ملءَ القلوبِ فحيوا ذلك الرُجلا

* . * . * . * . *

دارَ العلومِ وقــد أوليتَهـا نــظراً ... تريدُ أن تشرحَ الأوصاب والعِللا[1]

وإن أذِنـتَ فــإني لا أفـصِّـلهــا ... بـلْ أذكرُ الآنَ من آلامهـا مَثَـلا

هـذا البناءُ الـذي أبلى جـوانبَـه ... صرفُ الليالي فأضحى يُشبه الطللا

اللهُ يشهـدُ أني مـا جلستُ بـهِ ... فـوقَ المقاعـدِ إلا خائفـاً وجـلا

ولا لقيتُ صـديقاً جـاءَ يـطلبُني ... في المتحفِ الرثِّ إلا مطرقاً خجِلاً

لا تصلحـوهُ فـإنـا لا نميـلُ إلى ... تـوكيدِهِ بـل سعينَا ننشُـدُ البـدلا

* . * . * . * . *

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٨.

(١) الأوصاب : جمع وصب وهو المرض.

من هذهِ الجُذُرِ العجفاء قد رُفعت منـارةٌ أوقدت للمـدلـجِ الشُّعـلا
وكعبةٌ لحجيجِ الضادِ كم شهدتْ مِنْ سادِنٍ في هواها أسهدَ المُقلا
كانتْ رسالاتُهم تسمو إلى مَلَكٍ وأوشكوا أن يكونوا في الورى رُسُلا
تراثُ أجدادِنا، نحنُ الأُلى مَنعوا حماهُ في هِمَّةٍ لا تعـرفُ المللا
تعــاورتْ لغــةُ الآبــاءِ ألـسنــةٌ مُـريبـةٌ وأثــارتْ حـولهــا جَـدلا
واستشعرتْ غربةً في أهلها فمضت تـرتادُ والليـلُ داجٍ حولهـا نُـزُلا
حتى ثَوت ههنا في معقلٍ درجتْ بـه ولا تَبتغي عن أرضِـهِ حـولا
ودولـةُ الشِّعرِ فينـا اليوم رائـدهـا ومن يُجنِّبُهـا في سيرهـا الـزَّلـلا
إذا شهِدَتَ «عكاظاً» حين تنصُبُهُ رأيتَ في سـاحِهِ أفـذاذَنـا الأُولا
لــولا «عليٌّ»[1]ولـولا قبـلهُ نفــرٌ لأصبحَ الشعرُ في سمع الورى زَجلا
فـإنْ تُجبْنا إلى مـا نحن نطلبُـهُ فقدْ عهدناكَ تُرضي العلمَ والعملا

* . * . * . * . *

(١) الأستاذ علي الجندي عميد كلية دار العلوم وقتئذ.

الأزهـــــر(*)

قَفْ في ربوعِ المجدِ وابكِ الأزهرا ... وانـدبْـهُ روضـاً للمكـارمِ أَقْفـرا

واكتبْ رثـاءك فيهِ نفثـةُ مُـوجَـعٍ ... واجعـلْ مِدَادَكَ دمعَـكَ المتحدِّرا

المعهـدُ الفـردُ الـذي بجهـادِهِ ... بلغتْ بلادُ الضَّادِ أعرافَ الذُّرى

سـارَ الجميـعُ إلى الأمـامِ وإنَّـه ... في موكبِ العلياءِ سـارَ القهقري

لَهفي على صـرحٍ تهاوى رُكنُـهُ ... قـد كـانَ نبعـاً بـالفَخـارِ تَفجـرًا

مَنْ كـانَ بهجةَ كـلِّ طرفٍ نـاظـرٍ ... عادتْ به الأطمـاعُ أشعَثَ أَغبرا

ما أبقَتِ الأيدي التي عَبَثَتْ بـه ... مِنْ مجدهِ عَرَضاً له أو جَوهرا[1]

للهِ ما أورى لهُ في الشَّـرقِ مِنْ ... مجـد على الأيَّـامِ واراهُ الثَّـرى

كمْ موكبٍ في مصرَ سارَ إلى العُلا ... قـدْ كانَ قـائـدَ ركبِـهِ المتصَـدِّرا

عجباً أيُدركُهُ الأفولُ لدى الضُّحى ... مِن بعدِ ما نَشَرَ العلومَ مُبكِّرا[2]

سـلْ مهبطَ الثـوراتِ عنهـا إنَّـه ... قَـدْ كـانَ نـاديهـا وكـان المنِيـرا

الـمشـعلونَ لـنـارِهـا أَبـنـاؤُهُ ... تَخـذوا به جُنـداً هناكَ وعسكـرا

والمُضِـرِمـونَ أُوارهـا بلغـاؤُهُ ... في نشرِ روحِ البَذلِ فاضوا أنهُرا

مِن كـل ذي حجرٍ لخيرِ بـلادهِ ... رَسم المكيـدةَ للدخيـلِ ودبَّـرا[3]

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٨.

(١) العرض : المتاع الذي لا قيمة له، أو الشيء السريع الزوال وهو عكس الجوهر.

(٢) الأفـول : الزوال.

(٣) ذي حجر : أي صاحب عقل، والحجر هنا بمعنى العقل.

لا ينثني عن بَعْثِها دمويةً ... أو يُدرِكَ النصرَ المُبين مُظفَّرا

سلْ موئلَ الأفذاذِ مِنْ أشياخِهِ ... عن معشرٍ كانوا به أُسدَ الشَّرى

العاملينَ لرفعةِ الإسلامِ ما ... منهم كهامٌ قد وَنى أو قصَّرا[1]

والمبتغينَ رضا الإلهِ وما ابتغَوْا ... من حاكمٍ عرضَ الحياةَ مُحقرا

كانوا المنارَ إذا الدياجي أسدلتْ ... ثوبَ الظلامِ هدى الأنامَ ونوَّرا

كانوا لِمَنْ ظلموا حصونَ عدالةٍ ... كانوا الشكيمَ لمن طغى وتجبَّرا[2]

ردُّوا غواةَ الحاكيمنَ، وغيرهُم ... لتملُّقِ الأهواءِ كانَ مُسخرا

لرضائها يُبدي الحرامَ مُحلَّلاً ... ويدكُّ معروفاً ويبني مُنكرا

في وجهِها وقفوا وهمْ عزلٌ وما ... لبسوا سوى ثوبِ الهدايةِ مغفرا[3]

وإذا رأى منهمْ هُمَامٌ ريبةً ... ناداهُ داعي دينِهِ أن يزأرا[4]

ما قامَروا بالدِّينِ في سُبلِ الهوى ... كلا ولا اتخذوا الشريعةَ مَتجرا

عاشوا أئمةَ دينهِم وحُماتَهُ ... لا يسمحُونَ بأن يُباعَ ويُشترى

ثُم انطوتْ تلكَ الشموسُ وإنَّها ... لأشدُّ إيماناً، وأطهرُ مئزرا

ولقد مضى دهرٌ ونحنُ مكانَنا ... لا نبتغي في العلمِ حظاً أكبَرا

إن كان مجدُ الأمسِ لم نلحق بِهِ ... أفلا نودُّ غداً نصيباً أوفرا

هذي العلومُ وحشوُها لغوٌ، بها ... من كلِّ جيلٍ لا يزالُ مُسطرا

علمٌ نعالجُهُ بفكرِ جُدودِنا ... يبدو بِهِ الهذرُ القديمُ مكررا

إنا نريدُ من التقدمِ قسطَنا ... ونريدُ للإسلامِ أَنْ يتحَرَّرا

ونريدُ أن نسقى الفنونَ رفيعةً ... تُجدي - وليستْ طلسَماً مُتحجرا

ما العلمُ إلا ما تراهُ لديكَ في ... لججِ الحياةِ إذا مضتْ بك مُثمرا

---

(١) الكهام : الكليل.

(٢) الشكيم : من الشكْم بمعنى الجمراء، والشكيم الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٣) المغفر : زرد ينسج من الدرع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

(٤) الهمام : الملك العظيم الهمة.

أنى لمـنْ أَلِفتْ نواظِرُهُ الـدُّجى — عند الخروجِ إلى السَّنا أن يُبصِرا
قد كانَ تنقيـحُ العلومِ وفحصُها — بالبحثِ من فرضِ العِمامةِ أجدرا
للمخبـرِ انتبهـوا، ولا يعنـيكُـمُ — من بعـدِ هذا أن نُبـدِّل مَـظهـرا
أنكـونَ في دنيـا الـرقيِّ نعـامـةً — نخفي الوجوه وقد عرانا ما عـرا
ما ضرَّني إذ نحنُ نخـدعُ نفسنا — لو قلتُ ما أدري وفُهتُ بما أرى
ليس التعصُّبُ لـلأُبـوةِ مـا نعي — من أن أقـولَ الحقَّ فيهِ وأجهَـرا
أتُرى تعودُ إلى المريضِ سلامـةٌ — أمْ تصرعُ الآسقامُ من قد عَمَّرا؟!

* .* .* .*

الفزع الأكبـــر

[ألقيت في ندوة للشبان المسلمين عقب محاضرة للدكتورة بنت الشاطىء في تفسير سورة الزلزلة، مساء ٩ ابريل نيسان ١٩٥٨].

تَلَفَّتَ يشهدُ زلـزالَهـــا إذ الهـولُ مـــزّق أوصـالها
وقد راعه أنْ تعودَ الجبالُ كثيبـاً[١] مهيلاً لِمـا نالهـا
وأنَّ يبصِرَ النارَ ملءَ البحارِ تدمدمُ[٢]، تنشر أهوالها
وأنْ تتهادى نجومُ السماء وأنْ تُخرج الأرضُ أثقالها
هو الرعبُ قد ماجَ بين القلوبِ مريرا يضاعف أوجالها[٣]
ويدهلُ كلُّ أبٍ عن بنيه فـلا تذكـرُ الأم أطفالهـا!!

* . * . * . * . *

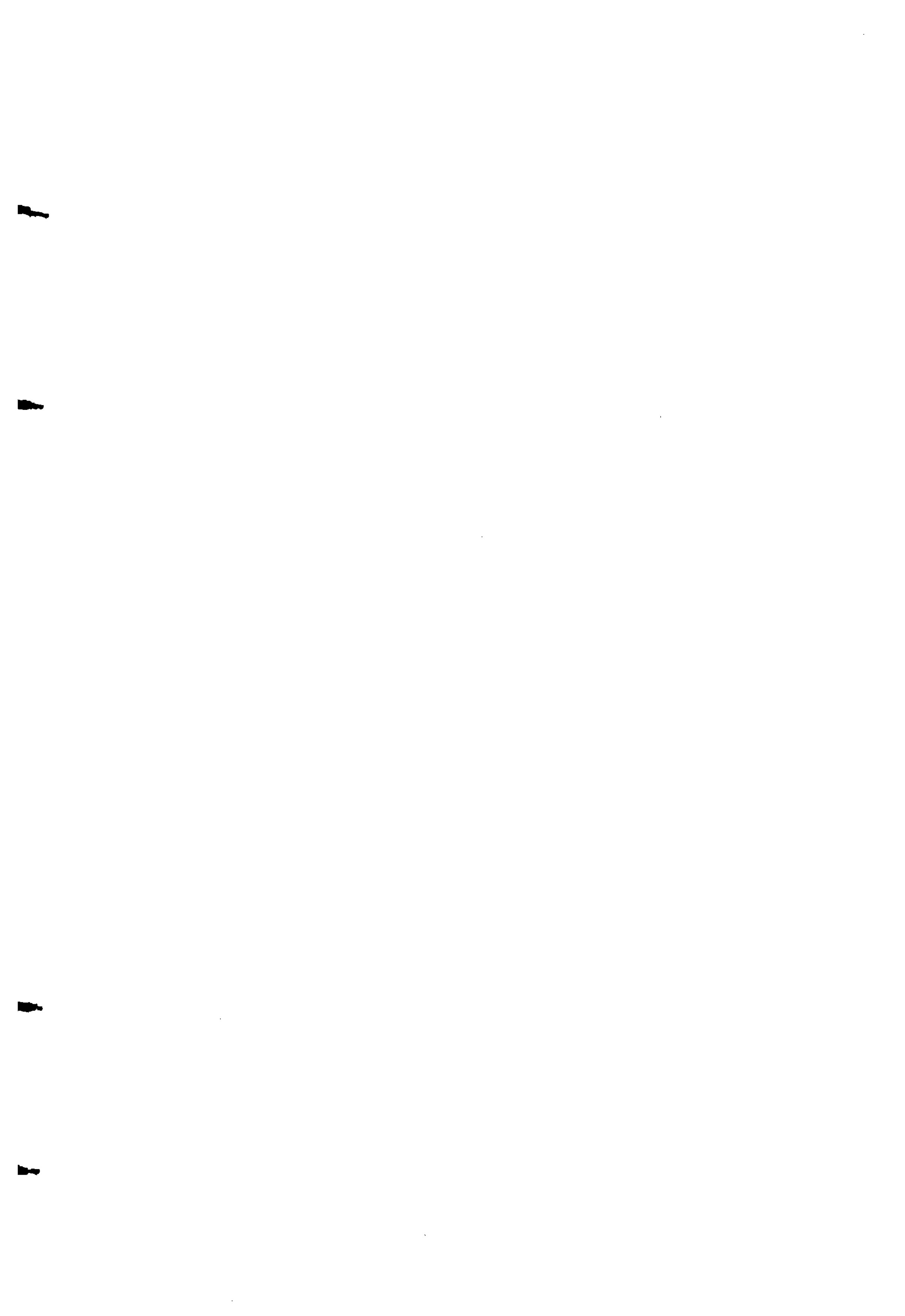
وفي مـوكبٍ أذهلَ العـالمينَ وقـرَّبَ للنفس آجـالهـا
مضى ذلكَ الجامدُ المستريبُ يرددُ في دهشةٍ مَالَها؟
هل انفجرتُ ذرةٌ في الفضاءِ فأدنتْ من الناسِ قتّالها؟
وإني لأملكُ أســرارَهــا وحيـــداً وأحكم أقفالــهـــا
أنا صانعُ النارِ فيهـا الدمـارُ ولا يملكُ الغير أمثـالها

---

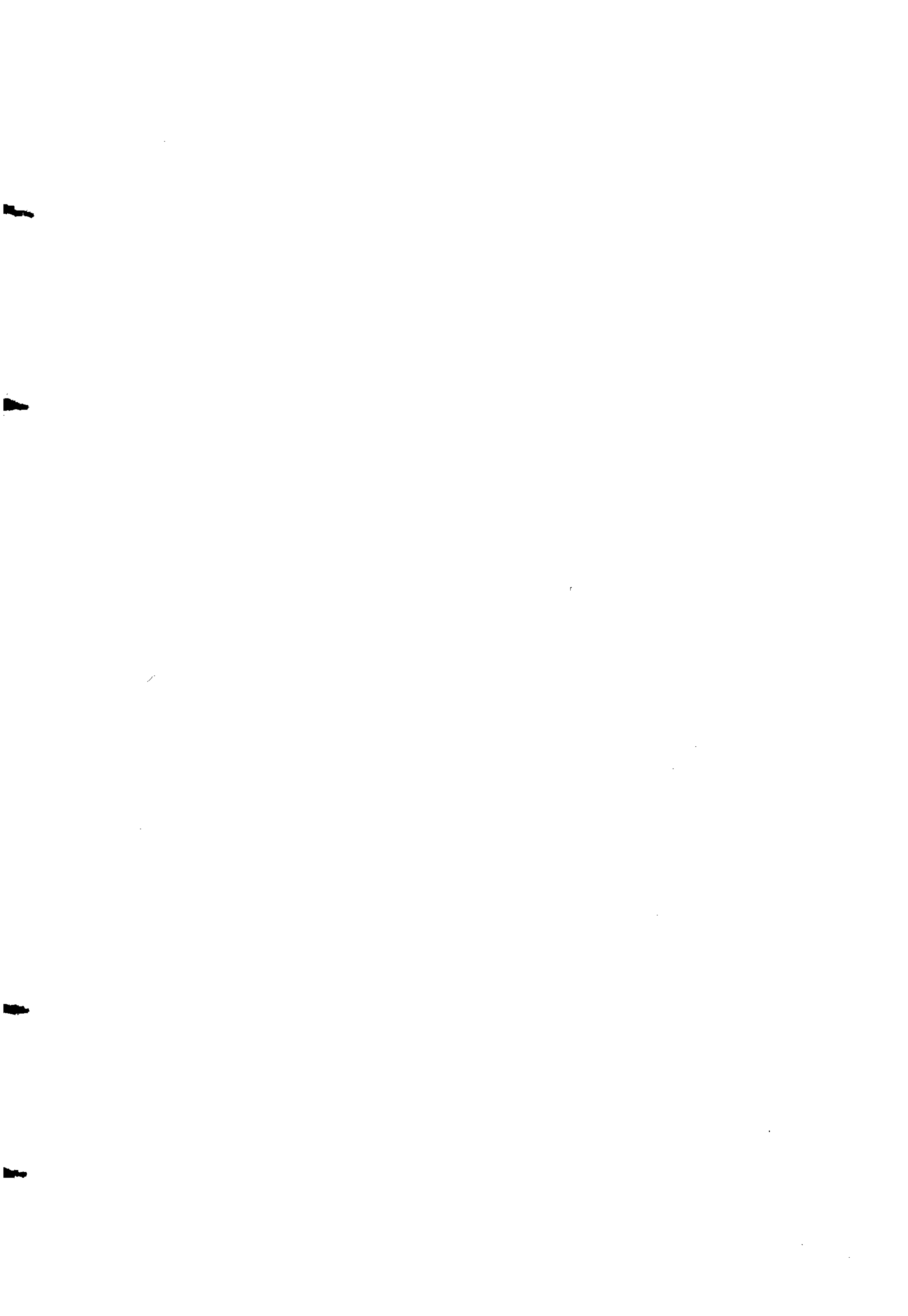
(١) الكثيـــب : التل من الرمـــل.
(٢) الدمدمـــة : كلام الغضب. دمدم الله عليهم: أهلكهم.
(٣) الأوجـال : جمع الوجل وهو الخوف.

ودانت ليَ الأرض بالكائناتِ عليها وسخَّرْتُ أجبالها
وتلك الطبيعةُ طوعُ البنانِ أنالُ إذا شئتُ إذلالها
وأطلقت أقماريَ الصاعداتِ فمنْ ذا يحاولُ إنزالها؟
رويدكَ يا منْ طواهْ الغرورُ وزَيَّن للنفسِ أعمالها!
ستعرفُ أنَّكَ هشٌ ضعيفٌ كستهُ الأراجيفُ سربالها
وأنكَ قد عشتَ هذي الحياة تقودُ إلى الغيِّ ضُلالها
وأنك خلفَ أكاذيبها مشيتَ تُسايرُ آمالها
تنكّبتَ فيها سواء السبيلِ وما زلتَ تسلكُ أدغالها
فَفِرَّ إن استطعتَ . إنّ الهلاك تطايرَ حولك واغتالها
فخلفَ مثارِ الردى قوةٌ تُعدُّ لكَ اليوم أنكالها
وإن كنتَ تنكرُ آياتها ويأبى جسودُك إجلالها
ولستَ بمعجزِ ربِّ القضاءِ إذا ما أراد وأوحى لها!
متى شاءَ بعثر منْ في القبورِ وزلزلتِ الأرض زلزالها

* . * . * . * . *



مَعَ الأحدَاث وَالمناسَبات في مِصْر



عقيـــدة (*)

[صيحة قالها الشاعر في يوليو - تموز - ١٩٤٩ وهي تصور الفساد السياسي والاجتماعي الذي استشرى في ذلك الوقت]

حبُّ البـلادِ عقيـدةٌ أُشـرِبْتُها ... من ثدْي أمي حينَ كنتُ رضيعا
فـإذا دعتني للكفـاحِ عقيـدتي ... لبيتُ داعيهـا الكـريمَ سـريعـا

* . * . * . *

يـا فتيـةَ النيـلِ الممجّـدِ إننـا ... نأبى ونرفض أنْ نُسـاقَ قطيعاً
هذا «ابنُ نازلي» للهلاكِ يقودُنا ... جهـراً ويلقَى في البلادِ مُـطيعا
ونـراهُ وفق هواهُ يـرسـلُ نـظرةً ... فتعـطِّلُ التنفيـذَ والتشـريعـا
وإذا أشـارَ أتـتْ إليـهِ وزارةٌ ... تجـري لتـوسـع أختَهـا تشنيعـا
فـإلى متى هذا الخنـوعُ، وإنَّهُ ... جُرمٌ أضاعَ حقوقَ مصرَ جميعا
لنْ تبلغَ المجـدَ المؤمـلَ أمـةٌ ... قـد قُـطِّعت أوصـالُهـا تقـطيعـا
فدعوا التفـرقَ والشقاقَ وهيِّئـوا ... للنيـلِ عِـزًّا كـالقـديم رفيعـا
إنَّ القلوبَ متى تـوحَّـد رأيُهـا ... كـانتْ لـه حصْناً أعـزَّ منيعـا

(*) لم أجد فيما لدي أصلاً لهذه الأبيات ولعل مصنف الديوان لوزارة التربية قد استبقى كثيراً من الأصول التي اختار قصائدها وكذلك فإن هذا العنوان من اختيار المصنف مع المقدمة التي كتبت للقطعة وآثرت تركها كما هي. [المحقق].

بيــن عهدين (*)

أينَ البيــانُ أصــوغُــه وأنضِّــدُ ... إن الـلســانَ لعــاجــزٌ ومُـقيَّــدُ
قـدْ أمسكتُهُ غـداةَ عمَّ سـرورنـا ... بُشرى يطيبُ بهـا الفؤادُ ويَسعد
هـتفَ الـبشـيـر مهـلِّلاً ومكـرِّراً ... وسـمعتُـهُ بيـنَ الأنـام يـرددُ:
زالَ العنـاءُ وفُـكَّ قيـدُ جَحيمنـا ... لما انقضى عهدُ العذابِ البائدُ[1]

* . * . * . * . *

حَكم البغـاةُ فما رأيتُ بعهـدهم ... غيرَ الرصاصِ إلى الصدورِ يُسدد
يا مصرُ قدْ عاثتْ بأرضِك عصبةٌ ... باسم الصِّيانـةِ والحمايـة. أفسدوا
قتلوا شبابَ الجامعـاتِ وجندلـوا ... في النهـرِ من بميـاهِـهِ يستنجَـدُ
ســالت دمـاءُ الأبــريــاء ذكيـةً ... ظُلمــاً فَسُحقاً أيهـا المستبعـدُ
مـاذا جنـوا حتى أرقتَ دمـاءَهم ... وبأيِّ حقٍ في المضاجـع وسُدّوا
الله يـعلم أنـهم لـمْ يُـجـرمـوا ... يا منْ بجندِكَ رحتَ فيهم تَحصِد
فعليـك من ربِّ السمـاءِ تنـزَّلَتْ ... لعنــاتُـهُ والــروحُ منهمْ تَصعـدُ
فلكمْ بنـادقَ أحـرقَت كَبـداً وكم ... أحــزنْــت أماً وانكوى بكِ والــدُ
أخرست صوتَ الحقِّ بالسجن الذي ... ضـاقتْ جوانِبُـهُ بمن قد شُـرِّدوا

(*) ألقيت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في يوم ٢٥ ديسمبر ـ كانون أول ١٩٤٩ بحضور نائب إنشاص الشيخ عبد العظيم عيد.

(١) كان يجب أن يقول (عهد العذاب البائدِ).

وبَشِمت مـالاً والفقيـرُ مُعـذبٌ ... إذ ليسَ يملكُ ما بـهِ يتـزوَّدُ[1]

يـا أيها القـومُ الألى قد أرهبـوا ... بسلاحِهِمْ هذي النفـوسَ وهدَّدوا

سَيُسجِّـلُ التـاريـخُ أنَّ بعهـدكُمْ ... ظـلـمٌ وعـدوانٌ وحـكـم أسـودُ

لمْ يكفهِ مـا نـالنـا من جـورِهِ ... حتى أتى يبغي المـزيـدَ وينشُـدُ

يا أيها «السعدي» حسبُكَ ما جرى ... عن نُصرةِ الشعبِ الأبي ستبعُدُ[2]

إنَّ الـذي سفكَ الـدماءَ لمجـرمٌ ... يُقصى عن الحكم النزيهِ ويُـطردُ

* . * . * . * . *

عبدَ العظيمِ لـك الشيوخُ أحبةٌ ... ولـك الشبـابُ مناصـرٌ ومؤيِّـدُ

وهـواكَ يمـلأ قلبَنـا أبـداً وإن ... مـاتَ العـدوُّ بغيـظِهِ والحُمَّـد

فـامحُ الـظلامَ أراهُ خيَّم مُـدةٍ ... إن الـظلامَ لنـا الضيـاء يبـدِّدُ

واعلمْ بـأن وراءكَ الأُسـد التي ... عن خوض بحر الموتِ لا تتردَّد

قـدْ أخبـرَ التـاريـخُ أن بعهـدكم ... أمـنٌ يـظلِّلُنـا وعـدلٌ سـائِـدُ

تـاللهِ إنِّـي مـا رأيـتُ كـمثـلِهِ ... عهـداً بـه سيفُ المهـانـة يُغمَـدُ

كـلَّا ولا شهِدَتْ نـواظر مُبصرٍ ... منْ راحَ من ضيقٍ بـه يتـزودُ

رغمَ الحـروبِ ورغم ما كنَّـا به ... من ضيعـةٍ بـات الفقيـرُ يُغـرِّد

للوفـدِ تـاريـخٌ أغـرُّ ومجـدُهُ ... بـاقٍ على مرِّ الـزمـانِ مُخلَّدُ

سلْ حادثاتِ الدَّهر عن تاريخِـهِ ... تُنبيـكَ عنـهُ الحـادثـاتُ وتَشهـدُ

يا قومُ عاش «الوفد» نبراسـاً لنا ... يهدي البلادَ إلى الفلاحِ ويُرشدُ[3]

---

(١) بشم : سئم . بشم من الطعام سئم منه .

(٢) لقد كان الشاعر في أواخر الأربعينيات يؤيد الوفد ويهجو غيره .
وهنا يهاجم حكومة السعديين .

(٣) كان الشاعر كغيره من الناس يظن أن حزب الوفد يسعى لمصلحة البلاد ولم يكن الشاعر في هذه السن (١٤) سنة قد عرف الحقائق وأدرك ألاعيب السياسيين . وفهم أنهم خرجوا عن الإسلام وتركوا دِّين الله ليحتكموا إلى شرائع وضعيـة .

مصر الجريحة(*)

ليلٌ تلألأ فيه نجمٌ يلمعُ ... وبهِ الرياضُ عبيرُها يَتضَوَّع
سكنَ الوجودُ سوى النسيمِ فإنه ... ما انفكَّ يخفضُ في الغصونِ ويرفع
تَترنَّحُ الريحُ الرُّخاء كأنَّها ... ثَمِلٌ بأكواب المُدامةِ مُولَعُ
والبدرُ أرسلَ مديةً من ضوئه ... تجتثُّ أعوادَ الظلامِ وتَقطع[1]
تلكَ الطبيعةُ في بديعِ روائها ... تنفي الكرى عنْ مقلتيَّ وتَدْفع
يا للجمالِ ويا لِروعةِ مِشيتي ... بينَ الرياضِ بحسنِها أتمتَّع
أنَّى توجَّهَ ناظراي يشاهدا ... سحراً يمسُّ النفسَ، جلَّ الصانعِ
ما راعني في الليل إلا أن أرى ... شَبَحاً بأثوابِ الدُّجى يتلفَّع[2]
يمشي الهوينى شاكياً فكأنَّهُ ... صبٌّ بساعاتِ الرحيل يودِّعُ[3]
فدنوتُ منهُ محاذراً فإذا بهِ ... حسناءُ أنهكها الأنينُ المُوجِعُ
فهتفتُ ما بال الفتاةِ أرى لها ... قلباً يفيضُ أسى، وعيناً تدمعُ
من أنت يا أختاهُ؟ قالتْ: يا فتىً ... إنيّ أنا «مصرُ» التي تتوجع
أبكي على مجدي وأندبُ عزتي ... هذانِ فقدُهما مصابٌ مُجزِعُ[4]

(*) يوليه ـ يتموز ـ ١٩٥١.

(١) المدية : الشفرة، واستعملها الشاعر هنا بشكل مجازي وكأنه يذكرنا ببيت لابن المعتز.

(٢) تلفع : اشتمل ـ تلفعت المرأة بمرطها والتفعت: اشتملت.
الدجى : الظلام.

(٣) الصب : المحب كثير الشوق.

(٤) المجزع : من جزع : خاف : وهي ضد الصبر.

يا ويحَ قومي قد أضاعوا دينهم ... فـإذا بهم شعبٌ ذليـلٌ خـانِـع
ولـو اهتدوا رشـداً لـظلوا سـادةً ... ولهمْ من القــرآنِ حِصنٌ أمنَـعُ
تـالله ما اتَّقتِ الممـالـكُ بـأسنـا ... إلا ونـحنُ بـهـديـهِ نتـدرَّعُ[1]
كـلّا ولا هـانَتْ لـديهم ريحُنـا ... إلا وهـديُ الله منـا ضـائِـعُ
فـالأغـنيـاءُ قـلوبُـهـم مسـودَّةٌ ... لم يبقَ فيهـا للتراحُمِ مَـوضِـع
شغلَتـهُمُ الأهــواءُ عـن ذي قلة ... لا عاش ذو مالٍ يضنُّ ويمنع[2]
والناسُ قدْ ضلوا الطريقَ فراعني ... في كـلِّ يـومٍ للفضيلَةِ مَصَـرَع
نـادَيتُها: نفسي فـداؤُك لا البُكا ... يجـدْي ولا طولُ التَّفَجُّـعِ ينفع
فـيمَ الأنـينُ وأنـتِ قـرةُ أعـينٍ ... بـاتتْ إلى نيـلِ العُـلا تَتَـطَلَّع
إن كانَ ساءَكِ أنَّ أرضكِ قد غدت ... مَـرعى بـهِ ذئبُ الغـوايـة يـرتَـعُ
فهنـاكَ جندٌ قـامَ يسعى جـاهـداً ... في الدِّين يقتلعُ الفساد وينزعُ[3]
اللهُ أكـبـرُ في الـحيــاة نـداؤه ... يمثي بهـا نحـو الخلودِ ويُسـرِع

* . * . * . * . *

أللهِ درُّ الـقـوم إنَّ نـفـوسَـهـم ... لَتَشِـعُّ بـالحقِّ اليقينِ وتَـنبُـع
سُلَّت سيوفُ البغي فوقَ رؤوسهم ... وأمضَّهم كأسُ العذابِ المترَعُ[4]
فـتحـملوا ألـمَ الأذى ببسـالـةٍ ... وبهمـةٍ قعسـاءَ لا تَتَضعضَـعُ[5]
ولـو اطَّلعتَ لـدى العنـاءِ عليهم ... لـرأيتَ مـا يُـدمي الفؤاد وينـزِع

---

(١) نتدرع : أي كأننا نلبس الدرع لنتقي به من كل خطر.
(٢) ذو القلــة : الفقيــر المعدم.
(٣) يقصد بذلك حركة الإخوان المسلمين التي كان لها أثر في ذلك الوقت.
(٤) أمض : أوجع ، المترع: من ترع لإناء، إذا امتلأ، الممتلىء.
(٥) قعساء من قعس، رجل أقعس وبه قعس هو دخول الظهر وخروج الصدر. وتقاعس الرجل: أخرج صدره. والمقصود بالهمة القعساء البارزة.

ففتى العقيـدةِ مُثخَنٌ بجـراحـهِ   والشيخُ يُضربُ بالسياط ويقرعُ[1]
ولقـد أذاقَهمُ الـطُّغـاةُ من الأذى   لـونـاً يشيبُ لـه الـوليـدُ ويَهلعُ
لكنَّمـا الـظلمـاءُ يتلوهـا ضُحى   والليـلُ يَعقُبُـهُ ضيـاءٌ سـاطِـعُ
والحقُّ بـالنصـرِ المبين مُتـوَّجٌ   أبـداً وإن كثُـر البـلاءُ الـواقـع
مَهـلاً لَعمري إنَّ جنـدَ «محمـدٍ»   لأعـزُّ من جنـدِ الضـلالِ وأرفَـعُ
لا يستـوي هـديٌ وبغيٌ إنَّمـا   بينَ الهـدى والبغيِ فرقٌ شـاسع
قـالت: وتلكَ المبكياتُ أمـا لها   يـا قـومُ عنـدكُم دواءٌ نـاجِـعُ؟
الجهلُ يضربُ في القرى أطنابَه   والفقـرُ في شتى المنـازل يَقبع
والأجـنـبـيُّ أمـا رآنـا دولـةً   لا تنثني عنْ ضَعـفِهـا أو تُـقلِع
فسـطا علينـا شـرَّ سطوٍ مثلمـا   يسطو على الحِملانِ ذئبٌ جائعُ[2]
ويَحُـزُّ في نفسـي ويؤلـمُ أنَّنـا   نلهـو وكيـدُ عـدوِّنـا لا يهجَـعُ
النيـلُ يُضنيـهُ الأسى فـإلى مَتى   يا قومُ نـرضى بالهـوانِ ونَخضعُ
فـأجَبتُهـا أنْ لا يغُـرَّنْكِ الـذي   يبـدو من استسـلامنـا أو يَطمَع
إنَّ الـتصـبُّـر دأبـنـا حـتـى إذا   لم يبقَ في قـوسِ التصبُّرِ مَنـزع
ألفيتنـا أُسـداً يَـخـرُّ أمـامهـا   عـزمُ الجبـابـرةِ العِـظام ويـركـعُ
أرواحنـا يومَ الجهـادِ لك الفـدا   عَنْ بـذلها يـا مصر لا نتـراجـعُ

* . * . * . * . *

(١) إشارة إلى اضطهاد الشباب المسلم في كل عصـر.
(٢) الحمـلان : جمع حَمل ، وهو الخـروف.

مصر في الميـدان(*) ـ ١ ـ

نَبَعُ الجهـادِ يفيضُ منْ واديـكِ ... وسَنـا الخلودِ يشعُّ من مـاضيـك

وإليكِ ينتسبُ الفخارُ وكيف لا ... يـا مصرُ، والنيـلُ العـظيم أبـوك

شيـدتِ للدنيـا صـروح حضـارةٍ ... وأنــارَ ليــلَ العــالـميـن بَنُــوكِ

وبصفحةِ التاريخِ كمْ لكِ أحرفٌ ... قَـدْ سطّروهـا بـالـدَّمِ المسفـوكِ

* . * . * . * . *

لك في سجل المجدِ ذكرٌ أبيضٌ ... سيــظلُّ تـاجــاً خــالــداً يَعلوكِ

لـو ينطُقُ الهَـرَمُ المُخلَّدُ لا نبرى ... يروي حديثَ المجدِ عن أهليك

فـإلامَ نخضـعُ أو نلينُ لعُصبــةٍ ... يا مصرُ في الأغلال قدْ وضعوكِ؟

* . * . * . * . *

إنــا لـنــأبـى أن نـعـيشَ أذلَّــةً ... ويَــظل وادي النيـلِ كــالمملوك

لا خير في عيشِ امرئٍ مُستضعَفٍ ... يلقى الحيـاةَ بعـزمــةِ المفكـوكِ

أنـى لأبنــاء الـفــراعنــة الأُلـى ... جابوا الممالك بالقنا المشبوك(٢)

(*) اكتوبر ـ تشرين أول ١٩٥١ ـ مصر كلها تتحول إلى بركان ثائر يقذف اللهب في وجه المستعمر الغاصب بعد أن ألغى الزعيم مصطفى النحاس معاهدة ١٩٣٦ المشؤومة. [الشاعر].

(١) هذه القصيدة وضعها المؤلف بعنوان (نحو المجد) في مجموعته الشعرية «المختار من أشعاري».

(٢) يفخر شاعرنا بالفراعنة، رغم ما رأينا من اتجاهه الإسلامي، ودفاعه عن الإسلام، وهذا يدل على =

أنْ يَستكينوا اليومَ خوف عصابة ... أو خوفَ سطوةِ مُجرمٍ مأفوكِ[1]

مَنْ هؤلاء «الانجليز» لهدِموا ... للنيلِ صرحاً ليسَ بالمدكوكِ؟

هُمْ عُصبةٌ للسُّوء عاشوا عالةً ... من كلِّ قطرٍ عيشةَ الصُعلوك

فعليكَ يا ابن النيلِ أن تسعى إلى ... بعثِ الفخارِ الضائِعِ المتروك

واحملْ لواءَ الخالدين فطالما ... كانَ اللواءُ لنا بغير شريك

* . * . * . * . *

واضربْ ذئابَ الإنجليزِ وقُل لها ... شمسُ التغطرسِ آذنت بدلوكِ[2]

حيَّا الإلهُ لفتيةِ الألمانِ ما ... أبدوهُ نحوَكِ عندما جاءوك

أو ليس في «دنكَرْكَ» فتيةُ هتلرٍ ... يا دولةَ الجبناءِ قد صَفعُوكِ؟[3]

ورأيتُهم أسداً كراماً في الوغى ... فلبستِ ثوبَ اليأسِ المنهوكِ

لولا مؤازرةٌ مِنَ الحلفاءِ ما ... نلتِ المنى - يا ليتَهم تركوكِ

حتى ظللتِ لدى الورى أضحوكةً ... يمضي الزمانُ بها ولا يأسوك

* . * . * . * . *

يا مصرُ لم تكنِ المعاهدةُ التي ... قُطعتْ سوى قيدٍ لنا مَحبوك

يا ربَّ يومٍ كانَ يمضي بالأسى ... ومضى بوجهٍ باسم وضحوك

لمْ ألقَ مثل الإنجليز ثعالباً ... عرفوا الدَّهاءَ المحض في ناديك

نصبوا لنا شَركاً وَظَنُّوا أنَّه ... رمزٌ للاستقلالِ قد يُرضيكِ

حتى استبانَ النورُ وانقشع الدجى ... وعرفتِ أن القومَ قدْ خدعوك

ورفعتِ صوتَك بالشكايَةِ عالياً ... في مجلس أعضاؤُهُ خذلوكِ

فإلى الجهادَ فإنَّهُ سهمُ الرَّدى ... نرمي به يا مصرُ منْ يَرميك

= قوة ذلك التيار الذي أثاره الاستعمار وأعوانه في مصر عندما بدأت تستيقظ، وهو تيار الفرعونية، إذ بدلًا من أن يغلب عليها التيار الإسلامي، بعث من ينفخ في أبواق الفرعونية كرمز قومي يتعلق به الشعب. وبهذه الطريقة ترفع أمام أنظار الأمة أصنام جديدة باسم القومية والوطنية والحضارة.

(١) من الإفك وهو الكذب.

(٢) الدلوك : من دلك بمعنى زال، غرب.

(٣) «دنكرك» اسم موقعة في فرنسا، هزم فيها الحلفاء ولا سيما الجيش البريطاني أمام الألمان.

جهاد ضائع (*)

سئِمَ الفؤادُ الـزورَ والتـضليـلا ... لا نرتضي غيـر الجهـادِ سبيـلا
قالوا: مفاوضةً! فقلتُ لهم: متى ... أجـدَتْ مفـاوَضَـةُ اللئام فتيـلا؟
يا منْ تنكبْتَ الطريقَ بـلا هُدى ... مَهـلًا، أتيتَ من الأمـورِ جليـلا
المجـدُ لا يُعـطى ولكن يشتري ... بـالنفسِ إن الدهـرَ كـانَ بخيـلا

* . * . * . * . *

ضربَ الذي وَلِيَ الوزارة قبلكم ... مثـلًا لمنْ طلب الخلودَ جميـلا
ما كانَ إلا السيف ضـاقَ بغمدِهِ ... ذرعـاً فحـطَّم غِمـدهُ ليصـولا
هي صيحةٌ بَعَثتْ لمصرَ فخارها ... من بعـدِ ما لـزِمَ الرُّقـادَ طويـلا
فـتلفـتَـتْ انـجـلتـرا مـذعـورةً ... تخثى لكـوكِبهـا المضيءِ أُفـولا

* . * . * . * . *

يا من رأى جندَ الكنانةِ في الوغى ... أرأيتَ أُسداً ليسَ تسكنُ غيلا؟[1]
هُمْ فتيةٌ بَذلـوا النفوس رخيصـةً ... يبغـونَ مجـداً للبـلادِ أثيـلًا[2]
هتفـوا لمصر، غيـرَ أنَّ هتـافَهم ... كـان الجهـادَ عشيَّـةً وأصيـلا
أكبـرتُ فيهم عَـزْمـةً حَملوا بهـا ... عِبئـاً من الجَلَدِ المـريـرِ ثقيـلا

(*) فبراير ـ شباط ـ ١٩٥٢ الوزارة المصرية برئاسة علي ماهر باشا تقبل المفاوضات وتشل حركة الفدائيين في القنال (الشاعر).

(١) الغيـل : الغابة ذات الأشجار الكثيفـة.

(٢) يشيـر إلى الفدائيين من الإخوان المسلمين الذين جاهدوا ضد القوات الانجليزية في القناة.

ضَربتْ أُسودُ النيلِ جند تشرشلٍ ضـربـاً أطـارَ لَهـا نهىً وعقــولا
فبغى «أرسكينُ» الـجبـانُ وإنــه حَشَدَ الجنودَ وحرَّك الأسطولا[1]
قتلوا الشيـوخ العاجـزينَ وأعْمَلُوا في النِّسـوةِ التعـذيبَ والتنكيـلا
يـا رُبَّ طفـلٍ مُـزقتْ أوصالُــه قَدْ أمطروه من الرصاص سيـولا
يا صاحِ إنَّ إنجلترا مسحتْ لها عـاراً «بـدنكـركٍ» هناكَ جَليـلا
ومضَتْ تتيهُ على الأنام بمجدها وتجـر للنصـر العـظيمِ ذُيُــولا
انـظرْ إليها كيفَ كـانَ جهـادهـا في «كَفْرِ أحمد» خالداً مأمولاً[2]

* . * . * . * . *

ما بالُ شعبِ النيلِ أضحى هادئاً أتُـراهُ قـد ألفَ الحيـاةَ ذليـلا
بـاتت سفينتُـهُ لـطولِ مسيرِهـا تـبـغـي إلى الشطِّ الأميـنِ وُصـولا
بينَ الـطغـاةِ وبينَ فتيتنـا دمٌ نـاداهُ داعي مصـرِنـا ليسيـلا
لهفي على تلك الدماءِ وقدْ مضت تبني، فبـدَّلَ مـا بنت تبـديـلا
ذَهَبتْ هبـاءً، مـا أمرَّ ذهـابُهـا لكـأنمـا كـانـتْ دمـاً مـطلولا
سبعـونَ عـامـاً في الإسـارِ أذلـةً نشكـو عـدواً في البـلادِ نـزيـلا
لنكـاد إن ذكر الجلاء تـكـرمـاً نجـري لنـوسـع كفـه تقبيـلا
يا قومُ جِدوا، واعملوا، فعدونـا لا يعــرُفُ التصفيقَ والـتهـليـلا
السيفُ مفتاحُ الطريق إلى العُـلا تَعِسَ الـذي يبغي سـواهُ بـديـلا
خَلُّوا سبيـلَ القـائميـن بحملِهِ ز فسيـطردون من البـلادِ دخيـلا[3]
لِنُلَقِّنَ المجـد الصغـارَ وهكـذا جيـلٌ يعلِّمُ في الكنانـةِ جيلا

---

(١) أرسكين: اسم القائد العسكري للقوات البريطانية في القناة.
(٢) كفر أحمد: قرية مصرية قريبة من الاسماعيلية حيث قام جنود الاحتلال البريطاني بالإعتداء على المدنيين والشرطــة.
(٣) يقصد بذلك الفدائيين من كتائب الإخوان المسلمين الذين كانوا يقومون بعمليات فدائية ضد الانكليز ومعسكراتهم في القناة لإجبارهم على الجلاء ونيل الاستقلال بالقوة.

صــوت الوطنيــة(*)

[إلى الزعيم مصطفى النحاس]

تَقــدمْ فــأنتَ اليــومَ من يتقــدَّمُ ... بَرِمْنا بها فوضى، وطال التبرمُ[1]
قضيةُ وادي النيلِ ضيّعها الهوى ... وأنتَ لها أقبلْ ففي النيلِ مأتَم[2]
دعــونــاكَ للجُلّى ومثلُك يــرتَجى ... ووجــهُ الليــالي عــابسٌ مُتجهِّم
فمنْ شاءَ فرداً غيرَكَ اليوم خائنٌ ... يُقصِّــرُ في حقِّ البــلادِ ويجــرِم
عَرفناك ليثاً في الجهادِ وضيغماً ... يــريدُ جــلاءَ القوم والــذلُّ يُؤْلِمُ
تحمَّلَتَهم حتــى بلوتَ حيــاءَهُم ... على مضضٍ، والحرُّ للغيظِ يكظم
فلما سئِمتَ المُطَلَ وهو شِعارهم ... وضقت بهم ذرعــاً تــوليتَ عنهُم
وأشــعلتــهــا نــاراً تلظَّى وثــورةً ... عليهم، وإنَّ الشرَّ بالشــرِّ يُحسم
مفاوضةً شــاءوا وما كنتَ بــالذي ... يفاوِضُهم في الحقِّ والحقُّ يُغنم
وما كنتَ منْ يرضى بأن دماءنــا ... تَــضيــعُ هــبــاءً والعــدوُّ يُــنَعَّــمُ
شبابٌ كعمرِ الزهر قد كانَ عمرُهُ ... مضى للمنــايا ضــاحكاً يتبسَّمُ
يقولُ: فداءُ النيلِ نفسي ومُهجتي ... إذا اختَرمَتْ جنبيَّ للموتِ أسهمُ
لأيِّ ســبيــلٍ أمْ بــأيِّ ذَريعــةٍ ... يفــوِّض ما قــد راح يبني ويهدِم

(*) مارس ـ آذار ـ ١٩٥٢ الوزارة المصرية برئاسة نجيب الهلالي باشا تستصدر مرسوماً بحل مجلس النواب، فتأخذ الأحزاب المصرية في التأهب لخوض المعركة الإنتخابية للمجلس الجديد.

(١) التبرم : من برم، تبرم به : أي سئمه.

(٢) مأتــم : المأتم في الأصل نساء يجتمعن في الخير والشــر وتطلق هنا للشر والمصيبــة.

وفي الله ما أعطى القنـالُ وأهلُه　　من المالِ والأرواحِ والليلُ أسحم
أراهُ على مـا قدَّمَ اليـومَ نـادمـاً　　وما كان لولا ضيعةُ الجهد يندم
وأصبحَ في صمتِ القبورِ ضَجيجُهُ　　كأنْ لم يَسِل يـوماً بتـربتِهِ الـدم
فيـا أملَ الـوادي وباعثَ مجـدِهِ　　بحبِّـك قلبُ للكـنـانـةِ مُفـعَمُ
تقـدَّمْ وباسمِ اللهِ جـددْ كفاحنـا　　وحقِّق لما باتت بـهِ مصرُ تَحلم
غـدا النيلُ مكلومَ الفؤادِ مُـرَوَّعاً　　وأنت لجـرحٍ النيلِ طِبٌّ وبَلسم
فسرْ في طريقِ الحقِّ سيراً مُباركاً　　من الشعبِ، إن الشعبَ بالحق يعلم

* . * . * . * . *

ويـا فتيةَ الـوادي، لهذا عـدونـا　　على صدرِنا كـالهمِّ والداءِ يجثمُ
ينـادي بكـلِّ الأرضِ أن بقـاءَه　　بمصرَ مرادُ الشعب، فُضَّ له فم
ويزعُمُ أن الشعبَ ما كان راضياً　　على ثورةِ النحاسِ بل كانَ ينقُم
فمُـدوا أياديكم إلى الـوفد علَّنا　　نحـطِّمُ ما يـروي النزيـلُ ويزعمُ
ويعلمُ عنـه العـالَمُ الحـرُّ أنَّـهُ　　عـدوٌ، لأنفـاسِ الكنـانـةِ يكتُم
وأنَّ بأرضِ النيل شعبـاً مجاهـداً　　على طـردِ أعـداءِ البـلاد يُصمِّم
وما الحين حينٌ نرتضي فيه فرقةً　　ولكنَّـهُ وقتُ بـهِ الخلفُ يحـرم
ألا إنَّـهُ يـومُ امتحـانٍ لعـزمنـا　　وما بعدَه في الغيبِ جافٍ ومبهم
فـإمـا حيـاةٌ حـرةٌ لبـلادنـا　　يقـرُّ بها عـزمٌ من الوفـد صـارم
وإمـا احتلالٌ ليس يحـدُثُ بَعده　　جلاءٌ وعيش النيل صابٌ وعلقم

* . * . * . * . *

تحية الشعر إلى الزعيم

مصطفى النحاس(*)

دُمْ للكنانـةِ سيِّـداً وعَميـدا ... يـا رافعـاً علمَ الكفـاحِ مـديـدا

حُيِّيتَ من بـطلٍ تـطاول عـزمُهُ ... بـأساً على أعـداءِ مصرَ شـديـدا

هـذا هو الـوادي جريـحٌ حـائـرٌ ... يبكي وينـدبُ مجـدَهُ المفقـودا

يـرجو النجـاةَ على يديـك وإنَّـه ... يـدعـوكَ مُعتـزمـاً لـك التأييـدا

إنـا لنـذكُـرُ بـالفخـارِ وبـالعـلا ... يـومـاً سيبقى للكنـانَـةِ عيـدا

مَـزَّقتَ فيـه وثيقـة استعبـادنـا ... ورفعتَ للنصـرِ الـمبين بُنـودا

ووقفتَ مثل الليثِ ترسلُ صيحةً ... شمَّـاءَ ردَّدَهـا المـلا تـرديـدا

منْ أجلِ مصر ـ تقول ـ قد وقعتها ... ولأجـل مصرَ أرى لهـا التبديـدا

لك عزمةٌ في الحقِّ نعرفُ بأسها ... كتبتْ لـذكركَ في الأنـامِ خلودا

لمْ يُثنها عن ضربِ هاماتِ العدا ... أن خـافَ قـومٌ للعـدوِّ وعيـدا

ومضيتَ في حشدِ الكتائبِ مُبديا ... عـزماً على طـرد النزيـلِ وطيـدا

من كانَ مثلكَ في صلابةِ عزمـه ... لا يـرهبُ الإنـذارَ والتهـديـدا

قمْ يـا زعيمَ النيلِ جـدِّدْ مَجـده ... واطـرد عـدواً لـلبـلادِ لَـدُودا

ضِقنـا بهِ ذرعـاً، وواسعُ حِلمنـا ... قـدْ مَلَّ تغـريـراً لـهُ ووعـودا

بـدِّدْ وأنتَ زعيمنـا أحـلامَ مَنْ ... قـد بات يـطمعُ أن نـظلَّ عبيدا

(*) ابريـل ـ نيسـان ـ ١٩٥٢.

يا قائدَ الوادي إلى النصرِ الذي ... يرجوه عشتَ مُكرَّماً محمودا
أقبلْ لتدفعَ عن حمى النيل الأذى ... وتردَّ كيداً بالبلادِ أُريدا
الشعبُ يأبى أنْ يظلَّ مُكبَّلاً ... ويودُّ عيشاً في الحياةِ رغيداً
أما الجلاءُ فإن حكمتَ فواقعٌ ... وبغيرِ هذا كانَ عنهُ بعيدا

* . * . * . * . *

حيّا الإلهُ فوارسَ الوفدِ الألى ... قاموا إلى ساح الجهادِ أُسودا
يا فخرَ مصرَ، ويا كُماة نِضالها ... دُمتُمْ لوادينا كِراماً صيدا
أنتُم حماةُ النيلِ، قادةُ أهلِهِ ... فوقَ السُّها لا تلبثون قُعودا
ولكم لواءُ المجدِ خفاقاً، متى ... كانَ اللواءُ لغيركم معقودا

* . * . * . * . *

خواطـــر ثائـــرة(*)

[قبيـل الثورة بأيام، تولت وزارة أحمد نجيب الهلالي الحكم، ومنذ الليلة الأولى قامت بحملة على الأحرار والفدائيين، وفي تلك الليلة حاصر منزل الشاعر سبعون جندياً يفتشون عن السلاح، ويعتقلون عميد الأسرة الأستاذ مصطفى الرفاعي، وظل الشاعر تلك الليلة ٢٠ يوليه - تموز - ١٩٥٢ ساهراً ينفث خواطره الثائرة].

مـضــى لــلـنــومِ سُـمــارُ ... خَــلَـتْ مــن أُنـســهــم دارُ

فـمــا أشـجَـى لـهـم لـحـنٌ ... ولا قــد رنّ مِــزمــارُ

وعــدتُ بـمـهـجـةٍ حَـرّى ... وقـلـبٍ مـلـؤهُ نَــارُ . .

وحــولـي مِنْ سُـكــونِ اللـيــ ... ــلِ والأوهــامِ أســتــارُ

وفــي رأســي خـيــالاتٌ ... تــمــوجُ بــهِ وأفــكــارُ

سـجـينٌ، لي مـن الـظلمـا ... تِ قــضــبــانٌ وأســوارُ

تُـعــذبُـنـي أحــاسـيسٌ ... لــهــا بــالــقـلـبِ أظـفــارُ

تــمــوتُ لــديــهِ آمــالٌ ... وتــذوي مــنــهُ أزهــارُ

ويـحـيـا حـيـنَ تـبـرقُ من ... ســنــا الأحــلامِ أنــوارُ

وبــيــنَ يـديــهِ مـسـكــوبٌ ... مــن الأوهــامِ مــدرارُ

(*) لم أعثر على أصل للقصيدة بخط الشاعر، وأخذت هذه الأبيات مما نشره (الأستاذ حته) ويبدو أن القصيدة غير مكتملة ولعل (الأستاذ حته) قد أقتطع أبياتاً من الأصل ووضعها فيما نشره باسم الشاعر، والمقدمة من صنع الأستاذ حتــه.

لــهُ لــليــأسِ أســبــابٌ ولــلتــأمــيــلِ أعــذارُ !
ومــنْ أعــمــاقِ خــاطِــرِه مُــنــىً تــطفــو وأكــدارُ
كــذلــكَ فــي ربى الــوادي يــذوقُ الــمــرَّ أحــرار
متــى رفضَ الــهــوانَ فــتــىً فــليسَ يــنــالــهُ عــار

* . * . * . * . *

مأســاة زعيــم(*)

أحقاً خلا من عزمِ سيدهِ الـوفدُ ... كـذا فليتمَّ المكرُ وليفلح الكيـدُ
تنحىَّ زعيمُ النيل عن حزبِ شعبهِ ... وباتَ بعيداً عنهُ ضيغَيمُهُ الوردُ[1]
فكيفَ ننالُ النصر؟ بل كيفَ نَجتني ... ثمارَ المعالي؟ أو يتمُّ لنـا قصدُ
وقد غابَ عن غابِ السياسةِ ليثُها ... وجارَ على جار الحجا منهمُ الحقدُ[2]
أفي مثلِ هذا الحين ـ والنيلُ يَبتغي ... ذرا المجدِ ـ ينأى من يدينُ به المجدُ؟
أهــذا أوانٌ فيـه يُـطوى مهنـدٌ ... ويُغمدُ سيفٌ لا يُفلُّ لـه حدُّ[3]
أيتَّهَمُ الشهمُ الــذي أرّقَ العـدا ... وجـدَّ بوقتٍ قـد أضرَّ بـهِ الجـدُّ
وأعلنهـا حـربـاً عليهم طَحـونـةً ... ولمْ يُثنِـهِ عنهمْ وعيـدٌ ولا وعـدُ
أَبعدَ الذي أدّى لمصرَ من العُلا ... مدى عُمره حتى أضرَّ به الجُهدُ
يكـونُ جـزاءُ البـذلِ منـهُ تجنِّيـاً ... عليهِ وجَوراً ـ لا وفاءٌ ولا حَمدُ
بَنِي الوفد إن الشعبَ في مصر عاتبٌ ... عليكم وبعضُ العَتبِ في أصلهِ ودُّ
نقضتمْ سريعاً عهـدَكمْ لزعيمكم ... كأن لم يطُلْ في مُكثه بينكمْ عَهدُ
أيُرجى لهذا الحزبِ نصرٌ ورِفعةٌ ... وقد مالَ عنه الليثُ والأسدُ الوَردُ
وإني على الأيام من بعدِ مصطفى ... لأعجبُ من أن يستقيمَ بـه فَـردُ

* . * . * . * . *

(*) اكتوبر ـ تشرين أول ـ ١٩٥٢ ـ الزعيم الجليل مصطفى النحاس يتنحى عن رئاسة الوفـد.

(١) الضيغم : الأسد . الورد: صفة الأسد لأن لونه يشبه لون الورد.

(٢) الحجـا : العقـل، وانظر إلى المبالغة في التحسين اللفظي (الجناس).

(٣) المهنـد: السيف المضروب من حديد الهند. يفـل : من فل بمعنى تكسـر.

عدلــي لملــوم(*)

مــاذا أفـادَكَ يــا فتى الإقـطاع | هـذا التمردُ غيـرَ سـوءِ ضيــاع
أغـراكَ بـالعصيـانِ مـا أُشــربتـهُ | من شـــرٍّ تنشئـــةٍ وخُبث طبــاعِ
ورمـاكَ في النارِ اغتـرارٌ بـالـذي | مُـلِّكتُـهُ مــن ثــروةٍ وضِيــاع
أظننتَ أنكَ مُوقفُ الركبِ الذي | قـــد سـارَ للعليــاءِ في إسـراعِ
فوقفتَ تُظهـرُ بالسـلاحِ شجاعـةً | حتى أتـوكَ فكنتَ غيـر شُجـاعِ
وتـداعتِ العزمـاتُ منكَ وقبلَهـا | يا ابنَ الغنى ما كنَت بالمتداعي
هذا هو السجنُ الرهيبُ فذقْ بهِ | كـأسَ الهـوانِ بــطعمهـا اللذاعِ
لمْ يغنِ عنـك وأنتَ فيـه مقيـدٌ | حمـل السـلاحِ وكثـرةُ الأتبـاعِ
فانظر إلى أيِّ المواضعِ طوَّحتْ | بـكَ شهـوة الأمــوالِ والأطمـاعِ
قد سولتْ لك ما هوى بك آثماً | عــقلـيـــةٌ قــد آذنــتْ بــوداعِ
اليـومَ عمَّ النـاسَ عـدلٌ سـائـدٌ | لا فــرقَ بين أعـاظمٍ ورعــاعِ
تلكَ العهـودُ قد انقضتْ آثـامهـا | ونعى دُجـاهـا في البـلاد النـاعي

* . * . * . * . *

(*) اكتوبر ـ تشرين أول ـ ١٩٥٢ .

(*) واحد من الذين حاولوا منع توزيع الأرض وضرب الفلاحين وشهر السلاح . فسجن وعذب ونشرت في ديوان (حته) بعنوان (فتى الإقطاع) .

صيحة البعث[*]

يا ثورة في ضُلوعي ... وما لها منْ هُجوعِ[1]
إلامَ أقضي حَياتي ... في ذِلةٍ وخضوعِ؟
سطَّرتُ للنيلِ مجداً ... وما أنا بالقَنوعِ
هذي فلسطينُ سيلٌ ... من الدِّما والدموعِ
أودى اليهودُ بشيخٍ ... في أرضها ورضيعِ
لمّا دَعَتْني رأتني ... إلى الوغي بسريعِ
حينَ العدوُّ تراءى ... في حَشدهِ كالقطيعِ
أكادُ أسقيهِ كأساً ... من الهلاكِ الذريعِ
لولا الذي قدْ دهاني ... يومَ القتالِ المُريعِ
إذ جيءَ لي بسلاحٍ ... محطَّمٍ ودُروعِ[2]
فرُحتُ أقضي شهيداً ... مُخضَّباً بالنجيعِ[3]
أمضي ويَذوي شبابي ... واحسرتا في الربيعِ[4]
أظلُّ أهتفُ يالي ... من الفسادِ الشنيعِ

(*) ديسمبر-كانون أول-١٩٥٢ . نشر قسم من القصيدة في جريدة «الزمان» بتاريخ ٢٣ أبريل-نيسان ١٩٥٣ .

(١) الهجوع : النوم ليلاً.

(٢) إشارة إلى الأسلحة الفاسدة التي سلح بها الجيش المصري في حرب فلسطين . [الشاعر] .

(٣) النجيع من الدم : ما كان يضرب إلى السواد وهو دم الجوف خاصة .

(٤) يذوي : يذبل .

بـيـداءُ قـد بُـحَّ صـوتـي بـهـا ومـا مـنْ سَـمـيـع
فـإنْ تَـطـفْ يـا ابنَ مصـرٍ يـومـاً بـتـلـكَ الـربـوعِ
فـاهـتـفْ بـهـا لـشـهـيـدٍ بـيـنَ الـتـراب ضَـجـيـعِ
وحـيِّ جُـنـداً كـرامـاً قَـضـوا بـذاكَ الـبـقـيـعِ
وقُـلْ لـهـمْ فـي فَـخـارٍ وعِـزةٍ وخُـشـوعِ
إنِّـي حَـطَّـمـتُ قُـيـودي إنِّـي مـلـلتُ رُكـوعـي
تـلـكَ الـعـهـودِ تـولـتْ ومـا لـهـا مـنْ رجـوعِ

* . * . * . * . *

صـوت التحريـر (*)

فجـرٌ أطـل على الكنانـةِ مُشرقاً ... يجلو بـطلعتِـهِ الـظلامَ المُفتَّقـا

قدْ كانَ هذا الفجرُ حلمَ خيـالنا ... للهِ هـذا الـحلمُ كـفَ تحـقَّقـا

أرضُ الكنـانَـةِ جنـةُ اللهِ التي ... مَنْ مَسَّها بالسـوءِ خابَ وأخفَقـا

سيفُ العِنـايةِ قَوَّضَ العهـدَ الذي ... قَـدْ كـانَ نبعـاً بـالفسـادِ تَـدَفَّقَـا

عِشْنـا بوادي النيـلِ يملكُ أمرَنـا ... مَنْ بالرذيـلِ من الخصالِ تخلَّقـا

جعـلَ اللئيمَ من الأنـامِ قـرينـه ... وبكـلِّ مـذمـومِ الفعـالِ تعلَّقـا

بـاتتْ بـلادُ النيـلِ تشكـو جـورَهُ ... وتنـاشـدُ الأقـدارَ أنْ تَتـدفَّقـا

حتَّى أرادَ اللهُ نـصـراً للحِـمى ... وأرادَ للقـومِ اللِّئـامِ تـفـرُّقـا

فتحـرَّكَ الجيشُ النصيرُ لشعبـه ... وأهـابَ بـالـطغيـانِ أن يتمـزَّقـا

هيَ وثبـةٌ بعثـتْ لمصرَ فخـارَهـا ... مِنْ بعـدِ عمَّ البـلاءُ وحـدَّقـا

ردَّت إلى الـوادي قديمَ عـلائِـهِ ... وسَقتهُ بعد الصَّاب شَهداً ريِّقاً[1]

إني أرى عهـداً تكـاثـرَ خيـرهُ ... قـدْ فاضَ يمنـاً بالبـلادِ وأغـدقـا

عهـدٌ تفـرَّدَ بـالمحـاسنِ وحـدهُ ... فيـه النِّظام بـالإتحـاد قـد التقى

ويَـزينهُ العمـلُ الذي نسمـو بـه ... فيـزيـدُنـا بَينَ الممـالـكِ روْنقـاً

يَكفيـكَ منه قيـامُ خيـرِ جمـاعـةٍ ... فتحتْ لنـا للنَّصـرْ بـابـاً مُغلَقـاً

(*) القيت في الاحتفال الكبير الذي أقيم «بكفر النحال» بمدينة «الزقازيق» لاستقبال أعضاء هيئة التحرير العليا بالشرقية ١٦ مارس ـ آذار ـ ١٩٥٣.

(١) الصاب : يقصد به الطعم المر. الريق: يشبه الريق لسهولته وعذوبته.

ولهيئـةُ التحـريـرِ أعـظمُ هيئـةٍ بَلغتْ بنا في المجد أكرمَ مرتقى[1]

قامتْ على أكتافِ قـومٍ أقسموا ليقـاتلُنَّ الضَّعفَ حتى يُـزهقـا

السـائـرينَ بمصـرَ نحـو رقيِّهـا والبـاذلينَ لهـا الـوفـاءَ الأصـدقـا

والغـارسينَ المجدَ أخـرجَ شـطأهُ فـأظلَّ أرجـاءَ الكنانَـةِ مُـورِقـا[2]

أخــذوا على أرواحهم لبـلادهمْ عَهـداً لتحقيقِ الجـلاء ومَــوْثقـاً

جَمعـوا جهـودهُم لحـلِّ قضيـةٍ قَـدْ عمَّرتْ دهـراً وشابتْ مَفـرقاً

فَيُنـظِّمـونَ من الشبـابِ كتـائبـاً ويـدرِّبـون على المعـارك فَيلْقـا

يـا قـادة الإقليمِ هـذي كفُّنـا لنـريشَ سهمـاً للعـدوِّ مُفـوَّقـاً[3]

إنّـا بنـو الشـرقيـةِ الحمـراءِ لم يسـطعْ إلينـا الـوهنُ أنْ يُتـطرَّقـا

عَـرَفَ القنـالُ كفـاحَنـا ونضـالنـا وبـأرضـه كـذْنـا عـدواً أخـرقـا

قلْ «للنجيبِ» فتى البلاد وفخرِها مَنْ في سماءِ المجدِ طارَ وحلَّقا[4]

قُـدْتَ الكنـانـةَ للخلودِ وللعُـلا وأردْتَ رِفعتهـا فكنتَ مُـوفَّـقـا

طهَّرتَ واديها من الرجسِ الذي قـدْ كانَ مهْـوى للبـلادِ ومـزْلقـا

فتبسَّمَ النيـلُ الـحـزينُ وردَّدتْ أرجـاؤُه لحنَ الهنـاء وصـفَّقـا

وبـدمعةِ الحمـدِ الجزيـل لـربِّـه والشكـرِ أضحى جفْنُهُ مُغْـروْرقـاً

اليــومَ نـال الشعب من حـريَّـةٍ مـا فـاضَ أشـواقـاً لـه وتحـرَّقـاً

..*.*.*

---

(١) هيأة التحرير: اسم التنظيم الذي عمله رجال الثورة المصرية في أول أمرهم، وقد كان الشاعر - مثل غيره - يرجو على يديهم الخير لهذا الشعب المسكين.

(٢) شطء الزرع والنبات: فراخه أو طرفه.

(٣) سهم من ريش: له ريش. المفوَّق: الذي يشد وتره إلى فوقه.

(٤) يشير الشاعر إلى اللواء محمد نجيب الذي عين قائداً للثورة في أول أمرهـا.

تحيــة الأشبــال(*)

أيُّهـا الأشبال في النيـل السعيـدِ　　جـددوا الآمـالَ للعهـد الجـديـدْ
واعلموا بالحزمِ والعزمِ الـوطيدِ　　مصـرُ نـادتْ فـاستجيبـوا للنـداءْ

* . * . * . * . *

سـارعوا للمجـدِ يـا كنـزَ الأمـلْ　　بـاتــحــادٍ ونـظامٍ وعــمــلْ
كل من سارَ على الدربِ وصلْ　　فـاعلمـوا واللهُ يـرعى الأوفيـاءْ

* . * . * . * . *

جاءَ عهدُ النورِ وانجابَ الـظلامْ　　وتـعــالى ذكـرُنـا بـيـنَ الأنــام
ومن اليـومِ سنمضي لــلأمــام　　في حِمَـى الرحمن في ظلِّ اللواء

* . * . * . * . *

مصـرُ والسودانُ من عهـدٍ بعيـد　　إخـوةٌ في الـدِّينِ والنيـلِ الجيـد
لهمـا مجـدٌ على الـدهـرِ تليـد　　خــالـدُ العــزةِ مـوفـورُ الإبـاء

* . * . * . * . *

آنَ أن يُـطردَ من مصر الـدخيل　　حــان للقــومِ جـلاءٌ ورحيــلْ
ليسَ شعبُ النيلِ بالشعب الذليل　　إنـهُ في الحـربِ مشهـودُ اللقـاءْ

* . * . * . * . *

سنخـوضُ الهولَ بحـراً من دماء　　فحيــاهُ الــذلِّ والمــوتُ ســواء
نشتـري للنيـلِ في يـومِ الفـداءْ　　وحـدةَ الـوادي وتحقيقِ الـرجـاء

(*) مدرسة إنشاص الإبتدائية الثانوية ٢٠ أبريل - نيسان - ١٩٥٣.

يوم الحريـــة(*)

نـارٌ على جنبـاتِ النيـلِ تحتـدم فلينصفِ السيف إن لم يُنصف الكلم

إني رأيتُ طِـلابَ الحقِ مَضيعةً للوقتِ إن لمْ تذدْ عن حوضه همم

وأحزمُ الناسِ من لـو قام مُبتَغيـاً حقاً، إلى السيفِ لا للقولِ يَحتكم

* . * . * . * . *

ما الإنجليز سوى شعبٍ يعيش على ماضٍ من المجدِ أمسى وهو منهدم

قـومٌ إذا حالفـوا خـانـوا حليفهُم ولا تُصـان لعهـدٍ عِنـدَهم حـرم

إذا تكلَّم ذو بـطشٍ له استمعـوا أولا، تـولـوا وفي آذانِهم صمم

هلْ يذكرون على الصحراء موقعةً نـالتهُم عندهـا نار لهـا ضـرم[1]

روميل فوق رمالِ البيدِ مـوقدهـا حرباً عَواناً لهمَ - من بأسِها حِمم

لـولا وفـاءٌ بنـا عشنـا نقـدِّسُـه وأننـا أمـةٌ من شـأنهـا الكـرم

ما كان للنصرِ يومَ الكرب من سبل إليهم، وطعين الـظهـر ينهـزم

إنـا سنعلنهـا شـعـواء بـاسلةً فليفخـر النيل وليبـذخ بنا الهـرم

وما القتال سوى الموت الذي عرفوا وما القتال سوى الهولِ الذي علموا

يقــودنـا عَلم، في أنفــه شمم للهـولِ مقتحمٌ، للنيـلِ منـتقـم

نجيب أنتَ لها، أقدم فربَّ غدٍ يخلو من الذئب في الوادي لنا أجم[2]

فليرحـوا عن قنـاةٍ أو لنجعلَهـا تجري لهمْ فوقها يومَ القتالِ دم

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٣.

(١) يشير إلى معركة العلمين التي جرت بين الجيش الألماني بقيادة «روميل» والحلفاء بقيادة «مونتغمري».

(٢) أجم: جمع أجم وهي الغابة التي يكون شجرها صغيراً بين عشر سنين وعشرين سنة.

فتيـة التحرير (*) (١)

دْعِ السيفَ يُبدي الحقَّ، لوكان خافيا ... فما مثلُهُ إنْ شئتَ في الحقِّ قاضياً

وخضِّبه، لا ترحمْ عـدواً فـإنَّـه ... لوردِ دمِ الأعداء قد بات صادياً[٢]

أضــرَّ بـه طــولُ الأوامِ فــروِّهِ ... إلى أن يُرى في الكف أحمر قانياً[٣]

أرانا إذا لم نطلب الحقَّ بالظبـا ... فلسنا على الأيام نلقى الأمانيا[٤]

نبـاحثُ أعـداءً، إذا مـا رأيتَهم ... وقـد بدلـوا لونـاً رأيت الأفـاعيـا

بضــاعَتُهم ختـلٌ وزيف وخِسـةٌ ... ووعـدهمُ مـطلٌ رأينـاهُ بـاديـا[٥]

فلا تطمعوا أن يتركوا النيلَ عن رضى ... فإنا لقينـا بالخـداعِ الدواهيـا[٦]

فكم أحسنت مصرُ الظنونَ بفعلِهم ... فكلَّفهـا إحسـانهـا الـظنَّ غـاليـاً

فديتُ شباباً قام لا يرهبُ الردى ... يلبي إلى العليـاءِ والمجد داعيـا

يذودُ عن الحوضِ الكريمِ بهمةٍ ... وعـزمةِ صنـديـدٍ تهـدُّ الـرَّواسيـا

ويدفعُ عن أرض الكنانةِ غـاصباً ... ويحمي بحدِّ السيف للنيلِ واديا

(*) ألقيت في الاحتفال الذي أقيم بالمعهد في أول مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤ احتفالاً بتخريج الفوج الأول من الحرس الوطني بحضور مدير الشرقية وشيخ المعهد الأستاذ يس سويلم وقائد الحرس بالشرقية الصاغ أمين الخولي، ورجال التعليم والبوليس وأساتذة المعهد وطلابه.

(١) لقد كتب في أول الصفحة (الله أكبر.. والعزة لمصر) [المحقق].

(٢) الصادي : الظامىء. الورد الشرب.

(٣) الأوام: طول العطش.

(٤) الظبا : السيوف.

(٥) المختل: الخداع. مطل: المطل بالدين: هو الليــان به.

(٦) الدواهي المصائـب.

إذا قيـل هذا يـومُ مُشتبكِ القنـا — نـراهُ به قـدْ هبَّ كاللَّيثِ عـاديا

فيـا رُبَّ شرٍ كـان للشرِ حـاسماً — ويـا رُبَّ داءٍ كـانَ للداءِ شـافيـا

ويـا فتيةَ التحـريـرِ هـذا عـدوُّنـا — على صدرِ وادي النيل ما انفكَّ جاثياً

وإن لهُ إن ظل في الغيِّ سادراً — ليوماً كلونِ الليلِ قد صـارَ دانيا

كـأني بـه والنـارُ عـارمَـة اللظى — لها الزندُ لا يخبو، وقدْ بات صاليا

يسيـرُ بنا للنصـرِ والمجـدِ قـائـدٌ — «نجيبٌ» من الأدواءِ قد جاء آسيا[1]

زعيمٌ أبى أنْ نقـطَع الدهـر كلَّهُ — عبيــداً لأعــداءِ لـنــا ومــواليــا

فجمَّـع في كـلِّ البـلادِ كتـائبـاً — وجــرَّد أسيـافــاً وهــزَّ عــواليــا

وأبصرَ في الوادي ظلاماً وحلكةً — فكشَّفَ عنـه ليلهُ والـديــاجيـا

وخـفَّف آلامــاً بـمصــرَ كـثيــرةً — وضمَّـد جـرحـاً بـالكنـانـة داميا

سنعلنُهـا شعـواءَ قـد ثـار نقعُهـا — ومن تحتِهِ الهولُ الذي هبَّ عاتياً[2]

فـإمـا جـلاءٌ عن قنـال ووحــدةٌ — وإما كفاحٌ يبعثُ المـوتَ طاغيـاً

* . * . * . * . *

---

(١) يقصد به محمد نجيب وقد كان الشاعر معجباً به ومؤيداً له.

(٢) المنقع : الغبار.

توزيـــع الملكيـــة(*)

أمــلٌ تحقَق في البــلادِ عسيــرُ ... قدْ كان في خلدِ الفقيرِ يدورُ[1]
لمـا أعيدَ إلى الكنـانةِ مجـدُهـا ... وانجابَ عنها الليلُ والديجـورُ[2]
وأطلَّ عهدٌ مشـرقُ الجنباتِ قـد ... سـطعَ السنى بقـدومِـهِ والنــورُ
غمـرَ البـلادَ بهـاطـلٍ من يُمنِـهِ ... وتـدَّفقتْ للخيـرِ فـيـه بُحــورُ
سجَـدتْ بلاد النيـلِ شاكـرةً لـه ... نِعم الإلــه... وإنـهـا لكـثيـرُ

* . * . * . * . *

لا أرجـعَ الرحمنُ أيـامـاً مضت ... كــانتْ علينا بـالشقـاءِ تـدورُ
ذاقَ الفقيـرُ بهـا الحيـاةَ ذميمـةً ... يُضنيـهِ من ظُلمِ الغنيِّ سعيـرُ
فـالبؤسُ بـادٍ، والمتـاعبُ جمـةٌ ... والعيشُ صـابٌ والشقاء مـرير[3]
ولقدْ بغتْ في ريفِ مصرَ عَصابةٌ ... ومضت عليهِ في العذابِ دهور[4]
أيـامَ يجشعُ في الإجـارةِ مالـكٌ ... فيئنُّ من لفـحِ الـغـلاءِ أجيـرُ
كـمْ نــاظـرٍ لـزراعـةٍ بعُـتـوِّهِ ... هُضمتْ حقـوقُ مكافحٍ وأجـورُ

(*) نظمت بناء على طلب الزميل إبراهيم ثريا ليلقيها بين يدي الرئيس محمد نجيب رئيس الجمهورية المصرية عند حضوره لتوزيع الأراضي على الفقراء وصغار الملاك تنفيذاً لقانون الإصلاح الزراعي وذلك بناحية بلدة الزميل «سند نهور» مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤.

(١) خلد الفقيـر : ضمير الفقير وذهنه.

(٢) الديجـور : الظلمة.

(٣) باد : بادي أي ظاهر، حجة: كثيرة، صاب: مـر وعلقم.

(٤) العصابـة : الجمع من الناس.

لصٌّ يعضِّـدُ في الجريمـةِ سيداً ... أودى لـهُ خلقٌ ومـاتَ ضميـرُ[1]

البعثُ عمَّ الكـادحينَ بـريفنـا ... وبـدا لهم بعـد المماتِ نشـورُ

كمْ غـاصبٍ أرضاً لهم بسياطـهِ ... دَميتْ جلودُ ألهبت وظُهـورُ

كمْ بالدمِ المُهراقِ من أبدانهمَ ... مُلكتْ ضيـاعٌ جمَّـةٌ وقصـورُ

كم بالندى المثالِ فوقَ جباههِم ... حملت نُضـاراً للنسـاءِ نحـورُ

كمْ فاقدٍ للقوتِ باتَ على الطَّوى ... والـرزقُ عنـدَ المـالكين وفيـرُ

* . * . * . * . *

الغرسُ غرسهُم، وقد روَّى الثرى ... عـرقٌ لهمْ فـوقَ الجبينِ غـزيـرُ

شقيـوا لـه حتى بـدتْ أثمـارُهُ ... ما بالُ من لم يشقَ فيهِ يجورُ[2]

كمْ بـانتقامِ الكـاظمينَ لغيـظِهمْ ... جـاشتْ نفـوسٌ حـرةٌ وصدورُ

كم باللظى المشبوبِ في أعماقهم ... لسقـوطِ الاستبدادِ فـاضَ شعـورُ

وأخـو الهوانِ ولـو يطولُ هـوانُـهُ ... لا بـدَّ يـومـاً أنَّـهُ سـيثـورُ

ماتوا حيارى في دياجيـرِ الأسى ... حتى أتـاهـمْ منقـذٌ ومجيـرُ

بعثَ الإلـهُ إلى البـلادِ نجيبَهـا ... فتحـطَّمتْ للمفسـدينَ صخـورُ

يـا رُبَّ عانٍ قـد تحـرَر إذ بـدا ... فجـرٌ بـأرجـاءِ الـديـارِ منيـرُ

قـدْ ذاقَ طعمـاً للسعـادة معدمٌ ... ومضى لمبتسَمِ الحيـاةِ فقيـرُ

* . * . * . * . *

يـا قائـدَ الوادي إلى العليـاءِ قد ... سعدت بنيلِ الفخـرِ سندنهـورُ[3]

لمـا أتيتَ لهـا كغيثٍ هـاطـلٍ ... سـارَ الرضـا والخيرُ حيثُ تسيـرُ

---

(١) للص: هو الناظر في القرية أو المزرعة أي الوكيل عن مالك هذه القرية والسيد هو مالك الأرض.
أودى: ذهب وزال.

(٢) شقيوا: الأصل أن يقول شقوا ويحذف حرف العلة الياء لاتصال الفعل بواو الجماعة ولكنه أتى بها ليستقيم الوزن. يجور: يظلم.

(٣) سند نهور: اسم بلدة صغيرة في محافظة القليوبيـة.

سـويتَ بين مـواطنٍ ومـواطـنٍ   لـمْ يبـقَ فينـا خـادمٌ وأجيـرُ
فاقهرْ ضلالَ الحاسـدين ومكرهم   واظهـرْ عليهم إنـكَ المنصـورُ(١)

* . * . * . * . *

(١) في هذا البيت إشارة إلى الصراع الذي دار بين نجيب وبين رجال الثورة في أول عهدها.

يوم الجلاء(*)

إذاً آنَ لابنِ النيلِ أنْ يدركَ النَّصرا
وآنَ لهذا الليلِ أنْ يُظهرَ الفَجْرا
فيا مصرُ هذي ساعةُ المجدِ قدْ دَنَتْ
ويا واديَ الأحرارِ عُدتَ لنا حُرًّا
مضتْ دونَ هذا اليومِ سَبعونَ حِجَّةً
بها طالَ الاستبدادُ واستنفَدَ الصَّبرا
وإنْ أنس لا أنس الهوانَ الَّذي انقضى
ولا الذلَّ في طولِ البلاءِ ولا الذُّعرا
وكنْتُ إذا ما ذاقتِ الظُّلمَ دولةٌ
على يَدِ مُحتَلٍ ذكرت بها مصرا
فيا يومَ إجلاءِ العدوِّ عنِ الحِمى
ظَننتُ - وبيتُ اللهِ - موعدُكَ الحشْرا
سلامٌ على تلكَ الدماءِ التي مَضَتْ
تُراقُ لكيْ نلقاكَ قانيةً حُمْرا
سلامٌ على ذاكَ الشبابِ الذي انطوى
وآثرَ دون المجدِ أنْ يسكنَ القبرا

(*) ٢٧ - يوليو - حزيران - ١٩٥٤ الحكومات المصرية والبريطانية توقعان اتفاقية الجلاء.

بـذلنـا لــكَ الأرواحَ عن طيبِ خـاطـرٍ
وجُـزْنـا إليـك الصعبَ والسَّهــلَ والــوعـرا
ومـرتْ بـنـا الأعـوامُ، والـنـيـلُ حـانِقٌ
يُعـاني من الضيقِ الـذي مـلأ الصَّــدرا
إذا مـا رأيْـنـا فَـوقَـه وجـهَ غـاضـبٍ
تـروحُ وقـدْ ضَمَّتْ أضعـالِعُنـا جَمْـرا
شـبـابٌ وأشـيـاخٌ أرادوكَ قَـبـلَنـا
وفي نيـل الاستقـلال قـد قـطعـوا العُمـرا
فـكمْ من زعيـمٍ قـابَـلَ الـنَـفْـي هـازِئـاً
وسـارَ إلـيـهِ رافـعـاً رأسَـه فَـخْـرا
وثـوراتِ أبـطالٍ أثـاروا لَـهـيـبَـهـا
فـأخمـدَهُ مَنْ أضمـروا الحـقـدَ والغَـدْرا
فمـا نـامَ هـذا الشعبُ عنْ نَيـلِ مَـأرَبٍ
ولـكـنَّـهُ عـدوانُ مَـنْ سَكـن القـصْـرا
فحيُّـوا الأُلى بـاعـوا الكِـنـانَـةَ أنفُسـاً
وفـوقَ قبـورِ الخـالـدين ضَعـوا الـزَّهـرا
وإنْ يُـدرِكِ الـوادي الـجـلاءَ فـجـدِّدوا
مـدى الـدهـرِ في عيـدِ الجـلاءِ لهم ذكـرى
فـهـذا بـنـاءٌ شـادَ كـلُّ مـواطـنٍ
لـيـصـبـحَ كـالـطَّودِ الأشـمِّ لـه قَـدْرا

* . * . * . * . *

معركـة القناة

[ألقاها الشاعر بمدرج علي مبارك بكلية دار العلوم يوم ١٣ يناير كانون ثاني ١٩٥٧ ونالت جائزة الشعر للمجلس الأعلى للفنون والآداب].

بمدفعهِ المغرور قد صال واعتَدى ... وراحَ علينا بـالقـذائِفِ واغتَـدَى
وأغـرى بنا عنـدَ الحدود كـلابـهُ ... وأرسـلَ للعدوانِ يضـربُ موعـدا
يحـاولُ بـالتهـديـدِ إذلال أمـةٍ ... وإلقاء شعبٍ في القيودِ وفي الردى
وهيهاتَ، إن النيلَ ضمَّد جرحهُ ... فلم يخْشَ - مغلوباً على أمرهِ العدا
تخاذُلُنا وَلّى مع الأمسِ، لم نعدْ ... عبيداً، وكم ذا يصنعُ الخوفُ سيدا

* . * . * . * . *

سلوا(إيدنَ) الموتـورَ، ماذا أثـاره ... علينا، فأرغى بالحديدِ وأزبدا[1]
لئن سـاءهُ أن يأخـذَ الحقَّ أهلُهُ ... فمنطقُ الاستعمارِ مـا زالَ مُقْعدا
قناتي، وفي أرضي، وجِّدي لحفرها ... أكبَّ على الصحراءِ بالفأسِ مُجهَدا
وفـوقَ ثراهـا فـاضَ مـاءُ جبينـهِ ... وأدمى لـه جلادهُ الـظهـرَ واليـدا
فلا صلُحت هذي القناةُ ولا جرت ... بحَاجاتِ قومٍ لا يمرون سُجَـدا

* . * . * . * . *

لَكَمْ تحت جُنحِ الليل أبرمَ كيدَه ... وطـالَعَـهُ تصميـمُنـا، فـتبـدَّدا
وشـاء خداعَ النـاسِ بالإفـك إنَّهُ ... تعـوَّدَ هـذا الأمـرَ فيمـا تعـودا

---

(١) (ايدن) : هو رئيس وزراء بريطانيا وقت العدوان ١٩٥٦ م.

ونحنُ من الأحداثِ في عدةٍ نرى تشاحُنَ أطماعٍ ولؤماً مجسدا
وحينَ كشفنا للأنامِ قناعَهُ وعُرِّيَ عن ثوب الدهاء الذي ارتدى
تطاول حتى سعَّر النارَ ظالماً وإن تكُ ناراً قد أضاءت لنا الغدا
وذاقَ شياطينُ المظلاتِ بأسنا فأوردَهم بحراً من الهولِ أسودا
وقاومهمْ شعبٌ إذا سيمَ خطةً من الذلِّ لا يُلقي إلى الذلِّ مِقْوَدا
مؤامرةٌ كانتْ أعدتْ فأُحكمت ولكنَّها ضاعتْ على بابِنا سدى
وما قَدروا إقدامنا حقّ قدرِهِ فَأُحبطَ ما قد دبَّروهُ وأُفسدا
وكائنْ وقفنا في لظى الحربِ وقفةً نجسِّم منها للبطولةِ مَشْهدا
بكلِّ فتىً يهفو إلى الدمِ سيفُهُ فلا ينثني حتى يروِّي له صدى
كتائبُ إن طالعتَها يوم زَحفِها تُرَوِّعْكَ من إيمانِها النارُ والمُدَى
كذلكَ نحمي النيلَ من كل طامعٍ ونسعى إلى العلياءِ كهلاً وأَمْردا

* . * . * . * . *

وفي الساحلِ المخضوبِ قامتْ مدينةٌ تسطِّرُ أمجاداً وترفعُ سُؤْدُدا
فلم تَخش نسر الجوِّ يرسلُ فوقها شُواظاً بها شبَّ الضرامُ وأوقدا
ولم ترهبِ الأسطولَ والحتفُ جاثمٌ على ظهره يسعى إليها مُهددا
فكم هابطٍ في كفِّه الموتُ مُذ هوى تلقَّفهُ رامٍ لهُ وتصيَّدا
وكانت لهم (دنكرك) أخرى ولم تكن كـ «باريس» للألمان صيداً معبدا

* . * . * . * . *

ألا إننا نهوى السلامَ، فلمْ نجد مجالاً لكي يبقى لنا السيفُ مغمدا
ولم نكُ مختارينَ عند امتشاقِهِ ولكننا نأبى المذلةَ موردا
مددنْا أكُفَّاً للوداد، وإننا على الرغم منا أن نمدّ المهندا
همُ القومُ بغياً أقبلوا في حماقة علينا يزجُّون الخميسَ المزوّدا
وعدُّوه جرماً أن نحاول عزةً فلا يقبلُ الشعبَ الحياةَ مُقيدا
أولئكَ تجارُ الحروبِ، إذا محوا بتضليلهم للناسِ عاراً تجددا

تـرنّـحَ ركنُ الأمنِ تحت لـوائِهم ... وإن شَغَلوا في مجلس الأمنِ مقعدا
وسِيقَ إلى ساحِ المعـارك فتيـةٌ ... يـوَّدون أخذ العيش حُباً مـوَّطدا

* . * . * . * . *

فربَّ أبٍ قد كـان يَهوى وليـدَه ... ويؤثرُ أن يَرعى له الغصنُ أملدا
فـأُرسـل مصفـوداً، ليَـطْعَمَ حتفَـهُ ... على يد شعبٍ ما أغارَ ولا اعتدى
وكمْ من فتىً ما كان يهجرُ عن رضاً ... حيـاةً بها غنَّى الـوئامَ . . وغـرَّدا
أطاحوا بهِ في لجة الحربِ مرغماً ... بـريئاً، ومـا يجـديـهِ أن يتمـرَّدا

* . * . * . * . *

وفي موكبِ البعثِ الذي قد تجاوبَتْ ... أحاسيسُهُ في الناس كالصوت والصدى
طغى وقعُ أقدامِ الشعوبِ كريمةً ... على صـوتِ جبارٍ بغى وتـوعـدا
وخلفَ ضبابِ الظلم يلمعُ بارقٌ ... بـهِ أمـلٌ للثـائـرِ الحـرِ قـد بـدا
وأسمعُ لحنَ النصرِ في كلِّ أمةٍ ... مُـكبـلةٍ فـوقَ الـشـفـاهِ تـردَّدا
فمصرُ لنا ـ لا للطغاةِ ـ ومن أتى ... لها غازياً لا يُدركُ العَـودَ أحمدا

* . * . * . * . *

بنت العروبــة

[قصيدة من وحي زميلة للشاعر في كلية دار العلوم، نظمها في ٢ ديسمبر
كانون أول ١٩٥٧]

أقسمتُ بـالبطلِ الشهيـد وبغضبةِ الشعب المجيـد[١]
وبثــورةِ البـركــانِ بـركــانِ العــلا في بُــرْ سعيــد
وبــوثبــةِ الأحــرارِ حيـنَ أقـضـهـمْ ذلُّ الـعـبـيــد
في المغربِ الدامي وأرضِ عُمانَ قد خلعـوا القيود
لأحــطِّمــنَّ الــطامعـينَ الـجــاثمـين عـلى الحــدود

* . * . * . * . *

أنا لحنُ حُبٍّ في الشفاه وأبيٌّ من العربِ الأُباهْ
أنــا بنتُ مصــرَ تليــدةُ الأمـجــادِ مقبــرةُ الغــزاهْ
أنــا زهـرة ليستْ تفـوحُ شـذىً على أيــدي الجنـاهْ
وحمــامـةٌ تــرجـو الســلامَ أثـارهــا ظلمُ الــطُغــاهْ
أحمي العــرينَ وأستمــدُّ الـعــونَ من نُــورِ الإلــه
هـذا أخي حمـلَ السـلاحْ لمـا دعـا داعي الكفـاحْ
ووراءَه فـي الصـفِّ أختـي لا تبــالـي بــالــرمــاح

---

(١) يتابع الشاعر لوثة الجاهلية فيقسم بغير الله سبحانه وتعالى، وهي (موضة) ذا العصر. ولعل الشاعر لم ينتبه إلى ذلك لا سيما في هذه الفترة الحرجة من حياته.

تأسو الجراحَ إذا هوى في الحربِ مخضوبَ الجراح
والأمُّ تشحذُ عَزمَنَا بدعائِها لا بالنواح
لا بدَّ للّيلِ الذي لفَّ العروبَةَ من صباح

* . * . * . * . *

إني لأعملُ للسلامْ ولغرسِ أزهارِ الوئامْ
اللهُ يشهدُ ما بذرتُ بذورَ شرٍ في الظلام
لكنني آبَى لأرضي أن تذلَّ وأن تُضام
هذي يدي فيها الإخاءُ وفي يدي الأُخرى سهام
فالودُّ مني للصديق، وللعدا الموتُ الزؤام

* . * . * . * . *

نشيـــد الوحدة

[نظمه الشاعر بمناسبة إعلان الوحدة يـوم ٢٢ فبرايـر / شباط سنة ١٩٥٨]

البِـشْـرُ يـعـطّرُ أعـيـادي   ويـنـمّـقُ إكـلـيـلَ تـحـيـةْ
والـفَـرحـةُ مِنْ كُـلِّ فـؤاد   نـبْعـت في مـصـرَ وسـوريّـة

* . * . * . * . *

قـد بـاركَ خـطوتَنـا الـربُّ   بـالـبعـثِ وتحـطيمِ القيـدِ
وتـلاقـى بَـرَدَى والـنـيـلُ   في ظـلِّ الـوحـدةِ والمجـدِ

* . * . * . * . *

هَـزَّ الـدنـيـا هـذا الجـيـلُ   وأضـاء مـشـاعِلَنـا الـنـصـرُ
وهـتـفـنـا يـغـمـرنـا الـحـبُّ   تحيـا سـورْيَـا تحيـا مصـرُ

* . * . * . * . *

قصيدة بور سعيد[1]

كانَ الخريفُ يُظلُّ أحلامَ الرياضِ النائمهْ
والبحرُ يُدركُ أنَّ أحداثاً ستجري حاسمه
وتحرَّكَ الأسطولُ يزهو بالحشودِ الآثمة
بالعار، عارِ المعتدينَ، وبالحقودِ العارمة[2]
وتصفِّقُ الآمالُ في صدرِ الجموعِ القادمه:
النصرُ والفتحُ المبينُ وأمنياتٌ حالمه
وغرورُها المجنونُ يحدوها سترجعُ سالمه
للرقصِ، عند «السين» و«التاميز» كانت واهمة[3]

. * . * . * . * . *

فالشَطُّ: ما وجدوهُ مُصطافاً جميلاً، كان جمرا!
وتراجَعَ الليلُ الذي نَسَجوهُ يوماً كانَ فجرا
والتاجُ لم يَخلُدُ كما صنعوه بل صُغناه نسرا[4]
والشعبُ لمْ يركع كما عَهدوه، بل وجدوه حُرا
فَليرسلوا بجنودِهم وعَتادِهم، جواً وبحرا
إنِّيَ هُنا في شاطِيء البارودِ قد أعددتُ قبرا

(١) نشرت في الديوان المطبوع بإشراف وزارة التربية تحت اسم «جول جمال» وكان الشاعر قد ألقاها في الحفل الذي أقامته وزارة التربية والتعليم بقاعة الحرية مساء ١٨ فبراير/ شباط ١٩٥٩ .

(٢) الجمع أحقاد: واستعمل الشاعر حقود ليتم له الوزن ويجوز جمعه على هذا الوزن قياساً.

(٣) السين : اسم نهر في فرنسا يمر من مدينة باريس، والتاميز: والأصل تيمز هو نهر يمر من لندن .

(٤) إشارة إلى الثورة حيث استبدلت شعار التاج بالنسر والملكية بالجمهورية .

لي، أَو لَهُمْ، لا بدَّ من صبرٍ يثير الهولَ مُـرا
لن يأخذوا مصراً، فإنيَّ قد صنعتُ اليومَ مِصرا[1]

*. *. *. *

وعلى الـرمالِ، وبينَ إرعـادِ المنـايـا المُـطْبِقـة
كـانَ الفتى يـرمي الفضـــاءَ بنـظرةٍ مُتــألِّقـه[2]
في عينــهِ عـــزمٌ، وفي جَنْبيـــهِ نـــارٌ مُحـنِقَـه
والجبهـــةُ السمـراءُ تَعْكِسُ روَحَـــه المتـدفِّقَـه
هـــو مُبـــرِمٌ في نفسِـــهِ أَمْـــراً، وهيَّـــأ زَورَقـه
حتى إذا لمـحَ الفـريســـةَ مَنْ بعيـدٍ أطْلَقــه[3]
فـــاشتـــدَّ إعصـــاراً تشيِّعـــهُ العيونُ المشْفِـقَــه
وطواهُ موجُ البحرِ حينَ طوى الحشودَ المُغرقـه

*. *. *. *. *

وتـزاحـمَ المُتسـائلونَ هنـاكَ عَنْ هـذا الشهيــدْ
ذي السحنـةِ العربيـةِ السمـراءِ والبـأسِ العنيـدْ
أتُراه مِن أهلِ الصخورِ، أكان من ريفِ الصعيد[4]؟
وجرى الجوابُ على الشفاهِ، يهزُّ أسماءَ الخلود
قـد جاءَ من بلدٍ وراءَ البيـدِ، أقبـلَ مِنْ بعيـد
ليُضيفَ عِـدَّة أسـطرٍ بيضٍ إلى الأمـلِ الـوليـد
فيقولُ جاري: هل سمعتَ لقد بُعثنا من جديد
قـدْ كانَ يحمي الـلاذقيةَ ههنـا في بور سيعـد

(١) مصر : ممنوعة من الصرف، وصرفت في البيت لضرورة الوزن

(٢) يقصد بالفتى : (جول جمال) وكان طالباً في الكلية الحربية للضباط وهو من اللاذقية في سورية واشترك في المعركة، ودمر واحدة من مدمرات العدو ثم قتل في المعركة.

(٣) الفريســة : هي المدمرة، أطلقه: أي الصاروخ (الطوربيـد).

(٤) في الديوان المطبوع أبدلت كلمة (الصخور) بـ (الثغور) وربما كانت كلمة الثغور لأنها غير واضحة في الأصــل.

في عيد الوحدة

[ألقاها الشاعر بين يدي الرئيس جمال عبد الناصر في مهرجان الوحدة الذي أقيم بميدان الجمهورية يوم ٢٢ فبراير / شباط سنة ١٩٥٩، وقد كلفه بنظم هذه القصيدة كمال الدين حسين وزير التربية آنذاك باسم شباب الجامعات]

أرى مِن أُمتي جيلا ... يسوقُ الحُب إكليلا
مشى في ركبه بَرَدَى ... وجاءَ يعانِقُ النيِّلا
وحيَّا في مواكِبِه ... زعيماً كانَ مأمولا
وما علِقت أمانيهِ ... بأكرمَ منكَ مسؤولا

* . * . * . * . *

جموعٌ أنتَ باعثُها ... وشعبٌ حولكَ التَّفا
سعتْ للخلدِ في وادٍ ... كروضٍ بالمُنى رَّفا
رأيتُهمو وقدْ وقفوا ... وراءَكَ كلُّهم صفّا
شبابٌ إنْ تصافحهُ ... يصافحْ للعُلا كفَّا

* . * . * . * . *

شبابٌ كانطلاقِ الفجـ ... ـرِ يذكرُ ظلمةَ الأمسِ
ويُدركُ أنَّهُ بيديك ... بدد حالكَ اليأسِ
يسرُّكَ في لظى الميدان ... أو في قاعةِ الدرسِ
وإن صِحتَ به لَّبى ... وجَادَ لديكَ بالنفسِ

* . * . * . * . *

جمعت لنـا كـيـانـاً ضـا عَ بين النـاس واضـطربـا
وكـنَّـا في تـخـبُّـطِنَـا... نخـافُ الغـربَ إنْ غضبـا
فـلولاكَ لأصـبـحـنـا فـريـسـتُـهُ إذا وَثَـبَـا
وأَشَـهَـدُ أنَّ أهـلَ الأر ضِ قـد عرفـوا بك العـرَبا

*. *. *. *. *

لـقـدْ شيَّـدتـهـا عُـمُـداً غـداً تـبـقى وبـعـد غـدِ
وكـمْ حـقـقـتَ مـنْ أمـلٍ سـنـذكـرهُ إلـى الأبـدِ
فـضُمَّ الـعُـرَبَ فـي وطـنٍ كـريـمٍ الـعيشِ متَّـجِـدِ
ومنْ عـاشـوا ذئـابـاً فلـ ـيخافوا صولةَ الأسـدِ

*. *. *. *. *

شعب وقائـــد

[قصيدة ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقامه الاتحاد القومي بمناسبة عيد الجلاء - ١٨ يونيه ١٩٥٩]

شعبٌ يعـــانقُ مجدَه المسلوبـــا ... ويـشقُّ آفـــاقَ الـخـلودِ وثـــوبـــا
قـــد أذَّنَ الأحـــرارُ من أبنــائِـــهِ ... بـالبعثِ فـانتفضَ الـرمـادُ لهيبــا
ودعـاهُ داعٍ بـالعـلا كَلِفٌ، فمـا ... ألـفيـتُ إلا ســامعــاً ومـجيبـا
وتلفَّتَ التـــاريـــخُ يشهـــدُ دولـــةٍ ... كُبـرى ويبصـرُ قـــائـداً محبـــوبا

* . * . * . * . *

جيـلٌ تفـرّد بـــالبناءِ وقـــد رأى ... أُفقاً منَ الأمـلِ الجميـلِ رحيبا
ومضى يعمِّق في حضـارةِ يومِـهِ ... ليشيـدَ منه غـــداً أغـرَّ طـــروبا
آيـــاتُ مجـــد سُـــطرتْ بيمينـــه ... سَمِـعَ الوجـودُ حديثَهـنَّ عجيبـا
وانـدَاحَ في الدنيا صدى إصرارِهِ ... في البـأسِ، شبّانـاً لديـه وشيبـا
كـالتبرِ مـدفونـاً بـأعمـاقِ الثَّرى ... يُجلَى فيبـــرزُ لـلوجـــودِ قَشيبـــا
هـذي حكـايـةُ أمتي، في ثـورةٍ ... أهـدتْ إليهـا صـانعـاً مـوهـوبـا
لم يُحيِ شعبـاً واحـــداً لكنّمــا ... أحيـا الإلـهُ على يـدْيـهِ شعـوبـا

* . * . * . * . *

في موكبٍ بالنـورِ يُشرقُ والمنى ... قمنـــا ننالُ من الحيـــاةِ نصيبـــا
لسنـا نقيمُ على الهـوانِ، وإنمـا ... نبغي ســلامـاً للجميـــعِ رطيبـــا
ونمـــدُّ كفـــاً لـلصـــديقِ نـــدّيـــةً ... ونمـــدُّ سيفـــاً للعـــدوِّ خضيبـــا

إنــا لَنؤمنُ بـالإخــاءِ ولا نــرى　　نيـلَ البقـاءِ تشــاحُناً وحــروبـا
ونــدينُ بـالعليـاءِ لا يغلو لهــا　　ثمنٌ ولــو شبَّ النضـالُ رهيبـا
ونشــدُّ بـالإخـلاص أَزْرَ عـروبـةٍ　　كبــرى ستنتـظم البـلادَ قـريبـا
قـد أثخنت قـومي جـراحٌ جمـةٌ　　حتى أتــاحَ لهــا الإلــهُ طبيبـا
فــإذا منـاكبهُم تقُــلُّ[1] حضــارةً　　من بعـد أن كانت تقـل خطوبـا
وإذا الـزمانُ يَعُـدُّ مِن حسنـاتهم　　ما كانَ في المـاضي يراهُ ذنـوبا
اليومَ نحنُ الصاعدوَنَ إلى العلا　　والســالكـونَ إلى الــرقيِّ دروبـا
والعـاشقونَ النصـرَ مـلءَ يمينِهم　　والبــاذلــوَنَ لــهُ دمـاً وقلوبـاً
شعب كهــذا قــادهُ في زحفِـهِ　　رجــلٌ كهـذا لن يُــرى مغلوبـاً

* . * . * . * . *

ومشى الفتى العربيُّ فوقَ بـلادِهِ　　حــراً وأدركَ حقَّهُ المغصــوبـا
الآنَ صـارَ الـدهـرُ طـوعَ بنـانـه　　مَــدَّ الـذراعَ لمجــدهِ تــرحيبـا
شَعَـرَ الورى بكيـانِهِ وهـو الـذي　　قد كانَ في هذا الوجـودِ غريبـا
حتى ضياءُ الشمسِ في إشراقِها　　عن أفقِـهِ لا يستـطيــعُ غـروبـا
فـانهضْ بشعبكَ يـا جمالُ فـإنَنا　　جئنــا نـردِّدُ عهــدنَـا المكتــوبـا
إن شئت أَفعَمْنَا[2] الوجودَ محبةً　　بيضاءَ تَعَبقُ[3] في المدائن طيبا
أو شئتَ أنبتنـا الأديمَ جمـاجمـاً　　تسقي دمـاً يجري لـديـه صبيبـا

* . * . * . * . *

---

(١) تقل : ترفع ، تحمل .

(٢) أفعم : ملأ .

(٣) تعبق : تفوح .

عيد الثورة

[قصيدة لم تكتمل.. إنها آخر ما نظم الشاعر رحمه الله وجدت على مكتبه يوم قتل ومدادها لم يكد يجف..]

أعيدي قصةَ النصرِ وموعِدنا مع الفجرِ
وزحفُ النور مِن غسقِ الدُّجى في ساعةِ الصفر
فتلكَ حكايةٌ يا أُمّتي أحلى من العمر

* . * . *

.. وكانَ بهامشِ التاريخ شعبٌ يائسٌ ضائع
يُباعُ ويُشتري والحقدُ مطويٌ به جائع!
وقدْ يعدو على الشاري ولا يقوى على البائع

* . * . *

وطالَ بنا الحنينُ إلى انبلاجِ الفجر يا بلدي
ويختنقُ الدعاءُ: متى سأفرشُ بالضياء غدي
مضوا يستبعدونَ أبَي ولن يستعبدوا ولدي

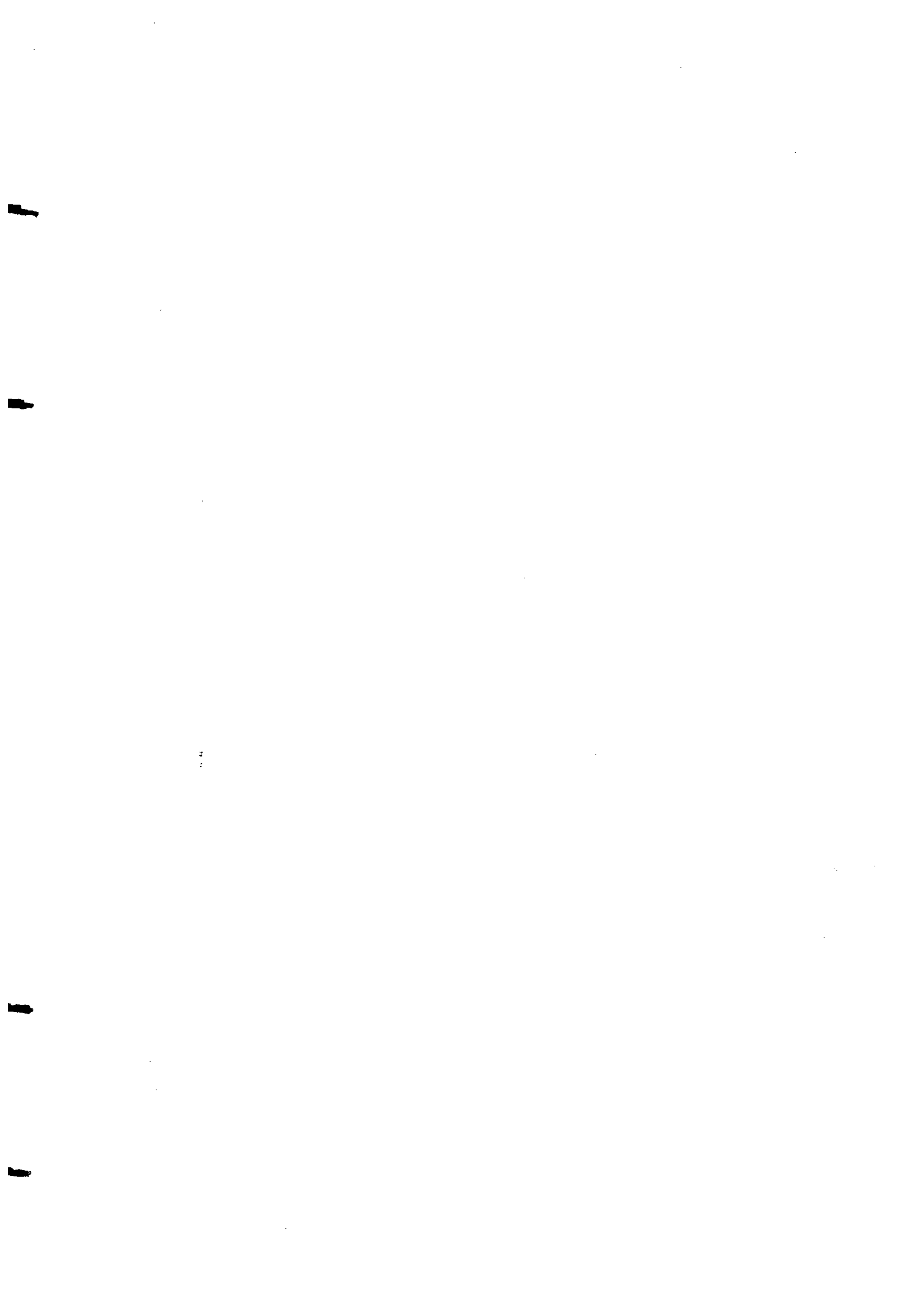
* . * . *

وجزّارينَ قد شرعوا مُدىً مجنونةً الذبحِ
تعالتْ صيحةُ الأحرارِ في إشراقهِ الصبح
جنودُ البعث قد جاءوا بنصر الله والفتح

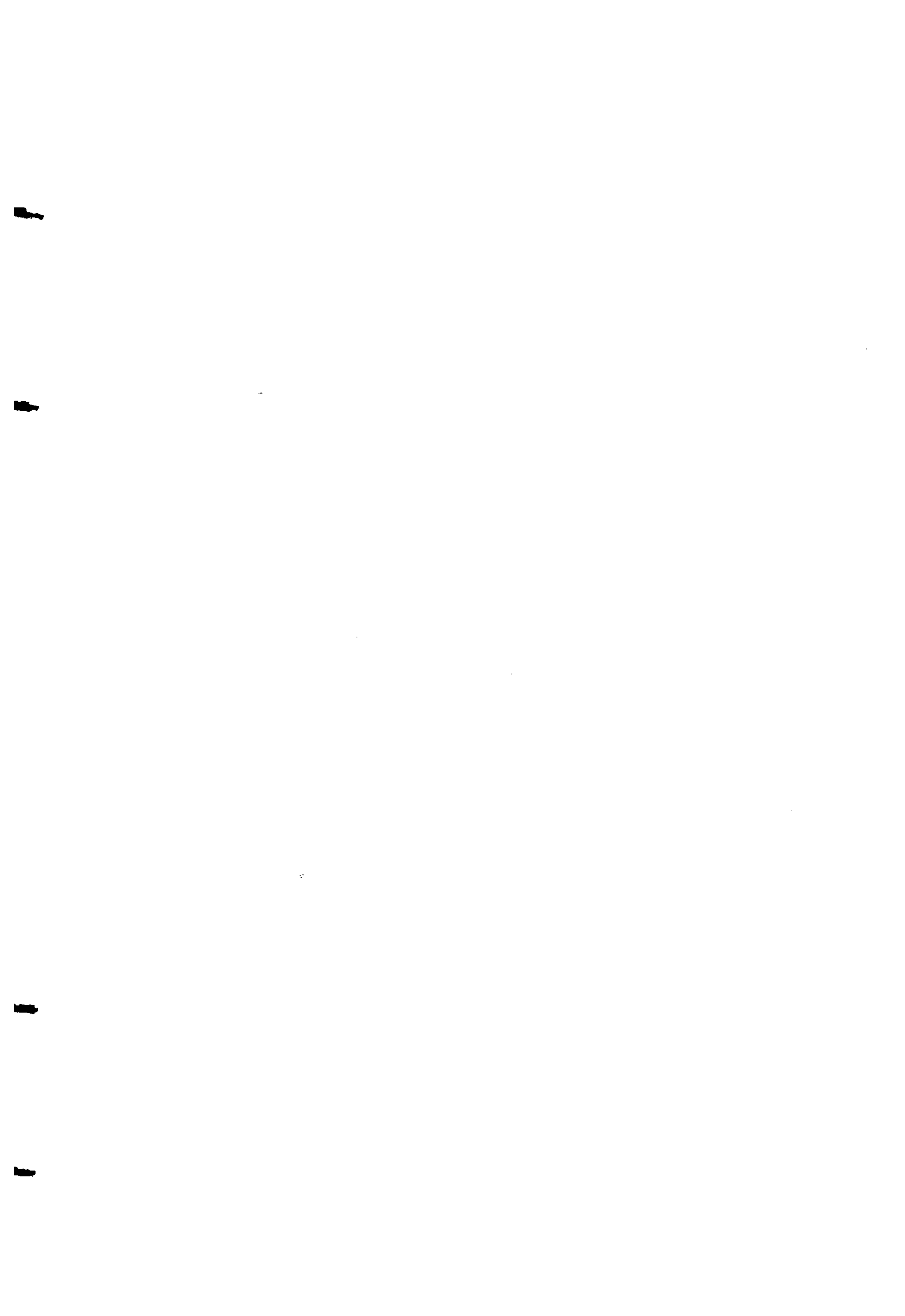
* . * . *

وعـادَ النورُ في الأرجـاءِ يغسلُ جبهـةَ الساجـد
فيبني صـرحَ عـزتِـهِ قـويًّ الــروحِ والسـاعــد
ويشهدُ تحتَ ظلِّ البِشِـرِ موكبَ مجـدِه العائـد
ويغمـرُ صفحـةَ الأيــامِ حبُّ الشعب للقـائــد
لقـد عشنـا وكـانَ النصـرُ في أذهـاننـا فكـره

* . * . * . * . *



مَديح وَمُناسَبات



عودة الأبطال (١)

[إلى آساد مصر من قوة الفالوجة وإلى الضبع الأسود قائد هذه الكتيبة المكافحة الظافرة] ١٣ / مارس / آذار / ١٩٤٩

أعـدَّ اليـومَ لفـظكَ والكـلامـا ... لتُهـديهـا التحيـةَ والسَّـلامـا

جنـودٌ كـالأسـودِ أمـا تـراهُمْ ... مَضَـوْا أُسْداً وجـاءوا كـرامـا

وعـاشـوا عيشـةً ضَنكـاً ولكنْ ... رعـوْا شَرفاً لنـا وحَمـوا زِمـاماً

وكـانـوا يـأكلون العشبَ علماً ... بـأنَّ سـواهُ لنْ يجـدوا طَعـامـاً

وجـاءَتْ نـافثـاتُ المـوتِ تـرمي ... حِمـاهُمْ كيْ تصيِّـرهُ رُكـامـاً(٢)

فلوهُمْ سَلَّمـوا، مـاذا عليـهم؟ ... ومـا كنّا لهمْ نُـزجي مَـلامـا

ولـكـنَّ الأسـودَ أبَـتْ وظـلتْ ... منـاضلةً وصـارعتِ الحمـامـا

لئِنْ حَسـبـوا حصـارهُـمُ يؤدِّي ... إلـى قـوّاتـهـمْ مَـوْتـاً زؤامـاً

فـقـدْ ضلّوا۔ وربـيّ ۔ إذْ أرادوا ... هـلاكـاً لـلأسـودِ أو انهـزامـا

فلمْ نسمع بـأنَّ الذئبَ يـومـاً ... قـد اتَّخـذَ العـرينَ لـه مقـامـا

«ويـاطـه» عَـظُمتَ بكـلِّ قُـطرٍ ... وبـالإقدامِ قـد نلتَ الوسـامـا(٣)

فمِنْ فَـزعٍ وعن رُعبٍ نـراهم ... أضـافوا لاسْمـك الضَّبْعُ الهُمـاما

---

(١) أسماها الشاعر في «نسيم السحر» «يوم النصر» ثم عاد وغير العنوان في المجموعة المسماة «آهات شريدة» كما هو في هذا الديوان.

(٢) يقصد بنافثات الموت (الطائرات).

(٣) اسم ضابط مشهور (السيد طه) أظهر الشجاعة والصبر في حرب فلسطين.

يتيهُ النيلُ والأهرامُ فخراً بجندٍ من بنيه اليومَ قاما
يردُّ أذىً لصهيونٍ عليهم ويحتضنُ الأرامَلَ واليتامى
سَلمتَ منَ الرَّدى يا جيش مصرَ وعاشَ الضبْعُ قائدُنا وداما
رعى الفاروقَ ربُّ العرشِ إنا لنرجوا دائماً ألَّا يُضاما[1]

* . * . * . * . *

(١) حذف هذا البيت من المجموعة الأخيرة وكان قد عدَّل في كثير من أبيات القصيدة وتجنب الأخطاء النحوية التي وقع بها في «نسيم السحر».

تحيــة (*)

غنيٍّ القريض لكيْ يحيِّي أحمدا ... ردِّدْ وأنشـدْ يـا قـريضُ مُمجِّـدا

وانشرْ على سمعِ الزمان قصيدةً ... صيغَت نُضارا في الثناءِ وعَسجدا

واذكــرُ مـآثــرَ أحمــدٍ من آلِــهِ ... فخـرُ المـلا طـراً وأكـرمُهم يـدا

* . * . * . * . *

يا ابنَ الكرامِ الصيدِ والغرِّ الألى ... بيمينهمْ علمُ المــروءَة والنَّــدى

يا صاحبَ الأدبِ الغزير ومن لهُ ... خـرَّتْ جبـابـرةُ البـلاغـةِ سُجَّـدا

لـكَ في البيـانِ روائـعٌ مَشهـورةٌ ... أضحى الزمانُ بهـا وباتَ مُغـردا

فاسلكْ طريقَكَ للنجاح مجـاهداً ... ليسَ الطريقُ إلى النجاح مُعَبَّـدا

* . * . * . * . *

يا فرعَ أزكى سرحةٍ قد نلتَ ما ... تبغي وتنشدُ من علاً رغم العِدا

هيهاتَ يا خيرَ الصحاب سـريرةً ... وأمدَّهم في الكرب عوناً إنْ بدا

أَنْ يسبقَنَّـكَ أو يـدانيــك امـرؤٌ ... مجـداً وعزاً في الحيـاةِ وسؤددا

* . * . * . * . *

(*) مهداة إلى الزميل الشيخ أحمد علي أحمد ـ في معهد الزقازيق ـ تم نظمها في ٨ يوليو ـ تموز ـ ١٩٥٠ .

الأستاذ الأكبر

عبد المجيد سليم(*)

الكونُ أشرقَ: أرضه وسماؤُهُ ... وتضوعتْ طيباً بكمْ أرجاؤُهُ(1)
والبلبلُ الصَّداحُ في روضِ المُنى ... أسَرَ المشاعرَ والقلوب غناؤُه(2)
وسمعتُهُ بين الغصونِ مُردداً ... والبشرُ فوقَ الوجهِ يقطرُ ماؤهُ
يا قومِ نالَ القوس باريها فلا ... عذراً لقلبٍ لا يفيضُ هناؤهُ

* . * . * . * . *

(*) بمناسبة إسناد مشيخة الأزهر إلى فضيلته ـ أكتوبر ـ تشرين أول ١٩٥٠.
(١) تضوع : فاح.
(٢) صدح : بمعنى صاح، وهنا بمعنى غنيَّ.

النائب المحترم الشيخ عبد العظيم عيد (*)

بنبوغِكم ضُربَ المثالْ ... وعُلُوكُم صَعبُ المنالْ
يا مَنْ يَعزُّ شبيهُهُ ... في النُّبلِ أو كرَمِ الفَعالْ
لما أتيتَ يلفُّكُم ... ويحوطكم نورُ الجلالْ
سطعَ الضياءُ بحيِّنا ... وبدارنا بَزَغَ الهلالْ
عبدَ العظيمِ تحيةً ... يا من إليه القلبُ مال(1)
يا أيُّها الشيخُ الذي ... قَدْ زانَه طيبُ الخصال
نِلْتَ المكارمَ والتُّقى ... وإليك ينتسبُ الكَمالْ
وعرَفْتُ فيكَ فضائلاً ... وعهدتُ نُبلا في الخِلالِ
والعزْمُ منكَ رأيتُهُ ... في الحقِّ يثبتُ كالجبال
وأرى التواضعَ مَذهباً ... لك لا افتخارَ ولا اختيال
يا قومُ بشرى جاءكُمْ ... نورٌ وليلُ الكربِ زال
سَينوبُ عنّا عالِمٌ ... عَرَفَ الحرامَ مِن الحلالْ
عبدَ العظيمِ بلادُنا ... تبغي النجاةَ والانتشاذل
قَدْ أُهمِلَتْ أنشاصُنا ... بسنيْ تغيُّبِكَ الطِّوالْ

(*) ألقيت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في ٢٩ ديسمبر ـ كانون أول ١٩٤٩ بحضرة النائب المذكور تحية له.

(١) كان البيت كالتالي:

عبد العظيم بخالقي ... قسماً إليك القلب مال

[المختارات]

إن رمتَ جُنداً إنَّنا أُسدُ الملاحِمِ والنِّضالْ
ولكُمْ نجودُ بروحنا وبكلٍّ مرتَخَصٍ وغَال

* . * . * . * . *

عبدَ العظيمِ بمصرِنا شاهدتُ عهد البغي طال
ورأيتُ إجراماً فشا ورأيتُ أمناً في اختِلَال
وأرى الكرامَةَ أُهْدِرتْ ودَمُ الشبابِ أراهُ سال
حَكَمَ الطُّغاةُ فعهدُهُم عهدُ المذلَّةِ والوَبال

* . * . * . * . *

عبدَ العظيم ملكتَهَا من غيرِ شكٍ أو جدال
مَنْ رامَ غيرُكَ نَيْلَها فكأنَّما طَلَبَ المُحال
كيفَ النَّجاحُ وما لهم فيها نياقٌ أو جِمَال؟!
شتَّانَ بينَ من اتقى ربَّ العبادِ وبين ضالّ

* . * . * . * . *

النائب المحترم(*)

[الشيخ عبد العظيم عيد]

عَلَوتَ مكانةً وعَظُمتَ مجداً ... ونلت لدى الورى عِزاً وسَعدا
تُقدِّرك البلادُ وأنتَ فردٌ ... يفيضُ لك الفؤادُ هوىً وودّا
بذكرك تلهجُ الدنيا وراحتْ ... تشيد بمجدكَ الأيامُ حَمدا
فما لي لا أصوغُ لكم ثناءً ... تموتُ به العدا كمداً وحِقدا
سعيتَ إلى العلا والمجد حتى ... بلغتَ من العُلا والمجد قَصدا[1]
وما العلياءُ تُدرَكُ بالتَّواني ... ولكن تؤخذُ العلياءُ كداً[2]
فمنْ نبعِ الولاء سُقيتَ شَهداً ... وللشرفِ الرفيع وردتَ ورداً
وحسبُك منه أنَّك من رجال ... عهدناهم لدى الأحداثِ أُسدا
أراهمْ أبرموا للنيلِ عهداً ... فما خانوا لوادي النيل عهدا
وقاموا للكفاحِ ونحنُ شعبٌ ... يشاء لجندِ الاستعمار طردا
يقرِّب من أراد النيلَ حراً ... ويبغضُ من يريدُ النيل عَبدا

(*) أبريل ـ نيسان ـ ١٩٥٢ الوفد المصري يرشح النائب المذكور بدائرة إنشاص. هذه القصيدة في نسخة «آهات شريدة» فقط.

(١) نلاحظ أن الشاعر أضفى على الممدوح صفات كثيرة وبالغ في مدحه على طريقة القدماء.

(٢) هذا البيت يقتبسه الشاعر من بيت شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فيا خيرَ الرجال الصِّيد ذكراً ويا ابن الأكرمين أباً وجدّا

لأنتَ أعز من قومٍ مكاناً وأعظمُ رفعةً وأبَرُّ وعَداً

لهمْ أملٌ يراودُهم، وإنا نخطُّ لهذِهِ الآمالِ لَحدا

فلا تَعجلْ أبا عيدٍ ودعنا نمد لهمْ خيوطَ الوهمِ مَدّا

وأجهلُ ما يكونُ المرءُ يوماً إذا ما شاءَ للعنقاءِ صَيدا(١)

فقلْ لمن ابتغى للنجمِ نيلاً وشاءَ لراسخِ الأركانِ هدّا

ضللتَ وكنت يوماً ذا جنانٍ ألا سُحقاً لمن ضَلُّوا وبُعدا

ستعلمُ أيُّنا شرٍ مكاناً وأضعفُ ناراً وأقل جنداً(٢)

عجبتُ لمن يراهُ الناسُ قِطاً ويجعلُ نفسه لليث نِدّا

* . * . * . * . *

(١) العنقاء : الداهية، وأصلها طائر عظيم معروف الإسم مجهول الجسم.

(٢) يضمن معنى الآية الكريمة: ﴿فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً...﴾ [سورة مريم ٧٥].

تهنئـــة(*)

الـــزهـــرُ بينَ زيـــاضـــهِ بســـامُ ... قـــدْ عُـطرت بـــأريجِـهِ الأنْســـامُ

قـدْ شـاءَ تهنئـةً بيـومِ زفـــافكم ... ويـــدُّ لـوْ نَـطَقَتْ بـهِ الأكمـــامُ

أوَ مـا تَـراهُ تضـــرجتْ وجنـاتُـــهُ ... حتى كـــأَنَّ بـــوجـنـتيـــهِ ضـــرامُ

خجـلاً يُغالبُ في اهتـزازٍ صمتَهَ ... والصمـتُ في بعضِ الأمور كَلام

وكـذاكَ حالي في السـرورِ وإنما ... عيٌّ اللســـانِ بـــهِ فكيفَ أُلامُ ؟

* . * . * . * . *

(*) كتبت بناء على طلب الزميل عبد المنعم يوسف البنا. ليرفعها إلى أحد أقاربه مهنئاً بزفافه، ولعلها قيلت سنة ١٩٥٥ المحقق.

الموسيقار محمد عبد الوهاب[1]

يـا شـاديَ الشـرقِ هـذا الصـوتُ من ذهبٍ
سَـلمتَ لـلفـنِّ يـا قـيـثـارةَ الـطربِ
يـا مُـرسـلَ اللحنِ تـهتـز الـقـلوبُ لـه
وتَسـبـحُ الـروحُ فـي دنـيـا مـن الـعـجـبِ
لـمْ يـلبـثِ الـنـغـمُ الـشـرقـيُّ ذا ضِـعـةٍ
حتى بـدا منـكَ في أثـوابـهِ الـقُشُـبِ[2]
جـعـلتَ لـلفـنِّ والـفـنـانِ مَـنـزلـةً
في النـاسِ تسمـو على الألقـابِ والـرتبِ

* . * . * . * . *

(١) رسم الكاتب صورة محمد عبد الوهاب في أعلى الصفحة وكتب هذه الأبيات بعدها في نسخة «آهات شريدة» والقصيدة غير موجودة في «المختارات» يونيه - تموز - ١٩٥٢.

(٢) القشبُ : جمع قشيب وهو الحديث والجديد.

قلوب العــذارى(*)

بيانٌ كأزهارِ الربيعِ النواضرِ … تبدَّى بهاتيكَ الثمارِ البواكرِ
هو النَّغمُ النثريُّ ينسابُ حالماً … فيفضحُ في الألحانِ صرحَ المزاهرِ
أتانا بهِ من عالمِ الروحِ مرقمٌ … لخيرُ معينٍ للعذارى وناصرِ[1]
صديقٌ تمسُّ النفسَ آياتُ فكرهِ … يراعتُهُ كمْ سطرتْ من مفاخرِ
إذا ما بناتُ الفِكرِ منه بدتْ لنا … ملكنَ للبِ بالأحاسيسِ عامرِ
فمنْ قصصٍ قد فاضَ نوراً وحكمة … إلى خالدٍ في دولةِ الشعرِ ساحرِ
روائعُ آدابٍ وبالغُ عِبرةٍ … وكمْ من عظاتٍ لمْ تكن من منابرِ
هو الناثرُ الموهوبُ والشاعرُ الذي … إلى شعره تهفو قلوبُ الجآذرِ[2]
سقتهُ الغوادي، مُلهماً يسلبُ النُّهى … عَدتهُ العوادي من أديبٍ وشاعرِ[3]
فقلْ للعذارى قد رُزقتنَّ آسياً … يُخففُ من بلوى خفيٍّ السرائرِ[4]
يؤرِّقُهُ أن تذرفَ الدمعَ مقلةٌ … لهنَّ ويُضنيهِ أنينُ الحرائرِ
يُعاني من الآلامِ في الحبِّ والهوى … شقياً بجدٍ في الصبابة عاثرِ
وتربطهُ بالبائساتِ من الأسى … ومن ضائعِ الآمالِ أقوى الأواصرِ

(*) كانون أول ـ ديسمبر ـ ١٩٥٢. الزميل الأديب السيد حامد السنجري تقريظاً لكتابه «قلوب العذارى».

(١) المرقم : الكتاب.

(٢) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية، والجمع جآذر.

(٣) الغوادي : جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ صباحاً النهي : العقل

(٤) آسياً : طبيباً ومعزياً.

عـرفتُ لهُ قلبـاً يُحـرِّقـهُ الجـوى ولكنَّـهُ في حبِّـهِ غيـرُ صـابرِ[1]

وأعهـدُ فيهِ الميـلَ للغيدِ والـظِّبا على أنَّـهُ في ميلهِ غيـرُ فاجرِ[2]

لـهُ أمـلٌ حلوٌ يُـداعبُ روحـهُ وكمْ أملٍ قد ضاعَ للقلبِ عاطرِ

وفيٌّ لخـلَّانِ الحـداث والصِّبـا طموحٌ إلى العلياءِ، جمُّ المآثرِ[3]

حلفتُ بربِّ البيتِ ما كانَ وضعُهُ «قلوبَ العذارى» اليومَ وحياً لخاطرِ

ولكنَّـهُ من صادِقِ الحسِّ صـاغهُ فجـاءَ فريـداً في سموِّ المشـاعرِ

ألا فاخفِضوا الهـاماتِ منـا تحيةً لقلبٍ يفيضُ الحبَّ والودَّ زاجرِ[4]

* . * . * . * . *

---

(١) الجوي : الحرقة وشدة الوجـد.

(٢) الغيـد : النعومة. امرأة غيداء: امرأة ناعمـة.

(٣) الخلان : جمع خل. والخليل: وهو الصاحب. الصبا: الحداثة.
جم المآثـر : كثيـر المزايا.

(٤) هذه القصيدة في المجموعة الأخيـرة أيضاً.

موسيقى سامبـا(*)

[للموسيقار محمد عبد الوهاب].

يـا فـتـنـةً مـركَّـبـة | مـن نـغـمٍ مـا أعـذبَـه
تـلعبُ فـي الألـبـابِ فـي | طـلاوةٍ مـحـبَّـبـه[1]
صـيَّـرتِ كـلَّ قـطعـةٍ | سـواكِ غـيـرَ مُـطربـه
غـدوتِ بـيـنَ فَـنِّـنـا | أمـيـرةً مـعـصَّـبـه
صـاغـتـكِ روح مُـلهـمٍ | فـي فـنِّـه مـا أعـجبَـه
قـد جـاءنـا بـكـلِّ ذا | تِ نـشـوةٍ مـرتـقـبـه
وكـمْ يـقـولُ قـائـلٌ! | غـربـيـةٌ مـعـرَّبـه[2]
فـاعجب لـهُ من حـاقـدٍ | والحقـدُ يـردي صـاحبـه
لـو حـاولَ الـدَّعـيُّ أن | يـسلكَ فـيـهـا مـذهـبـه
أعـيـاهُ جـهـلٌ وبـدتْ | أنـغـامُـهُ مـضـطربـه
عبـدَ الـوهـابِ أنتَ للفـ | ـنِّ مـن اللهِ هِـبـه
بـلغـتَ عـن جـدارةٍ | فـيـهِ لأسـمـى مَـرْتـبـه
فـلا تُـطعْ لـحـاسـدٍ | داءَ الـحـسـودِ أتـعَـبـه

(*) ابريل ـ نيسان ـ ١٩٥٣. أية نفحة سماوية تلك التي تتشمى في الأفئدة لحناً رائعاً أخاذاً [الشاعر].

(١) الألباب : جمع لب، وهو العقل. الطلاوة: (بفتح الطاء وضمها) الحسن.

(٢) أي أنها غربية أخذها الموسيقار وجعلها عربية وأدعاها لنفسه.

كتب في ذيل إحدى صفحات مجموعته (آهات شريدة) هذين البيتين:

لا تسقني مـاءَ المـلامِ فـإنني عُـذِّبتُ من ظُلمِ الحبيبِ النائي
وهجرتُ ماءَ الكأسِ إني في الهوى «صبٌ قد استعذبتُ ماءَ بكائي»

* . * . * . * . *

زفــاف صديــق (*)

يــا وحــيَ فــنــي أعــنــيٍّ ... فــي الــقــولِ يــا وحــيَ فــنــي
كــيــمــا أذيــعُ نــشــيــداً ... عــلــى الــورى، وأغــنــي
هــيــأتُ لــلــشــعــرِ كــأســي ... فــهــاتِ لــي الــيــومَ دِنــيٍّ
أشــدو بــســحــرٍ حــلالٍ ... عــلــى الــكــمــانِ الــمــرنِّ
قــد صِــغــتُ لــحــنــاً شــجــيــاً ... فــأيُّ لــحــنٍ كَــلــحــنــي
وجــئــتُ أهــديــهِ عَــلِّــي ... أَفــي بــه بــعــضَ دَيــنــي
هــذي الــبــقــاعُ تَــبــدتْ ... فــي ثــوبِ عــزٍ وحُــســنِ
وقــامَ فــيــهــا بــشــيــرٌ ... لــلــســعــدِ فــي كــلِّ رُكــنِ
وغــرَّدتْ فــي هــنــاءٍ ... طــيــرُ الــربــى فــوقَ غُــصــنِ
مــحــمــدُ الــيــومَ أُزجــي ... تَــحــيــتــي وأُهــنِّــي
فــإنْ ســعــيــتُ فــســعــيــي ... إلــى صــديــقٍ وخِــدنِ
وإن مــدحــتُ فــمــدحــي ... عــن غــيــرِ زورٍ ومَــيــنِ
أو إن أفــضــتُ ثــنــاء ... فــذلــكَ الــحــقُّ مــنــي
نَــفــســي فــداؤُكَ خِــلاً ... قَــرتْ بِــهِ الــيــومَ عَــيــنــي
ولــيــس كــلُّ صــديــقٍ ... فــي الــودِّ يــصــدقُ، ســلــنــي
كــمْ مــظــهــرٍ حُــســنَ ودٍ ... يــبــيــتُ فــيــكَ بــضــغــنِ

(*) في يوم الخميس ٢٣ يوليو ـ حزيران ـ ١٩٥٣ تم زفاف الصديق الأستاذ أحمد إبراهيم الزق، فكتبت إليه بهذه القصيدة مهنئاً. [المجموعة الأخيرة].

عليهِ ثوبُ رياءٍ قد قُدَّ من نسجِ جُبنِ
من يزرعِ الخيرَ يحصدْ عقباهُ في غيرِ غُبنِ
فإنْ أكنْ في ثناءٍ عَلَيكَ أُرهفُ ذهني
فأنتَ فينا كبيرٌ وفوقَ ما أنا أثني
ومن تَعهَّدَ شراً فليسَ إلاهُ يجني

*. *. *. *. *

يا آلَ زقٍ عَهدنا فيكمْ سماحةَ مُزنِ
تُبدونَ للضيفِ جُوداً عنْ غيرِ بُخلٍ وضَنِ
فأينَ ما قد طَبختمْ تاقَتْ إلى الأكلِ بطني
أريدُ أرزاً شهياً عليهِ من لحمِ ضأنِ
وإنَّ زوجَ حَمامٍ يعومُ في شبرِ سمنِ
يقوم خيرَ مقامٍ عنِ الديوكِ ويُغني
مدحتُ فيكمْ وإني أسهدتُ في النظمِ جَفني
فإن أرَ اليومَ بُخلاً هدمتُ ما كنتُ أبني
فسالموني وإلا قَلبتُ ظهرَ المِجنّ
وويلكمْ من لساني لو خابَ في الأكلِ ظني

*. *. *. *. *

تَحيتي يا صَديقي قد ساقها القلبُ عني
فَبينكَ الودُّ باقٍ مدى الحياةِ وبيني
لبستُ رغمَ الأعادي ثَوبَي سرورٍ وَيُمنِ
وعشتُ في خَيرِ حالٍ وفي هناءٍ وأمنِ

*. *. *. *. *

فرحة الشفاء[*]

سلمتَ، وعاد البُرء ينتظم الجسما ... فلا ذقت داءً ما حَييتَ ولا سُقما

ولا طلعتْ شمسٌ يـراكَ نهارهـا ... عليلاً له قد راش كف العنا سهما

ولمَّا نما لي نـازل السُّقمِ نالني ... من الحزن ما أضنى الفؤادَ وما أدمى

ألا إن آذانـاً سَمعنـا بهـا النّبـا ... تمنيت لو كانت، ولم ندرهِ، صما[1]

وإنَّ امرءاً قد شاء رؤياك مُوجعاً ... وددت له لو كان بين الورى أعمى

وإني لأمسي دامي القلب والهـاً ... عليكَ إذا ما الضُّر مسَّك يوماً ما

عهدتُك لي في منزلِ العِلم والدا ... إذا الدهرُ بي يومَ الشدائدِ قدْ هما

يفيضُ جميلُ العطفِ منك وبعضُهم ... حليفُ خداعٍ مجَّ من فمِهِ سما

وما صافحَتْ يُمناكَ كفاً لجـاهلٍ ... وغيـرُك بين الناسِ قَـطَّعها لثمـا

وإنَّـك من قومٍ تسـامى نجارُهم ... سنا الفرع عن أصل المكارم قد نمَّا[2]

أخو عزمةٍ لا يرهبُ الدهرُ غيرها ... وذو مُهجةٍ لا تقبلُ الضيمَ والظُّلما

ومثلُك منْ لو شاء مجـداً لنالَـهُ ... وأدركه بالعـزمِ والهمة العُـظمى

جـوادٌ ومفضـال وبَـر وعـالِـمٌ ... فلمْ أرَ حياً قلبهُ ضمَّ ما ضما[3]

على أنَّني لم أدرِ كيفَ رأتْ له ... أعـاديه أمجـاداً ولمّـا تَمُت غمـاً

حمدتُ إلهي حينَ عدت بصحةٍ ... إلينـا، وكم لله عندي من نُعمي

(*) أهديت لصاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم يونس المدرِّس بالمعهد تهنئة بشفائه من مرض ألمَّ به ١٨ يناير ـ كانون ثاني ـ ١٩٥٤.

(١) يقصد بالنبا . النبأ.

(٢) النجـار : الأصل والحسب.

(٣) في هذا البيـت مبالغة رديئـة.

فتحي رضوان(*)

بشرٌ تدفق في الفؤادِ وفي الفَمِ ... أنىً يعبــرُ عنــهُ وحيُ المــرقمِ
هذي المدينة والقرى من حولها ... علقِ الســرورُ بثغـرهــا المتبسم
في القلب منها نشوةٌ، فلسانها ... قـد صـاغهـا تـرنيمـة المترنِّم
قـد أشرقتْ لمـا أتى فَتحي بِها ... شمسان: شمسُ علاً وشمس تقدم
للهِ هــذا العهـدُ من عهـدٍ بـه ... لبستْ بـلادُ النيل ثـوبَ المكرم
خلعتْ رداء شقائها لمـا انقضى ... عهـدُ من الليـل البهيم المـظلم
ولـطالمـا أشتـد الأنين لهـا وقـدْ ... لُقيتْ شقـاوتُـهـا بفـكٍ مـلجَم
كم ذاقَ في النيل الأسى أهلوه من ... ألمٍ بـأحنـاءِ الـضلوعِ مُـكتَّـم
واستعـذبَ البـاغـون إذلالاً لـهُ ... فسقـوه من دنِّ العـذابِ المُفعم
حتى أتى جيشُ البـلادِ مخلِّصـاً ... من نيـر ظلمٍ بـالبـلادِ مخيـم
فتحي: أحقـاً كُنتمُ قــد شئتُّـمُ ... تـركَ الكنـانـة للفسـادِ الأقـدم[1]
هل طاوعتكم حين ذاك قلوبُكم؟ ... يـا للقـرار المـذْلَـهِمِّ الأشـأم
كيفَ السبيلُ لترككم حُكماً سما ... بالنيلِ نحو المجدِ، نحو الأنجمِ؟

(*) تحدد يوم ١٠ أبريل ـ نيسان ـ ١٩٥٤ ليزور فيه وزير الدولة السيد فتحي رضوان معهد الزقازيق وكان من المقرر أن تلقى هذه القصيدة بين يديه، ولكنه لم يحضر، وبالتالي لم تلق القصيدة.

(١) إشارة إلى الصراع الذي كان يدور بين محمد نجيب والضباط الآخرين. واعتزام هؤلاء ترك الحكم والعودة للجيش للضغط على محمد نجيب، والشاعر لا يدري حقيقة ما يدور آنذاك.

أيريدُ قادتُنا الـرجوعَ كمـا مضى   من سالف العهد البغيضِ المؤلم
أيـامَ بـات النيـلُ فـاقـد عِـزِّهِ   يجري الفسادُ بجسمِهِ مجرى الدَّم
رجعيــةُ الأحـزابِ تـدفعــهُ إلى   ذلٍ تَجـرَّعَـهُ كـطعمِ الـعلقـم
ومساوىءُ الإقطاعِ ما تركت لـه   غيـرَ المهانـةِ والشقاء الأسحم[1]
هـلْ كان وادي النيـل إلا ضيعةً   يلقى بهـا الأتبـاعُ كـلَّ المغنَمِ
لا، لا نريد إلى المهـانَةِ عـودةً   يكفي الذي قد نـالنا من مغـرم
ونريدُ أنْ تلقى الكنانةُ في الورى   مـا ضاع من مجـدٍ لهـا متهـدِّم
بـالفتيـة الأحـرارِ من قـوْادنـا   من كـلِّ حُـرٍّ للبـنـاءِ مُـدعَّم
فتحي! إذا ما جئتَ مجلس قادة   عنـا لهُ قـل: قد بـدأت فأتمِم

* . * . * . * . *

(١) الأسحـم : الأسود المظلم، ويأتي بمعنى البقر، وفرخ البازي.

أنــور السادات(*)

نــورٌ أضــاءَ معــالِمَ الجنبــاتِ　　وسنىً بهـذي الأربـعِ النَّغِـراتِ
لمّـا طلعتَ بهـا تـدفَّقَ نَشـرُهـا　　يُبـدي الـودادَ بـأصـدقِ الآيــاتِ
والكـلُّ يهتفُ من صميمِ فؤادِهِ　　يـا مـرحبـاً بـالقـائِدِ للســاداتِ

*. *. *. *. *

يـا قاضيـاً بـالحقِّ فيمنْ أفسـدوا　　حكمـاً لنا في سـالفِ السَّنـواتِ
يمناكَ كم وَضَعَتْ غداة وثـوبِكم　　في صرحِ وادي النيلِ من لَبِناتِ
أنا لستُ أنسى يومَ ثـورةِ جَيشِنا　　صـوتاً قـويـاً صـادقَ النَّبـراتِ(1)
قَدْ رَنَّ في المذياعِ صوتُك حاملاً　　بُشــرى بعهــدٍ دافقِ الحَسَنــاتِ

*. *. *. *. *

قلمُ التحـرُّرِ أنتَ صـاحبُ غيثِـهِ　　يهـدي لمصـرَ عجـائبَ النَّفثـاتِ
ترمي الخئونَ بلاذعٍ من جَمرِهِ　　حتى يـعــودَ بــدائمِ الحسراتِ
وتخطُّ للنيـلِ الطريقَ إلى العُـلا　　فنرى بريقَ المجدِ في الكَلِماتِ

*. *. *. *. *

حيّــا الإلـهُ من الكنــانَـةِ فتيــةً　　هم للرُّبى والنيـلِ خيـرُ حُمـاةِ
قَدْ أبصروا الوادي حزينـاً غارِقـاً　　في لجـةِ الـطغيـانِ والـظُّلمــاتِ

(*) زار أنشاص في يوم الجمعة ٥ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٤ وصلّى بمسجد - البلدة - وقد ألقيت هذه القصيدة بين يديه، في هذا الحفل الكبير. [في الديوان المطبوع (صوت الثورة)]

(١) يشير إلى إذاعة بيان للثورة بصوت أنور السادات.

فسَعوا إلى الغريقِ وأبعَدوا جَلاَّدَه في جُرْأةٍ وثَبَاتِ

فإذا بِنا والعهدُ عهدٌ مُشرِقٌ والحكمَ حكمٌ أبيضُ الصَّفحاتِ

* . * . * . * . *

إنَّ الجراحَ بمصرَ كانتْ جَمَّةً أوْدى بها مُتفرقُ النَّزعاتِ

باتتْ تَبثُ اللهَ شكواها وكَمْ فاضَتْ جفونُ العينِ بالعَبَراتِ

منها كان جمرةَ مُضرَمٍ تسري بِهِ الأنفاسُ مُستعراتٍ

حتى سرى في النيلِ صوتُ مُؤذِّنٍ بالفجرِ: فجرِ المجدِ والعَزَماتِ

فأعادَ للوادي الحياةَ عزيزةً فمضى مَجيداً آمِنَ العَثَراتِ

اليومَ تَشييدٌ وغرسٌ في الحمى وغداً سَنجني أطيبَ الثَّمراتِ

* . * . * . * . *

إبراهيم جادو (*)

إنَّ الـخلودَ: عــزيـمــةٌ وجهــادُ — يهنيـكَ مـا قـدْ نلتَـه يـا جـادُو
هـذا الـذي أدركتَـه دونَ الـذي — قد أدركته على يديكَ الضَّـادُ[1]
والفضلُ في بردَيـك يُشرِقُ بَيننـا — والـرائِـدانِ: العلمُ والإرشـادُ[2]
فـاسلكْ طريقَـك للأمـامِ فإنَّمـا — بيـدِ الـرجـالِ تُسطَّر الأمجـاد

* . * . * . * . *

(*) قيلت تهنئة له بمناسبة اختياره أستاذاً بكلية أصول الدين.
(١) الضاد : يقصد به اللغة العربيـة.
(٢) البرد : نوع من الثياب والجمع برود وأبراد.

عبد السميع السنباطي (*)

أيُـذكَـرُ سيبـويـه ونحنُ فينـا | أمينُ تـراثِـه عـبـدُ السَّميـع
إذا بلغَ الـذُّرى بـالضـادِ قـومٌ | رأينـاهُ عـلى رأسِ الـجـمـيـع
سـرِعُ إجـابـةٍ، سبَّـاقُ شَـرْحٍ | وليسَ إلى التكـاسُـلِ بـالسـريع
يَصبُّ الدرسَ في الأذْهانِ صَبا | بـأسـلوبٍ لـه فَـذٍ بـديـع[1]
متى ينـطِقْ فنحنُ لـديـهِ أسـرى | وتلكَ طبيعـةَ الرَّجُـلِ الضَّليـع[2]
جَنيْنا منـهُ زهـرَ الـرَّوْضِ حتى | ظَنَنَّـا فصلَنـا فصـل الـربيـع
إذا ما ذاقت الفُصحى اضطِّهـاداً | تلوذُ لـديـه بـالحصن المنيـع
ولستُ لـهُ أذيـعُ اليـومَ فَضـلاً | فما احتـاج النهـارُ إلى مُـذيـع

*. *. *. *. *. *

(*) نظمت تحية للشيخ عبد السميع السنباطي المدرِّس بالمعهد وأهديت إليه عقب إلقائها أمام طلبة السنة النهائية بالمعهد ٢٣ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٤.

(١) الفـذ : الفرد. وهو أول سهام الميسر وهي عشـرة.

(٢) الضليـع : يقصد به هنا القديـر المتمكن.

زفاف ابن العم

[للشاعـر ابن عم سمي[1]، بعث إليه يهنئه بزفافه في ٢٠/ فبراير شباط/ ١٩٥٦]

شـذىً من جنـة الـزهـرِ ... ولحنٌ فـاتـن الـسـحـر
وأنـغـامٌ... تـرددهـا ... ربـوع الـظلِّ والـعـطر
وأفـراحٌ مـغـلّفـةٌ ... بـأطـيـافٍ من الـبـشـر
على هـذي الربـا طلعتْ ... بمـثْـل تبلُّجِ الـفجـر
فـعـاد الـنـور من نـادٍ ... إلـى نـاد بهـا يـسـري
وغـرَّد بـلـبـلٌ شـادٍ ... على أفنـانـه الـخـضـر
لـه طَـرِبَ الـفؤاد ومـا ... علمنـا منـطق الـطيـر
فصـوغي يا عـروسَ الوحي ... تـيـجـانـاً مـن الـدُّر
وهـاتي الشـعـر منضـوداً ... فـهـذا مـوقـف الـشـعـر
شقيقَ النفسِ «هـاشم» قد ... سعـدتَ بفـرحـة الـعمـر
فيـومـك ضـاحـك حـالٍ ... وعـيـدك بـاسـم الـثـغـر
أضـاء فـيـك إطـنـابـاً ... سنى الأضحى، سنى الفطر
أحـاول فـيـك إطـنـابـاً ... فـأُمسـكُ واضـحَ العـذر
وأرجـو ذكـر مـكـرمـة ... فمـا أقـوى على الـذكـر

---

(١) أي اسمه كاسم الشاعر «هاشم».

فـإن قــرابـتـي لــك قــد ثَـنَـت قـلـمي فـمــا يــطري

وهــل أُثـني عـلى نـفـسـي وألــبس حــلة الــفــخــر؟

فـهــذي بــاقـتـي تـسـعـى بــزهــرٍ طــيـب الــنــشــر

مـنـمــقــةٌ لـكــي تُـهْـدَى إلــى أطــهــارنــا الــغــر

أولـئـكَ قــد سَـمــوْا شـرفـاً ونــبــلاً عــالــي الــقــدر

كــذلــك شــاءَ رَبُّــك أن يُــوفِّــقَــنــا إلــى الــخــيــر

فـنــلـتَ الــيــومَ لــؤلــةً سـليــلةَ مَــنــزلِ الــطُّهْــر

جـمـعـتَ إلـيــكَ مـخـتــالاً كــريـمَ الأهــلِ والـصِّـهــر

* .* .* .* .*

تحيـــة طبيـب (*)(1)

ذكـــرٌ يفيض سنـــا ويعبق طِيبَـــا   قـد بات من أذنِ الخلودِ قـريبَـا
عبدَ العظيم، لقـد براكَ اللهُ منْ   آثـــارِ رحمتِـــهِ لـمصـــرَ طـبيبـــا
قبسٌ من النعمـــاء أنتَ، وشعلةٌ   مـلأتْ جـوانـحَ بـالمنى وقلوبـــا
تغدو البراعمُ في يـديك نضيـرةً   وهي التي كـانت تذوبُ شحـوبا
كمْ مِن أبٍ عَرَفَ السعادَة عندما   لمستْ يـداكَ وليـدَه المحبــوبـا
وفؤادِ أمٍّ كـــانَ يعـصُـــرهُ الأسى   فمشى الـرجاءُ يـدبُّ فيـه دبيبـا
ولَكَم أتـاك الطفـلُ عـوداً ذابـلاً   فـــرددتَـــهُ غصنـــا يميسُ رطيبـــا
ومنحـتَـــهُ كفّـــاً تـــدفَّــقُ رحمـــةً   وكســـوتَـه ثـــوبَ الحيـاةِ قشيبـــا
أفعمْتَ بـالبشـرى منـــازلَ جَمَّـةً   وفـرشتَ بالأمـلِ الجميـلِ دروبـا
في النـاسِ أبطالُ الجهـادِ كثيـرةٌ   وأجلُّهـا من يصرع «الميكـروبـا»

* . * . * . * . *

(*) الدكتور عبد العظيم الغلمي.
(1) لعلها قيلت سنة ١٩٥٦. [المحقق].

صديقـــي

[السيــد إبراهيم رضوان.... كما أعرفه]

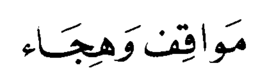
أديبٌ... أي وربي لا يُـداني ... وبـحـرٌ من عـلومٍ لا يُـبـاري
يفـوقُ الكـلَّ علمـاً واطِّلاعـاً ... وتـبيـانـاً لـنـا أو قـلْ منـارا
يضيءُ لنا الـطريقَ إذا أخـذنـا ... بنصـحٍ فهـو نـورٌ ليس نـارا
يسـودُ النـاسَ بـالأخـلاقِ جَمعـاً ... فقـد أخـذَ الكمـالَ لـه شِعـارا
لَكَمْ أهـواهُ مـن قلبـي وروحي ... وأدعـو خـالقي ألّا يُـضـارا[1]

[ألقيت في ١٥ يناير ـ كانون ثاني ـ ١٩٤٩].

* . * . * . * . *

(١) نلاحظ ضعف النظم وبساطة المعاني، ولكن هذه القصيدة تمثل مرحلة الطفولة التي تفيض بحب الآخرين والإخلاص لهم.




مَواقِف وَهِجَاء



دعوة الجيب(*)

رهطٌ من الأطفالِ والصبيانِ ... قالوا عليهم شعبةُ الإخوانِ

منهمْ من احترفَ القيام ببدعةٍ ... عند اشتدادِ الجوعِ والحرمانِ

فتراه جاءَ بخدعةٍ مفضوحةٍ ... يسعى لنيلِ الأصفرِ الرّنانِ

هي صورةٌ مِن «الاتحاد» وحسبُهم ... ما كانَ من «جمعيةِ الأعيانِ»

جمعوا لها مالاً، وقالوا للهدى ... فإذا به قد راحَ للشيطانِ

شاهتْ وجوهُ القومِ هذي دعوةٌ ... «للجيبِ» لا للهِ والقرآنِ

هذا هو الحقُّ الذي يُبغى بهِ ... وجهُ الضلالِ ونصرة البهتانِ

همْ عصبةٌ للشرِّ نعلمُ أنها ... قامتْ على واهٍ من الأركانِ

من كلِّ مغرورٍ يظنُّ بأنه ... مَلِكُ البديعِ وسيِّدُ الأوزانِ

يبدو على النشءِ الصغيرِ مفوهاً ... سَلب النُّهي ببلاغةٍ وبيان

وتراهُ «قطاً» في مقالتِهِ إذا ... ما قيسَ يومَ القولِ بالأقران

هو في الفهاهةِ - يا لقومي - باقلٌ - ... ويكادُ يحسبُ نفسهُ «الذبياني»(1)

(*) سبتمبر - أيلول - ١٩٥٢.

لا تعدو هذه القطعة أن تكون ردة فعل نحو أقران له وقعت بينه وبينهم خصومة في أنشاص، وأصبح يرى وجود الشعبة للإخوان في بلدته خطراً عليه وهو شاعر البلدة - وابن شيخ الرفاعية - إلى جانب ما قد يحدث من إساءات لبعض ضعاف النفوس ممن حملوا الدعوة أو أرادوا استغلالها لا سيما عندما تكاثر أفرادها وتقاطر الناس للإنخراط في صفوفها، واستغل مثل هذه القطعة أعداء الدعوة ولا سيما أيام المحنة التي نزلت بهم، وسنُّ الشاعر آنذاك صغيرة.

(١) الفهاهة: من فهه. يقال رجل فه وامرأة فهَّةٌ بمعنى غفلة. وباقل: يضرب به المثل بالغفلة والتلجلج بالكلام.

تلك الجماعةُ قد تنبأنا لها — بالهدْمِ يومَ إقامةِ البنيانِ
إنا وجدنا القائمينَ بأمرها — شرَّ الدعاةِ وأضعفَ الأعوانِ[١]
فإذا تناهى الضعف بين جماعةً — ذاقَ الجميع مرارةَ الخِذلانِ[٢]

* . * . * . *

---

(١) ربما رأى الشاعر نماذج من الذين أغواهم الشيطان فانحرفوا، وأصبحوا من طلاب المناصب، أو ممن باعوا دينهم بدنيا غيرهم وراحوا يلوذون بالمنافع ولقد تأثر الشاعر بما كان يشاع ضد الجماعة ولكنه عند نضجه، ورؤيته للنماذج الرائعة من حملة الدعوة صار واحداً من الذين يحملونها وحسبك أن تقرأ له «رسالة في ليلة التنفيذ» وغيرها من القصائد التي تصور جهادهم ضد الطاغوت والطغيان.

(٢) يبدو أن ناشر ديوان شاعرنا (محمد كامل حته) الذي حاول أن يوجه شعر الرفاعي ليخدم سيده عبد الناصر قد راقت له هذه القصيدة فغير من عنوانها ووضعها بعنوان «حق يراد به باطل» وقدم لها مقدمة كلها افتراء وادَّعى أن الشاعر صرع على أيدي بعضهم، مع أن مصرع الشاعر كان على أيدي الشيوعيين وبتحريض من أجهزة المخابرات.

الجهول (*)

حسنٌ وإن تَـكُ بـالـحـسـنْ فـالـقُـبـحُ شيمـةُ مـن إذن؟
يـا بـبـغـاءَ مـنـابـرٍ جـهـلَ الفـروضَ مـن السـنـن
يـا مـن لـهُ تـاجُ الـغـبـا ءِ وعـرشُـهُ طـول الـزمـنْ
وثَـنٌ يـؤمُّ مَـسـاجـداً بـلْ ألـفُ عُـذرٍ لـلـوثـنْ

* . * . * . * . *

* هـو صـاحب فضيلة، ولكن الـفـضـيـلة تـبـرأ مـن أمـثـالـه
ولـو تجسد الجهـل والدهــاء والنفـاق رجـلاً لمـا كـان سـواه
[الشاعر]. ولعله قيلت سنة ١٩٥٢ [المحقق].

هجاء (**)

وإذا نـزلـتَ الـمـنـيـلا ولـقـيـتَ فـيـهِ مـغـفَّـلا(١)
فـاعـلَـمْ بـأنَّ مـحـمـداً هـذا الـذي لـكَ قـابَـلا

* . * . * . * . *

لَمْ أدرِ أن صديقنا «ابن الزقِّ» دَمُـهُ ثقيـلُ الـظلِّ مثـلُ البقِّ

(*) طلب مني بعض الإخوان أن أهجو الزميل م. أ. ز. فقلت هذه الأبيات: [الشاعر].
(**) ولعل هذه الأبيات قيلت في عام ١٩٥٢. [المحقق].
هناك أبيات بعنوان «عاد الغبي» خمسة أبيات رد على هذا الذي هجا الشاعر. وهي أبيات بذيئة. تدنى فيها الشاعر إلى الهجاء المقذع والعبارة البذيئة. وهي سقطة لسان في مرحلة المراهقة لشاعرنا.
ونعفي القارىء من أن يسمع هذه الأبيات التي لا فائدة منها.
(١) المنيل: اسم حي من أحياء القاهرة.

حتى دعـاهُ «بكفـرِ عيسى» مـــرةً لـلأكـلِ شهمٌ يستحي في الحقّ
فمضى يـروحُ عليـهِ كـلّ عشيـةٍ ويـــدُ المُضيف ورجلهُ في الشقّ
لو يعلمُ المسكينُ سخفَ «محمدٍ» قسمـاً لألهبَ جسمَـهُ بـالـدقِّ[1]

* . * . * . * . *

(١) بالـــدق : بالضـــرب.

رد على رد[*]

أتنبحُ بيننا هذي الكلابُ ... لَعمرُ الحقِّ قد جلَّ المصابُ

ويشتمني دنيءٌ ذو غباءٍ ... فلا واللهِ لا صَلَحَ العتابُ

مسيخُ الدْجلِ قامَ بغيرِ وقتٍ ... لهُ يهذي فأخطاهُ الصوابُ

فقولوا للمسيخِ أتاكَ عيسى ... فعيشكَ في الورى عيشٌ هبابُ[1]

سيروي النّاسُ لي فيكَ الأهاجي ... فتعشقُ أن يواريك الترابُ

ويمشي خَلفهُ قومٌ ثُكالى ... ألا خابَ النصيرُ لهمْ وخابوا

«إذا كانَ الغُرابُ دليلَ قومٍ ... فلا نجحوا ولا نجحَ الغُرابُ»

* . * . * . * . *

(*) كتب أحد الزملاء رداً على قصيدتي السابقة «الخيبة الكبرى» فكتب إليه: ولعل القصيدة قيلت ١٩٥٣ بعد تاريخ قطعة «الخيبة الكبرى». [المحقق].

(١) عيش هباب : أي فارغ لا قيمة لـه.

صريع الحقـد[*]

أظهرتَ عند جدالي سيءَ الأدبِ | فرُحتَ بالنـارِ تبغي أخطرَ اللعبِ
ما زالَ ذا الدهرُ يُبدي من غرائبه | حتى غدا الرأسُ مذموماً من الذَّنبِ
الناسُ تعرفُ عليـائي ويجحدُهـا | يا معشرَ الناسِ أدعوكمْ إلى العجبِ
فـراشةٌ رأت المصبـاحَ ذا وهجٍ | فأحرقت نفسها في الضوءِ عن كثبِ
لمْ أدرِ كيف تـريدُ اليـومَ منزلـةً | فينـا ولستَ أخـا علمٍ ولا أدبِ
إني هجـوتُكَ مضـطراً لمعـرفتي | أنْ سوفَ يكسوكَ هجوي حلةَ الذهب
فيمَ التطاولُ يا هـذا على رجلٍ | قد نالَ ما نالَ من مجدٍ ومن رتبِ[1]
لـو أنَّ مثلَكَ يبغي ما أتيـحَ لـهُ | لضيّـعَ العمرَ لم يبلغ إلى الأربِ
هذا جزاءُ الذي أغراهُ بي كَرَمي | حتى رمـاهُ رذيلُ الحقـدِ باللَّعبِ
فـراحَ يشتمُ إنكـاراً لـمنـزلـتي | ولم يخفْ عن لساني لذعة العطبِ
لا الخوفُ يمنعني، لا اللومُ يردعني | لا اللؤمُ يدفعني، في شرِّ مُنقلبِ
وفي النهـايـةِ إني لا أقـولُ لـه | إلا كما قال قبلي شاعرُ العربِ:
«قد كنتَ تعرُف مني في الرضا رجلاً | حلوَ المذاقةِ فاعرفني لدى الغضبِ»

* . * . * . * . *

(*) نظمت على إثر حدوث مشادة بيني وبين واحد من أولئك الذين أكل الحقد قلوبهم، وأعمى أبصارهم يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٣ م.

(١) ورد في نسخة (حتـه):

طالوت عن سفه في العالمين فتى | قد نال ما نال في العلياء من رتب

الخيبة الكبرى (*)

يا خيبةً قدّروها بالقناطيرِ ... جاءت لنا في نهارٍ كالدياجيرِ [1]

إني ذهبتُ إلى النادي فطالعني ... مقطّبَ الوجهِ مُغبرَ الأساريرِ

يبكي ويندبُ من خابوا بملعبِهِ ... وفي المباراةِ صاروا «كالطراطيرِ»

من كلِّ «شحطٍ» أطالَ الله قامتَهُ ... يكادُ يَصلُحُ في جرِّ «الحناطيرِ» [2]

ما كانَ مُنتظراً هذا المُصاب لكمْ ... يا فرقةً كوَّنوها من «خناشيرِ» [3]

ما للغبيِّ «وللفتبول» يلعبُها ... يا ليتهمْ علقوكم في الطنابيرِ

أخزاكمُ اللهُ قد جئتمْ لمعدهنا ... بالعار يا فتيةً مثلَ «المواجيرِ» [4]

في «الماتش» لم تلعبوا لكنْ رأيتكمو ... في البرتقالِ نزلتم كالمناشيرِ [5]

لو كنتُ أعلمُ أن الخيبةَ انقسمت ... من حظِّكمْ في سجلاتِ المقاديرِ

لكنتُ جئتُ «بطبالٍ» يزفكمُ ... ورحتُ أتلو على لحنِ المزاميرِ

«لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن غلظٍ ... جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ»

(*) ١٢ مارس ـ آذار ـ ١٩٥٣ . في يوم الخميس ١٢ مارس ١٩٥٣ حضرت كلية اللغة العربية لكرة القدم لمباراة فرقة المعهد. وكان أن تسبب أفراد فريق المعهد في هزيمة منكرة لهم. وذلك بسبب تهاونهم وغرورهم.

فنظمت هذه القصيدة تخليداً لهذه الهزيمة وسخرية من أفراد فريق المعهد المنهزم، وقد لاقت هذه القصيدة انتشاراً كبيراً.

(١) الدياجير : ج ديجور وهو الظلمة.

(٢) الشحط : كلمة عامية مصرية وتعني الطويل.

الحناطير : ج حنطور وهو عربة تجرها خيول (كلمة أجنبية).

(٣) الخناشير : ج خنشور وهو الضخم الجلف ذو الخشونة والغلظة (عامية).

(٤) المواجير : إناء من فخار.

(٥) الماتش : الشوط . وهي كلمة أجنبية.

صـــورة نفسيـــة(*)

إلى ذروةِ العلياءِ سارَ بي الفعل ... ومثليَ للعليـاءِ بينَ الـورى أهـلُ

سموتُ بجدّي وارتقت بي فضائلي ... وليسَ أخو جدٍ كمنْ طبعهُ الهزل

خُلقتُ أبياً أعشقُ المجدَ يـافعا ... ومني غداً يهوى طريقَ العلا كهلُ

وعشتُ بدفعِ الضَّيمِ والذلِّ مغرماً ... وأبذلُ فيه الروحَ لو وَجبَ البذلُ

وإني لأبدي الودَّ للخـلِّ صادقـاً ... إذا كانَ في الإخلاصِ قد صدق الخلُّ

وإن شمتَ عني فيهِ ميلاً ورغبةً ... تبدَّلَ مني الودُّ وانقـطعَ الوصـلُ

إذا أنا لمْ أعرفْ لذي الحق حقهُ ... فلا زانني حُسن المكارمِ والأصلُ

ولكنَّ قـومـاً لا عفـا اللهُ عنهمُ ... يرونَ ذنوبي أنْ يـدينَ بي النُّبلُ

ومـا حيلتي فيهم وذنبي لـديهمُ ... مقامي حميداً حيثُ لا ينزلُ الذلُ

تحملتُ منهم كلَّ ما يغضبُ الفتى ... وعندَ امتلاء الكيلِ قد يطفحُ الكيلُ

وأهـونُ حيٍ من يُرى ذا عـزيمةٍ ... ويسكتُ يوماً إن أسـاءَ له نَـذَلُ

وإني وقد أنضجتُ غيظاً قلوبَهم ... على حينِ لم يُسمع لديّ لهم قولُ

لئن شئتُ عاشوا في ثيابٍ مُذلةِ ... ولكنَّ لي عنهمْ بنيلِ العلا شُغل

لحـا اللهُ جهـالاً تكـاثـرَ جَهلُهم ... فسالَ به حَزنٌ وفاضَ به سهلُ(١)

إذا رمتَ أن تُسقى من الودِّ عندهم ... فكن مِثلهم في الناسِ شيمتُكَ الجهلُ

وإن كنتَ تبغي العيشَ في ظلِّ حبهم ... فلا يصطفيك العمرَ من دونهم فضل

(*) مهداة إلى البعض من طلبة أنشاص . ابريل ـ نيسان ـ ١٩٥٣ م .

(١) لحا الله جهالا : لعن الله جهالا . الحزن: ما غلظ من الأرض.

أولو حسدٍ قد ساءَهم ما بلغتُهُ فحقدُهُمُ وارٍ وفي صدرهم غل[1]
يريدون بينَ الناسِ ذكراً ورفعَةً وظنوا بأنَّ المجدَ إدراكُه سهلُ
ودونَ بلوغِ المجدِ عزمٌ وفطنةٌ وما لهمُ في ذاكَ باعٌ ولا حولُ
وكم بذلوا للنيْلِ مني جهودَهم فما بلغوا قصداً وفاتهمُ النيْلُ
وما أنا ممن يجحدُ الناسُ فضلَهم ولكنهُ خُبثُ السريرة والدَّخلُ[2]
وكمْ في عِدادِ العاجزينَ مكابرٌ إذا جاءَ ضوءُ الصبحِ قالَ هو الليل
ومثليَ لو شاءوا البلوغَ لمجدِهِ لأقعدهم جبنٌ وأعجزَهم عقلُ
وذي سَفَهٍ منهمْ مشى بنميمةٍ فأهونُ تنكيلٍ يليقُ بهِ القتلُ
يذمُ لديكَ الغيرَ حتى إذا متى إلى الغير لم يخطئك من كيدِهِ نَصل[3]
وآخرُ ذو وجهينِ يلقاكَ باسماً عليهِ ثيابُ البِشرِ رقَّ بها الغزلُ
فشفَّت عن الأحقادِ واللؤمِ تحتها فمظهرُهُ حبٌ وفي بُرده صِلُّ[4]
وكمْ لامهم في شَرهم كل مصلحٍ فلم يهدِهم لومٌ ولم يُثنهمْ عَذلُ
فيا أيُها القومُ الذينَ بلوتُهم فأغرقني من خُبثِ أخلاقهم سيلُ
لقد جاءكم مني سليمان فادخلوا مساكنكم في الأرضِ يا أيها النملُ

* . * . * . * . *

(١) وارٍ : من ورى: خرجت ناره. الغل: الحقد والضغينة.
(٢) الدخل : العيب والريبة.
(٣) نصل : نصل السيف أو الرمح هو حده.
(٤) الصل : الحية.

العميـد الرَّجعي (*)

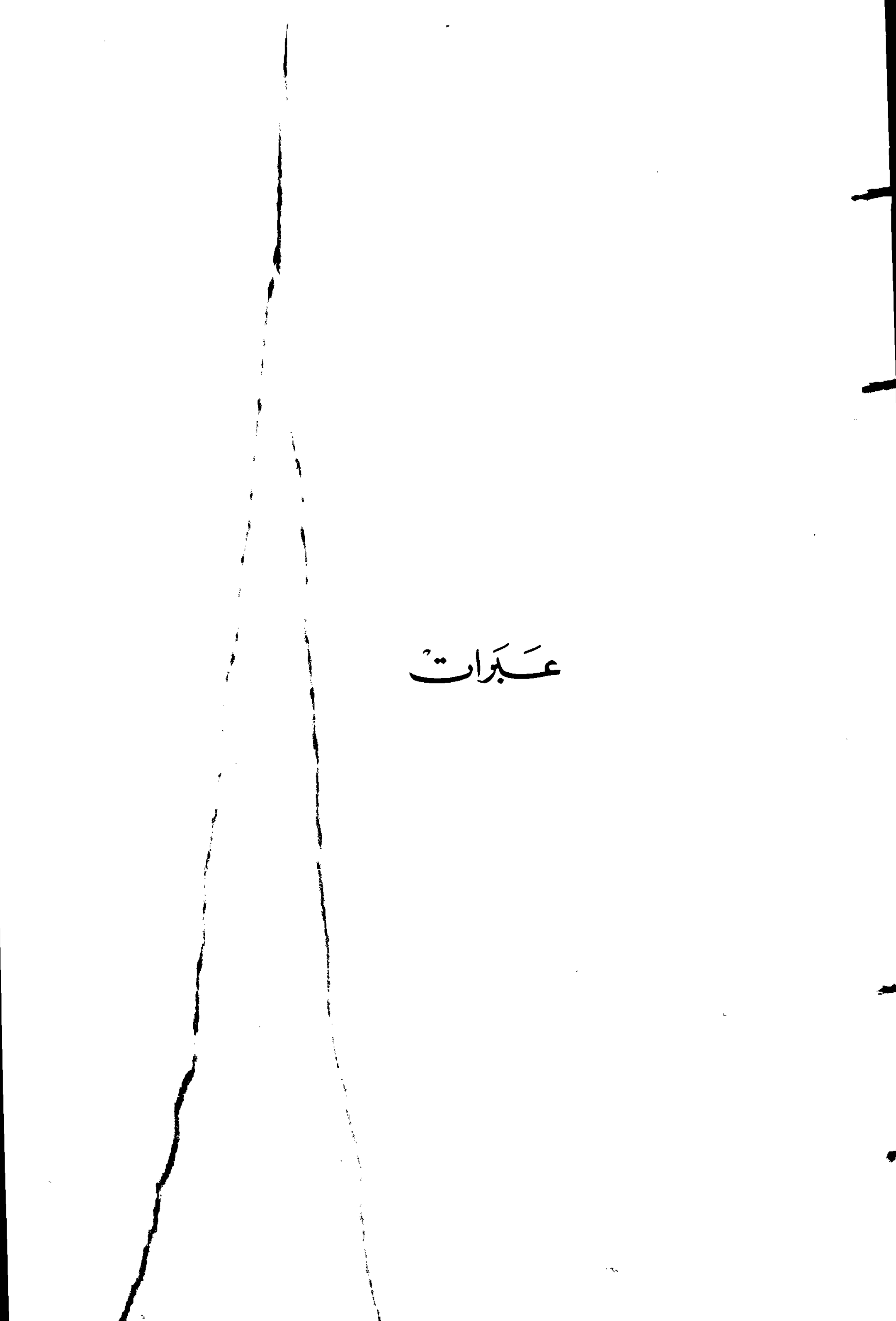
ألا فـلسيـقطِ العَبَثُ الـحقيـرُ ... فـمعـهـدُنـا لَـهُ شيـخٌ وقُـورُ
يُحـرِّمُ في الـريـاضـةِ ما أحلَّت ... شعـوبُ الأرضِ إنَّ العلمَ نـور
إذا شـاءَ الفـريقُ لـه نشـاطـاً ... تبـدَّى منهُ تَصـريحٌ خـطيـرُ
وحـوقلَ واستعـاذَ من المعـاصي ... وأُطلقَ فـوق مكتبـه البَخُـور(1)
وصـاحَ رجالُ هـذا الـدِّينِ ضلُّوا ... فـغيـرُ الـعـلمِ بُـهْتـانٌ وَزور
لـهُ رأي وتـفـكـيـرُ عـتيـقٌ ... ولا يُجـدِيـهِ نُصـحٌ أو مُشيـر
عَلِمْنـا بـالصعيـدِ فما عَـرِفْنا ... صـعيـديـاً لـهُ فـكـرٌ مُـنيـرُ
فكيفَ نـريـدُ بعـدَ الكفـرِ ذنبٌ ... وكيف يـرى سنى النورِ الضَّـرير
حَلَقتُ بلحيـةٍ لـلشيـخ تـبـدو ... كَفـرشـاةٍ لهـا شعـرٌ غـزيـرُ
وَعَقْـلٌ منـهُ لمْ يُصـدرْ قـراراً ... ومـا مـرتْ على خَلدي الحمير
لَئنْ لم يُعـطِهم حَقـاً مضـاعـاً ... ولَم تَـرْجعْ لمجـراهـا الأمـور
تَـركتُ يـراعتي تُصليـهِ نـاراً ... لـهُ مِنْ لَفحِهـا ألمٌ مَـريـر(2)

* . * . * . * . *

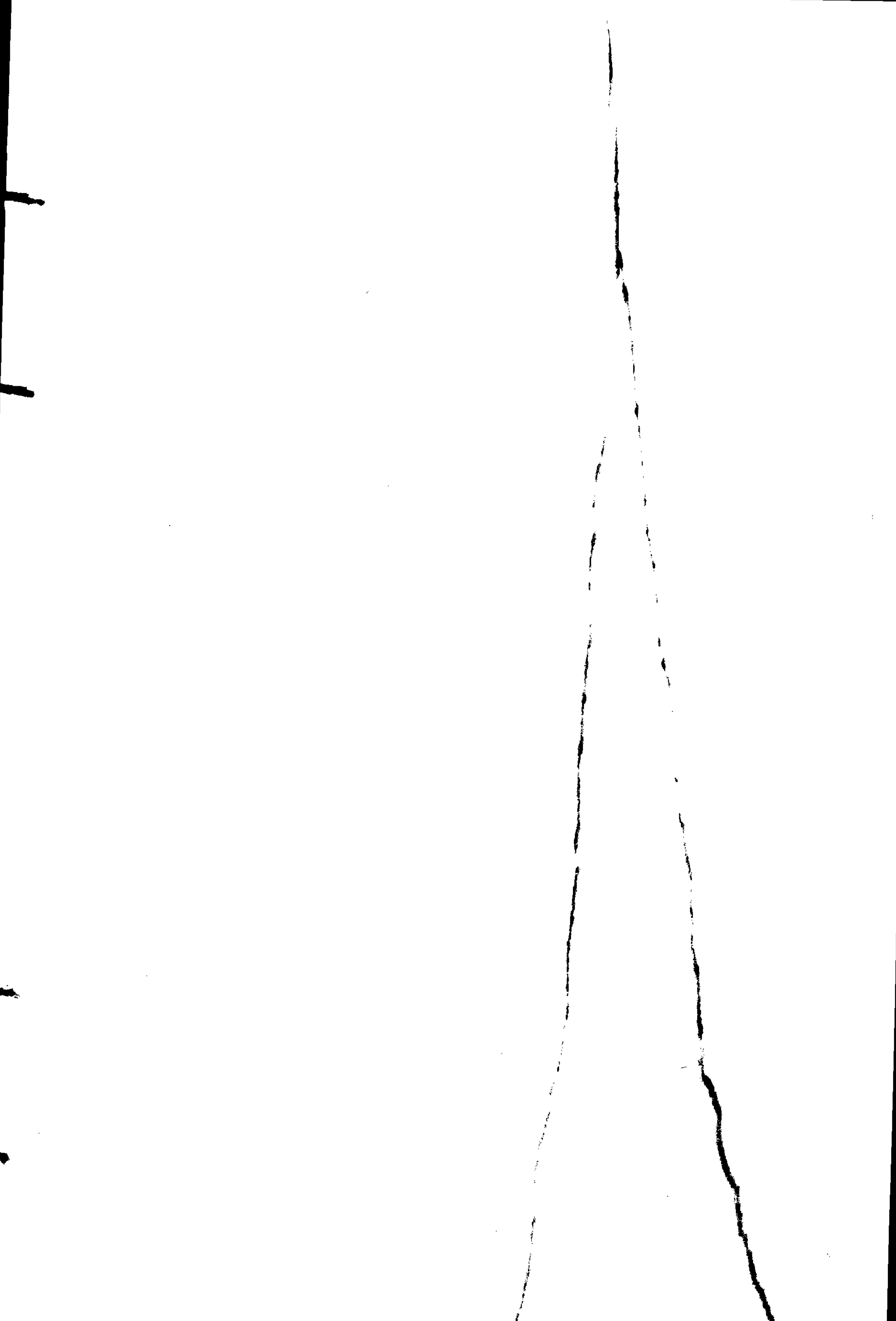
(*) الشيخ عبد الحفيظ فرغلي شيخ المعهد يحارب نشاط الفرق الرياضية بالمعهد ولعلها قيلت سنة ١٩٥٥ .

(١) حوقل : قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . استعاذ: قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

(٢) هذه القصيدة نزوة من نزوات الشباب في مرحلة المراهقة . والتي يمر بها أكثر الناس لا سيما في هذا العصـر .



عَبَرَاتٌ



الشهيد أحمد عبد العزيز(*)

[قائد الكوماندوز المصريين]

أيُّها السائرُ عنا نحو جناتِ الخلود
السلامُ عليك منا يومَ ضمتك اللحود[1]
فارساً لفظاً ومعنى كنتَ يا خير الأسود

* . * . * . * . *

لستُ بالقائلِ شعراً فيهِ أبكي أو أنوحْ
إنَّني والجمعَ طُراً كلُّنا اليومَ جُروحْ
لم تزرْ يا ليثُ قبراً بلْ بِعَدْنٍ تَستريحْ

* . * . * . * . *

كنتَ كالأسد قَوياً تصرعُ العاتي المريدْ[2]
عشتَ في الأذهانِ حياً خالدَ الدهرِ المديد
أنتَ يا من كنتَ هدياً في الوغى يهدي الجنود[3]

* . * . * . * . *

(*) ولها عنوان آخر هو الذكرى الأولى (أغسطس ـ آب ـ ١٩٤٩).
(١) اللحود : جمع لحد. وهو الشق في جانب القبر.
(٢) المريد العاتي. (٢) الأبيات الثلاثة غير موجودة في نسخة «المختارات».
(٣) هذان البيتان غير موجودين في نسخة «آهات شريدة» وإنما هما في نسخة «المختارات».

أنتَ خيرُ الخالدينْ في سماءِ الذكريات
أنتَ فخرُ الراقدينْ في خلاءِ الفلوات
وعلى من سارَ غيّاً في فلسطينَ يَبيدْ
كان كالأسدِ قوياً يصرعُ العاتي المريد[1]

* . * . * . * . *

صاحِبَ العزم المَتينْ عندَ مرِّ الحادثات
يومَ ناداكَ المنون في الليالي الحالكاتْ
قلتُ : خيرُ الضاربين في سبيلِ الدعوات

* . * . * . * . *

اكتبوا صفحاتِ نصرٍ بمدادٍ من دماءْ
واشربوا يا فخرَ مصرٍ من رحيق الشهداء
إننا اليومَ بعصرٍ فيهِ للنارِ القضاءْ

* . * . * . * . *

[أكثر هذه المقطوعات ضمتها مجموعة شعرية جمعها الشاعر وأسماها «نسيم السحر» رتب فيها ما نظم حتى عام ١٩٤٩ م - وزينها برسومه وكتاباته وضمت تقاريظ أصدقائه وقد كتب في آخرها:
«تم بحمد الله كتابه هذه النسخة في يوم الاثنين الموافق ٢٢ رمضان ١٣٦٨ هـ الموافق ١٨ يوليه - تموز - ١٩٤٩ فلله الحمد»].

(١) في نسخة «المختارات»، وليست موجودة في نسخة «آهات شريدة».

عزيز يفارق(*)

أمِنَ المصابِ وعُظْمِهِ تتوجَّعُ ... والعينُ منكَ سيولُها لا تُقطَعُ
هذي الدموع أراك تذرفُها سُدىً ... كفكفْ دموعَكَ إنَّهالا تُرجِعُ
ذهبَ الإمامُ فما رأيتُ لردِّه ... سُبلاً فهل تجدي الدموع وتنفع[1]
يا ليتها تُجدي إذاً لرأيتُها ... بَحراً عُجاجاً من عيونٍ يَنبُع
لكنَّهُ حكمُ الإلهِ وهلْ له ... قلْ لي بربك مَن يرد ويدفع؟!
نزلَ الذي سَلَبَ الجَنانَ نزولُه ... داراً علمتُ نزيلُها لا يرجِع
واحرَّ قلبي كيف يخطفُكَ الرَّدى ... ويضمُّ منك الجسم هذا البلقع[2]؟!
لهفي على الدنيا، نزول، ولم تَزَلْ ... تسقي كؤوسَ النائبات وتجزع
كيفَ الرحيل عن الديارِ وأهلِها ... والكلُّ باتَ من الأسى يتوجَّع
وفتاكَ كيف تركته، ولمن إذاً ... يشكو المتاعبَ، أو إلى من يفزع[3]
تالله قد ظلموه إذا قالوا لَه ... في يومِ موتك والأقارب جِمَّع
مات الذي يرعى صباكَ ولا نرى ... عينيكَ تدمع أو نراك تَفجَّع[4]؟!
حسبوا العيونَ تَنمُّ عن حزن الفتى ... والحزن أقسى في القلوب وأوجع

(*) أغسطس ـ آب ـ ١٩٤٩ م في ٢٧ منه.

(١) يقصد بالإمام أباه الذي كان شيخ طريقة صوفية.

(٢) البلقع : الأرض القفر.

(٣) في نسخة المختارات:

ابتاه قد ظلموا فتاك فنبِّني ... ما ذنب باك قد جفته الأدمع)

(٤) يشير إلى ما قاله له بعض الأقارب وهو في صباه عند موت أبيه لأنه كان متجلداً.

أبتاه! شعري لست أملك غيره ... ماذا عسى غيرَ الرثاء سأصنع
هذا رثائي والفؤاد كأنَّه ... عينٌ لها الدم والحشاشة أدمع
ما كنت أحسب أنني سأقوله ... يوماً من الأيام فيه أودِّع
لكنها الأقدار هذا دأبها ... تغتال منا من تشاء وتنزع[1]
إن تُضحكِ اليوم امرءاً وتسره ... فغداً إليه المبكيات ستسرع
وإذا سقته اليوم شهداً، في غدٍ ... يأتيه كأس النائبات المُتْرُعُ
فاذهب عليك من الإله تحيةٌ ... ما بدَّد الظلماءَ فجرٌ يَسطَع
وعزاؤنا أنَّ سوف يجمعُنا الفنا ... بك، فالفناء مُفرِّقٌ ومجمِّع

* . * . * . * . *

(١) في المختار: تعتام.

عـــــزاء(*)

رأيتُ الخـطبَ جـلَّ عن العـزاءِ ... ففـاضَ الـدمـعُ ينـطقُ بـالـرثـاءِ
ففـاضَ الدمـعُ من حزنٍ بحـاراً ... كـأنَ عـيـونـنـا ينـبـوعُ مـاءِ
فيـا مَنْ قد حـزنتَ لفقـدِ خـالٍ ... تـجمَّـلْ إنـهُ حـكمُ الـقـضـاءِ
ولـيسَ لـكـائـنٍ حـيٍّ مـفـرٌ ... لمـا حَكَـمَ الإلـهُ من الـفنـاءِ
وَدِدنـا أن يعيش النبـلُ دهـراً ... وأنْ تَحيـا المكـارمُ في ارتقـاءِ
وكـنـا نبـتغـي للجـودِ عُـمـراً ... ونـرجـو للنَّـدى طـولَ البقـاءِ
ولـكـنَّ الـمـنـيـةَ عـاجَـلـتـنـا ... وأودتْ بـالكـريمِ أبي السخـاءِ
إلـهـي آتـنـا صبـراً جـمـيـلاً ... وعـوِّضنـا بـه خيـرَ الـجـزاءِ

* . * . * . * . *

(*) أرسلت للأخ هاشم أحمد هاشم، تعزية له في وفاة خاله المرحوم إبراهيم أفندي موسى. تم نظمها في ١٤ يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٠.

الشيهد أحمد عمر (*)

رَدِّدوا الأشعارَ في ذكرى الشهيدْ ... وارفعوا الأعلام في يومِ الفَقيدْ
وابعثوا الإقدامَ حياً باقياً ... وانشدُوا يافتيةً لَحَنَ الخلود
وانثنوا تيهاً وقولاً للملا ... من بمجدٍ أو علاً عنَّا يزيد؟[1]
نحنُ مِنا درةُ المجدِ الذي ... كانَ في جنبيهِ قلبٌ من حديد
من يحاكي أحمداً في بأسِهِ ... أو يُداني من لَهُ العزمُ الوطيد[2]
يومَ أن جاءوا لنا في عُصبَةٍ ... لا ترى مِنهم سوى العاتي المريد[3]
فانبرى ليثاً لهمْ لم تُثنِهِ ... قاذفاتُ الموتِ في أيدي الجنود[4]
وانطوى شهماً كريماً خالداً ... تحتَ تاجِ الخلدِ في ظلِّ الوَدود
يا فتى الإقدامِ يا رمزَ الفدا ... قد جرى الدمعُ دماً فوقَ الخدود
سرتَ للعلياءِ وثَّاب الخطى ... والعُلا خيرُ الأماني في الوجود
نمْ قريرَ العينِ قدْ عَلَّمتنا ... كيفَ بالرُّوحِ لدى الكرب نجود[5]

(*) فقيد المعهد الأول ـ ألقيت بالمعهد في يوم الاحتفال بالذكرى الثانية للشهيد في ٢٨ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٠.

(١) الملا : من الملأ وهي الجماعة.

(٢) كان ينبغي أن يقول أحمد لأنه ممنوع من التنوين ونونه لضرورة الشعر.

(٣) العاتي المريد: الظالم المتمادي بظلمه.

(٤) قاذفات الموت: البندقية والرشاش.

(٥) الكرب : الغم .

إنَّ قــومــاً أنــت عنــوانٌ لــهــم   لنْ ينالَ الضيمُ منهم ما يريدُ(1)
يا جنودَ المجـدِ يا أسـدَ الشَّرى   يا شبابـاً ساد من عَهـدٍ بعيد(2)
اجـمعـوا الآراءَ فـيمـا بـينـكُم   وارفعُـوا الرأسَ لنبني من جـديد
فـانـقســامُ السرأي داءٌ قــاتــلٌ   إن أصابَ القومَ فالويلُ الشديـد
واعـلمـوا أنَّ المـعــالـي سلَّمٌ   واتحـادُ العـزمِ مفتـاحُ الصُّعـود

* . * . * . * . *

---

(1) الضيم : الظلم.
(2) أسد الشرى : أسد الغابة، والشرى هو بجانب الفرات.

صلاح ذهني (*)

تَـركَ الـدنـيـا صـلاحْ ومـضـى عـنـا وراحْ
عـصـفَ الـمـوتُ بـنـجـمٍ فـي سـمـاءِ الـفـنِّ لاحْ
بـلـبـلٌ بـالـروضِ شـادٍ طـارَ مـبـسـوطَ الـجـنـاح

مـا عـلا في الجـوِّ حتى خـرَّ مخضـوبَ الـجـنـاح
شـعـلةٌ لـلفـن كـانـتْ خـيـر رمـزٍ لـلـنـجـاح
أطـفـاتـهـا حـيـنَ هَـبَّـت لـلردى تـلـكَ الـريـاحْ

رُبَّ نـقـدٍ قـد تـبـدى مـنـهُ بـالـحـقِّ الـصـراح
يُـعـلنُ الـرأيَ قـويـاً لـيسَ يـخشى لـومَ لاح[1]
وأقـاصـيـصُ تـراءَتْ مُـشـرقـاتٍ كـالـصـبـاح

صـوغُـهـا صـوغُ جـمـانٍ نَـفـحـهـا نـفـحُ الأقـاح[2]
فـاتـنـاتُ كـالـعـذارى بـيـنَ أنـغـامٍ وراحْ[3]

(*) ٢٥ أغسطس آب - ١٩٥٣ «وهو أحد الكتّاب النقاد».
(١) لاح : اسم فاعل من لحا لحياً- بمعنى لامه.
(٢) الجمان: مع جمانة وهي الحبة التي تعمل من الفضة كالدرة.
الأقاح : جمع الأقحوان وهو البابونج - نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر. نفح: فاح.
(٣) الراح : الخمـر.

ساقـهـا فـنـاً رفـيـعـاً   فـي غـلالاتِ الـمِـلاح[1]
في جـوارِ اللهِ شـهـمٌ   عـاشَ يـنـبـوعَ الـكـفـاح
قـد تـولـى وعـليـهِ   مـن سـنـا الـفـنِّ وشـاح[2]
مـا اسـتـرْحـنـا حـينَ اودى   والـذي مـاتَ اسـتـراح[3]

* . * . * . * . *

(١) الغلالات : جمع غلالة وهو شعار يلبس تحت الثوب. الملاح : النساء الحسان.

(٢) الوشاح : شيء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٣) أودي : مـات.

دمعة!.. على زميل راحل (*)

أما المصابُ فكان شرَّ مصابِ ... يا بهجةَ الأقرانِ والأتراب

لم ندر أن الأرضَ قادرةٌ على ... إخفاء ضوءٍ ثاقبٍ لِشهاب

حتى رماك بنافذ من سَهمه ... قدرٌ كليلٌ حالكُ الجِلبابِ

تلك المنيةُ لا تزالُ على الورى ... تسطو بظفرٍ لا يغل وناب[1]

في كل يومٍ بالفؤادِ مرارةٌ ... لفراق منْ يمضي من الأحباب

ويفتِّتُ الأكبادَ أنَّ فِراقَهُم ... ورحيلَهُمْ عنا لغير إياب

فالنفسُ تُجرعُ بعدهُم كأس الأسى ... مُراً مذاقتهُ كطعمِ الصَّاب[2]

والقلبُ يبكيهمْ دماً، والعين لا ... تنفك أدمُعُها كفيضِ سَحابِ

أأبا الفتوحِ لئنْ رحلتَ فإنما ... رحلتْ سعادتُنا على الأعقابِ

أيُّ الورود غداة فقدكِ صوحت ... وذوى بموتك أيُّ غصنِ شباب[3]

أفهكذا تمضي ولم تنلِ الذي ... تسعى إليه بعزمةٍ وطلاب

أمَلٌ تعلَّق بالحياةِ فما دنا ... هلْ كان هذا العيشُ غيرَ سراب

يا أيُّها النائي وذكركَ مائلٌ ... في القلب يحكي راهبَ المحراب[4]

(*) ألقيت «بسلمنت» في مأتم الزميل الراحل أبو الفتوح هلال رثاء له ثاني يوم وفاته ٢٢ أبريل ـ نيسان ـ ١٩٥٤.

(١) يفلء من (الفَلّ): واحد فلول السيف وهي كسور في حده.

(٢) الصاب شجر مر، أو عصارة الصبر، وقيل عصارة شجر مر.

(٣) صوَّحت : من التصويح : التجفيف.

(٤) مائل : شاخص وحاضر، يحكي راهب المحراب: يشبه راهب المحراب.

لو كان يجملُ بي التصبر عن فتى أجدُ التصبر عنك غيــر صواب
كيف السبيلُ إلى التجمل، والردى أودي بصـارم عـزمِكَ الـوثّـاب
وطـوتك أيـدٍ للمنونِ ومـا طوت غيـر المؤمَّـلِ، جـامِعَ الآداب

* . * . * . * . *

يـا أيُّها القبـرُ الـذي قـد ضمَّـهُ أينَ الـطريقُ لكي أبثُّـك مـابي
أبيثُ منْ فـاضتْ بشاشـةُ وجهِهِ نــوراً، رهينَ حـجـارةٍ وتــراب
وتلف منْ قـدْ كان مـلءَ عيوننـا ظلمـاتُ قفـرٍ مُحكَمِ الأبــواب!

* . * . * . * . *

في ذمـةِ الرحمنِ ثـاوٍ في الثرى وإلى جـوارِ الله خيــر رحــاب
وعزاؤنا أَنْ سوف يجمعُ شَلمنـا بعـدَ الفـراقِ المـرِّ يـوم حسـاب
يــا ربِّ ألهمنـا وعــوضنــا بــهِ صبــراً وسُلوانــاً وحسنَ ثــواب

* . * . * . * . *

فقيـــد أنشاص (*)

[المرحوم علي هاشم]

قِفْ أيُّها الغادي . . عليكَ سلامُ ... بـأولي المكـارمِ تَـذْهبُ الأيَّـامُ

إنّي رأيتُ غـداةَ فقـدِكَ مـوكبـاً ... قَـد سـارَ فيـهِ مَـرارةٌ وزحـام

يمضي بـأروعِ ماجـدٍ لا يُرتَجى ... مِـنْ بـعـدِهِ لـلطيِّبـاتِ قِـيـامُ

رُحنـا نُشيِّعُ منـكَ بَحراً للتُّقى ... في ضِفتيـهِ الـجـودُ والإكـرامُ

نَمشي وراءَكَ والقلوبُ مِن الأسى ... تـدمى. ومـلءُ نُفـوسِنـا آلامُ

حَـرُّ الأسى بينَ الضُّلوعِ كـأنَّـه ... في القلبِ من هولِ المُصابِ ضرامُ

والعينُ تَهمي والـدمـوعُ ذَوارفٌ ... والنـاسُ خلفَـك شَفَّهـا الإيـلام

فلَئِنْ بكـوكَ تَـوَجُّعـاً فَلِفقْـدِهِم ... مَنْ كَفكَفَ العبـراتِ وهي غَمام

ولَئِنْ حَنَـوْا هـامـاتِهِم فلطالمـا ... خَفَضَتْ لمثلِك في الحياةِ الهام

لِمَنْ العـزاءُ أسـوقُـه والكـلُّ في ... جَنبيـهِ للخـطبِ الأليم سِـهـامُ

بكـتِ المروءةُ بعد موتِكَ سيِّداً ... وهـوى بفقْـدِكَ لـلوفـاءِ إمـام

وطوى الردى عَلَماً بنُبْلِ خصـالِهِ ... وفِعـالِـه، تتـفـاخَـرُ الأعْـلام

قالوا قضى العمرَ الطويلَ فقلتُ في ... خيـرِ الورى طـالتْ بـه الأعـوام

(*) ألقيت بأنشاص في مأتم الفقيد المذكور رثاء له مساء يوم وفاته في ٦٢ أغسطس - آب ١٩٥٤ .

ومضى كما يمضي الكرامُ لقبرِهِ فبكى عليــهِ الـخيــرُ والإســلام
وتجهمَّتْ كـلُّ الوجـوهِ، ووجهُهُ لــلقــاءِ جــنَّــةِ ربِّــه بَــسَّــامُ
بِجـوارِ ربِّـك نَمْ فقـدْ أسهـدَتَنـا وأخو الأسى والحزنِ كيفَ يَنـامُ
واحملْ إلى الأحبابِ عِطْرَ تحيَّةٍ إذْ مـا أقَمتَ هناكَ حيثُ أقـاموا

* . * . * . * . *

كارثة في قنـا

[دهم السيل مدينة قنا فدمر وشرد . . . . قال الشاعر هذه القصيدة في ٣١ ديسمبر كانون أول سنة ١٩٥٤ ومدينة قنا في جنوب مصر ، بين أسيوط وأسوان].

أطلَّ الردى من فيض تلك السحائبِ ... ولم أرها قبلاً لغير المواهبِ
أكان فَنَاءُ الكون مبدؤُهُ «قِنا» ... وقد صُدقتْ فيه نبوءةُ كاذب[1]
وهل تلك لليوم العظيم دلائلٌ ... سيتبعها فيه انتثارُ الكواكب[2]
ألمَّ بها للرعبِ والموت نازلٌ ... على قدَرٍ مما قضى اللهُ غالب
وطاف عليها طائفٌ لا تردُه ... قناةٌ، ولا تخشى قراعَ الكتائبِ

* . * . * . * . *

تخيلتُهُم والموتُ يُنشبُ سيلُه ... بأعناقِهِم منونةً من مخالب
وقد زمجرَ الدَّفَّاعُ فانهار شامخ ... لبنيانهم واندكَّ من كل جانب[3]
فيا رُبَّ طفلٍ تحت أنقاضِ منزلٍ ... تدقُّ عليه الأمُّ صدرَ النوادب
تولتْ وفي الأضلاعِ نارٌ ولوعةٌ ... بها الذعرُ قد أبداهُ خفقُ الترائب
ورَبَّـهِ خدرٍ كان يُخفي نقابُها ... سنى البدرِ في ظلِّ السيوف القواضب

---

(١) وقعت كارثة السيل في وقت انتشرت فيه نبوءة عراف بقرب فناء العالم.
(٢) يقصد بذلك يوم القيامة.
(٣) الدفاع : السيل الجارف.

تراءتْ لأبصارِ الجميعِ وأسفرت   مروَّعةً خافتْ سهام المعاطب
وذي غاقةً في موكبِ الرعبِ قد بكى   بأقعب مذخورِ من القوت ذاهب
فلم أدرِ هل سبيل الدمار الذي بدا   يهددهم أم ذاكَ دمعُ المصائب

*. *. *. *. *

قنا هل رأيتِ الحشر: كيف لهوْلِهِ   يفرُّ الفتى عن صحبِهِ والأقارب
وهل أبصرَ السكانُ ما شأنُ يومه   وكيفَ ينالُ الطفلَ شيبُ الذوائب
قضوا ليلهم قد كحلَّ النومُ جفنَهم   على أملٍ بالخير لا بالنوائب
فما طلعتْ شمسٌ ولا أشرق الضحى   على غيرِ فرَّارٍ من الخطب هارب
يكاد وهولُ النائبات يلُفُّه. .   تضيقُ عليه الأرضُ ذاتُ المناكب
وأصبحَ معهودُ المسالِكِ أبحُراً   تموجُ بهدَّارٍ من الموت صاخب
حنانيك رحمنَ السماء فقد كفاهُم   وكفانا ما بدا من متاعب
فليسَ لهم من أمرك اليوم عاصمٌ   سوى رحمةٍ تجلو ظلامَ الغياهب
وما قومُ نوحٍ همْ، فما بال موتهم   على يد طوفانٍ من الماءِ ساكب
فأقلعِ عن التسكابِ يا غيثُ وابلعي   مياهَكَ يا ذاتَ الثرى والمسارب
عجبتُ لقطرٍ قبلَه الريُّ شاملٌ   وكم من فمٍ من بعد أن فاضَ ناضب
فإنْ نحنُ يوماً قد مددْنا لهمْ يداً   فطائلُ ما يُعطَوْنَهُ بعضُ واجب

*. *. *. *. *

الزهــرة الذابلــة(*)

أنشـودةٌ في فؤادِ الدهـرِ غنـاهـا ... وزهرةٌ عبقَتْ بالـروضِ ريَّاهـا[1]

راشتْ لها في نضيرٍ من طفولتها ... يـدُ المنيَّةِ سهماً في حناياها[2]

ما راعنا وهي فوقَ الغصنِ ناضرةٌ ... إلّا ذبـولُ المنايـا قدْ تغشّـاها[3]

يا جارةً في ربوعِ المجدِ قد درجتْ ... فنضّرت وشقتْ بالبشرِ مغناهـا[4]

يـرى ذَووها مُنى الـدنيا مُجمَّعـةً ... في بسمةٍ تتراءى من ثناياها[5]

وتستحيـلُ كـأنغـامٍ مُـرتمـةٍ ... عند المناغاةِ في الأسماعِ نجواها[6]

ويستـوي إن أرادوا حلوَ قُبلتهـا ... إنْ قبّلوا قـدمـاً أو قبلوا فـاهـا

الأيْـكُ بعدكِ قـد زالتْ نَضَارُتُـهُ ... للهِ زهـرتُـهُ مـا كـانَ أبهـاهـا

سُقيـا لعهـدٍ تـولى كنتِ فتنتَـهُ ... حينـاً وواهـاً لأيـامٍ مضتْ واهـا

(*) قيلت في رثاء طفلة صغيرة للزميل محمد عطوة «بدون تاريخ» ولعلها قيلت ١٩٥٤.

(١) عبق : لزم. عبق به الطيب، أي لزق (امتلأ). رياها: من رويت وريا بمعنى الإرتواء من الماء.

(٢) راشت: أي وضعت الريش للسهم. نضير: بمعنى النضار وهو الذهب ويقصد بالطفلة هنا (أنها في زهرة عمرها) . المنية: الموت.

(٣) تغشاها : أي ضربها وأهلكها.

(٥) ثناياها: المقصود به فمها.

(٥) منى: جمع مُنية وهي الشيء الذي يتمناه الإنسان.

(٦) المناغاة: من نغى بمعنى نبس، والنغية: الشيء من الخبر، والنغية: أول ما يبلغك من الخبر قبل أن تستبينه، وكذلك تأتي بمعنى المغازلة، والمرأة تناغي الصبي: أي تكلمه بما يعجبه ويسـره.

يا وجنةَ الوردِ قد عاذْتْ محاسِنها ... كصفرةٍ الورسِ تمشي في مُحياها
أبـوكِ خلَّفتِـهِ أسـوانَ مـا تـركتْ ... لـهُ ليـاليـكِ إلا حـرَّ ذكـراهـا
لمْ يبقِ فقدكِ يا سوزانُ منه سوى ... نفسٍ بها ما بِها من مُرِّ بلواهـا
محمـدُ الصبرَ، إن الله ذو نعمٍ ... ولا تقـلْ إنْ ألمتْ كُـربـةً آهـا
للصـابرين غـداة الروعِ أجـرُهُم ... وللشـدائِـدِ عنـدَ اللهِ عُقبـاهـا
يـا نضَّر اللهُ قبـراً ضمَّ أعظمهـا ... يـا عطَّر اللهُ بينَ التـربِ مَثْواهـا

* . * . * . * . *

رثـاء عالم(*)

أهاجَ لنا الحـزنُ العيونَ البـواكيا ... وأسهدَ موتُ الشيـخِ منا المـآقيا

بكينـاهُ بـالآلام مـلءَ نفـوسنـا ... وبالحزنِ قتّالاً، وبالـدمعِ جـاريا

ويا دهرُ، لمْ تـدركْ فجيعتنا بـه ... لقد كنتَ جباراً وقد كنتَ قاسيا

أحقاً إمامَ الخيرِ أن لستَ عائداً ... إلينـا، وأنْ لا ملتقى بكَ ثـانيـا

عزيزٌ عليَّ اليوم والخطبُ فـادحٌ ... مقامي وإنشاديـكَ هذي المـراثيا

* . * . * . * . *

ألا رحمَ الرحمن «طاحـون» إنه ... كثيرُ الأيادي عـاشَ للخيرِ هـاديا

همـامٌ بنى للدِّينِ مجداً مُـدعمّـاً ... وشيَّـد صـرحـاً للحنيفـةِ عـاليـا

وكان إذا ما المزنُ ضنَّتْ بمائِها ... هو القطرُ، كلا بل هو الغيثُ هاميا

متى تأتِهِ تلقَ السمـاحة والنـدى ... وإن عدتَ من دارٍ له عدت راضيا

يجـودُ إذا ضنَّ الجـوادُ بنفسِـهِ ... ويرعى لحقِ الضيفِ ما دامَ ثاويا

ولا خيـرَ إلا كـان للخيـرِ رائـداً ... ولا جرحَ إلا كان للجـرحِ آسيا

وكم من صروحٍ للهدايةِ والتُقى ... بناها ـ له الحسنى ـ وأعلى المبانيا

عـرفنا لـهُ في كل مكـرمـةٍ يـداً ... ونعلمهُ للبذلِ في الخيـرِ ساعيـا

وما كان فيضُ النُبـلِ منهُ تـطبعاً ... ولكنـهُ طبـعٌ بــه عـاشَ حـاليـا

جـوادٌ عهدنـاهُ إلى البرِّ مُسـرعـاً ... إذا غيرهُ في البرِّ أبـدى التوانيـا

(*) ألقيت في رثاء العالم الواعظ الشيخ محمد طاحون بمأته في ٣١ مايو أيار ١٩٥٥ .

عظيمٌ رفيعُ القدرِ يسعى إلى العلا ويَعشقُ في نفعِ الأنامِ التفانيا
وهمَّتُهُ في الحقِ دونَ ثباتِها ثباتُ قوي الطودِ الذي باتَ راسيا
فهذا الذي إن عاشَ عاش مُكرَّماً وإن ماتَ يمضي خالد الذكرِ باقيا
عليه سلامُ اللهِ كمْ كان ذا تُقى وكم كان بَراً للحوائجِ قاضيا
قضى عُمره مثلَ الزهورِ فعيشُها قصيرٌ ولكن تتركُ العطرَ زاكيا

* . * . * . * . *

في ذكرى الرافعي

[ألقيت في الحفل الذي أقيم بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة يوم ٤ نوفمبر تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ وكان الشاعر في هذا الحفل على موعد مع أول خطاه في سبيل نباهة الذكر، والالتفات إلى فنه، ورعاية مواهبه...].

من جانبِ الخلدِ في ظلِّ النبيِّينا ... روحٌ أطلَّتْ على أرجاءِ نادينا
تصغي إلى كلمةِ التاريخِ منصفةً ... جرتْ بها اليومَ أقلامُ الوفيِّينا
وتجتلي صفحةَ التقديرِ ناصعةً ... من بعدِ أن طُويتْ بين الورى حينا
قد فاتَ صاحِبَها التكريمُ عن حسدٍ ... حيّاً، فسُقناهُ بعد الموتِ تأبينا

..*.*.*

الحقُّ كالشمسِ لا تخفى أشعتُها ... إلا لتغمرَ عندَ الصبحِ وادينا
وإن أمالَ موازينَ الرجالِ هوىً ... عن الصوابِ فقد ساءتْ موازينا
كالوا له التُّهمَ النكراءَ قاتلةً ... وأرهفوا حولَهُ الأحقادَ سكيّنا
فأغلقَ السمعَ دونَ القومِ ثم مضى ... في جانبِ الحقِّ لا يُبدي لهم لينا

..*.*.*

إني لأعجبُ من شادٍ بهِ صممٌ ... قد أسمعَ الكونَ تغريداً أفانينا
كانت أناشيدهُ أنغامَ عزتِنا ... ولمْ تزلْ معرباتٍ عن أمانينا
فهل ترونَ إذا أصغتْ لنا أذنٌ ... في أي هاويةٍ باتت أغانينا
مشتْ إلى الفتنةِ الرعناءِ توقظُها ... وبالخلاعةِ تغري النشء تلقينا

من همسةِ الجنسِ قد صيغت مراهقةٌ   ضجَّ المجونُ بها معنًى وتلحينا
يا مبدعاً لمعاني الخيرِ. . مشرقةٌ   قد ماتَ لكنَّه أحيا الملايينا
كم بيْنَنا اليومَ من حيٍّ كتابتُهُ   تميتُ كلَّ شعورٍ صالحٍ فينا
قد جاءَ ما قلتَهَ في الحبِّ مكرمةً   وهالةً من سنى تكسو المحبينا
ولم يكن كتفاهاتٍ تسيرُ بنا   إلى انحلالٍ غويٍّ كادَ يطوينا
وليسَ مَنْ خطَّ أفكاراً تصيَّدَها   من الفراشِ ، كمن خط المساكينا[١]

* . * . * . * . *

تلك الروائع قد خلَّفْتَها قمماً   من الفنون جلَتْ أمجادَ ماضينا
تألقتْ في رُبا الإسلام معرفةً   وأشرقتْ في فم الدنيا عناوينا
للدِّينِ والضادِ قد سطرتها مُداً   لما عرفتَهما أقوى صَيَاصينا[٢]
هذا من الذلِّ والأغلالِ يعصِمُنا   وتلكَ تحفظُنا روحاً وتكوينا

* . * . * . * . *

فهل أتاك حديثُ القومِ حين مضَوْا   في مصرَ يستنكرون الضاد والدنيا
ضحالةٌ من ثقافاتٍ مردَّدةٌ   في الغربِ يمشي بها الإلحاد تنّينا[٣]
وأنفسٌ مرضتْ، لم يشفِ علَّتَها   هَدْيُ السماءِ ولا نصحُ المداوينا
تبيتُ يقتُلها مِنْ جهلِها ظمأٌ   والماءُ يجري زُلَالاً بين أيدينا
ونظرةٌ في كتابِ الله واحدةٌ   يُسْقَى بها من مَعين الحق صادينا

---

(١) المساكين : كتاب للرافعي قال عنه مؤلفه «أردت به بيان شيء من حكمة الله في شيء من أغلاط الناس». وقال عنه المرحوم أحمد زكي شيخ العروبة: لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير، وهيجو كما للفرنسيين هيجو، وجوته كما للألمان جوته. وقال الأستاذ محمد سعيد العريان: إنه صور آلام الإنسانية كبيرة الألوان متعددة الظلال، صور المساكين الذين يحتسون الدموع، أو يتطهرون بالدموع.

(٢) الصياصي : الحصون.

(٣) التنين : حية عظيمة.

ومحنـةُ الضادِ مـا زالتْ تطالِعُنـا   بهـا الصحافـةُ أو تُزْجَى دواوينـا
شعـرٌ إذا ما حجحنـا منه قـائلَة   فبـالجمـودِ أو الإغـلاق يـرمينـا
لا تستبينُ سنـا الإلهامِ فيـهِ ولا   يُرضي العرائسَ أو يرضي الشياطينا[1]
لمـا بـدا قَلِقَ الأوزانِ مُضـطربـاً   فَـرّتْ على خجـلٍ منه قـوافينـا

* . * . * . * . *

إن اكتفيْنـا بمـا سقنـاهُ تكـرمــةً   للرفـاعي فقـد قلَّتْ جـوازينـا[2]
فكــرِّمـوه بــأن تحيـا لــه مُثُـلٌ   عُليا إذا هي حيَّتْ سوف تحيينا

* . * . * . * . *

(١) العرائس والشياطين : هي عرائس وشياطين الشعر كما يقولون، وهي خرافة يعتقد بها الجاهليون وهي أن للشر شيطاناً يوحي به للشعراء وكذلك عرائــس.
(٢) جوازينا : أي ما جازيناه به على هذه الأمجــاد.

حفني ناصف

[ألقيت في حفل ذكرى حفني ناصف بجمعية الشبان المسلمين بمناسبة مرور أربعين عاماً على وفاته - ٢٨ فبراير / شباط سنة ١٩٥٩].

على سمعِ الخلودِ تركتَ لحنا ... بـهِ التاريخُ في الآفاقِ غَنَّى
صَحائفَ مُشرقاتٍ منْ بيانٍ ... تـألقُ في الزمانِ فليسَ يَفنى
عرفتُكَ في ذرا العلياءِ سفراً ... سمتْ آياتُهُ لفظاً ومعنى
أكادُ إذا قرأتُكَ في رِثاءٍ ... أراكَ تُعالجُ الحسراتِ حزنا
وألمسُ وحشةَ الدنيا إذا ما ... شكوتُ من الحياةِ أسى وغُبنا
وإن صارحتَ بالوجد القوافي ... أُحسُّ بلوعةِ القلبِ المُعنَّى[1]
وتُطربني المرارةُ في عتابٍ ... يُساقُ إلى الصديقِ وقدْ تَجنَّى
وأقطَعُ خَلفكَ الأميالَ شوقاً ... لِأحيا في ربوعِ قنا وإسنا[2]

* . * . * . * . *

كراسيُّ القضاءِ رأتْ أديباً ... يقَرُّ أمامهُ الخصمانِ عَينا
لقدْ حملَ الأمانةَ فاطمأنَّتْ ... على كتفيهِ، والعدلُ اطمأنا

---

(١) القلب المعنَّى : القلب الذي يعاني من الحزن والألم.

(٢) إشارة إلى قول حفني ناصف في إحدى قصائده حين نقل إلى قنا:

قالوا نقلت إلى قنا ... يا مرحباً بقنا وإسنا

وسارَ إليهِ ذو حقٍ ضعيفٌ   فلمْ يُغمضْ عنِ الإنصافِ جفنا
وذو جاهٍ يجيءُ فلا نراهُ   يُقيمُ لجاهِهِ في الحقِّ وزنا
ولمْ يتملقِ الحكامَ يوماً   ولا بالحمدِ سبَّحَ أو تغنَّى
وليسَ إلى النفاقِ يجرُّ ساقاً   لدى أحدٍ ليدركَ ما تمنى

* . * . * . * . *

تأملات في الأدب والفن والحياة



الشاعر والفكرة(*)

طالَ في اليأسِ والرجاءِ ارتقابي ... يا عروسَ المنى ووحيِ الشبابِ
بتُّ من لهفتي إليكِ أسيراً ... لشقاءين: لوعتي واكتئابي
يسبحُ الفكرُ في سماءِ خيالي ... كشريدٍ يهيمُ بينَ الشعابِ
ها هو الكونُ قد غفا في هناء ... بينما السُّهدُ قد أقام ببابي
قد قطعتُ المساءَ وحديَ.. إلّا ... من صديقين: مِرقمي[1] وكتابي
يا ابنة العقل، أنت شرٌّ دلالاً ... من بناتِ الهوى ذواتِ الخضاب
أنتِ أسهدتِ في هواكِ عيوناً ... ما بدا سُهُدها لعشقِ الكعاب[2]
كمْ تمنعتِ عن موافاةِ فكرٍ ... راحَ يدعوكِ فوق شطِ العبابِ
وتباعدتِ عن لقاءِ خيالي ... جَدَّ في البحثِ عنك بين الروابي
كمْ تلوحينَ بعدَ طول عناءٍ ... كشعاع بدا خلال الضبابِ
ثم يُضني العقولَ منكِ اختفاءٌ ... مثلما يختفي وميضُ السرابِ
فأذني باللقاءِ لمْ يبقَ مني ... غيرُ روحٍ بكأسِ فكري مُذابِ

* . * . * . * . *

(*) نشرت بجريدة «الزمان» في ١٠ يوليه ـ تموز ـ ١٩٥٢.
(١) المرقم: القلم.
(٢) الكعاب: هي الفتاة التي كبرت حتى بدا ثدياها.

همسة الليل (*)

إلى ربوةِ البشْرِ يا سامرُ ... فقدْ ضاقَ بالوحدةِ الشاعرُ
ترفُ علينا المنى بينما ... يطوفُ بنا الأملُ العاطرُ
وقد لبسَ الكونُ ثوبَ الظلا ... مِ وآوى إلى وكرِهِ الطائرُ
نحسُّ هناكَ جمالَ الحياة ... ويكشفُ عن سِرِّها الخاطرُ
وننفخُ في النايِ لحنَ الهناء ... فيسكرنا النغمُ الساحرُ
ويمضي بنا الليلُ في نشوةٍ ... ولمْ يسقِنا خَمرَهُ العاصرُ
فتغبِطُنا في السماءِ النجومُ ... ويحسُدنا القمرُ الساهرُ
وينسى فؤاديَ ما قد جنا ... هُ عليهِ حبيبٌ لهُ هاجرُ
متى نشرَ الليلُ بُردَ الدجى ... يؤرقني طيفُهُ الزائرُ
فللقلبِ من بعدِهِ أنَّةٌ ... وبالروحِ شوقٌ لهُ ثائرُ
وكمْ من شقاءٍ لنا في الغرا ... مِ ومبعثُهُ القلبُ والناظرُ
شكوت له ما جنتْهُ العيو ... نُ فما رحمَ الجؤذرُ النافرُ
وما أورقَ الحبُّ بعد الذبو ... لِ ولا عادَ عهدٌ لنا ناضرُ
إلى ربوةِ البشِرِ طال الحنيـ ... ـنُ وطالَ بيَ الألمُ القاهرُ
لعلَ السقيم ينالُ الشفاء ... ويلقى بها الراحةَ الحائرُ

* . * . * . * . *

(*) نظمت في ٣١ يوليه ـ تموز ـ ١٩٥٢.
هذه القصيدة من النسخة التي نشرها (الأستاذ حته).

آهة شريدة(*)

شفَّني غائل السقمْ ومضى بي إلى العدمْ
فدعِ اللومَ عاذلي في هوى الحبِّ لا تلُمْ
ما عشِقتُ ابنةَ الهوى ربةِ الوردِ والعَنمْ(1)
ضِقتُ بالغيدِ إنني هِمتُ بالكتْبِ والقلمْ
طافَ بي في ربوعها عبقريٌ من النَّغمْ
يبعثَ السحرَ حالماً في بليغٍ من الكَلِم
آهِ للبائسِ الأديب قد أحاطتْ بهِ الظُلمْ
يجرعُ الكأسَ مُرَّةً في صباً أشبهَ الهرمْ
كم يلاقي من الأسى ويُعاني من الألمْ
وَرَد الماء علقماً وسقى غيرهْ الدِّيمْ(2)
فليعشْ كلُّ كائنٍ في رغيدٍ من النِّعمْ
حسبُهُ في .حياتِهِ أنَّهُ طاهرُ الشيمْ
صادق الحسِ ملهمٌ ثابتُ العَزمِ والهِمم

* . * . * . * . *

(*) نشرت بجريدة «الزمان» أول يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٣.
وهذه القطعة لم أعثر عليها في الدواوين المخطوطة وقد أخذتها من الديوان الذي نشره (محمد كامل حته).
(1) العنم نبات له ثمرة حمراء، يشبه بها البنان المخضوب.
(2) الديم : جمع ديمة: وهو المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق.

الحيـــاة(*)

الجـرحُ في الأعمـاقِ غـائـرْ ... والـدمعُ في الآمـاقِ سـاهـر[1]
وفـؤادُك الـمـكـلومُ يـخـفِـقُ ... في الـدُّجى كجناحِ طـائـرْ
لا تـقضِ حـزنـاً إنـهـا ... كـأسٌ تـدورُ بهـا المقـادرْ[2]
قـدرٌ يـسـيِّـرهُ الإلـهُ ... عـلى بـنـي الإنسـانِ دائـرْ
هـذي الحياةُ.. فهـل بـدا ... لشقـائِهـا يـا صـاحِ آخـر
تـمـضـي بـنـا والأمَّـهـا ... تُ يـلدنَ سكـان الـمـقـابـرْ
عيشُ الـفـتـى فـيـهـا خـيـا ... لُ مـرَّ في لـيـلٍ بـخـاطـرْ
وأرى بـهـا صـوتَ الـنـوا ... دِبِ مثـل دقَّـاتِ الـمـزاهـر[3]
وغـنـيّـهـا مـثـلُ الـفـقـيـر ... تـوَّحـدتْ لهمـا الـمصـائـرْ
كـلٌ إلـى جـوفِ الـتـراب ... إلـى ظـلامِ الـقـبـرِ سـائـرْ
ذاقَ الأوائـل مُـرَّهـا ... ولـسـوفَ يـعـرفـهُ الأواخـرْ
كمْ حـامـلٍ تـاجَ الممـالِـك ... واسـعِ الـجـبـروتِ قـاهـرْ
كـانـتْ تـدقُّ لـدى الـغـدوِ ... وفي الـرَّواحِ لـهُ الـبشـائـر

(*) يوليو ـ حزيران ـ ١٩٥٤.

(١) الآماق : جمع مؤق وهو مجمع الدمع في العين.

(٢) لا تقض : أي لا تقتل نفسك حزناً، المقادر: أصلها : المقادير.

(٣) هذا البيت مأخوذ من قصيدة المعري التي مطلعها:

غيـر مجـدٍ في ملتي واعتـقـادي ... نـوح بـاك ولا تـرنـم شـاد

والبيـت هو:

وشـبـيـه صـوت الـنـعـيِّ إذا ... قيس بصـوت البشير في كـل نـاد

نـاهٍ إذا طـلعَ الـنَّـهـار   وإن تـراءى الـليـلُ آمـرْ[1]

وثـبَ الـمنـونُ عـليـهِ مـقـ   ـهـوراً وليسَ لـديـهِ نـاصـر

فـإذا بـهِ بـيـنَ الـثـرى   يحثـو الترابَ عليـهِ حـائـر

* . * . * . * . *

وفـتـاةِ خـدرٍ لـيسَ يـر   نـو نحوهـا طَـرْفٌ لنـاظـر

لـو أبصـرَ النـاسُ الجمـال   بهـا لقالـوا سحـرَ سـاحـر

سبحـانَ مـن خَلق العـيـون   وشـقَّ هـاتيـكَ المـحـاجـر

عـاشـت مُـمـنَّعـةً بـسـيـ   ـفِ الأهـلِ في ظلِّ العشائـر

حـتـى إذا عـبـثَ الـزمـان   بـقـومـهـا الـغـرِّ الأكـابـر

ومـضـى بـهـمْ صـرفُ الـليا   لي تـاركـاً أختَ الجـآذرْ[2]

بـرزتْ مُـحـطمـةَ الـفـؤاد   كـسـيـرةً والـوجـهُ سـار

والـدهَّـرُ أقسـى مـا تـبـدَّ   ى لاطـمـاً خـدَّ الحـرائـر

* . * . * . * . *

فـإلى متى يمضي الـزمـان   وأنـتَ فـي الآثـامِ سـادر؟

مـا أنـتَ في هـذي الـحيـا   ةِ سـوى قليـلِ الخلدِ عـابـر

فـاعمـلْ على كسب المثـو   بَـةِ إنـهـا زادُ المـسـافـر

والـمـرءُ فـانٍ لـيس يَـبـ   ـقـى خـالـداً إلا المـآثـرْ

* . * . * . * . *

الـكـلُّ حـولـكَ يـذهـبـو   نَ وبـالـمنيـةِ أنت شـاعـر

أيـنَ الـذيـن عـرفـتَـهُـم   مـلء المجـامـعِ والمحـاضـر

---

(١) ناهٍ. وآمر: أي صاحب ملك وشأن يأمر وينهي فيطاع.

(٢) الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية وهي كناية عن جمال الفتاة وجمال أخواتها.

ذهبَ الأحبةُ وانقضى   عهدٌ لهمْ فينانُ ناضر
خَلتِ المنازلُ بعدهمْ   مِن أُنسها وانفضَّ سامر
لمْ تبقَ إلا لهفةٌ   لمعذَّبٍ وحنينُ ذاكر
وكأنَّهمْ ما أسعدوكَ   بعطفِهم والربعُ عامرْ
وكأنَّ سالفَ عيشِهم   حُلُمٌ بجنحِ الليلِ عاطر
تركوكَ مضطرم الجوا   نحِ هائماً والشوقُ ثائر
قدْ كانَ آخرُ عهدِهم   بك والزمانُ عليك جائر
أيامَ تكبو في المسير   مُكافحاً والجدُّ عاثرْ
ولطالما صَعَدَ الجهولُ   وباءَ بالخسرانِ ماهرْ
وجزعتَ يوم رحيلهمْ   وتفطَّرتْ منكَ المرائر
فيمَ البكاءُ وإنْ مضوا   بالأمسِ تمضي أنتَ باكرْ

* . * . * . * . *

والناسُ منهم إن طلبتَ   وِدادهمْ برٌّ وفاجرْ
فاربأ بنفسكَ أنْ يغرَّ   كَ منهمُ زيفُ المظاهرْ
إنَّ الذي باعَ الوداد   بضائعِ الميثاقِ خاسرْ
كمْ طاهرٍ في ثوبِهَ   هو ليس في خُلُقٍ بطاهرْ
يبدي إليكَ مودةً   والحقدُ تخفيهِ السرائرْ
وعليكَ يُثني حاصراً   ويلوكُ ذمَّك غيرَ حاضر

* . * . * . * . *

أواه من غدر الصَّديق   وآهِ من موتِ الضمائرْ
فإذا ظفرتَ بصاحبٍ   لك في الصداقةِ غيرَ غادر
فاحرصْ على كنزِ الوفا   ءِ فإنَّهُ في الناس نادر

* . * . * . * . *

حول قيود اللغة(*)

[إلى الأستاذ يوسف السباعي]

أشْعلْتَ حرباً لم تضعْ أوزارُها
تركتْ بكلٍّ صحيفةٍ آثارها
وحملْتَ حَمْلَتَكَ الجريئةَ فانْبَرتْ
أقلام منْ خاضوا وراءكَ نارها
ورميت أختَ الضَّادِ منك بطعْنةٍ
كادتْ تدكُّ قويةً أسوارها
وخرجتَ للتجديدِ تحملُ دعوةً
أوحتْ لغيركَ أن يخوضَ غمارها
جاءتْ فظاهِرُها التقدُّمُ بينَما
أخفى البريقُ بجوفِها أخطارها
وظللتَ تهتِفُ بالتحررِ زاعماً
أنَّ التحرَر قدْ يقيلُ عَثارها[1]

(*) ٢ أيار / مايو ١٩٥٥.

(١) العثار : من عثر بمعنى الزلة، يقيله من عثاره ينهضه من زلته

عجباً..! أتُحيونَ التراثَ بقتلها
وتقوِّمونَ بهدمِها مُنهارها[1]
ورأيتُ قوماً يُرهقونَ عُيوبها
طلباً وراحوا يَطمسونَ نُضارها
سفهتموها ظالمينَ وهكذا
قدْ شاءَ أهلوها الغداةَ دمارها
والبعضُ قامَ مُشمراً عن ساعدٍ
يرمي بكلِّ عظيمةٍ أنصارها
والأزهرُ المسكين يجرعُ ظُلمكمْ
وهو الذي قد ضَمها فأجارها
ما ضرَّ منْ مَلكوا أعنَّة لفظِها
في درسِهمْ أنْ يَسبروا أغوارها
كانوا وما زالوا عليها قامةً
أنلومُ في أنْ يدركوا أسوارها
قلتمْ تَشعبتِ المسائلُ عندها
وشكا الصغارُ فحطموا أحجارها
لا تظلموا النشءَ الصغير فإنهُ
ما كان يوماً يكرهُ استظهارها
أقسمتُ لم يشكُ الصغارُ وإنما
قدْ ساءَ مزعومُ القيودِ كبارها

---

(١) إشارة إلى يوسف السباعي الذي كان يشغل رئيس المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، ومن مهماته إحياء التراث وتشجيع المواهب، فكيف يكون رئيس المجلس من المتهجمين على اللغة والهادمين لها.

إن المذاهبَ في الشريعةِ جمةٌ
والفلسفاتُ - كما ترى أطوارها

وكذا النُحاةُ تباينتْ آراؤهم
كلٌ أرادَ طريقةً وأختارها

رفقاً بعابرةِ القرونِ ورحمةً
أتريدُ منها أن تُفارقَ دارها

إني أعيذُكَ أن تكون إذا قضتْ
يوماً وواراها الثرى جَزارها

* . * . * . * . *

زفــــرة[1]

[.. فيها شجن، وتجلد، وفيها يكاد الشاعر يرثي نفسه
نظمت في ٢٧ / أغسطس/ آب ١٩٥٥].

جـمـالُـكِ يَـبْـهَـرُ فَـنَّـانَـهُ وسـحـرك تـقـهـر ألـوانُـهُ
فـلو أن دَيْـراً مـررتِ بـه لـمـا هجـر الـحُبَّ رهـبـانُـه
نـظرتُ إلى شـادنٍ كـالـدمى قـد اهـتـزَّ من مـشيـةٍ بـانُـه
فسـاءلت نـفسـيَ في حيـرةٍ: أقـد هجر الـرمـلَ غـزلانـه؟
تمشَّى الهـوى في دمي صارخـاً وألـهـبـت الـقـلبَ نـيـرانـه
وأيـقظ فـيـه ضـرامَ الـحـنـين فـتـيُّ الـشـبـاب وريـعـانـه
ويـغـريـك بـالـهـجـر ذاتَ الـدلالِ خضـوعُ الـفـؤاد وإذعـانـه
فـرفقـاً بقلب صـريـع الأسى كـفـاه الـزمـان وعـدوانـه
ألـم تـعـلمي أنـه واتِـرِي[2] ومـا انـفـكَّ تـنـزل أحـزانـه
لـبثـتُ على ريـبِـهِ صـابـراً يُـجَـرِّعـنـي الـمـرَّ خـذلانـه
كـتمتُ الـشكـاةَ على أنـهـا لـرَاحَـةُ قـلبـي وسـلوانـه
وإنـي تـحـمـلت مـا لا يـطا ق لنقتـلَ ذا الحقـد أضغـانـه
وأُمسـك عـينـيَّ أن تـدمعـا وفي القلب قـد ثـار بـركـانـه

---

(١) وفي المجموعة الأخيرة لم يكن إلا خمسة أبيات وهي الأبيات الأخيرة ابتداء من (دفنت الأسى). [المحقق].

(٢) واترى : من وتر الرجل، أي أفزعه، وأصابه بمكروه.

أقول له خشيةً الشامتين : تجلَّدْ فللمجدِ أثمانُهُ
وذو الجرح إن شاء إخفاءَه ففي ساكب الدمع إعلانه
ويا هر مهلاً فلستُ الذي تلين لدى الخطب عيدانه
ورُبَّ جوادٍ كبا في السباق ولم يُحرز السبق أقرانه
وأكثر ما أغتدي واثقاً بنفسي وللكرب طغيانه
وإني بها مؤمنٌ في الخطوب إذا غيريَ أنْهارَ إيمانه
دفنت الأسى همِّيَ حنايا الفؤاد فبرَّحَ بالقلب كتمانه
وصيرتُ هيَ جارَ الضلو ع فضجَّت من النار جيرانه
حزنتُ على أملٍ باسم يكاد يُهَدَّم بنيانه
على صادحٍ غردٍ أصبحت تصاغ من الشجو ألحانه
على قَبَسٍ مُؤْذِنٍ بالخمود وقد فاض بالنور وجدانه
ويُعرف قدر الكميِّ الأغر إذا ما خلا منه ميدانه
وإن الزمان كما تعلمين يموت ولم يُرْوَ ظمآنه
يلين فتُنسى إساءاته ويقسو فينُكَر إحسانه
وقد علم الدهر أنِّي الغداةَ على مذبح المجد قربانه
مقادير تجري بأحكامها وما ينفع العبد كفرانه

* . * . * . * . *

شعراء يبعثون في موكب التحرير

[نظمها الشاعر في ٩ ديسمبر كانون أول ١٩٥٨]

حسان بن ثابت

عــهــدٌ بـجـلَّقَ[١] لا نُـؤْيٌ[٢] ولا دِمــنُ[٣]
مُــذْ طـابَ لي في مغـاني أهـلِهـا سكـنُ

قالوا أتسمو رُبـا نجدٍ فقلتُ لهم ... وهـلْ طويـلاً يضُمُّ البلبـلَ الفَننُ
ومـا عَلَيَّ إذا ما صـرتُ متَّخِـذا ... أخاً من العُربِ لي من أرضِه وطنُ
أليسَ تجمعُنـا في ظِلِّهـا لغـةٌ ... أمٌّ، وتمضي بِنا نحو المنى سَنَنُ[٤]
وتزحَمُ الشمسَ في الآفاقِ معرفةٌ ... مُضيئـةٌ تغمـرُ الـدنيـا وتحتضنُ
أواصــرُ الـدمِ والقــربى تُكَتِّلُنـا ... فـلا تُمـزِّقنـا الأحـداثُ والمحنُ
وكمْ يلوحُ لنا فوقَ السُّها[٥] أملٌ ... وليسَ يُقعـدنـا عن نـيلِهِ وهَـنُ

---

(١) بجلق : دمشق أو غوطتها.
(٢) النؤى: حفر حول الخيام تقام عليها الأثافي وهي الأحجار التي توضع عليها قدور الطعام.
(٢) الدمن : جمع الدمنة، وهي آثار الدار.
(٤) السنن : الطريقة، القصد.
(٥) السُّها : كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم.

ماضٍ يطوفُ بهِ التاريخُ في ألقٍ ضاحٍ[1]، ويسجدُ إجلالاً له الزمنُ
وحاضرٌ قد سقتْ أفنانَه مهجٌ بِيعَتْ وليس لها إلا العُلا ثمنُ
وسوفَ يبني الغَدَ المنشودَ كلُّ فتىً على الأُخوَّةِ والميثاقِ يؤتمنُ

الخنساء

فقدتُ تجلُّدي وبكيتُ دهرا وعشتُ أردِّدُ الأنفاسَ حرّى
ومثلي إنْ بكتْ بكتِ المآقي وتنثُرُ دمعَها في البيدِ شعرا
ولي فيما تجيءُ بهِ الليالي عزاءٌ يلهمُ المكلومَ صبرا
فكلُّ العُربِ لي أهلٌ كرامٌ وكلُّ فتىً أُطالعُ فيهِ صخراً[2]
وقومي منْ لهمْ في كلِّ آنٍ أيادٍ تُكسبُ الأيامَ فخرا
ولا يجزُونَ أهلَ الخيرِ شراً وقد يَجزونَ أهلَ الشرِّ خيرا
رأيتُ سناً يطلُّ من الدَّياجي على آفاقِهم ولمحتُ فجرا
كأني بالفتى العربيِّ يوماً وقد عَرفَ الطريقَ فسار حُرا
وأدركَ كلَّ ما نَصبو إليهِ وأحرزَ في مجالِ العزِّ نصرا
وأمسكَ غِمدَ مِنصلِهِ بكفٍّ ومدَّ إلى سماءِ المجدِ أخرى

الأعشى

طوى هريرةَ ركبٌ دونهُ البيدُ وفي المنازل عشاقٌ معاميدُ[3]
وبينَ أضلعهمْ من هَجرها نبأٌ وملءُ أعينِهم دمعٌ وتسهيدُ

---

(١) الألق الضاحي : الضوء الساطع، أو البارز.
(٢) صخر : أخو الخنساء الذي فقدته وعاشت تذكره وترثيه.
(٣) معاميد: هدَّه العشق أضناه.

لا تذكروا لي عُهوداً للهوى سلفتْ ... فالشيبُ للعاشقِ المفتونِ تفنيدُ[1]

وغَنِّيـاني بـأمجـادٍ إذا ذُكـرتْ ... يُنسى لها الأطيبان: الخمرُ والغيدُ

أمجادُ قوميَ، أمَّا ذكرُهم فنَدٍ[2] ... عـذبٌ، وأمـا تـآخيهمْ فمحمـودُ

لا تُـرفَـعُ النـارُ إلا في منـازلهمْ ... فيلتقي حـولَهـا الإقـدامُ والجـودُ

حياتُهم في الورى يومانِ: يوم نُدىً ... ويومُ بأسٍ على الأعـداءِ مشهودُ

عاشوا على مِعزَفِ التاريخِ أغنيةً ... بكـلِّ سمـعٍ لهـا لحنٌ وتـرديـدُ

هذي مآثرُ شعبٍ بالعُلا كلفٍ[3] ... أجـدادهُ سـادةٌ، آبـاؤهُ صيـدُ[4]

ولوفتىً صاحَ في أعلى الحجازِ: أخي ... إليَّ هبَّتْ من الشـامِ الصناديـدُ

* . * . * . * . *

---

(١) تقنيد : تكذيب.

(٢) ند : طيب ، كريم .

(٣) كلف : مولع ، عاشق.

(٤) صيد : جمع أصيد، وهو الذي لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً.

حــوار

[خواطر نفسية أدارها الشاعر في حوار بينه وبين روحه وعينه وقلبه. يقول الشيخ مصطفى الرفاعي شقيق الشاعر: إنه نظمها في أواخــر أيامــه].

بعينيكِ ما أضمى الفؤادَ وما أصبى ... وحبُّكَ ما أغرى بيَ الأملَ الجدبا
وهجرُكَ ما أحسستُهُ في جوانحي ... لهيباً.. وما ألقاه في أضلُعي كربا
ليـاليَّ من حـولي فـراغٌ ووحشَةٌ ... وبيداءُ من شوقٍ ضللتُ بها الصَّحبا
وكنتُ مـع الأيـامِ أحيـا مُغـرِّدا ... لغيرِ عروسِ الشعر لا أُسلم اللُّبَّا
سـوى هـذهِ لمْ ألقَ قبلكِ غـادةً ... عصرتُ شبابي في مراشِفِها ذوبا
وأوليتُها زهراً نمـا في خواطـري ... ومـذخـورَ تحنـانٍ بعـاطفتي شبـا
لقيتـكِ مجهـولاً يعـانقُ نـاظـري ... فرُحتُ إلى المجهولِ أقتحمُ الحجبا
ويا ليتَ أَني ما أبحتُكِ مهجتي ... وفَرتُ[1] هناءَ النفسِ لو أعلم الغيبا

* .* .* .* .*

وقلتُ لعيني يوم غُصَّتْ بدمعها: ... أَشكوى، وهذا ما أمرت به القلبا؟!
أما رقصتْ في وجهِها منكِ نظرةٌ ... فكلَّفَتْنِي أمـراً شقيتُ بـهِ صعبـا
وصوَّرتِ لي من ذلكَ الحسنِ جنّةً ... فكانَ عذاباً ما وعدت به عذبا؟

(١) وفرت : صنت.

فقـالت: كلانـا للجمـالِ ضحيـةٌ ولكنْ جنى غيري فحمَّلتني الذنبا
مشى القلبُ في دربِ الهوى فصحبته وما كنتُ إلا النورَ يكتنفُ الدربا
وإن شئتَ أنْ تَلقى دليلَ براءتي فقمْ وأسألِ الأعمى ألا يعرفُ الحبا

* . * . * . *

الشعر والحيـــاة(1)

في ربــوعٍ ظــلالُهــا فـتــانــهْ ... يبسُطُ السحــرُ فـوقهــا ألــوانــه
صـادحُ الـطيرِ في رُبـاهـا تُغني ... وَشــدا لـلخَـمـيـلةِ الـفـيـنـانـه
وجــرى المـاءُ بــالحيـاةِ نمـاءً ... طــرَّز العُشبُ والنَّدى غــدرانه
ونـسـيـمٌ مـؤرخٌ قــد تَـهــادى ... في مُجـونٍ يُـداعبُ السنـديـانه
بينَ تلك الـرُّبا وهـذي المغـاني ... والــرؤى والمفـاتِنِ العَــريـانـه
قـد عرفتُ الـوجودَ طفـلاً بريئـاً ... حــظُّهُ منــهُ أنْ يمصَّ بـنـسـانـه
ورأيـتُ الــدُّنــا بعيني صبيٍ ... لمْ يكنْ بعـدُ حـامـلاً أحــزانه
يتبــعُ الــرفقــةَ الصغــارَ لِلَهــوٍ ... قــدْ أعـدُّوا في بيـدر مَيدانــه
وَيَجــدُّونَ في اصـطيــادِ فـراشٍ ... طـافَ بالحقـلِ مُسرعـاً طَيـرانه
ولكَمْ عــربــدوا بـضَفَّـةِ نـهــرٍ ... وتحــدَّى سبَّــاحُهم خـلجــانــه
وعلى الشـاطىءِ المقـابــلِ راعٍ ... سـاقَ للعشبِ فـوقَــهُ قُـطعـانــه
وإذا ضـمَّــهُ من الـتــوتِ ظــلُّ ... داعَبَ النـايَ مُـرسِــلاً ألحـانــه
لستُ أنسى انطلاقهمْ في الليالي ... يـومَ أدنى الســرورُ منهم دِنـانـه
أزعجـوا النائمينَ بـالـدربِ لهـواً ... صــارخـاً شقَّ للفضــاءِ عَنـانــه
ويَــفــرُّونَ فــي قــرارٍ خــفــيٍ ... حينَ يـأتي الخفيرُ بـالخيـزُرانـه
ذكــريــاتٌ تـلوحُ للعـينِ خــطـاً ... مِنْ سنىً أوهَن الأسى لمعَـانـه

---

(1) نشرت بعنوان «صور وذكريـات» في الديوان الذي طبع باسم الشاعر (ولعلها قيلت سنة ١٩٥٩. [المحقق].

أبعَدَ الدهرُ عهدَها وفؤادي لمْ يزلْ خالطاً بها خَفَقانه
ووعى الريفُ صورةً من حياتٍ برَّةٍ عشتُها، وسلْ رَمضانه
أمسياتٌ من الضياءِ وليلٌ رفَّ في جُنحِه الإخاءُ وزانَه
ساهرٌ عندهُ تجمَّعَ قومي حولَ شيخٍ مرتلٍ قُرآنه[1]
في خشوعٍ لا يسمعُ المرءُ منهمْ غيرَ همسٍ: سُبحانهُ سُبحانه
الشموعُ التي بأيدي صغارٍ أسعدتهمْ دُموعُها الهتَّانه
والأساطيرُ عن حُروبٍ رَواها شاعرٌ في النَدي أعلوا مكانه[2]
وطبولُ السحورِ في هدأةِ الليـ ـلِ بفطريٍّ جرسها رنانه
والتراويحُ تحتَ خفقِ شُعاعٍ لقناديلَ تشتكي الاستكانه
والتسابيحُ كلُّ مطلعِ فجرٍ قبلَ أنْ يُعلنَ الإمامُ أذانَه
ودبيبُ الشيوخِ نحو المصلّى أمَّلوا عندَ ربِّهمْ غُفرانهْ
صورةٌ تملأُ الغداةَ خيالي حينَ أطلقتُ للخيالِ عنانه

* . * . * . * . *

وتقضى الصبا ومرَّتْ ليالٍ حالياتٌ ببشرِها مُزدانه
سارَ بالصِّبيةِ الزمانُ ووالى بأَسَاهُ وَخيرِهِ دَورانهْ
فإذا الإنطلاقُ سجنُ كفاحٍ أحكمَ الدهرُ حولَهمْ قضبانه
أسلمتهمْ حياتهم لشبابٍ قد قضَوا في نضالِهم رَيعانه
من حينٍ في صوتِ ورقاءَ تشدو عرفوا الحبَّ واجتلوا تحنانه[3]
كلَّما جاءَهم ربيعٌ جديدٌ يشهدُ الزَّهرُ والهوى مَهرجانه
وعن الفجرِ حينَ يبدو كبيراً ناشراً من وضاءةٍ طيلسانه[4]

---

(١) الساهر : مكان السهر.
(٢) الندي : مكان اجتماع القوم للسمر أو مناقشة الأمور.
(٣) نشرت في الديوان السابق «واجتنوا» والأصل كما ورد هنا.
(٤) الطيلسان : الأعجمي ويقصد به البياض والضوء.

عَـرَفـوا لـذَّةَ أزدهـارِ الأمـاني في قلوبٍ لنيلهـا ظَـمـآنـه
وتجيشُ النفـوسُ بـالأمـلِ الـ ـحلو ليقضوا من الحياةِ لُبانه[1]
الأنينُ المكتومُ في صـدر كهـلٍ شَحَنَ الغـرامُ بـالقُـوى شـريـانَـه
في سبيـلِ البقـاءِ يفنى ويَشقى مِنْ دمـوعٍ ومنْ دمٍ عيـدانـه
بـذراعٍ معـروقـةٍ أثـقـلتـهـا يدُ فـأسٍ يَبُثُّـهـا أَشَجـانـه
يـتـولـى زروعَـهُ كـصـغـار وأبٍ قـد أَذَابَ فيهـمْ حنـانـه
للثرى عـاش ثُمَّ في ذاتِ يـوم سيـواري هـذا الثـرى جُثمـانـه

* . * . * . * . *

لـوحـةٌ لا تـزالُ تنبضُ بـالـرِّيـ ـفِ صـراعـاً وعـزةً وأَمَـانـه
تـدفـعُ المـرءَ للكفـاحِ مَـريـرا وتـقـوِّي بـنـفـسِـهِ إيـمـانـه
ولَـكـمْ أَضْـرَمـتْ شعـورَ أديـبٍ عـاشَ فيهـا وألهبتْ وُجـدانـه
مـلأتْ صـدرهُ أحـاسيسُ شتَّى صَبغتْ بـالأسى العميقِ بَيـانـه
وسمعنـا القـريضَ من فَـمِ شـادٍ أنـطَقتْ بـالجميـلِ منـهُ لسـانـه
فجرى كالسهـولِ صفواً أو كـالز رعِ نَمـاءً وكـالـطِّبـاعِ رَزانـه
لفـظُهُ في صلابـةِ الأرضِ نَسجاً والمعـاني في رِّقةِ الأُقحـوانـه[2]
أَيُّهـا الهـاتفـونَ بـالشعـرِ حُـراً ولَـكُـمْ دَعـوةٌ بِـهِ طَـنَّـانـه
قـد أتيتمْ لـه بنهـجٍ غـريـبٍ يَعـرِضُ اليـومَ بينَكمْ سُـلطانـه
وهـجـرُتـمْ تـوافِـهَ الـمـتـنبَّي وأبَـنـتُـم بـعـلمكـمْ نُـقـصـانـه
وتـشـدَّقـتـمُ بـزُخـرفِ قـولٍ عَن مفـاهيمَ نَمَّقَتها الـرَّطـانـة[3]
ثمَّ قُلتُـم منَ الـحيـاةِ كـلامـاً ومِنَ الـواقـعِ استَمـدَّ كيـانـه

---

(١) اللبـانة : الحاجة .

(٢) الأقحـوان : البابونج وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر، والجمع أقاحي وأقاحِ .

(٣) الرَّطانـة : بفتح الراء وكسرها: الكلام بالأعجميـة .

ليسَ شعراً وإنّما هو شيءٌ فوقَه الشِّعرُ رتبةً ومَكانه

ذهبتْ عنهُ روعةٌ لِلُحُونٍ يرهفُ الدهرُ عندها آذانهْ[1]

وخلا منْ أصالةٍ وجلالٍ بِهما أظهرَ الزمانُ افتتانه

إنَّه أبصَرَ الحياةَ سَقيماً حاملاً في يمينِهِ أكانه

أيعيشُ الوليدُ والداءُ يمشي بينَ جنبيهِ ناشراً سُلطانه

إنَّما الشعرُ ما تدَّفقَ عَذباً في بناءٍ فأحكموا بُنيانه

أسمِعونا إذا اسْتَطَعْتُم قَريضاً لا خيالاتِ جالسٍ في حانه

فإذا شقَّت القيودُ عليكم فَدعوهُ لمنْ يصوغُ جُمانه[2]

إنَّني ما رأيت في الروض يوماً ما، غراباً مزاحماً كروانه[3]

* . * . * . * . *

أَمِنَ الفنِّ أَنْ يُساق كلامٌ ساذجٌ باسمِ نهضة شَيطانه؟

طالِعوا النورَ في تراثِ القُدامى وانظروا كيفَ أبدعوا تيجانه

سجلوا الواقعَ المُرَادَ ولكنْ جعلوا الفنَّ عالياً تَرجمانه

رسموا صورةَ الحياةِ لديهم في جلاءٍ بريشةٍ فنَّانه[4]

لا أنادي بأنْ تحاكوا زهْيراً فيهِ أو أن تقلِّدوا حسَّانه[5]

راحَ عهدُ الوقوفِ بالطَّللِ البا كي فلا تَذكروا بهِ سُكَّانه

---

(١) اللحن الخطأ في الإعراب.

(٢) الجمانة : حبة تعمل من الفضة كالدرة.

(٣) الكروان : طائر ، قيل هو الحباري له صوت جميل.

(٤) هذا البيت والأبيات الثلاثة التي سبقته لم أجدها في الأصل، وإنما وجدت سهماً في موضعها وكأنه يشير إلى وجود أبيات في موضعها ولا أدري أين وجدها ناشر الديوان الأستاذ حته.

(٥) زهير بن أبي سلمى من شعراء المعلقات في الجاهلية: عرف بحكمه وعنايته الشديدة لشعره.

حسان بن ثابت : شاعر الرسول ـ ﷺ ـ من الأنصار، له شعر في الجاهلية والإسلام، عاش طويلاً.

جدِّدوا ما استعتُم في المعاني وقِفوا لا تُحطِّموا أوزانه

ليستِ الفكرةُ الجديدةُ تأبى عُرَضَها في جزالةٍ ورصانة

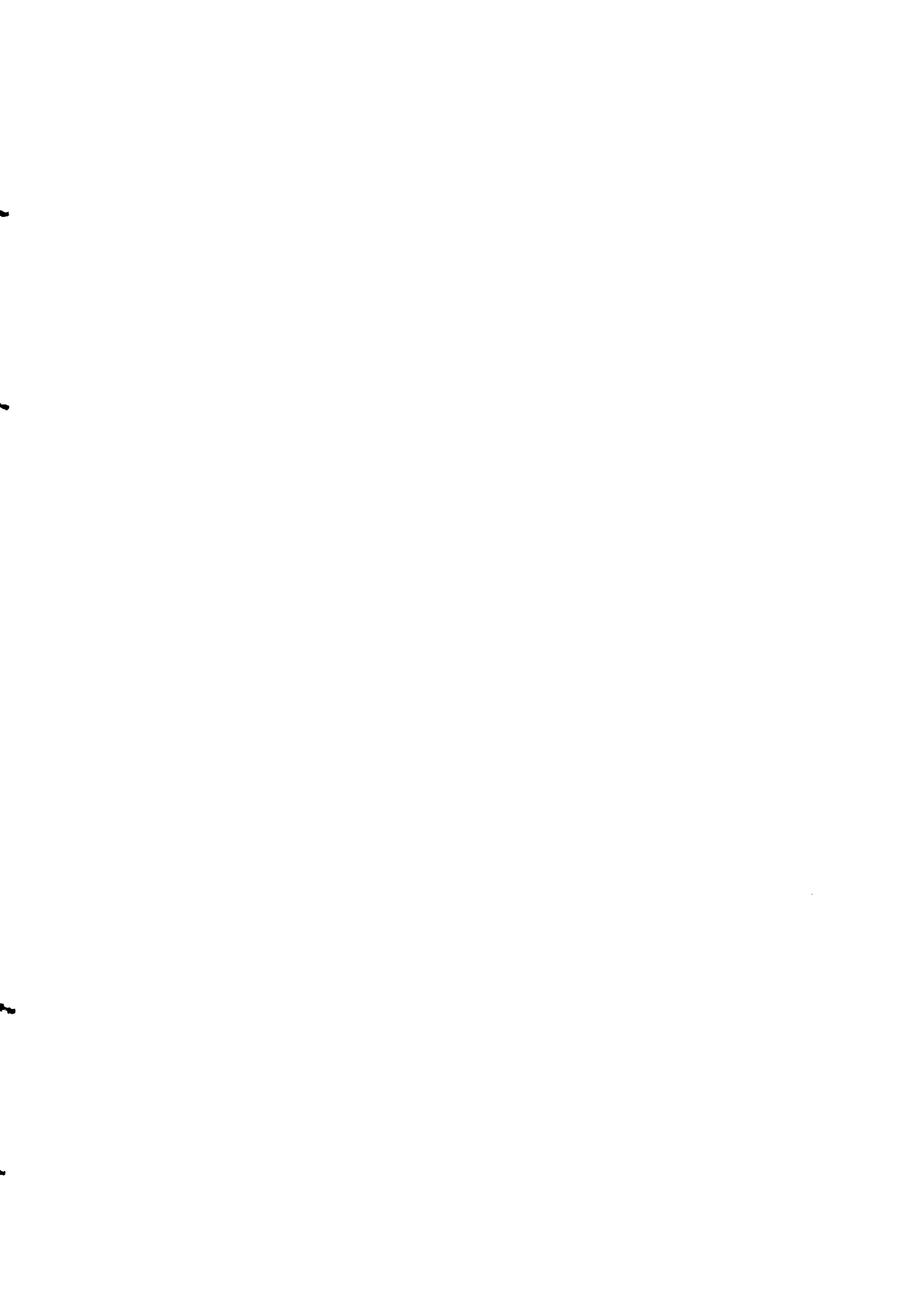
أَلْبِسوها من القوافي خُلوداً ومن الوزنِ قوةً ومتانه

لا تحيطوا تراثنا بلهيبٍ في غدٍ تكرهُ العيونُ دخانه

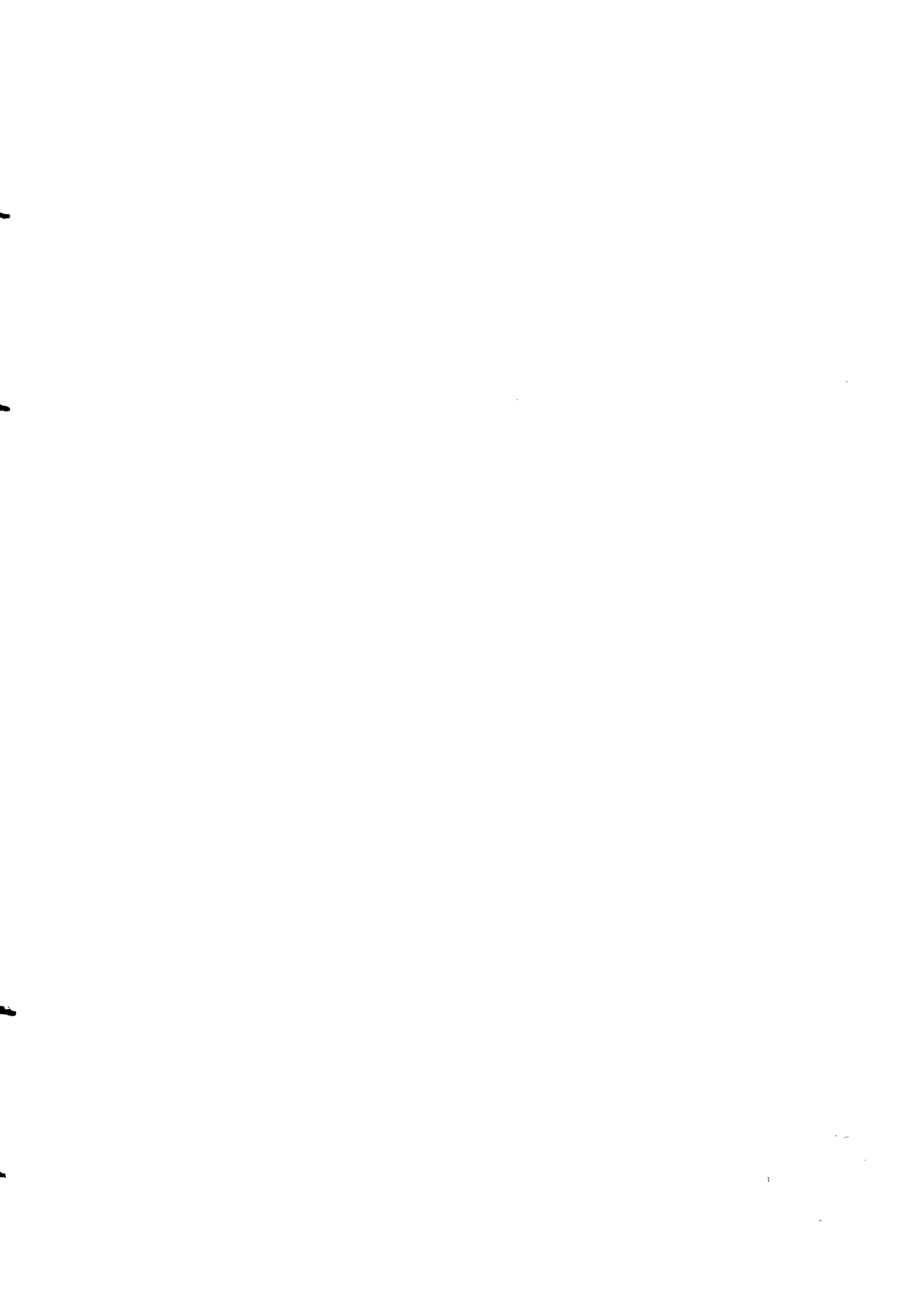
كل نهجٍ أتى ليسترَ عَجزاً تتَّقيهِ وتزدري بُهتانه

ربِّ إني على القديمِ مُقيمٌ وأعدُّ الخلاصَ منهُ خِيانه

* . * . * . *



العَاطِفَة وَالمَرْأة



آلام عاشق(*)

[إلى التي شغلت قلبي البكر وأشعلت فيه جحيماً لا يطاق]

قِفا حدِّثاني هلْ أصابَكما وَجْدُ ... وهل أسهدت في الحبِّ عينَكما هندُ[1]

وهلْ ذُقتُما نارَ الهوى ولَهيبَهُ ... كما ذَاقَها صَبٌ أضرَّ بِهِ السُّهدُ

فإنْ لمْ تكونا تعرفانِ من الهوى ... سوى لفظه، بشرى فذاك هو السعد[2]

فإنَّ الهوى داءٌ إذا ملك الفتى ... أمسى وأضحى وما مِنْ قَتلهِ بدُّ

خليليَّ رِفقاً لا تلوما فإنَّني ... جُنِنتُ بها حَبّاً وأهلكني الصَّدُّ

أبيت بليلٍ لا أذوقُ منامَهُ ... وأصحو فلا أدري إلى أيِّها القصدُ[3]

إذا مرَّتِ النسماتُ خِلتُ عواصفاً ... وإنْ غرَّدَ العصفُورُ أحسبُهُ الرعدُ

مصيري وربّي مثلُ قيسِ بنِ عامرٍ ... لمَّا نأتْ ليلاهُ أهلَكهُ البُعدُ

سأقتلُ نفسي إنْ أبتْ هيَ وصلَها ... وإنْ هيَ جادتْ كانَ عيشي إذاً رغدُ

وما لِلفَتى ذنبٌ إذا هزَّهُ الهوى ... وأضناهُ مَنْ يهوى وأرهقهُ الوجدُ

سلامٌ على قلبي إذا طالَ هجرُها ... سَيفني ويَمضي حيثُ يجمعُنا اللَّحدُ

(*) أثبتت هذه القصيدة لتكون نموذجاً من شعره المبكر. يوضح تطور الشاعر وينبىء عن مواهبه المبكـرة.

(١) في نسيم السحر «وهل شغلت قلبيكما» دعد أم هند.

(٢) البيتان الثالث والرابع غير موجودين في مجموعة آهات شريدة.

(٣) هذا البيت وإلى ما قبل الأخير غير موجودة في مجموعة آهات شريدة.

٢٢ ينايـر ـ كانون ثاني ـ ١٩٤٩.

غــزل (*)

يــا إلــه الــحــبِّ رفــقــاً قــدْ وهى خيــطي وَرَقًــا
وسئمــتُ الـسُّـهــد لــيــلاً إنني بالسهــدِ أشــقــى
فــســلامٌ مــن جــريــحٍ قــد قضى الأيــامَ عشقــا

*. *. *. *

يــا إلــه الــحــبِّ رفــقــاً هــدَّني سكبُ الــدمــوعْ
وسئمــتُ الــســهــد لــيــلاً والــجــوي بيــن الــضــلوع
فــســلامٌ مــن جــريــحٍ لم يــذقْ طعــمَ الهــجــوع

*. *. *. *

يــا إلــه الــحــب رفــقــاً مــتُّ هِــجْــرانــاً وصَــدًّاً
وسئمــتُ الــســهــد لــيــلاً والــبــكــا حــبــاً ووجــداً
فــســلامٌ مــن جــريــحٍ عــاهــد الأحــزانَ عَــهــداً

في غــرامي كم أعــاني!
إن سهــدي قــد بــراني!
لم يــنــل غيــر الهــوانِ!

يــا إلــه الــحــب رفــقــاً قــد وهى خيــطي ورقّــا(1)

*. *. *. *

(*) ٢٨ أغسطس ـ آب ١٩٤٩.

(١) بعد كل مقطع مما يأتي تعاد المقاطع الثلاثة السابقــة.

إنني قدْ عِيلَ صبري
والنسيمُ الرطبُ يسري
قد ذوى وجداً لعمري

*

يا إله الحب رفقاً   قد وهى خيطي ورقاً

* . * . * . *

إنْ غصني جفَّ زهرُهْ
والندى ينهلُّ قَطرُه
في غدٍ يحفرُ قبره

يا إله الحب رفقاً   قد وهى خيطي ورقاً

* . * . * . *

يا إله الحب إنا   قدْ بُلينا فاصطبرنا
وبنارِ الحب بتنا   في الهوى والقلبِ مُضنى
فاروِ للعشاق عنَّا   وترحمْ إنْ قبرنا
يا إله الحب رفقاً   قد وهى خيطي ورقاً
وسمئت السهد ليلاً   إنني بالسهد أشقى
فسلام من جريح   قد قضى الأيام عشقا

* . * . * . * . *

لوعة وشجن (*)

[ذكرى ليال من عهد الصبا]

لا تهجريه بحقٍّ من أولاك ... عرشَ الجمالِ، فإنهُ يَهواك(1)

وأراهُ قد ملكَ الغرامُ زِمامه ... ما عادَ يرغبُ في الحياةِ سواك

أفلا رَحمتِ من الهوى وسعيرِه ... مَن بات من فرط الصبَّابةِ باكي(2)

صَبٌ أصابَ فؤادَه سهمُ الهوى ... فهوى وجفَّ الغصن من مُضناك(3)

ذاقَ الهوانَ، وما برحتِ خيالهُ ... وبكى الدموع دماً ولن ينساك

عَرَفَ السبيلَ إلى البكاء ولمْ يكن ... يدري السبيل إلى البكا لولاكِ

برَّحتِهِ وجداً، فباتَ مُسهَّداً ... يشكو الوجيعةَ للذي أنشاك(4)

ويبوح بالسرِّ الدفين لأنجمٍ ... باتتْ لكُربته بجفنٍ باكِ

يا دُرَّةَ السحرِ الحلالِ وتاجَهُ ... رفقاً كفاك ما جفوتِ كفاك

ماذا جنى حتى أراكِ تركتِهِ ... ظمآنَ في دنيا الهوى للقاكِ

طولُ القطيعةِ ليسَ في شرع الهوى ... يا من هجرتِ وطالَ حَبلُ نواكِ(5)

(*) ٤ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٤٩.

(١) أولاك : أعطاك وأمرك.

(٢) الصبابة : شدة الشوق والحب. وكان يجب أن يقول باكياً.

(٣) مضني : من الضنى وهو المرض.

(٤) أنشاك: من أنشأك خفف، والمعنى للذي خلقك.

(٥) النوى : البعد.

ما بال باب الوُدِّ قد أوصدْتِهِ ... ضنًّاً به وفتحتِ بابَ جفاكِ[1]

أرضيت أنْ يُقضى عليه مُتيَّماً ... لمْ يرتشف يوماً كؤوسَ رِضاك

ليلى: رَميتِ من العيون بأسهُمٍ ... وجعلتِ منْ قلب الفتى مرماك

فمضى وأدرَكه الذبولُ مبكراً ... ما كان ضرَّكَ لو رحمت فتاكِ[2]

* . * . * . * . *

(١) الضن : من ضنَّ بمعنى بخل.

(٢) من الملاحظ أن الشاعر يقلد أحمد شوقي في قصيدته المشهورة:

يا جارة الوادي طربي وعادني ... ما يشبه الأحلام من ذكراك

فلا يضير شاعرنا أن يقلد سابقيه وهو في هذه السن المبكرة.

قلب ممزق(*)

لي في الهوى قلبٌ حزين ... قد باتَ يُدميه الأنينْ
عصَف الغرامُ بهِ كما ... عصَفتْ رياحٌ بالسفينْ
كُتِبَ الشَّقاءُ له وكَمْ ... سعدَت قلوب العاشقين
قد قاضَ وَجداً بينما ... قلبُ الأحبَّةِ لا يلينْ[1]
لا يشتكي ألمَ الهوى ... قلبي بشكوتِهِ ضنينْ[2]

* . * . * . * . *

(*) فبراير ـ شباط / ١٩٥٠ .

(١) زيادة في مجموعة «المنتخب من أشعاري» بينما بقية الأبيات في «آهات شريدة» .

(٢) بشكوتـه : يريد الشاعر أن يقول بشكواه وخوفاً من الخروج عن الوزن خرج على قواعد النحو والصرف .

دمع وحب(*)

[سلام عى الربيع السادس عشر . . . عهد الهناء وموطن الأحلام[1]]

يا حبيبي قمْ فهذي ربوةُ الليلِ الأمينْ
عندَها تاريخُ حبٍ خالدٍ رغمَ السنين
كمْ مُحب قد رواها منهُ بالدمعِ السخين
ومحب في حِماها ذاقَ شهدَ العاشقين

* . * . * . * . *

يا لها من ذكرياتٍ آهِ مِن عهدِ هوانا
كمْ كؤوسٍ مُترعات هَا هُنا الحبُّ سِقانا
فشربنا وطربنا وسخِرْنا منْ سوانا
لا نُبالي بعذول أوْ رقيب قد رآنا

* . * . * . * . *

ربَّ ليل يا حبيبي مرَّ كالحلمِ الجميل
فيه سِرْنا ويميني لُفَّ بالخصر النحيل
للهوى نتلو نشيداً بين زهر ونخيل
يؤنسُ البدرُ علينا وحشةَ الليل الطويل

(*) ٥ يونيه ـ حزيران ١٩٥١.

(١) أي كان ذلك بمناسبة بلوغه سن السادسة عشرة من عمره.

آه منها أمسياتٍ قَدْ قضيناها سَويًّا
نحتسي للحبِّ خمراً يا لَكَمْ كان شهيا
وقطفْنا في هَناءٍ للهوى ثَمَراً جنيًّاً
وَهَفَنْا أنْ تأنَّى أيُّها الليل مليّاً

* . * . * . * . *

أينَ حبِّي وغرامي في ربا الروض النضيرِ
أينَ عِشقي وهُيامي في حمى البدر المنيرِ
أينَ ضَحِكي وابتسامي للهوى عند الغديرِ
كلُّها طيفٌ تلاشى في دجى الهجر المريرِ

* . * . * . * . *

أيُّها الدَّوح سلاماً لكَ من قلبٍ كئيبِ
قد مضى كلُّ هناءٍ لم يَعدْ غير النحيبِ
وانقضتْ حُلماً جميلاً لذَّةُ الماضي القريبِ
فحبيبي قد طوتْه ظُلمة القبر الرهيبِ

* . * . * . * . *

أنشودة عاشق (*)

ليــالينــا عنــدَ الخميلةِ عــودي فقدْ أذبلَ الهجرانُ ناضرَ عودي

سقى اللهُ عهداً قد قضيناهُ في الهوى ومــا بيننــا من عــاذلٍ وحســودِ

عشيةَ لا قلبي عن اللَّهوِ مُقصرٌ ولا سـامـعٌ في حبِّهــا لـوعيــدِ

وما أنس لاَ أنسَ الخروجَ لدى الدُّجى بهــا والحمى مستسلمٌ لـهجـودِ

فما الروضُ غشاهُ الربيـعُ فزانـهُ أريـجُ زهـورٍ أو تضـوّع عـودِ[1]

بـأجملَ من وادٍ يجمِّعُنـا الهـوى على دارسٍ من عشبهِ وجديدِ[2]

* . * . * . * . *

كَعابٌ يسرُّ العينَ من حسن خَطوها تــأَوُّدُ أعــطافٍ ولـينُ قـيــودِ[3]

كأنَّ بياضَ الوجهِ والفـرعُ حولـهُ تـبـلُّجُ بــدرٍ في دجُـنَّـةِ بـيـدِ

تُـريكَ بسـاءَ الوردِ في وَجنـاتها وتَبسِمُ عن مثلِ الأقاحِ نَضيد[4]

تفوقُ المها في الحسنِ طرْفاً أو مقلةً وتحكي ظِباءَ القاعِ لفتةَ جيد[5]

من الــلاّءِ يُشقينَ الخليَّ بنظرةٍ فيُمسي بقلبٍ في الغرامِ عَميدِ[6]

(*) فبرايــر ـ شباط ـ ١٩٥٣.

هذه القصيدة في «آهات شريدة» فقط. [المحقق].

(١) الأرج والأريج : توهج ريح الطيب. تضوع : فاح.

(٢) العشب الدارس : العشب الذي عفا عليه الزمن.

(٣) الكعاب : الفتاة الذي برز ثدياها. التأود: التمايل.

(٤) أقاح : جمع أقحوان وهو نبات طيب له رائحة، النضيد: لمرتب والمنظَّم.

(٥) المهــا : البقرة الوحشية. تحكي: تشبه. الظباء : أنثى الغزال.

(٦) الخليَّ : الخالي من الحب والانشغال. العميد: المريض من لوعة الحب.

ومن عجبٍ في الجفنِ سُقمٌ بدا وكم ... لـهُ من شهيـدٍ راحَ إثـرَ شهيـدِ
مُصـدَّقـةٌ لا تُخلفُ الـوعـد مـرةً ... وزينـةُ ذاتِ الـدَّلِّ صـدقُ وعـودِ
ومـوقفُنا يـومَ الـوداعِ وقـد بـدا ... لهـا لؤلؤٌ ينسـابُ فـوقَ ورودِ
أقـولُ لها والقلبُ يقـطرُ حسرةً: ... أحقـاً بِعادي عنـكِ غيرُ بعيـدِ؟!
وأن لستُ مرتاداً على النهرِ روضةً ... لنـا في روابيهـا جميـلُ عهـودِ!
أإنْ جئتُ وادينـا مشـوقـاً عشيةً ... أسـارعُ من وجـدٍ إليـكِ شـديـد
أراهُ بدا من بهجةِ الحُسنِ مُقفراً ... كأنْ لم يكنْ بالأمسِ مرتعُ غيدِ
فـأرجعُ مكلومـاً فؤادي وطـالمـا ... أطلتُ بقـربي منكِ فيـه قعـودي
لعمري لئنْ أبعدتُ عن منهلِ اللَّمى ... فيا رُبَّ يومٍ طابَ فيكَ ورودي[1]
ويا طولَ ليلٍ قد سَقاني من المنى ... بـه ثغـرُ بيضـاءِ الترائبِ رودِ[2]
جرى الدهرُ بالتفريقِ بيني وبينها ... وآلمنـا بـالنحسِ بعـدَ سُعـودِ
وكـانَ حَميـداً فِعلُه فـإذا بـهِ ... وليسَ على هـذا الأسى بحميـدِ
فصـوَّحَ أزهـاري وكـانتْ نَـديـةً ... وماتَ على ثغري الغداةَ نشيدي[3]
فمـا لفؤادٍ بعـدهـا من مسـرةٍ ... ولا لأسـىً من هَـدْأةٍ وخُمـود

* . * . * . * . *

---

(١) اللمى : سمرة في الشفة.
(٢) رود: أي تسير الهويني، ببطء. الترائب: جمع تريبة وهي عظام الصدر (العنق).
(٣) صـوح : أي ذبـل.

من أغنيات الربيع (*)

مَنْ معينٌ لبائسِ ... مُوجعِ القلبِ يائسِ
يشْتكي لفحةَ الهوى ... من ظِباءٍ كوانِس[1]
قدْ تَبدَيْنَ في الرُّبى ... كالدُّمى والعرائس
وتخطَّرْنَ بَيْنها ... ناعماتِ الملامس
آهِ مِنْ مُقلَةِ المها ... والجفونِ النَّواعس
وغزالٍ بروضةٍ ... ناطقِ الطرفِ هامس
قلت لمّا رأيْتهُ ... يا ضياءَ الحنادس[2]
أنتِ في الحسنِ مفردٌ ... لا أرى من مُنافس
هلْ إلى الرَّومِ تنتمي ... أمْ إلى أرضِ فارس
ضَمَّنا الحبُّ في حمى ... مرحٍ منه آنسِ
فادْنُ مني على الرِّضا ... يا مثيرَ الهواجسِ
وارْحمِ القلبَ إنَّهُ ... في الهوى جمرُ قابِس
فَرَنا هامِساً: ألمْ ... تَمْشِ شتر الدَّسائس
إنَّنا اليومَ غرضةٌ ... لرقيبٍ مُخالس

(*) نشرت في جريدة «الزمان» ٩ أبريل ـ نيسان ـ ١٩٥٣ [الشاعر]
هذه القصيدة وردت في «آهات شريدة» فقط (المحقق).
(١) الظباء الكوانس: أي التي تدخل في بيوتها حيث الشجر ليكتنّ فيه ويستتر.
(٢) الحنادس : جمع حندس وهو الظـلام.

موعدُ الحبِّ في غَدٍ ... ليسَ عهدي بخائِس

فتدانيْتُ هاتفاً ... لا تَلِنْ للوساوِس

إنَّ هذا ليومُنا ... رغمَ تِلكَ المعاطِس[1]

أيُّها الدوحُ كنْ لنا ... في الهوى خيرَ حارس

رُبَّ يومٍ قطعتُه ... في بديع المجالسِ

ساحباً بُردَةَ الصِّبا ... بينَ خودٍ أو أنس[2]

فوقَ عُشبٍ مُطرَّزٍ ... نٍ رطيبٍ ويابِس

لمْ أكن مثلَ واقفٍ ... بالرُّسومِ الدوارِس

في ظلامٍ من الأسى ... حَالكِ اللَّونِ دامسِ

راحَ يبكي بمنزلٍ ... غابر العهدِ طامس

* . * . * . * . *

(١) المعاطس : جمع معطس وهو الأنف.

(٢) الخود : الشابة الناعمة.

غادة الريـــف(*)

بكَرَتْ إلى النهرِ الوديع الحـالمِ كـالزهـرِ أينعَ بـالربيـعِ البـاسمِ
ومشتْ إليـه يَـزينُهـا بَـردُ الصبـا تختالُ كالرشأر الربيبِ الناعمِ(١)
بين الـظبـاءِ الخـودِ من أتـرابهـا تَحكي تتـابعهن عِقْدَ النـاظمِ(٢)
المائساتِ لـدى الشروقِ عـواطفاً كـالبـانِ داعبـهُ رقيقُ نسـائمِ(٣)
المـرسلاتِ على الغـديرِ غـدائراً الـرانياتِ بمثـلِ حـد الصـارمِ(٤)
من كـلِّ فاتنـةٍ يصـونُ جمـالهـا من أعينِ الحسادِ عِقدُ تمـائِمِ(٥)
مـا إن تـرى منهنَّ أجمـلَ رِقـةٍ إذ رُعنَ فوق الماءِ سِربَ حمائم

* . * . * . * . *

يا بنتَ ذا الريفِ الجميلِ لقد مضى عهـدٌ ونحنُ على البعادِ القـائمِ
ها قد أتيتُـكِ بعد نـازحِ غربـةٍ فـتهـيَّـأي لـلقـاءِ صـبٍ قـادمِ

(*) أبريـــل ـ نيسان ـ ١٩٥٣.
(١) الرشـــأ : الغزال . الربيب : الصغير المدلل.
(٢) الظباء الخود: الظباء الناعمة الشابة. الأتراب: جمع ترب وهو المماثل في السن. يحكي: يشبه.
(٣) المائســات : المائلات.
(٤) الغدائـــر : جمع غديرة وهي الذوائب.
الرانيات : من يرنو، الناظرات . الصارم : السيف.
(٥) تمائم : جمع تميمة، وهو ما يعلق في العنق أو الصدر لحماية صاحبه من الأذى كما يعتقد الجهال.

هلّ تذكرينَ على الضفافِ مجالساً   مـرَّت علينـا مثـلَ حُلمِ النـائمِ
أشكو إليكِ هـوىً وأشرحُ لـوعةً   وأبـثُّ أنـاتِ الحـنيـنِ العـارِمِ
ولـربَّ بدرٍ غـابَ سـاطـعُ نـورِهِ   فـظللتُ منكِ لـدى ضيـاءٍ دائمِ
قسمـاً بمشبـوبِ الغـرامِ وإنـهُ   للظى تأججَ في الفؤادِ الهائمِ[1]
لمْ أخشَ يوماً في هواكِ وشايـةً   أوْ خفتُ في لُقيـاكِ لومـةَ لائمِ
بنتُ الـطبيعـةِ إن أحبَّ فؤادُهـا   تلقَ الحبيبَ على عفـافٍ سالمِ

* . * . * . * . *

---

(١) لا يجوز القسم بغير الله عز وجل لحديث رسول الله ﷺ «من كان حالفاً فليحلف بالله . . ».

فتــاة القريـــة(*)

رويــدَكِ أيــتُّــهــا الــســائــرهْ ... على سندسِ الخضرةِ النَّاضـرهْ
أراكِ مــررتِ بــشطِّ الــغــديــر ... كمــا مرَّتِ النسمــةُ العاطــرهْ
ومِــنْ مــائِــهِ امــتــلأتْ جَـرَّةً ... رَجَعتِ بهــا ظَبيــةً نــافــره
لِمَنْ مــاؤُك العــذبُ إنَّ الفؤادَ ... أحــقُّ بــريِّــك يــا هــاجــره
حملتِ القــراحَ لـريِّ الــظِّمــاءِ ... فمَن مُــطفِيءُ الغُلةِ الثــائــرة[1]

* . * . * . * . *

أُحبُّــكِ رغمَ الأسى والــدلالِ ... وأهــواكِ نــاهــيــةً آمــره
ويشهــدُني النجــغُ في لــوعــةٍ ... أغصُّ بــعــبــرتــي الــســاهــره
ويــغلبُني فــي هــواكِ الحــنــين ... فــألــثُمُ أطــيــافَــك الــزَّائــره
وإنِّــي لأرضى بــهــذا البِّعــاد ... وأقــنَــعُ بــالــنَّــظرةِ الــعــابــره
ومــا أنسَ لا أنس يومَ اللِّقــاء ... بــجــانــبِ ســاقــيــةٍ دائــره
فمــا هيَ منــكِ ســوى نَــظرةٍ ... مِنَ العينِ في لفــتــةٍ ســاحــرَه
وعــدتُ أسيــرَ عيــونِ المهــاةِ ... فــواهــاً لمُقْلتِــكِ القــاهــره!!
عَشَقْتُــكِ يــا بنتَ مهــدِ الجمــال ... ولســتُ أظــنُّــك بي شــاعِــرَه
فــحَــســبُ فــؤادي مــا ذاقَــهُ ... شــقــيــاً بِفِــتْــنَــتِــكِ الــسَّــافــره

* . * . * . * . *

(*) مجلة النهضة الأزهرية العدد الرابع ديسمبر كانون الأول ١٩٥٤.

(١) أي حملت الماء العذب البارد لتسقي العطاش ومن الذي يطفىء الشوق العارم.

في شم النسيم[*]

وغـــزالٍ بـــروضـــةٍ ناطق الـطرفِ هـامسِ
قُـلَتُ لـمـا رأيـتُـهُ يـا ضياءَ الحنـادس[١]
أنتَ في الحُسِنِ مُفـردٌ لا أرى مـن مُـنـافَس
هـلْ إلى الـرومِ تنتمي أم إلى أرضِ فـارس[٢]
ضَمنـا الحبُّ في حمى مَـرتـعٍ مـنـهُ آنِسَ
فـادنُ مني على الـرضى يـا مثيـرَ الـهـواجسِ
وارحـمِ الـقـلبَ إنـهُ فيا لهوى جمرُ قابِس[٣]

* . * . *

فـرنـا هـامسـاً: ألـمْ تَخشى شـرَّ الـدسـائسِ
إنـنـا الـيـومَ عُـرضـةٌ لـرقـيـبٍ مُـخـالسِ
مـوعـدُ الحبِّ في غـدٍ ليسَ عهـدي بخـائسِ[٤]
ومـشى أفـتـديـهِ من سـاحـرِ الـدَّل مـائِسِ[٥]
فـتـدانـيـتُ هـاتـفـاً لا تَـلنْ لـلوسـاوسِ

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٤. [المحقق].
(١) الحنادس : جمع حندس . وهو الظلام.
(٢) إشارة إلى جمال المرأة الذي يشبه جمال الروميات ذوات اللون الأبيض.
(٣) جمر قابس : جمر متقد يأخذ منه الناس النار.
(٤) خائس : منتقض.
(٥) مائس : مائـل .

إنَّ هــذا لــيــومُــنــا رغمَ تلك المعــاطسِ[1]
ربَّ يــومٍ قــطعــتُــهُ في بــديــعِ المجــالسِ
ســاحبــاً بــردةَ الصِّــبــا بــيــنَ خــودٍ أوانسِ[2]
فــوقَ عُــشــبٍ مُــطرَّزٍ مــنْ رطــيــبٍ ويــابسِ
لــمْ أكــنْ مــثــلَ واقــفٍ بــالــرســومِ الــدوارِسِ
فــي ظــلامٍ من الأســى حــالــكِ الــلونِ دامسِ
راحَ يــبــكــي بــمــنــزلٍ غــابــرِ العهــدِ طــامسِ

* .* .* .* .*

(١) المعاطس : الأنوف.

(٢) الخود : الشابة الناعمة.

فاتنـــة(*)

مــلءُ عــينيــكِ دعــوةٌ للنــزال ... وبجفنيــك فــاتــك من نصــال

لست أقوى عليهما لست أقـوى ... إنـمــا أنت شـعلة مـن جمــال

قـد دعـوتِ الفؤاد حتى تــردَّى ... فــأبنتِ الــدلالَ كــلَّ الــدلال

بسمةُ الوجه في دجى الشعر تحكي ... ومضــةَ الفجر في ظـلام الليالي

ذلـك الثغـر بـاهتصـارك يغــري ... ذلــك الصــدرُ ملهبٌ للخـيــال

في قــوام متى احتــواه ذراعـي ... وأطــل الــردى فـلست أبــالـي

* . * . * . * . *

(*) نظمت في ١٣ أبريــل ١٩٥٥.

راقصة(*)

وجفنٍ كغمدِ السيفِ، لا بل كحدِّهِ
إذا سُلَّ أصمى[1] العابدَ المترهِّبا
وجسمٍ كطيفِ النورِ ينضحُ فتنةً
مشتْ فيهِ نيرانُ الصِبا فتلهَّبا
عليهِ مِنَ الوشي الرقيقِ غلانةٌ
أبانتْ لنا السحرَ الخفيَّ المُحجبا
وإنْ أنسَ لا أنساكِ ليلة جئتنا
يزينكِ بُرادن: الملاحة والصِبا
وفاضَ فتونٌ مِنْ جبينٍ معصَّبٍ
فديتُ بعينيَّ الجبينَ المُعصبا
وقبَّلَ ذو الناي المخضب نايهُ
فأسمعنا لحناً شجياً وأطربا
هنالك أرسلتِ اليدين فكانتا
على فرعك[2] المنشورِ تاجاً مذهبا
وطافت بِكَ الأنغام سكَرى تأودت
فهزتْ لنا ردفاً ونَهْداً مُدَرَّبا

(*) نظمت في يوليو ١٩٥٥ .

(١) أصمي : قتل.

(٢) الفرع : الشعر.

وكشفَّتِ عن ساقٍ وكسّرت حاجباً
وثنّيتِ أعطافاً ورّقصتِ مَنْكبا
ومِلتِ فمالَ الكون بي وأخالني
خرجتُ مِنَ الإعياءِ أرجو المطبّبا

* . * . * . * . *

رمــاد فضيلــة(*)

[قال الشاعر هذه القصيدة في بعض فتيات الجامعة]

لا تـمـدِّي لصيـده أحبـولـة ... مـن تـثـن ومقـلةٍ مكحولـة (١)

إنـهُ هـهـنـا أخٌ وزمـيـلٌ ... أَنـتِ أخـتٌ لـه وأنـتِ زمـيـلة

نحنُ في منهـل العلومِ ولسنـا ... فـي مبـاراة فتنـةٍ مـصقـولـة

فـعـلامَ الشـفـاهُ تـرمي بنـارٍ ... خلَّفتْ تحْتهـا رمـادَ الفضيلة(٢)

وفتـاك الـذي جلستِ إليـه ... جـلسـاتٍ قـصـيـرةً وطـويلة

تـافـةٌ في الشبـابِ، حينَ نـراهُ ... لا نـرى فيـه ذرةً من رجـولـة

مِنْ يـظنُّ المجـونَ خفَّـة ظـلٍ ... فهـو يُبـدي خـلاعـةً مـرذولـة

يـطلقُ النكتـةَ الخسيفـة منفيهِ ... ويـزجي العبـارةَ المعسـولـة

مُـظْهِـراً نفسَـه بمـظهـرِ صنـديـدٍ ... لكي تخلعي عليـه البـطولـة

بـيـنمـا أنتِ تـجلسـينَ بسـاقٍ ... فـوقَ سـاقٍ نـراهُ ينشرُ طـولـه

ربمـا كنـتِ تضـحكـين عـليـهِ ... لا مِنَ النكتـةِ العجـوزِ الثقـيلة

فليكن بَيننـا كشمشـونَ عـزمـاً ... ولـتكـوني بيـن النسـاءِ دَليـله

أنتِ لا شـكَّ حـرةٌ وهـو حـرٌ ... غـيـرَ أنَّ الحـيـاةَ لـيس رذيـلة

إنَّ هـذا الـذي نـرى رقصـاتٌ ... فـوقَ قبـر الكـرامـةِ المقتـولـة

فـإذا شئتِ أنْ تُـريـنـا جمـالاً ... حسبُك النَفسُ حين تبدو جميلة

(*) لعلها قيلت بعد سنة ١٩٥٧ [المحقق].

(١) الأحبولـة : المصيدة.

(٢) إشارة إلى تزين الفتاة ووضع الأصباغ على الشفاه والوجه.

حنين (*)

لستُ أنساكِ وإن لمْ نلتقِ   مذْ تساقينا الهوى في زورقِ
ضمَّ قَلبين لنا قد خَفَقا   وشراعاً قاتماً لمْ يخفقِ
نضربُ الماءَ بمجدافٍ لهُ   كجناحَيْ طائرٍ.. منطلقِ
راقصٍ ينسابُ، إن مالَ بنا   لاحَ في عينيكِ ومضُ المشفقِ
هامسٍ في سيرهِ نسمَعُهُ   ينبىءُ الوجَ بسرٍ مغلقِ
وبدا البحرُ عميقاً صامتاً   كحنينٍ في فؤادي مورقِ
الرؤى من فَوقِهِ صدَّاحةٌ   بترانيمِ الخلودِ المشرقِ
تسخرُ الأمواجُ في عربدةٍ   من سكونِ الشاطىء المؤتلقِ

* . * . * . * . *

وقطعناهُ أَصيلاً شيِّقاً   قد تقضَّى في حديثٍ شيقِ
وأتى الليلُ على أعقابِهِ   هائماً ينشرُ ثوبَ الغسقِ[1]
ثم ودعتُ وفي قلبي أسى   كالذي يصبغُ وجهَ الأفقِ
ورثتْ لي الشمسُ في مغربِها   بسنىً من وجهها المغرَورقِ
وتداعتْ أضلعي واحترقتْ   أمنياتي في لهيبٍ الشفقِ

* . * . * . * . *

أترى الأيامَ أنستكِ لنا   موثقاً... أحيا لهذا الموثقِ
فتعالَيْ يا حياتي إننا   لشقاءٍ بالهوى لم نخلقِ

(*) نظمها الشاعر في صيف عام ١٩٥٨.

(١) الغسق : أول ظلمة الليل.

كبريـــاء الحب(*)

المُنى مـلءُ قلبِهِ لا الصَّبابة ... وهَبَ المجـدَ روحَهُ وشبابُه

شـاعـرٌ يقـطع الحيـاةَ انـطلاقـاً ... والـطموحُ الـوثَّابُ يحـدو رِكابه

يخـدعُ النـاسَ إنْ تغـزَّلِ يـومـاً ... مبـدعـاً صـورة الهـوى وعـذابه

ولقـد يـرسـلُ النسيبَ رقيـقـاً ... نـابضـاً بـالعـواطفِ الـوثَّـابـة

فـتخـالـونَـه سقيمـاً مُعَنَّى ... شـفَّـهُ الحبُّ طـاغيـاً وأذابه

وهـوَ لم يُسْلمِ العنـانَ لأُنثى ... ذاتِ سحـرٍ تُريـهِ معنى الكـآبـة

نـفسُـه حـرةٌ بهـا كـبـريـاءٌ ... تعصِمُ القلبَ أن يُضيـعَ صوابه

لـم يكـنْ دميـةِ بـكـفٍّ فتـاةَ ... لا ولا عـبـدَ بسمـةٍ كـذابَّـة

* . * . * . * . *

(*) نظمت في يوليو تموز ١٩٥٨ .

بطولـــة حب

[ألقيت في مهرجان الشعر بدار العلـــوم في ١٦ نوفمبـــر تشرين ثانـــي ١٩٥٨]

تـســائِلُنـي: مَـنِ الـجـانـي ... عـلـى قـلـبـي ووجـدانـي
وَمَـنْ مِـنّـا الـذي أغْـفَـ ... ـلَ عن قصـدٍ هـوى الثـاني
سـلوتَ ولـسـتُ مـن تُـجـ ... ـزيـك سُـلوانـاً بـسـلوان
وأصـفـيـتَ الـهـوى أخـرى ... فـقُـلْـها : لـسـتَ تـهـواني

* . * . * . * . *

نـسـيـتَ لـقـاءَنـا بـالـرو ... ضِ يـومَ زرعـتَـه حُـبّـاً
وكـنـتَ تـصـبُّ فـي أذنـي ... حـديـثـاً سـاحـراً عـذابـاً
وتـهـمسُ بـالأمـانـي الـبـيـ ... ـض شِـعْـراً أيـقظَ الـقـلبـا
فـرُحْـتُ أعـانـقُ الأزهـا ... رَ والأنـسـامَ والـعُـشْـبـا

* . * . * . * . *

وبـعـدَ هـنـاءِ قـلـبـيـنـا ... وقـصـة حُـبِّـنـا الـنـامـي . .
تـلاشـى عـطفُـكَ الـمشبـو ... بُ، ضـاعـتْ كـلُّ أحـلامـي
ومـاتـتْ أغـنـيـاتٌ تـر ... تـوي مـن نـبـعِ إلـهـامـي
ومـا طـالـعْـتَـنـي يـومـاً ... بـغـيـر قـصـيـدِكَ الـدامـي

* . * . * . * . *

وعـدتَ إذا الـتـقـيـنـا لا تـجـيـب حَـنـيـن أعـمـاقـي
وتـجـلسُ شـاردَ الـنـظرا تِ فـي صـمـتٍ وإطـراق
يـطلُّ الـعـطفُ من عـيـنـيـ ـك مـمـزوجـاً بـإشـفـاق
أَجِـبْـنـي.. أيـنَ مـيـثـا قُـكْ؟ إنـي صُـنتُ ميـثـاقي
أنـا يـا غَـادتـي الـحـسـنا ءَ أطـوي في الحـشـا جَمْـراً
ظـلمتِ هـوايَ لـمْ أَعْـشَـقْ سـواكِ ولـيْس لـي أُخـرى
ولـوْ فـكـرتِ في هـجـري لـعشـتُ على سنـا الـذكـرى
وأبـكـيـتُ الـوجـودَ مـعـي وفَـجـرتُ الأسـى شِـعـرا

* . * . * . * . *

ولـكـنِّـي رأيـتُ الـقـيـ ـدَ قـد أدمى لـي الـقـدمـا
وأغـلالاً تـلفُّ يـدي تـعـذِّبُـنـي، تـسـيـلُ دَمـا
وأفئـدةً تـنـادي الـفـجـ ـر ثـم تـعـانِـقُ الـظُّلَمَا
فصغتُ ـ كمـا رأيتِ ـ الشعـ ـر يـنـضـحُ لـفـظُهُ ألَـمـاً

* . * . * . * . *

فـإنْ لـمْ تـسـمـعي مـنـي نـشـيـداً حـالـمَ الـغَـزلِ
ولـمْ تـجـدي سـوى أنَّـا تِ جـرحٍ غـيـر مُـنْـدَمِـلِ
فـلا تَـجـري وراءَ الـوهَـ ـمِ وانتصري علي على المَلَلِ
وكـونـي مـثْـلَـمـا عـوَّدْ تِـنـي مَـشْـبُـوبَـةِ الأمـلِ

* . * . * . * . *

أَيـرضي الـحـبُّ أنْ نـحـيـا عـلى هُـونٍ إلـى الأبَـدِ[1]
أَنَبـنـي عـشَّـنـا في الـقـيـ ـدِ كـيْ يـسـتـعْـبِـدوا ولَـدي
فـلا تَـهِـنـي إذن بـالـحـبِّ بـلْ شُـدِّي بـه عَـضُـدي[2]

---

(١) الهون : الذل ، والحقارة، والخزي.
(٢) تَهِنِي : تضعفي.

طـوتْ ظُـلمـاتُـهـمْ أَمـســي   وأرجـو أنْ أُضــيءَ غَـدي

* . * . * . * . *

وعـنـدَ تَـبَـلُّجِ الإصـبـا   حِ سـوفَ نـعـودُ لـلروضِ(1)

إذا انـتـصـرَ الـسـلامُ بـنـا   عـلى الشـحْنـاءِ والـبُـغْضِ

ولـمْ نـرَ بَـعْـضَـنـا في قسـ   ـوةٍ يَـعـدو عـلى الـبَـعضِ

ويـومَ أُحسُّ أَنـيَّ سـ   ـيِّـدٌ حـقـاً عـلى أَرضـي

** . * . * . *

فـأنـتِ تـريْـنَ أني لـمْ   أُرِدْ شَـراً بـإنـسـان

ولـكـنْ سَـطوتُ الـبـاغـي   وأمـالـي وحِـرْمـانـي

جـمـيـعـاً أَلَّـفَـتْ نـغـمـاً   حـزيـنـاً سـادَ أَلـحـانـي

ولـيسَ الـحـبُّ أَنْ نَـرضـى   الهـوانَ. فهـلْ أنـا الجاني؟(2)

* . * . * . * . *

---

(1) تبلـج إشراق.

(2) من الملاحظ أن الشاعر يشكو من الظلم والقهر، والخوف الذي ساد المجتمع وعبر عن هذا بهذا الحوار الرقيق.

قصيدة غزل[*][1]

قالتْ العينُ لي أَجلْ   ثمَّ أطرقتْ في خَجَلْ
أنتَ أحببتَني ولمْ   أدعِ الحبَّ يَكتمل
وتجاهلتُ عامداً   لمْ أكنْ بالذي جَهِل
لا تقولي: تدلُّلٌ   وغُرورٌ مِنَ الرَّجُل
أنا في الناسِ مثلُهم   لي فؤادٌ، ولي أَمَلَ
كمْ تمنيتُ أنْ أُحِـ   ـسَّ بقلبي قدِ اشتَعَلْ
وبروحي وقدْ أتى   هيكلَ الحبِّ وابتَهل
وبوجدانِ شاعرٍ   يصطفي مُلهِمَ الغَزَلْ
تلكَ آمالي التي   كنتُ أرجو ولم تُنَل[1]
أنا أرضى بمن لها   سحرُ عينيكِ أَوْ أَقَل
حينَ لا يصبحُ الغرا   مُ سبيلاً إلى الفَشَل
أو تجاريبَ عابثٍ   يَدفعُ الضيقَ والمَلل
أنتِ تلهينَ بالهوى   ومِنَ اللَّهوِ ما قَتَلَ
كنتُ أستطيعُ أنْ   أمدُّ شِباكاً مَنَ الحيلَ
وأصبُّ الخداعَ في   لفظةٍ تنضَحُ العَسَل

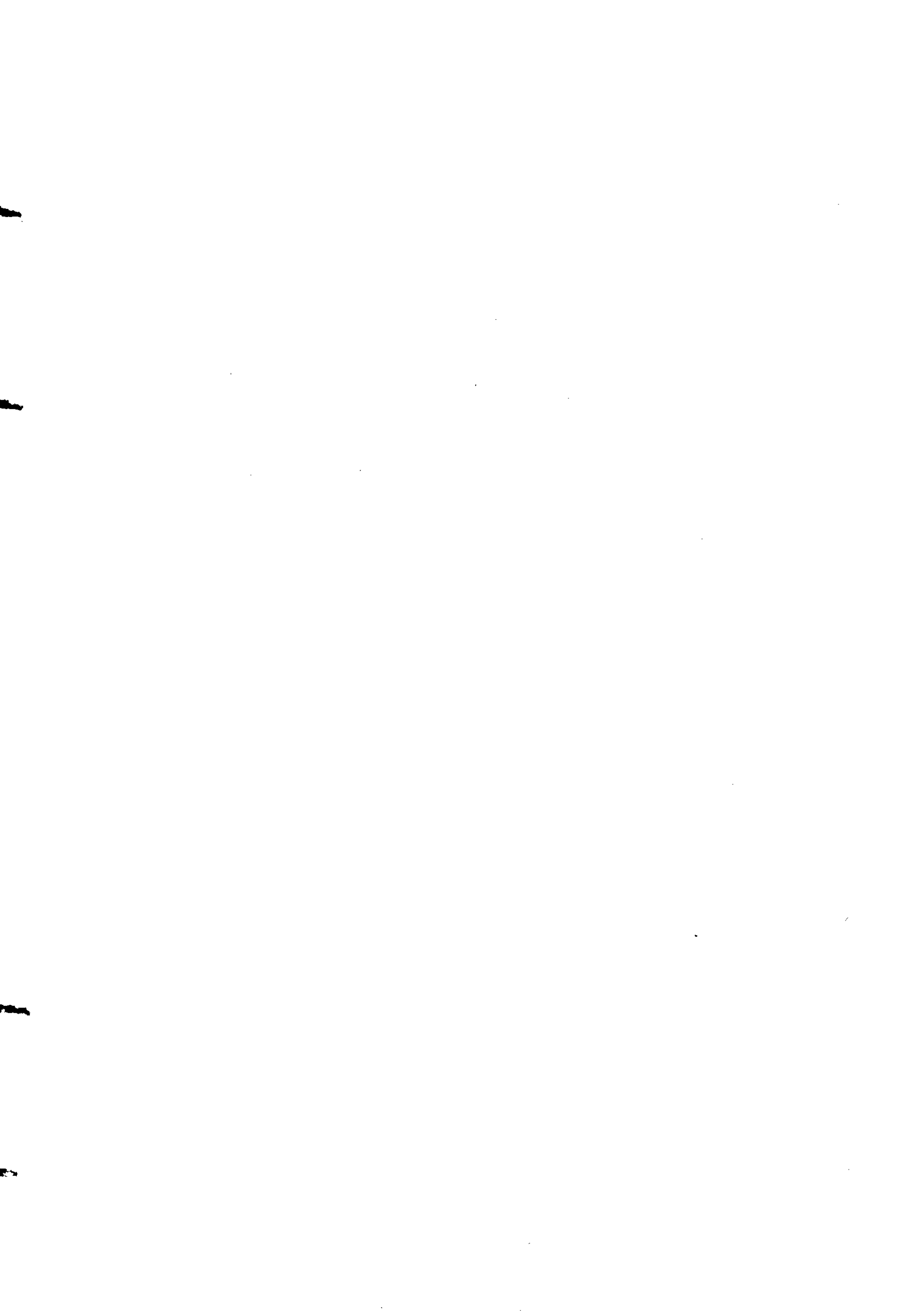
(*) ألقيت بنادي الطلبة الشرقيين يوم ٢٤ مارس / آذار ١٩٥٩.

(١) في الأصل : كنت أرجوها ولم تنل ولكن البيت يكسر. وفي الديوان المطبوع: ولم أنل.

كـمْ تسـاءَلـتُ: مَـنِ الـذي يـمـنـعُ الـمـرءَ لـوْ فَـعَـلَ
أُنـفِـقُ الـوقـتَ هـانئـاً بـشـبـابـي عـلى مَـهَـلَ
فـي لـقـاءٍ مُـحـبَّـبٍ ونـعـيـمٍ مِـنَ الـقُـبَـلِ
سـاخـراً مِـنْ قُـيـودِنـا والـرقـيـبِ الـذي غَـفِـلِ
مـثـلـمـا تـعـرفـيـنَ عـنْ قِـصصِ الـذِّئـبِ والـحَـمَـلَ
ثـمَّ أنـسـلُّ عـائـداً لا أبـالـي بـمـا حَـصَـلِ
ذاكَ مـا يـسـتـطـيـعُـهُ كـلُّ مَـنْ يـبـتـغي الـزَّلَـلِ
غـيـرَ أنَّ الـخـداعَ لا يـهـبُ الـقـلـبَ مـا سـأل
فـدعـيـنـي، لأنَّـنـي إنْ بـدأْنـا فـلـن نَـصِـل
ربَّ شـخـصٍ سـوايَ لـوْ مَـسَـحَ الـجُـرْحَ لانـدمـل

..*.*.*

ذكريَاتٌ إسْلاميّة



نهـج البـردة(*)

[في مدح أشرف المرسلين]
- ﷺ -

هبَّتْ رياحُ الصَّبا فاستكتبتْ قلمي ... مدحَ الرسولِ كريمِ الخُلْق والشِّيمِ
مالي وللرسلِ أمضي في مدائِحِهِم ... إنَّ الرسولَ رفيعُ القدْرِ عن كَلِمي
شوقي إليكَ رسـولَ الله أظْمأني ... والمدحُ يُطفي لهيبَ الظامئِ النَّهمِ
إنّي مدحتُك يا خيرَ الـورى طمعاً ... في أنْ أنالَ الرِّضى يا واسَع الكرمِ
فاعطْفْ على عاشقٍ أضناهُ حبُّكُم ... وكنْ رحيماً بصبٍ ذابَ من ألمِ
يـا نفسُ دنياكِ يـومٌ واحدٌ وغـدٌ ... عنـدَ الإلـهِ دوامُ الخيـرِ والنِّعم
يا نَفْسُ إنْ ترجعي فاللهُ يغفرُ لي ... وإنْ تظلِّي فبئسَ المرتع الوخِم(1)
يا نفسُ لا تبتغي الشيطانَ واعتصمي ... إن الشياطينَ تُغوي المـرْء بالأثُم
ويلي من اللهِ كمْ ذنبٍ أتيت بهِ ... جَلّتْ ذُنوبي عن القرطاسِ والقلم
لكنَّني ألـتمسْ عـفــواً ومغـفــرةٍ ... من الذي خلقَ الإنسانَ من عَدمِ
فكنْ شفيعي رسولَ اللهِ، واأمَلي! ... واطلبْ من اللهِ ستراً لي وللأمم
فأنتَ منْ يستجب ربُّ العبادِ لهُ ... أنتَ الحبيبُ الكريم الكاشف الغمم

(*) يبدو أن الشاعر كان معجباً بقصيدة نهج البردة وأراد أن ينظم على منوالها في «٢٠ أيلول ١٩٤٨».

(١) ينبغي أن تكون بالكسر (الوخِم) ولكن سياق الكلام يقتضي أن تكون (الوخم) وهذه الأخطاء غير مستغربة في هذه السن الصغيرة الذي قيلت فيه هذه القصيدة.

ما زلتَ ترقى سماءً بعد واحـدةٍ حتّى وصلتَ لربِّ العرشِ والقَلَمِ
أردتَ خلعَ نُعَيْـلٍ كنتَ تلبسـهُ نـاداك ربُّك لا تفعـلْ ولنْ تُلَمِ
وقفت بين يديْ ربِّ العباد فمنْ يقصـد حِماكَ فبـالإحسـانِ يغتنم
إنّي سـأسألُ بـدراً عن وقـائِعكم وكيفَ فرَّ العدا في يومِ مُزدحم
وأهلُ مكةَ يومَ الفتحِ إذا بهتـوا لمّا رأوا جيشهم بالعين ينهزمُ[1]
دخلتَ في البيتِ كالليثِ الهصورِ فما أبقيتَ من هُبَـلٍ ثمَّ ولا صـنمِ
النورُ أشرقَ فوق البيت وابتهجت ربوعُ مكةَ وانجابتْ دُجى الظُلمِ
يا ربِّ إنَّ العدا جاروا وقد ظلموا فارسلْ إليهم بطير قاذفِ الحممِ
إن العـروبـةَ في إبّـانِ محنتهـا فكنْ لـطيفاً بنـا يـا ربِّ وانتقمِ
هـذا مديحي رسـولَ اللهِ معتذراً إنْ كنتُ لم أوفِ حقَّ القولِ والكلم
فإنَّ مثلي رسولَ الله يعجـزْ عنْ مديحِ ذاتٍ سرتْ للهِ في الظُلَمِ
صلّى الإلهُ على خيرِ الورى كَرَماً محمدٌ أفضلُ الأعرابِ والعَجَمِ[2]

..*.*.*

[تم تأليف هذه القصيدة «نهج البرده» يوم الاثنين
الموافق ٢٠ سبتمبر ـ أيلول ـ عام ١٩٤٨]

---

(١) أبقيت على هذا البيت رغم أنه خالف في حركة الروي لأن المعنى يقتضي بقاءه.
(٢) حذفت من هذه القصيدة بيتين لاختلالهما ومخالفتهما لحركة الروي قد خصك الله بالفضل اجزيل
قد خصك الله بالفضل الجزيل ومن يسري به الله نـال الفضل والكـرم
وهو قبل البيت الذي يبدأ بـ(ما زلت ترقى سماء....).
وكذلك : كنت الأمين صغيراً ثم في كبر كنت الرسول فنعم الصغر والهرم
ومع ذلك فالقصيدة فيها عدد من الأخطاء التي تدل على ضعفه آنذاك.

ميــلاد الرسول

إنه عيد الأمة الإسلامية الأعظم فجدير بكل شخص أن يحتفل به[1]

مـدحُ الرسـولِ اليومَ كـلُّ مُرادي ... فمـديحُـهُ يُـطفي لهيبَ الصَّـادي

طيفُ الرسولِ سرى فهزّ مشاعري ... والشــوقُ ألهبَ مُهجتي وفُؤادي

يـا ناشـرَ الإسلامِ إنَّ قصـائدي ... نـالتْ بمدحـكَ رِفعةَ الإنشـادِ[2]

في عيـدِ مَولـدكَ السماءُ تـزيَّنتْ ... بـكــواكـبِ الأفـراحِ والأعـيــادِ

والطيرُ في غُصنِ الهنـاءِ طروبـةٌ ... سكـرى بخمـرةِ ليلةِ الميــلادِ[3]

والنــاسُ بيـنَ مُهـلِّلٍ ومـكـبِّـرٍ ... والكُّــل يهـتفُ قـلبُـهُ ويُنــادي

اللهُ أكبـرُ أرسـلَ الهــادي لنــا ... بــالخيــرِ بَشَّــرنــا وبــالإسعــادِ

يا خيرَ خلقِ اللهِ يا علمَ الهدى ... يـا شافعـاً للناسِ في الميعـادِ[4]

إضـرع لـربِّـكَ أن يبيـد عـدونـا ... ويـكـفَّ شــرَّ أولئـكَ الأوغــادِ

صلّى عليـكَ اللهُ يا خيـرَ الورى ... مــا زارَ قَبـرك رائــحٌ أو غــادي

---

(١) ينايــر (كانون الثاني) ١٩٤٩ في السادس عشر منه.

(٢) «لن تفي حق المدح والإنشاد» في مجموعة نسيم السحر.

(٣) «والطير في كبـد السمـاء طـروبـة ... سكـرى بخمـر الـذكـر والميــلاد»

في نسيم السحــر:

(٤) «يا خير خلق الله يا هــادي الــورى ... يــا ضـامنـا للنـاس في الميعــاد»

في نسيم السحــر.

ميلاد الرسول(*)

(ﷺ)

دع عنكَ خَمْرَكَ يا نديم الرَّاح ... إني طربتُ بخمرةِ الأفراحِ(1)

قدْ بِتُّ نَشواناً فهل شهدَ الملا ... نشوانَ لمْ يشرب من الأقداح

شهرَ الربيعِ حَللت نُوراً ساطعاً ... يجلو ظلام الكربِ والأتْراحِ(2)

فرحَ الأنامُ أما رأيتَ قلوبَهمْ ... سَعِدتْ بنورِ جبينك الوضَّاحِ

بالروضةِ الغنَّاءِ غرَّدَ بُلبلٌ ... فوقَ الغصونِ بصوتِهِ الصَدَّاحِ

والكونُ يملؤُهُ الضياء كأنَّه ... قدْ لُفَّ من نورِ الهُدى بوشاح

للهدي بابٌ كان أُغلق دونَنا ... والله أرسلَ فيكَ بالمفتاحِ

حدِّثْ أيا شهرَ الربيعِ ، وصِفْ لنا ... يوماً أهلَّ بعطرِهِ الفوَّاح

يوماً به ولدَ الهدى فضياؤُهُ ... قدْ عمَّ مكَّةَ من رُباً وبطاح

يوماً على هامِ الزمانِ مُتوَّجاً ... فالكونُ فيه أُنيرَ بالمصباح

هذا الذي قد جاءنا برسالةٍ ... تَهدي وتُرشدُنا سبيل فلاح

نَشَرَ الهداية في الجهالةِ فانطوَت ... مثل الظلامِ طواهُ نورُ صباحِ

لم يُثنِ عزمَ محمدٍ قولُ الملا ... قد نالَه مَسٌّ من الأرواح(3)

(*) ألقيت في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بإنشاص في ٣ ديسمبر - كانون أول - ١٩٤٩ وتم نظمها في ٥ ديسمبر ١٩٤٩ (المختارات).

(1) يستهل القصيدة بهذا المطلع الرمزي كما هي العادة عند المتصوفين.

(2) يقصد به شهر ربيع الأول الذي ولد به رسول الله ﷺ.

(3) إشارة إلى عرض قريش الملك والمال على رسول الله ﷺ، والتماس الطب إن كان به مس من جنون أأذى من الجن.

أو يستكنْ لمّا رموْهُ لجهلهم	فأصيبَ من أحجارهم بجراح[1]
لك يا ابنَ عبد الله عزمُ مُثابرٍ	تدعو بجدٍ لم يُشَبْ بمزاح
للهِ أنتَ لقد أذوك فأمعنوا	وجَنَوْا عليك بغُدوةٍ ورَواح
قدْ قاوَمَتْكَ عِصابةٌ شريرةٌ	من كل باغٍ مشرك سَفَّاح
إذ قمتَ تبني للمنارِ دعائماً	وتقيمُ ركنَ الهدْي والإصلاحِ
فأتوا بجمعٍ من شبابٍ طائش	قد دجَّجوهُ بعُدَّةٍ وسلاحِ
قالوا له اذهبْ فأتِينَّ بأحمدٍ	فوقَ السيوفِ وفوق سنِّ رماح[2]
لن يستطيعَ شبابهُم نيل المُنى	قَسماً بربَي فالقِ الإصباحِ
فسلاحُهم غدرٌ وبغيُ جَهالةٍ	وسلاحُهُ نصرٌ من الفَتَّاح
في جنةِ الرضوانِ قوم قَد أبَوْا	إلا الصُّمودَ أمامَ كلِّ رياح
قد أُشربوا كأس العذابِ فلم تَلِنْ	منهم قناةُ عزيمةٍ يا صاح
فحديثُ عمارٍ ومنْ في الله قد	ذاقَ العَنا والظلمَ كابنِ رَباح[3]
قدْ فاهَ بالتوحيدِ لم يشكُ الأسى	إذ عذَّبوه ولم يَفُه بنواح[4]
فهو الجدير بأن يكونَ مُؤذِّناً	في يومِ كُلِّلَ سعيُهم بنجاح
ألقتْ قريشُ، وأيقنَتْ بهلاكها،	سيفَ الضَّلالةِ، دونَ أيِّ نُباح
لما تقدمَتِ الكتائبُ نحوَها	ما بينَ تكبيرٍ وبين صيَاح

---

(١) إشارة إلى تعذيب المشركين وايذائهم لرسول الله ﷺ بالطائف.

(٢) إشارة إلى تآمر قريش على قتل الرسول ﷺ ليلة الهجرة.

(٣) عمار بن ياسر وبلال بن رباح. رضي الله عنهما.

(٤) وردت الأبيات في المختارات:

وبلال مَنْ كبلال قد ذاق العنا	في الله قد عُذبتَ يا ابن رباح؟
ونطقت بالتوحيد لم تشك الأسى	إذ عذبوك ولم تفه بنواح
فجزاء مثلك أن يكون مؤذناً	في يومِ كلل سعيكم بنجاح

ويشير في البيت إلى قول بلال: أحد أحد. كلما عذبه الطاغية أمية بن أبي خلف. [المختارات]

جَـزِعَ البُغاةُ من الـرسـولِ لأنَّهم ... كـمْ أتـبـعـوه بـشـدَّةٍ وكـفـاح
فـرِحـوا فمـا فُـوْهُ أهــلَ عـداوةٍ ... بَـلْ أهـلَ مغفـرةٍ وأهـلَ سمـاح
بَسط السلامُ على الربوع جناحه ... لمـا أضاءَ الكـونَ نـورُ المـاحي
عَرفوا الطريق إلى الرشاد وأدركوا ... بـالهـدي كـلَّ مُحـرَّمٍ ومُبـاح
اللهُ أكـبـرُ قـدْ أعـزَّ جـنـودَه ... والبطُلُ قدْ أضحى بغير جناح[1]

* . * . * . * . *

---

(١) كان الشاعر يضع الأفكار الرئيسية للأبيات إذ قسم القصيدة إلى ما يلي: الافتتاحية ـ بهجة الربيع ـ مناجاة ـ صبر السول وثابته ـ كيد المشركين له ـ ثبات أتباعه عليه السلام ـ عفوه ـ الخاتمـة.
كما ورد في إحدى المجموعــات.

وحـي المولـد(*)

من مقلتيكَ يغيضُ اللؤلؤُ الرَّطبُ يا قائم الليلِ، ما للدمعِ ينسكبُ؟

تقضي الليالي حزيناً بائساً قلقاً وقلبُك الغضُّ في جنبيكَ يضطرب

سُهـدٌ ودمـع وأفكـار مُبعثـرةٌ وأنجمٌ نحوَها تـرنـو وتـرْتَقِبُ

إنْ كنتَ تشكو أسىً أو تبكِينَّ هوى فكلُّنـا مُغـرمٌ والشـوقُ مُلتَهِبُ

وكمْ أخا النجم في الأنحاءِ أفئدةٍ إذا أتى ذكـرُ طه هـزَّها الـطَّرب

تبيتُ وَلْهـى ولا تنفـكُّ قـائلةً في حبِّ أحمدكمْ يُستعذبُ النصب[1]

* . * . * . * . *

نفِّسْ عن القلب أشجاناً تمـزِّقه وانشرْ معي ما طوت من قبلنا الحقب[2]

واذكر حديثَ الأُلى كانت شريعتهم سفكَ الدماء فكم سالت بها قُضب[3]

عاشوا فساداً وباتَ الكـلُّ قاطبةً وبعضُهم لحقوقِ البعضِ مُغتصب

جهلٌ ولا شيءَ غيرَ الجهلِ رائدُهم ظلمٌ ولا شيء غيرَ الظلمِ مُنتصبُ

خمـرٌ وفسق وأصنـام مُـؤلَّهـةٌ ووأدُ نفسٍ ومـالٌ بـاتَ يُنتهبُ

كـانوا حيـارى بليـل مـدَّ ظُلمتَـه فاشرقَتْ شمسُ طه واهتدى العرب

(*) ألقيت في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بإنشاص في ٢١ ديسمبر ـ كانون أول ١٩٥٠.

(١) النصب : التعب.

(٢) الحقب : السنون. أما حقب بضمتين فهو الدهر.

(٣) القضـب : السيوف.

في ذلـكَ الحينِ والفتيانُ سـادرةٌ ... في الغيِّ لم يثنِهم لومٌ ولا عتبُ[1]

كان الأمينُ بحبلِ الهدي مُعتصماً ... لا يَعرف الرجس بَل واللهو يَجتنب[2]

وسـلْ خديجـةَ لما راحَ يخـطُبُها ... قـومٌ بمكـةَ فيهـا كلُّهم رغبـوا

لكنَّها أعرضتْ عنهم وما رضيتْ ... غيرَ الأمينِ لها زوجاً وإن عجبوا

وما الأمين سوى راعي تجارتها ... وكـلُّهم أغـنـيـاءٌ سـادةٌ نُـجُـبُ

لكنَّ أخـلاقَـه فـاقتْ شمـائِلَهم ... وطيِّبُ النفسِ للأخلاقِ يَصطحبُ

وينـظرُ الصـادق الأحجـارَ آلهـةً ... والقومُ في مركب الخسرانِ قد ركبوا

فينثني عن ضلالِ الشرك يـدفعُهُ ... رأيٌ سديدٌ[3] وعقل زانه الأدب

أيصنـعُ المرءُ أصنـامـاً ويعبُـدُهـا ... هذا هو الزور والبهتانُ والكَـذِبُ

لا بدَّ من منشيءٍ للكونِ أبـدعه ... خَلقاً وما دونه شكٌ ولا ريبُ[4]

وقامَ في الغارِ حتى جـاءه مَلَك ... وهـزَّهُ ثَمَّ حتى نـالَـه التَّعب[5]

ونوديَ اقرأ تعـالى اللهُ قائِلُهـا[6] ... قدْ أشرقَ الهدي فانجابتْ به السحب

وقـام يدعـو إلى الـرحمن أفئـدةً ... لم يـرضَها قطُّ لـلأوثـانِ مُنقلَبُ

وما استجابَ له منهم سوى نفرٍ ... في اللهِ ما عُذِّبوا في اللهِ ما ضُربوا!!!

باتوا وبـاتَ الردى منهم بمقُـرَبةٍ ... ومن كؤوسِ العذابِ المرِّكم شربوا؟!

ذاقَ الهوانَ على الرمضاءِ منبطِحٌ ... وهامَ ليلاً إلى الأقطارِ مغترب[7]

---

(١) في إحدى النسخ (في الغي والبغي لا لوم ولا عتب).

(٢) اشارة إلى حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وتجنبه اللهو وكل مفسـد.

(٣) (رشيد) في نسخة «المختارات».

(٤) كل هذه الأبيات تشير إلى حياة رسول الله ﷺ قبل البعثة وتجنبه عبادة الأصنام وعمله بالتجارة، وزواجه من خديجة، وتفكره في أمر الكون.

(٥) يشير إلى تعبده في غار حراء وإلى نزول الوحي عليه.

(٦) هذا الشطر من نهج البردة للشاعر أحمد شوقي.

(٧) يشير إلى تعذيب قريش للمسلمين كياسر وبلال في الرمضاء، وهجرة بعضهم إلى الحبشة.

أوذوا فمـا فُتِنوا والصبـرُ رائدُهم ... والمجدُ للدِّينِ بالأرواحِ قد كتبوا[1]
جـادوا بأمـوالهم طُراً ومـا بَخِلوا ... ومنْ نفيسِ الدماء الطُّهرِ كم وهبوا
وهل أتاكَ حديثُ القومِ إذ وقفوا ... بالبابِ حتى إذا لاحَ الهدى وثَبوا
فــأوحــي اخرجْ لئن كادوا مَكيدتهم ... فالله يعظمهم كيداً، لهُ الغلبُ[2]
وراحَ للغـارِ والصـدِّيقُ يَصحبُـهُ ... وفتيةُ القوم أغشتْ عينهم حُجب[3]
وأقبـلَ الصُّبـحُ في طيَّـاتِـهِ نبـأٌ ... هزَّ الجيمعَ فعمَّ السُّخطُ والغضب
لقد نجا أحمدٌ يا للشقاءِ!! فَمَنْ ... يأتي بهِ فلهُ الأمـوالُ والَّذهَبُ[4]
فجـدَّ في إثْـرهِ الفتيـانُ طـامعـةً ... في المالِ حتى دنَوا للغار واقتربوا
فـأيقنَ الـطاهـرُ الصـدِّيقُ تهلكـة ... وما رأى القومَ حتى راح يَنتَحِبُ
وقـال للمُصـطفى مـاذا سنصنَعُـهُ ... والقومُ بالبابِ والأسيافُ والعطب
فصـاحَ طـهَ ونـورُ الحقِّ يكلؤهُ: ... فيم النحيبُ؟ وفيمَ الخوف والرهبُ؟
«لا تحـزننَّ فـإنَّ الله ثـالثُنـا»[1] ... وليسَ من يرعَهُ الـرحمنُ يكتَئب
واستقبلتْ يثربُ الهادي وصاحبُه ... بالبشر من بعد ما أضناهما السَّغبُ[5]
آخى الرسولُ هناكَ القومَ قـاطبةً ... فالدِّينُ بين الجميع الودُّ والنسَّبُ
وشيَّـدَ المسجدَ الأعلى بسـاحتها ... تُتلى به الآيُ والأحكامُ والخُطُبُ
وراحَ يغزو قريشاً والذينَ رضـوا ... بالشركِ مُعتنقاً، يا بئس ما ارتكبوا
حتى أتى النصـرُ خفاقـاً بـرايتِـهِ ... كمـا أشارتْ إليـه الآيُ والكُتُبُ
ونـالَ طه الـذي يبغيه من وطرٍ ... طُـراً ومـا فـاتـه قصـدٌ ولا أرَبُ

* . * . * . * . *

---

(١) كناية عن تضحيتهم بالأرواح في سبيل الله، وثباتهم على هذا الدِّين ولو كلفهم ذلك حياتهم، كياسر وسمية رضوان الله عليهم.

(٢) خروجه ﷺ مهاجراً والقوم نائمون وبصحبته أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) وضع جائزة لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً.

(٤) هذا الشطر لأحمد شوقي.

(٥) السغب : الجوع.

يـا ربِّ أرسلتَهَ للعـالمين هُـدى فالطفْ لقد عَصفتْ من حولنا النُّوب

هذا الفسادُ الذي أبدى نـواجِذهُ نار لها اليـومَ من إيماننـا حَطَبُ

فاعطف على أمةِ الإسلامِ قد رضيت بالذلِّ عيشاً وماتَ الجدُّ والدأب

واغفرْ لأجل إمـام المرسلين لنـا في يومِ لا تنفعُ الأموالُ والنشب [1]

* . * . * . * . *

(١) النشب : المال والعقار.

الذكرى العاطــرة[*]

أما العيونُ فطولُ الهجرِ يبكيها ... والدمعُ يلمعُ دراً في مآقيها

هوّنْ عليك فما تُجدي الدموع ولا ... تقضي لُبانةَ قلبٍ باتَ يبغيها[1]

ما أنت أولُ عانٍ في الغرام مضى ... يطوي الصحارى ويمشي في فيافيها

كمْ مغرمٍ ركبَ البيداءَ مِنْ وَلَهٍ ... تمشي مطيتُهُ والشوقُ حاديها

القلبُ تضنيه أهوالٌ يكابدُها ... والروح بالأملِ الخابي يمنِّيها

يا راكبَ البيدِ في الليلِ البهيم أما ... طالَ السُّرى يا غريباً في نواحيها

تمشي تحت الخُطى والوجدُ مُستعرٌ ... والنفسُ فيها من الآلام ما فيها

ليلُ المحبين آهاتٌ يرددها ... نايُ الهوى، ولهيبُ الشوقِ يذكيها

فيا نديماً لنا ما زلتُ أذكُرُه ... مذُ كانَ للكأسِ شأنٌ في لياليها

أيامَ عشنا وكان اللهو ديدنَنا ... تمضي الليالي أهازيجاً نغنيها

هاتِ اسقينها سُلافاً سائغاً عطراً ... فالنفس ظَمآي وكأسُ الراح ترويها[2]

آهٍ لتلكَ الليالي كم مررنَ بها ... والبِشرُ يعبقُ ريحاناً بناديها

(*) ألقيت في الليلة الختامية للاحتفال بذكرى ميلاد الرسول العظيم - ﷺ - في إنشاص يوم ١١ ديسمبر - كانون أول ١٩٥١. وأعيد إلقاؤها في الحفل الذي أقيم بالمعهد الديني يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥١ بحضور سعادة مدير الشرقية «اللواء صادق الملا» وفضيلة شيخ المعهد «فضيلة الأستاذ إمام حسين». وكبار رجال التعليم والبوليس وأساتذة المعهد وطلابه.

(١) اللبانة : الحاجة.

(٢) السلاف : ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر وتسمى الخمر سلافاً.

عهدُ الأحبة حيَّتكَ المُنى وسقى ... أيـامَكَ الغـرَّ فيضٌ منْ غواديهـا
ماذا عن الصحب في تلك البلادِ مضوا ... أمْ لا يـزالـونَ سُمّـاراً بـواديهـا؟
لي في ربوعِكِ يا أرضَ الحجاز وإن ... شطَّ المـزارُ لبـانـاتٌ أُرَجِّيهـا[1]
لقد ذكرتُ بكِ الأحبابَ فانبعثت ... ذكرى الرسولِ فقمت اليوم أحييها

* . * . * . * . *

هذا هو الكونُ في ديجورِ ظلمتِهِ ... يحكي ذئـابـاً وشـاةً نـامَ راعيهـا
فـذو العشيـرةِ والأنصـارِ تـرهبـهُ ... كـلُّ البـريـةِ: قـاصيهـا ودانيهـا
يسطو على الحقِّ لا قانونَ يمنعُهُ ... ولا شريعةَ يخشـى بأس قاضيها
أمـا الضعيفُ فمغبونٌ وليس لـه ... في الأرضِ عونٌ يقيهِ شرَّ باغيها[2]
والكلُّ يشربُ كأسَ الإثم ِ في طربٍّ ... وينثني حين يـأتي مُنكـراً تيهـا
كانتْ مآثمُهُم في عُـرفهم مَرَحـاً ... والقتلُ في شرعهم قد كان ترفيها
هـذي مبـادؤهم أيـامَ دولَتِهِم ... الـزورُ ينشُـرُهـا والإثمُ يُمليهـا
حتى أضـاءتْ بمـولـودٍ لآمنـةٍ ... أرجـاءُ مكـة وانجـابتْ دَيَـاجيهـا
ومنْ تتَبَّـعَ تـاريـخَ الهـداةِ رأى ... فيـهِ الجلالـة في أسمى معانيهـا
ففي الـطفولـةِ يَلقى ما يمجـدُها ... وفي الـرجولـةِ يلقى مـا يُـزكيهـا
وخذْ حديثَ الأُلى في مكة احتكموا ... إلى الأمين قـويِّ النفسِ عاليهـا
لما أتَوا كعبـةً بالبيتِ واجتمعـوا ... كي يودِعوا الحجرَ الأزكى مبانيها
وكـلُّ طائفـةٍ قـدْ قـالَ قـائلهـا: ... أن ليسَ تـرفعُـهُ إلا أيـاديهـا
وأوشكتْ أن تقومَ الحربُ بينهم ... والويلُ للقومِ إن هبَّتْ سوافيهـا
فـأرسـلَ اللهُ حقنـاً للدمـاءِ فتىً ... أنْعِمْ بحكمتِهِ إذا كان يُبـديها[3]

---

(١) لبانـات : حاجـات.
(٢) الأبيات السابقة تصور حالة العرب قبل الإسلام. مغبون: مظلوم والباغي : الظالم.
(٣) إشارة إلى احتكام قريش إلى رسول الله ﷺ قبل البعثة في وضع الحجر الأسود، ورضائهم بما حكم.

فما مضى عنهُ فـردٌ كانَ مُكتئبـاً   إلّا مضى مُطمئن النفس راضيها

* . * . * . * . *

منْ ذا الذي قد سعى ليلاً إلى جبلٍ   ببـطنِ مكةَ لمـا نامَ سـاريهـا[(١)]

وقـرَّ في غـارِهِ عينـاً بـوحـدتِـهِ   يستلهمُ الله إرشـاداً وتنبيهـا[(٢)]

هذا الأمين رأى أن الضلالة قد   أعمتْ لحاضرهـا قلباً وبـاديها[(٣)]

فراح ينشد في كهف الرشاد سنىً   من حكمةِ اللهِ يُولي القلبَ توجيها

حتى أتى الوحيُ بالإسعادِ مُقترناً   يدعو الشعوبَ إلى التقوى ويهديها

وجـاءَهُ الـذكـرُ تبيـانـاً ومُعجـزةً   منوِّهاً بجـلالِ اللهِ تَنـويـهـا[(٤)]

* . * . * . * . *

ما بال قومٍ بدارِ الندوة اجتمعوا   وجوهُهُم شُوِّهت بالكفر تشويها[(٥)]

يقولُ قائلهم ـ والغيظ يقتلُه ـ :   يا قومِ قد قام للأوثانِ مُخزيْها[(٦)]

يَسُبّ آبـاءَنـا جهـراً ويلعَـنُهـا   ويـوسِعُ الـلاتَ تقبيحـاً وتسفيهـا

لا بـدَّ من قتلِهِ في عُقرِ منـزلـه   حتى يعودَ لدِّينِ العُرب صابيها[(٧)]

هم للشريعةِ كادوا كيدَهم ونسوا   أنَّ الإلـه من الآفـاتِ حـاميهـا

اللهُ أكبـرُ قـد شَـاء النجـاةَ لهـا   لما نجا في ظلامِ الليلِ مُحييها

* . * . * . * . *

---

(١) الساري : السائر ليلاً.

(٢) إشارة إلى تعبد رسول الله ﷺ في غار حراء قبل البعثـة.

(٣) الحاضـر : أهل الحضر الذين يسكنون البلدان والمدن. البادي: الذي يسكن البادية.

(٤) الذكـر : القرآن الكريـم.

(٥) إشارة إلى تآمر قريش على قتل رسول الله ﷺ.

(٦) مخزيها : أي يسفه الأصنام ويرفض عبادتهـا.

(٧) الصابىء : الذي خرج من دينه إلى دين آخـر، وكان الجاهليون يقولـون عن المسلمين «الصباة».

مِنْ بعدِ ذلك قالَ السيفُ قولتـه في يوم بدرٍ فباتَ الشركُ واعيها
وأصبحتْ دولـةُ الأوثـانِ عـاجـزةً عن النضـالِ وقدُ دُكَّتْ أعـاليهـا
والحق إنْ صنته بالـرمح تسمَعُـه كل الشعوبِ وتصحو عينُ غافيها
حتى إذا كانَ يومُ الفتحِ واكتسبت فيه الشريعـةُ نصراً قـالَ داعيها:
قم يا بلال على البيتِ الحرام وقل: إن الضلالةَ أشقتْ نفس أهليهـا
أذِّنْ فقد جاءَ نصرُ الله وانعِ لنا جندَ الفسادِ، فأنتَ اليوم نـاعيها

* . * . * . * . *

يا ربِّ أرسلتَ طه بـالرشـادِ لنا كذي يستقيمَ شقيُّ النفسِ غاويها
وجـاءَ للنـاسِ والأفهـامُ مُجـدبَـةٌ لينبتَ الهـديُ نوراً في أراضيهـا
فاخذل قوي الشرِّ، إن الشرَّ مضيعةٌ لبهجـةِ الكـونِ يـأتينـا فيفنيهــا
وضـربةٌ منـكَ خيرٌ في نتـائجِهـا من ضـربةِ لفتى التحـرير يـأتيها

* . * . * . * . *

يا ربِّ هب من لدنكَ الخيرَ واقض لنا بـرحمةٍ منـكَ عند البـأسِ نُلقيها
إن الحنيفــة قــد بــاتت مُهـددَّةً بالموتِ صبراً، وعطفٌ منك يُنجيها
فاكتبْ لنا النصرَ حتى نستعين به في جعلِ حاضرها يسمو كماضيها
وصلِّ يا ربَّنا أزكى الصلاةِ على مَنْ جـاءَ بالحقِّ لـلآثامِ يُـرديها
محمـدٍ سيـدِ الكـونين شـافِعِنـا يـومَ القيـامـةِ إنْ نـادى مناديهـا

* . * . * . * . *

عيـــد الهجـــرة(*)

عيـدٌ على الـوادي أتى مختـالا ... يحكي الـربيـعَ بشـاشـةً وجمـالا
هوَ يومُ ذكرى من بصادِقِ عزمهمْ ... قهروا فساداً في الـورى وضلالا
إنّـا لنـذكـرُ «بـالمحـرَّم» فتيـةً ... بكفـاحهمْ ضربـوا لنا الأمثـالا[1]
خرجـوا «ليثرب» هـاربين بـدينهم ... قـد فـارقـوا أحبـابهمْ والآلا[2]
ولنصـرةِ الحقِّ الذي طلعـوا بـِهِ ... بذلوا النفوسَ وقدمـوا الآجالا[3]
ومن ابتغى الإصلاحَ في أرضِ الورى ... ركبَ الشـدائدَ وامتـطى الأهوالا
عـامٌ قـضينـاه وأقبـلَ بـعـدَه ... عيـدٌ تبـدي في السمـاءِ هـلالا
قد جاءَ يلقى النيـلَ حراً بعـدما ... رفـعَ القيـودَ وحـطّم الأغـلالا
كمْ مـرّ والـوادي جريـحٌ حائـرٌ ... يبكـي عـلاهُ ويشـتكـي الإذلالا
فـالنيلُ عبـدٌ والكِنـانـةُ في أسى ... والشعبُ يشكو الجوعَ والإقلالا[4]
حتى أتى الجيشَ المظفَّرُ وانبرى ... للظلم يجعـل صـرحَـةُ أطـلالا
لمْ تبلغِ المجـدَ الأثيـلَ كـأمـةٍ ... نـالت مقـاليـدَ الخلود نضـالا[5]

(*) سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٥٢ «القصيدة لم ترد في نسخة المختارات».

(١) اشارة إلى شهر المحرم وبدء السنة الهجرية وما يذكرنا به من هجرة الرسول ﷺ والمسلمين معه.

(٢) الآل : الأهـــل.

(٣) الآجـال : جمع أجل وهو العمر.

(٤) الإقلال : القلة والفقــر.

(٥) الأثيــل : هنا بمعنى الأصيل. وأصل الكلمة من الأثل وهو شجر.

يا يومَ هجرةِ خيرِ داعٍ للهدى ... أحيا قدومكَ بيننا آمالا

ما أنتَ إلا رمزُ كلِّ قضيةٍ ... فيها القويُ سقى الضعيفَ نكالا[1]

يطغي عليه وبينما هو سادرٌ ... في الغيّ يلقى مجدَهُ قد دالا[2]

ما أنتَ إلا عيدُ كلِّ مُعذبٍ ... في الأرض قد ذاقَ العنا أشكالا[3]

يُمسي ويُصبحُ في القيودِ مكبلاً ... وقدِ ارتدى من بؤسه سِربالا

فإذا به بعدَ المذلةِ سيدٌ ... تعنو الجباهُ لمجده إجلالا[4]

كتب الإله لمصر ما ترجوه من ... مجدٍ يعزُّ لدى الأنام منالا

* . * . * . * . *

---

(١) النِّكل : القيد وجمعه نكال. ونَكال : عبره لغيره.

(٢) السادر : المتجبر . دال : تغير وزال.

(٣) العنا : الخضوع والذل والأسر.

(٤) في البيت مبالغة قبيحة، فالوجوه لا تعنو إجلالاً إلا لله عز وجل.

ذكــرى المولــد

[ألقيت في الليلة الختامية للاحتفال بذكرى ميلاد الرسول العظيم بإنشاص في ٣٠ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٢].

أديرا على سمعي اليراعَ المثقَّبا ... ولا تمنعاني أن ألذَّ وأطربا[١]

أأقضي حياتي بينَ همٍ وحيرةٍ ... إذا رُمتُ من دهري هناءً به أبى

فواحسرتا إن لفَّني غيهبُ البِلى ... ولمَّا أنلْ قصداً ولم أقضِ مأربا[٢]

بكت فوقَ غَصنٍ الدوح ورقاءُ هاجها ... إلى إلفها شوقٌ أمضَّ وأتعبا[٣]

عفا اللهُ عما قد جَنَتهُ فإنني ... ذكرتُ بها عهدَ الصبابةِ والصِّبا

فبتُّ وفي نفسي حنينٌ ولهفةٌ ... إلى هاجرٍ قد آثرَ النأيَ واجتبى[٤]

فديتُ بروحي شادناً راشَ جَفنهُ ... وأطلقهُ للقلب سهماً مُصوَّباً[٥]

رمى إذْ رنا قلبي بفاتكِ لحظِهِ ... فأضرمَ في جنبيَّ ناراً وألهبا

ألمَّ وما بي من شقاءٍ وحسرةٍ ... وغادرني أرجو لجرحي مُطبِّبا

فحسبي عزاء أنَّ ما سالَ من دمي ... يُذكرُني خداً لهُ قد تَخضبا

---

(١) اليراع : القصبة التي ينفخ فهيا، المثقب: الذي فيه ثقوب وهو الناي.

(٢) الغيهب: الظلمة ، البلى : الموت.

(٢) الورقاء : الحمامة.

(٤) النأي : البعد. اجتبى : اصطفى واختار.

(٥) الشادن : من شدن الغزال إذا دخل. وشادَنَ: قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه. راش السهم: الصق عليه الريش.

أحاولُ كتماناً فيفضحُني الأسى ... ودمعٌ على الخدينِ مني تصببا

ويعذُلني في العشقِ قومٌ وإنني ... أرى العطفَ منهمْ لي إلى العدل أقربا

فما أنصفوا الصبّ الذي شفَّه الهوى ... ولا رَحموا قلباً حزيناً معذَّبا[1]

تُحطِّمهُ الذكرى فتمسكُهُ المنى ... ويأبى عليهِ الصبرُ أن يتشعبًا[2]

سألتُهُم باللهِ رفقاً ورحمة ... وبالمصطفى من قام للدينِ مُعربا[3]

نبيٌ فيه للعلياءِ صرحٌ ممنَّعٌ ... وأمطرهُ غيثاً من الهدْيِ صَيِّبا[5]

فأنبتَ فيهِ النورَ والحقَّ والسَّنا ... بعوةِ صدقٍ بعدما كان أجدبا

أطلَّ بديجورِ الضلالةِ هادياً ... ولاحَ بليل الإفكِ والزورِ كوكبا

وما زالَ يسعى بالهدايةِ جاهداً ... إلى أمةٍ لم تعرف الحقَّ مذهبا

إلى أن أضاءَ النورُ دامسَ جَهلهم ... ورقّقَ طبعاً ساءَ منهمْ وهذَّبا

فأصبحَ دينُ الله في الناسِ قائماً ... يعمُّ سناهُ الأرض شرقاً ومغ ربا

أتى بكتابٍ فيه للخلقِ عزةٌ ... فساءَ قريشاً ما أتاهُ وأغضبا

عجبتُ لهمْ إذ يركنونَ لغيِّهم ... وأكثرتُ مما قد أتوهُ التعجبا

لقد حاربوا المختارَ فالبعضُ حاقدٌ ... عليهِ يثيرُ الناسَ والبعضُ قطّبا

وكذَّبهُ الكفارُ إذ قامَ داعياً ... وقد كانَ ذا صدقٍ لديهم مُجرَّبا

وكمْ حاولوا في الأرضِ إطفاءَ نوره ... فلا شمسهُ غابتْ ولا ضؤوه خبا[6]

يقولونَ داعٍ ينشدُ الملكَ والغنى ... لقدْ كذَبوا، ما رامَ بالدينِ منصِبا[7]

ولمْ يبتغِ الجاهَ العريضَ لدى الورى ... ولا شاء أن يحيا أميراً مُعصَّبا

---

(١) شفه الهوى : أهزله الحب.

(٢) يتشعب : أي يفكر بغير حبيبه.

(٣) معرب : مبلغ وموضح.

(٤) السادر : المتحير . الغيهب : الظلمة.

(٥) الصيب : السحاب ذو المطر.

(٦) خبا : انطفأ.

(٧) إشارة إلى عرض المال والملك على رسول الله ﷺ.

ولكنَّهُ يـدعـو إلى خيـرِ سمْحـةٍ ويمحو ضلالاً أفسد الناسَ أحقُبا
ولمـا أبتْ إلا الغـوايـةَ مكـةٌ وآذاهُ من فيهـا تَيَمَّمَ «يثـربـا»
فـألفى بهـا نصـراً وعـزاً ورِفعـة وصدراً من الأنصارِ للدينِ أرحبا[1]

* . * . * . * . *

ويـومٌ ببـدرٍ جَنَّـدَ الشـركُ جُنـدَهُ وجمَّـعَ أنصـارَ الضـلالِ وألَّبـا[2]
ونادى «أبو جهلٍ» أيا قومِ شمروا لإضرامِ حربٍ تجعلُ الطفلَ أشيبا
أقيمـوا على بـدرٍ ثـلاثـاً فمثلنـا أخافَ جنودَ المسلمينَ وأرعبا[3]
وجاءَ رسولُ اللهِ في موكب الهدى يقودُ خميساً من قوى الحقِّ أغلبا
يقولُ لهُ سعدٌ: إذا خُضت لجة من البحرِ خُضناها ولنْ نتهيبا[4]
وينـطقهـا المقـدادُ قـولـةَ مؤمنٍ ترى الصدقَ في عزمٍ له قد توّثبا
إلى نصـرةِ الإيمانِ لسنـا كـأمـةٍ لموسى رأتْ عندَ النضالِ التهربا[5]

* . * . * . * . *

ويلتحمُ الجيشانِ جيشٌ على هدىً وجيشٌ لأوثانِ الضلالِ تعصَّبـا[6]
هنـاكَ أمـدَّ اللهُ بـالنصـرِ جُنـدهُ وأخلفَ ظنَّ المشـركينَ وخيَّبـا

---

(١) يشير إلى هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.
(٢) الب : اجتمع مع غيـره على عداوته.
(٣) يشير إلى قول أبي جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليها ثلاثاً، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.
(٤) المقصود بسعد : سعد بن معاذ رضي الله عنه من زعماء الأنصار وما قاله لرسول الله ﷺ حينما استشار الناس في المضي لملاقاة قريش أو الرجوع للمدينة. انظر سيرة ابن هشام في غزوة بدر.
(٥) إشارة إلى قول اليهود لموسى عليه السلام: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» وقول المقداد بن عمرو لرسول الله ﷺ في بدر: (لن نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى. . .).
(٦) جيش المسلمين، وجيش المشركين من قريش.

فما كانَ للإسلامِ أنْ يُطعم الردى ... ولا كانَ للطغيانِ أن يتغلّبا
وفتيةُ صدقٍ كانَ في اللهِ عزمُهم ... أحدَّ من الأسيافِ أمضى من الظُّبا[1]
من الكرماءِ الغرِّ لمْ ينزلِ الهوى ... بساحتِهِمْ أو يأخذوا اللهو مركبا
وما بينهم إلا همامٌ أخو حِجاً ... أبى عن طريق الحقِّ أن يتنكَّبا[2]
تراهُ كمياً في النضالِ مدرَّعاً ... وتلقاهُ ليلاً للقيامِ تأهَّبا[3]
أولئكَ قومٌ طهَّرَ الله نفسَهم ... فما وجدوا أشهى من الأجرِ مطلبا
تزلزلَ مُلكُ الرومِ تحتَ سيوفهم ... وخرَّت بلادُ الرومِ من وطأة الشَّبا[4]
تبارك رحمنُ السماءِ فإنهُ ... يشاءُ لهذا الكونِ عيشاً مُحببا
رأى الناسَ في ليلٍ من الجهل دامسٍ ... فأرسلَ طهَ بالكتابِ مُؤدبا
وأبصرَ وادي النيلِ في الظلمِ غارقاً ... فهيأ داعٍ للوثوبِ وسبَّبا
وقامَ فتىً من قادةِ الجيشِ باسلٌ ... يقودُ إلى العلياءِ والنصرِ موكبا
فقوَّض عرشَ البغيِ في مصرَ وانثنى ... يريدُ بنا من حندسِ الذلِّ مهربا[5]
وكم غلَّ في قيدٍ من الأسرِ ظالماً ... غوياً أخافَ الأبرياءَ وأرهبا
لقدْ حَكمونا حقبة لم نجد سوى ... فساداً قد استشرى بها وتسرَّبا
رجونا بهم خيراً فكنا كظامىءٍ ... من الآلِ في الصحراءِ رياً ومطلبا[6]
وبانَ الذي جاءوهُ أيامَ عهدهم ... خداعاً وبرقاً في السياسةِ خُلبا[7]
سألتُ إلهَ العرشِ نصراً لفتيةٍ ... بهم قَد وقى مصرَ الشرورَ وجنبا
وأدعوهُ ألّا يجعلَ الخُلفُ بيننا ... وأن يجعلَ العهدَ الذي قام طيبا[8]

---

(١) يقصد بالظبا : السيف أيضاً.
(٢) الحجا : العقل. التنكب عن طريق الحق، ترك طريق الحق.
(٣) الكمي : الشجاع . مدرعاً : يلبس الدرع.
(٤) الشبا : ج شباه وهي حد السيف (هنا).
(٥) يشير إلى محمد نجيب وإطاحة الجيش بالملك فاروق.
(٦) الآل : السراب.
(٧) البرق الخلب: الذي لا مطر فيه.
(٨) كأنما يتوجس الشاعر خيفة من رجال الجيش ويرجو أن يكون عهدهم خيراً.

ميلاد الرسول ﷺ (*)

أعدْ ذكراهُ في الكونِ شدواً مرنماً ... فللهِ ما أحلاهُ ذكراً وأكرما

وطفْ بحديثٍ في فمِ الدهرِ عاطرٍ ... أضاءَ لهُ وجهُ الورى وتبسَّما

فما الكأسُ إذ تأتيك من يد كاعبٍ ... مخضبةِ الأطرافِ معسولةِ اللَّمى(1)

تدورُ بها والعينُ فاضت بمثلها ... فلمْ تَدْرِ أياً قد تصبَّتك منهما

بأطربَ من ذكرِ الرسولِ إذا جرى ... وفاضَ فلمْ يتركْ فؤاداً ولا فما

* . * . * . * . *

ألا ليتَ شعري أي نورٍ مقدسٍ ... بدا وظلامُ الليلِ قد كان أسحما(2)

أضاء ضياءَ الفجر، والفجرُ ساطعٌ ... وفاض على البيداء كالغيثِ إذهمى(3)

وأيُ وليدٍ ذاك من أشرقت لهُ ... ربوعٌ عليها الجهلُ رانَ وخيَّما(4)

أتى حاملاً للكونِ نوراً ورحمةً ... ففاضَ هناءً بعدما فاضَ مأثما

وقرَّتْ به عينان: عينٌ لجدهِ ... وعينٌ لأمٍ قد بكتْ زوجها دما

كذلك شاءَ اللهُ أن الذي بهِ ... تردَّتْ بقاعُ الكونِ للهديِ معلَما

(*) ألقيت في الليلة الختامية للاحتفال بذكرى ميلاد الرسول العظيم ﷺ بانشاص في ١٩ نوفمبر ـ يشرين الثاني ـ ١٩٥٣ .

(١) الكاعب : الجارية التي ظهر ثدياها. مخضبة الأطراف: أي مصبوغة الأطراف بالحناء. معسولة اللمى: اللمى: سمرة في الشفاة. وهنا يصفها بأنها كالعسل في اللون والطعم.

(٢) اسحم : السحمة السواد. الأسحم : الأسود.

(٣) همـا : انهمر وسقط. .

(٤) ران : غلب.

يطلُّ على الدنيا وحيداً بلا أبٍ — وتأتي به الأقدارُ طِفلاً ميتَّما

وجمَّلهُ الرحمنُ إذ كانَ أمرهُ — خَفيًّاً بظهرِ الغيبِ لم يبدُ، مبهما[1]

فما كانَ بالإثمِ الذي عمَّ مولعاً — ولا كانَ باللهوِ الذي شاعَ مَغرما[2]

وجاوزَ إغراء الشبابِ وقد أبى — له الله إلا أن يصانَ ويُعصما[3]

فما ذاقَ في طورِ الطفولةِ لينَها — ولا عاشَ في طورِ الشبابِ منعَّما

وما ذاكَ ضنٌّ بالهناءِ على الفتى — فما كانَ من نيلِ الهناءِ ليُحرما[4]

ولكنَّهُ أمرٌ يُعدُّ لحملِهِ — صغيراً، فكانَ الهدى أجدى وأحزما[5]

لهذا رآه القومُ إذ قامَ داعياً — قوياً، صبوراً، ما اشتكى أو تبرما[6]

*. *. *. *. *

بنفسيَ منْ قد قامَ للدِّينِ بانياً — وكشَّفَ ليلاً للغوايةِ مُظلما[7]

وجاءَ بنورِ الحقِّ، والحقُّ أبلجٌ — فبدَّد غيماً للجهالةِ غيَّما[8]

يقوِّمُ جهالاً، وينشر رحمةً — ويرفعُ أغلالاً، ويُوقظُ نُوما

وفي نُصرةِ الإيمانِ لما دعا لهُ — تكبَّدَ أهوالَ الأذى وتجشَّما[9]

لقد باتَ ما يدعو إليهِ محمدٌ — شَجاً في حلوقِ القوم بل كان علقما[10]

---

(١) أي تعهده الله سبحانه وتعالى منذ صغره قبل أن يدري أحد بأنه رسول الله ﷺ إلى العالمين، وكان واضح الخلق مستقيم الطبع، قدوة للناس في كل فضيلة.

(٢) مولع : مغرم ومحب.

(٣) لقد عصم الله نبينا محمداً ﷺ وصانه من كل المنكرات والخبائث قبل البعثة وبعدها.

(٤) ضن: بخل .

(٥) أجدى : أنفع، أحزم : أقوى وأفضل.

(٦) تبرما : مل وضجر.

(٧) كشّف ليلاً: أظهر ما كانت عليه الجاهلية من الشرك والضلال والفساد.

(٨) أبلج : من بلج بمعنى أشرق أي مشرق.

(٩) تكبد: وتجشم : قاسي وتحمل وتكلف على شدة الأمر.

(١٠) الشَجا : ما ينشب في الحلق من عظم وغيره فيعيق التنفس والبلع ويسبب الضيق.

فمـدَّ يـد الإرهــابِ كـل مُضلِّل	غويٍ بأحضانِ، الشقاءِ قد ارتمى
يُـريـدُ لـدينِ الحقِّ وأداً وضَيعةً	ألا بُتـرتْ يُمناه كفـاً ومعصـا[1]
عقولٌ يُريها الحقدُ في الهديِ سُبةً	ويُملي عليها أن تثورَ وتنعمـا[2]
قلوبٌ عليهـا للضَّـلالِ غشـاوةٌ	فـأنى لهـا أنْ تَستجيبَ وتفهمـا
أتى بكتــابِ اللهِ أصـدقِ آيـةٍ	فأعجزَ أربـابَ البيانِ وأفحمـا[3]
وما اسطاعَ إتيـاناً بـأقصرِ سـورةٍ	من المِثْلِ من قد كانَ في القولِ مُلْهَماً[4]
وجــادَلَهمْ كي يستَميـلَ قُلوبهم	فكـانَ كذي حِلمٍ بليلٍ تـوهَّمـا
هُمُ قـد أجـابـوا قَـولَـهُ ودعـاءَهُ	إذا كان يشفي الآلُ من غِلَّة الظما[5]
وقـالوا فقيـرٌ ينشدُ الجـاهَ والغنى	ومهمَـلُ قـومٍ شـاءَ أن يتـزعَّمـا
خُرافاتُ مجنـونٍ، وأوهامُ شـاعرٍ	بـهِ من رئيٍّ الجنِّ داءٌ تحكَّمـا
هُمُ أوغلوا في إفكهمْ وعِنـادهمْ	وكان الذي قالوهُ وهماً مرَّجما[6]
فما ضرَّهمْ لـو أنهمْ سمعوا لـهُ	وما كان في صدقِ الحديث مذمما[7]
أتاهمْ بنورِ اللهِ والصدقِ والهُدى	فما بالُ وجهِ الكُفر منهم تجهَّما[8]
هو الحقُّ لكن كيف يهدي لنورهِ	وإن كانَ مثلَ الشمسِ من بات ذاعمى

(١) الوأد : الدفن في القبر للحي.

(٢) سبة : عاراً . تنعما: بمعنى تفسد في الحياة الدنيا.

(٣) أفحما : أسكته في الخصومـــة.

(٤) يشير إلى تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثل أية من آياته كما في قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ البقرة ـ ٢٣.

(٥) الآل : السراب الخادع.

إشارة إلى عرض قريش على رسول الله ﷺ المال والملك والجاه والطب إذا كان يريد بما جاء به الملك أو المال أو كان به مس من الجن والحادثة في سيرة ابن

(٦) هشام وغيره من كتب السير والتاريخ.

(٧) مُذمماً : مذموماً أو مطعوناً في صدقه. وقد كانوا يلقبونه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالأمين والصادق.

(٨) تجهّم : أي استقبلوا الأمر بوجه عابس كالح.

أبى الكفرُ إلا شقوةً وسفاهةً فباتَ امتشاقُ السيفِ أمراً محتما[1]
وذو الحلمِ إن يغضبْ فغضبةُ ثائرٍ رأى العارَ في أن يستكين ويكظما[2]
ولما أرادَ اللهُ نصراً لدينه أهابَ بسيفِ الحقِّ أنْ يتكلّما
فأذَّنَ داعٍ للجهادِ: أن انفروا ألا فليُجبْ من كانَ للهِ مُسلما
فبادرَ نَبَّالٌ فراشَ سِهامهُ وأسرعَ قتَّال فجرَّد مَخْذَما[3]
أجابتْ نداءَ الحقِّ في اللهِ إذ دعا نفوسٌ ترى الإيمانَ أن تتقدما
وسلَّتْ بفدرٍ للجهارِ بواترٌ أبتْ في سبيلِ الله أن تتثلّما[4]
على صفحةِ البيداءِ والسيفُ قائمٌ تبدَّى مثارُ النقعِ كالليلِ أقتما[5]
قدِ التحمَ الجيشانِ: جيشُ ضلالةٍ وجيشٌ على الإيمانِ بالحقِّ صمما
هنا وقفَ التاريخُ وقفةَ شاهدٍ وقد أمسكتْ كفاهُ لوحاً ومرقما[6]
وقامَ رسولُ اللهِ، للهِ ضارعاً يسائلُهُ الوعدَ الذي كانَ أبرما
وراحَ إليهِ والقنا تضربُ القنا يناديهِ: راشَ الكفرُ للدِّين أسهما[7]
وجاءَ إلينا في عتادٍ وعدّةٍ يريدُ لهذا الدينِ أنْ يتحطَّما
تباركتَ: إن تهلكْ لدينكَ عُصبةٌ فلنْ يعبدوا في الأرضِ رباً معظَّما[8]
فما هي إلا كرَّةٌ عادَ بعدها وقد أوردوا القومَ اللئامَ جهنما

---

(١) امتشاق: من المشق: وهو السرعة في الطعن والضرب والأكل، امتشق الشيء من يده: اختلسه بسرعة.
(٢) يكظم: من كظم. بمعنى اجترع غيظه.
(٣) النبال: على وزن فعال (صيغة مبالغة) بمعنى رامي النبل أو صاحب التبل، والقتال: هو الذي يقتل، المخذما: السيف القاطع. راش: وضع الريش للهسم قبل رميه.
(٤) بواتر: جمع باتر، وهو السيف القاطع، تثلم: من ثَلَم: وهو الخلل، والثلم في السيف: هو انكسار في شفته شيء.
(٥) النقع: الغبار. أقتم: من القتام وهو الغبار، والأقتم: لون فيه غبره وحمره.
(٦) مرقم: قلم.
(٧) راش: وضع الريش للسهم.
(٨) إشارة إلى قوله ﷺ في بدر وهو يناشد ربه: «اللَّهم إن تهلك هذه العصابة اليومَ لا تعبد».

وقـوَّمها بـالسيفِ والرُمـحِ والقنـا نفـوسـاً أبتْ بـاللينِ أن تتقـوَّمـا
فيـا لـكَ من جيشٍ حمـاهُ إلهُـهُ وديـنٍ رعــاهُ اللهُ أنْ يتــهــدّمــا
فلمْ يـرمهمْ رامٍ بنـافـذِ سهمِـهِ ولكنَّ ربَّ الدينِ من فوقهم رمى[1]
وحدِّثْ عن الفتحِ المبينِ وما بدا لأمِّ القـرى لمـا إليهـا تيمَّمـا[2]
ألمْ يُقبلُ الداعي الفقيرُ بجحفلٍ يَشقُّ هضاب البيدِ سيلاً عرمـرما
بكلِّ فتىً أمضى من السيفِ عزمُه إذا ما بدتْ للحربِ نارٌ تقحُّمـا
تـراهُ إذا مـا لفَّـهُ الليـلُ قــانتـاً ويبدو إذا ما كرّتِ الخيلُ ضيغما[3]
ألمْ يدخُلِ البيتَ الممنَّـعَ فاتحـاً وكـانَ عليهِ البيتُ قبـلاً مُحـرّمـا
فكم من إلهٍ تحت أقدامِ جُنـدهِ هـمُ نصبــوهُ قـد وهى وتهشمــا
ألا سائِلِ القـومَ الذينَ مشـوا لهُ وساقوا إليهِ الكيد كالحقدِ مؤلما
وصبوا عليهِ السوط - سوط عذابهم - إلى أنْ رأى في هجرةِ الدارِ مَغْنما
وإن كانَ ظُلمُ الناسِ للمرءِ مؤلماً فقَدْ كانَ ظلمُ الأهْلِ أنكى وآلما
أما جمعوا بالبيتِ من كل ناقمٍ إلى ذلكَ الغازي أسـاءَ وأجْرمـا
أمـا أطرقـوا رأساً مخـافةَ بـأسـه وقد شربوا كأسَ المـذلَّةِ مفعمـا
أما قدّروا أن يبطشَ البطشةَ التي جَنـوها وهم كـانوا أعقَّ وأظلمـا
فمالَ إلى الصفحِ الجميلِ عن الأذى ولو قدْ أتاها كانَ للعدلِ محكما
ولكنَّـهُ داعٍ إلى الخيـرِ، شـأنـهُ إذا ما أساؤُوا أن يقيلَ ويرحما[4]
أقــامَ يتيمَ البيـدِ أركــانَ دولـةٍ ووطَّـدهُ في الأرضِ ديناً ودّعمـا
هـو الحقُّ قد أرسى الإلـه بناءَهُ وأكملَهُ الـقــرآنُ نــوراً وتمَّــمــا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.
(٢) يقصد بأم القرى مكة ويتحدث عن فتحهـا.
(٣) فالمسلمون كما وصفوا: «رهبان في الليل فرسان في النهار».
(٤) إشارة إلى اجتماع قريش عند رسول الله ﷺ أمام الكعبة بعد الفتح - وسؤاله ﷺ لهم - «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فاذهبوا فأنتم الطلقاء».

دعامتُهُ الشورى، وشِرعتُهُ الهدى، بـهِ منَّ رحمن السمـاءِ وأنعمـا
لديهِ استوى من لم يُزنـهُ نِجاره ومن لقريشٍ في الأنام قد انتمى[1]
فـلا فضـلَ إلا بـالتقى ولـو أنـه يكونُ لمنْ قد عاشَ بالفقرِ مُعدما
لقـد أخـذَ الأُميُّ يسعى بقـومِـهِ إلى ذروةِ العليـاءِ حتى تسنَّمـا
وقـادَ رعاة الضـأنِ شامـخَ دولـةٍ كما لمْ يَقدْ من قبلُ من كانَ قيِّما
هُمُ ملكـوا الدنيـا فنالت بـظلهمْ عدالةَ تشـريعٍ، وحكمـاً مُنظَّمـا
وسارتْ على الأيامِ يزدادُ بأسُها وتصعَـدُ للعليـاءِ والمجـدِ سلَّمـا
فلمَّا استقامَ الملكُ وانتظمَ الورى وشارفَ في العلياءِ بالأفقِ أنجما
أضعناهُ عن ضعفٍ وذلٍ ولمْ نقمْ عليـهِ وقدْ أودى جِـداداً ومـأنمـا
فما عُرفَ الإسلامُ من بعدهم سوى ذليلٍ عن الإسراعِ للمجدِ أحجما
فعـادَ عزيـزُ الـدينِ ينـدبُ عِـزةً ويلعقُ جـرحاً في الفؤادِ مُكتَّمـا
فيا ربِّ إن يُصبحْ بنا الغربُ هازئاً فقـد كانَ منـا من غـزاهُ وعلَّمـا
نِدمنا على ما ضاعَ لو كانَ مُجدياً لـطالبِ مجـدٍ ضـاعَ أنْ يتنـدمـا

* . * . * . * . *

---

(١) نجاره : نسبــه.

مولـد النـور(*)

جيدُ الظِّبا، والمقلةُ الحوراءُ هذان يا قلبي هما الغُرَماءُ[1]
ما زلتَ تلهو في شَبابِكَ عابثاً حتى رَمَتكَ الغادةُ الحسناءُ
وكذاكَ سِحرُ الغانياتِ عَلمِتَهُ ما للمصاب بجرحهنَّ شِفاء
كيفَ الوصولُ إلى التي قد ضمَّها خِدْرٌ تُظلِّلُه القنا وَخِباء[2]
إنِّي سعيتُ لها بقلبٍ والِهٍ وعليَّ من نسجِ الظَّلامِ رِداء
وخطوتُ مُجتازاً إليها ساحةً للقومِ حولَ خيامِها إغفاءَ
وهمستُ من تحتِ الدياجي باسمِها وبدا لخَطوي عندَها إبطاء
ورأيتُ تحتَ السُّجفِ بدراً عندما برزَتْ إليَّ يَلُفُّها استحياءُ[3]
ضربتْ بكفٍ صدرَها وتعجَّبَتْ مِنْ جُرأتي ولعَينِها إيماء
فأجبتُها: لا تعجبي غَلَبَ الهوى ضَحِكتْ وقالتْ هكذا الشُّعراء[4]
ولقد سريْتُ بها نكتِّمُ سِرَّنا ولنورِها بينَ الدُّجى إفْشاء

(*) ألقيت في الليلة الختامية للإحتفال بذكرى ميلاد الرسول ﷺ - بأنشاص - يوم ٨ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٤ وأعيد ألقاؤها في الحفل الكبير الذي أقيم بجمعية المحافظة على القرآن الكريم بالزقازيق لسماع محاضرة شيخ المعهد يوم ١٥ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٥٤.

(١) الجيد: العنق، المقلة: العين، الغرماء: جمع غريم وهو الرجل الذي عليه الدين ويقصد هنا المعتدي.

(٢) الخدر الستر.

(٣) السُّجف: جمع سجف وهو الستر.

(٤) يبدو تأثر شاعرنا بعمر بن أبي ربيعة.

فَتَقنعَتْ تُخفي الضياءَ وما لَـهُ ... لـما تَبَـلَّجَ فَجـرُهُ إخْـفـاءُ

نـاديتُهـا لا تحجُبيـه فـإنَّمـا ... للشمسِ مِنْ خلفِ الغمامِ ضِياءُ

هـذا كنـورِ الحقِّ حينَ بـدا لنا ... بـمحـمـدٍ مـا إنْ لـه إطْفـاءُ

هوَ نفحةُ الـرحمنِ للكونِ الَّـذي ... كـاةتْ تحيط بـأهلِهِ الـظَّلمـاءُ

قـدْ شـاءَهْ لِهُـدى النبَّـوة إنَّـهُ ... يَضعُ الهدى والمُلْكَ حيثُ يَشاء

لمَّـا تـأذَّنَ بـالـرِّسـالـةِ أشْـرقتْ ... أرضٌ وضـاعَـتْ بالعبيرِ سَماء[1]

وبدا على الصحراءِ يزْحفُ مُشْرِقاً ... فجـرٌ لـهُ مِنْ فـوقِهـا لألاء[2]

هـذا اليتيمُ الفَذُّ ما عَهِدتُ لـهُ ... مِنْ مُشْبِـهٍ في وَصفِـهِ البيـداء

سبحـانَ مُحيي البيـدِ حتى أنَّهـا ... نَبَتَتْ عَلَيْهـا الـزهـرةُ الفَيحَـاء

أمـا الـوليـدُ: فكـانَ مُنقِـذَ أُمَّةٍ ... وثـنيـةٍ لـعبـتْ بـهـا الأهْـواء

جاءَ الضياءُ لِمَنْ مَضَوْا في غيِّهم ... وعلى العيـونِ غِشـاوةٌ سـوداء

هـذا النهارُ تُـطاحنٌ وتشـاحنٌ ... والليـلُ كـأسٌ ثـرةٌ ونسـاءُ[3]

أمـا القلوبُ فقـد تنـافرَ ودُّهـا ... حتَّى تفشَّـتْ بينَهـا الـبَغْـضـاء

ونفـوسُ قـومٍ مـا تَـوَلَّـدَ ميلُهـا ... للخيـرِ لَمَّـا ذاعت الفَحْشـاء[4]

اللهُ أكـبـرُ إذْ أرادَ شِـفـاءَهـا ... بهـدىً حكيمٍ دونُـهُ الحُكَمـاء

فـأعـدَّ لـلأمـرِ الجليـلِ مُحمـداً ... إنَّ العـظائِمِ كفؤُهـا العـظمـاء

من أرشدَ الساري إلى سُبلِ الهدي ... فـطواهُ في الليـلِ البهيمِ حِـراء

عَهْدي بمنْ قَدْ فاضَ ماءُ شبابِهِ ... يَقظُ المـطامِـعِ لفَّـهُ الإغـواء

---

(١) ضاعت : فاحت بالعبير.

(٢) لألاء : لمعان.

(٣) يصف الشاعر حالة العرب عند مولده - ﷺ - من عبادة الأوثان. والضلال في التفكير والتخاصم والنزاع لأتفه الأسباب بين القبائل، ومعاقرة الخمر، وفعل الفواحش من زنا وغيره.

(٤) أي لم يقم أحد بمحاربة الفحشاء أو الظلم عندما فشا ذلك بين الناس في الجاهليـة.

قدْ كانَ في شرخِ الشبابِ فمالهُ
لا يستجيبُ إذا دعـا الإغْـراء

مـا بالـهُ لم يعرفِ اللَّهـوَ الذي
يلْهـو بـهِ مَنْ حَـوْلَـهُ القُـرنـاء[1]

تـركَ الحياةَ عـريضـةً مِنْ خَلفِـهِ
ومضى إلى الصلواتِ وهْيَ خَلاء

يستلهِمُ العقْلَ الطريق إلى الذي
في الكـائنـاتِ بـدتْ لـه آلاءُ

هذي البسيطةُ قـدْ أمدَّ فِجاجَها
فغـدَتْ عليها يخُـطرُ الأحْيـاء

هذا الفضاءُ ومـا بِهِ من كـوكبٍ
ضُـربت عليـه القُبَّـةُ الـعَلْيـاء

هذي الحياةُ وما بها من مُعجِزٍ
يعـدو عليهـا في الـزَّمـانِ فَنـاء

هـذي الزروعُ وغـرسُها حبـاً لـه
في الأرضِ، فـرْعٌ باسقٌّ ونمـاء

هـذي الميـاهُ وقـدْ تفجَّـرَّ نبْعُهـا
حتى تـدفَّق في الصخـورِ المـاءُ

والليـلُ يَتبَعُـهُ النهـارُ عليهمـا
يتعـاقَبُ الإصبـاحُ والإمـسـاءُ

مَنْ سخـرَّ الأرياحَ تلك لـواقحـاً
سـارتْ ومنهـا عـاصفٌ ورُخاءُ

لِمَنِ الجواري المُنشئاتُ مـواخراً
يجري بها فوق العُبابِ هـواء[2]

حَسبُ العقولِ فتلك صنعةُ مُبدعٍ
دَلَّتْ عليـهِ فليس فيـه خَفـاء

لا غَروَ إن هجر الضلال مُحمدٌ
فَبمثـلِ هـذا يهتـدي العُقـلاءُ

الليـلُ معتكـرُ الجـوانبِ سـاكنٌ
والسهـلُ قَفرٌ والحُزونُ فضاء[3]

سكتَتْ ربوعُ البيدِ إلا مِن صدىً
قـد ردَّدت رنَّـاتِـه البـطحـاء

وهنـاكَ في غارِ الهـدايـةِ عـابـدٌ
قدْ طالَ منهُ على الرمالِ ثَوَاء[4]

ما زالَ يضربُ في الليالِي راجياً
لـلحـقِّ حـتـى جـاءَهُ الإيـحـاءُ

حتى سرى في البيدِ ذات عشيةٍ
صـوتٌ لـهُ من فـوقِهـا أصْـداء

إقـرأ فإنَّ الحقَّ ضـاحٍ قَـدْ بـدا
للنـاسِ مِنْ بعدِ الـرَّدى إحْياء[5]

---

(١) القرناء : الأصدقاء ومن في سنه من الشباب.

(٢) الجواري المنشئات : السفـن.

(٣) الحزون : جمع حزين وهو ما غلظ في الأرض.

(٤) ثواء : مكوث.

(٥) ضاح : بارز.

وصحا الأنامُ على صياحِ مُبشِّرٍ ... هــو لـلشــريـعــةِ رنَّــةٌ ونــداءُ
وغـدا بمكـةَ أهلُهـا في كَـرْبِهم ... يَـتـخـبــطون ولـلـنـذيــرِ دعــاءُ
صوتٌ هو الإرشاد يَطرقُ سمعهم ... آذانـهـمْ عــن رجعــهِ صــمَّــاءُ
نـورٌ كـرابعـةِ النهارِ بـدا لهم ... أبصــارهمْ عن فجــرهِ عَميـاءُ
والشمسُ إنْ بَهَـرَ الأنامَ ضيـاؤُهـا ... أنَّـى تـراهــا مُقلةٌ عـشــواءُ[1]

* . * . * . * . *

عصبيــةٌ تُــذكي أوارَ عـنــادِهم ... وحــميَّــةٌ مــن بــاطــلٍ وشـقــاءُ
مـا صَّيـرَ الأوثــانَ ربـاً كــونُهـا ... سجــدتْ لهـا الأجـداُد والآبـاءُ
همْ يعــرفــون الحقَّ إلا أنـهــا ... إحنٌ لهـا في صدرهم بُـرجاء[2]
قدْ أنكروا أن قامَ يدعـوهم إلى ... ديــنٍ فـقــيــرٌ حــولــهُ فُـقــراءُ
الســادةُ الأمجـادُ كيف يقــودُهم ... فـردٌ قـد استمعتْ لـهُ الضعفاءُ
تلكَ النبــوةُ كيف تتـركهم إلى ... هــذا الفقيــرِ وهمْ لهــا أكفــاءُ
لــولا تَـنـزَّلَ ذاك بيـنـهـمُ على ... رجــلٍ لــهُ في القــريتيـنِ ولاءُ[3]
اللهُ أعلمُ حيثُ يجعــلُ وحيَــه ... لـكنـهمْ فـي غـيـهـمْ شُــركــاءُ

* . * . * . * . * . *

ومضى ابنُ عبدِ اللهِ ينشُر هـديَهُ ... مـا نـالـهُ منْ كَيـدهمْ إعيــاءُ[4]
وقَـفــوا لــهُ مُتكـتِّـلين يـمـسُّــهُ ... أنـىَّ تَــوجــه بـيــنـهــم إيــذاءُ
ومشى ابنُ عبدِ اللهِ يصرخُ حوله ... ويــرنُّ فـي أُذنيــهِ الاسـتـهــزاءُ

---

(١) عشواء : الناقة العشواء هي الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخبط بيديها كل شيء، ومنها استعملت هنا للمقلة التي لا تبصر.
(٢) إحــن : حقد وأضغان والمفرد إحنه. بُرَحاء شدة الأذى.
(٣) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وقالو لولا نزل هذا القرآن على رجـل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف ـ ٣١ ـ].
(٤) إعيــاء : بمعنى التعب وهي من العيِّ: خلاف البيان، وعدم الإهتداء إلى القلوب.

لمْ يُثنِهِ ما قدموهُ وهكذا بينَ العواصفِ تحملُ الأعباءُ[1]

* . * . * . * . *

ظنُّوا بهِ كلَّ الظنونِ وإنهُ منْ كل هاتيكَ الظنونِ براءُ

زعموهُ لما أنْ تكاملَ حِقدهم ذا جِنَّةٍ يطغى عليهِ الداءُ

قالوا: حسودٌ قدْ أرادَ سيادةً وفقيرُ قومٍ همه الإثراء[2]

طوراً أخو سحرٍ وطوراً شاعرٌ يا إفكَ ما نادت به السفهاء[3]

إن كانَ حقاً ما أتوهُ فكيفَ لمْ تنطِقْ بمثلِ حديثهِ البلغاء

قدْ جاء معجزة النبيِّ وغايةٌ في القولِ يكبو دونها الفُصَحاء[4]

ما بالُ أقصرِ سورةٍ من مثلهِ أَعيَتهمُ تَراجع الفُصَحاء

ما أدركَ القومُ الذين تجمَّعوا وقلوبُهم من غيظِهم رمْضاء

أن العنايةَ في السماءِ تحوطُه ومِن العنايةِ في الخطوبِ وقاء[5]

سلْ من على بابِ الرسولِ تربصوا والبيتُ فيهِ عليٌّ الفدَّاء

هلْ أبصروهُ وقد تخطى جَمعهُم ومضى له تحتَ الدُّجى إسْراء

نثرَ التراب على الوجوهِ فأصبحوا حتى كأنَّ عيونَهم رمْداء

ومشى إلى الصدِّيق يصحبُه إلى وطنٍ كريمٍ أهلُهُ كُرماء

ما دارَ في خلدِ اللئامِ ولوجُهُ في الغارِ لما باضت الورْقاء[6]

---

(١) إشارة إلى الاستهزاء برسول الله - ﷺ - وإيذائه من قبل قريش.

(٢) إشارة إلى قول كفار قريش: بأن محمداً يريد أن يكون ملكاً وغنى وعرضوا عليه ذلك.

(٣) إفك : كذب.

(٤) يقصد بمعجزة النبي ﷺ القرآن الكريم.

(٥) وقاء ووَقاء ما وقيت به شيئاً.

(٦) هذا البيت والأبيات السابقة تشير إلى حادثة الهجرة، وخروج الرسول والقوم يحيطون ببيته، ووضعه التراب على رؤوسهم وهم نيام، وعناية الله برسوله ﷺ.
ولوجه : دخوله . الورقاء : الحمامة.

وبـداخـلِ النفقِ الأمين عليهِمـا ... سـارا ولـلصِّـديقِ فيـهِ بُكـاء
مـا منْ طعامٍ يُـرزقانِ بـه سوى ... ذاكَ الـذي جاءتْ بـه أسماء[1]
قفْ يا سراقـةُ حيثُ أنت فإنما ... أدركتَـهُ لـو تـدركُ العنقـاءُ[2]
كيفَ الوصولُ إلى الرسولِ ودونه ... تـأبى المسيـرَ كـأنَّها شـلَّاء[3]
تلكَ القوائمُ من جوادك ما لها ... من رحمـةِ اللهِ القـديـرِ كِسَاء
أتـريـدُ نيـلَ محمـدٍ، وبقـاؤُهُ ... للحقِّ والـديـنِ الحنيـفِ بَقَـاء

* . * . * . * . *

حيَّا الإلـهُ من المـدينة مَعشـراً ... آوَوْهُ حيـنَ أرادهُ الأعـداء
قـومٌ هُمُ الأنصـارُ أمـا ذكـرهمْ ... فندٍ، وأمـا عهـدُهمْ فَـوفـاء[4]
الآخـذينَ من الـرسـولِ مـواثقـاً ... سـارَ الـزمـانُ وهمْ لهـا أُمنَـاء
والبـاذلينَ لمنْ إليهمْ هـاجـروا ... إخـلاصَ قلبٍ ليسَ فيـه ريـاء
والمشـركينَ القـومَ في أمـوالهمْ ... - لا المشـركينَ - ودينهُم وضَّاء
والمؤثـرينَ على نفـوسهُم وإنْ ... نـزَلَتْ بهمْ من حاجـةٍ ضَـرَّاء
مـدُّوا إليهمْ في مـدينتهمْ يـداً ... لمَّـا بـدا في الأقـربين جَفـاء
جمعتْهُـم في اللهِ خيـرُ أخـوةٍ ... فـالـدينُ ودٌ بـينَـهـم وإخـاء

* . * . * . * . *

---

(١) أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، حيث كانت تأتي بالزاد لرسول الله ﷺ ولأبيها وهما في الغار وربطت الزاد بشق من نطاقها لذا سميت بذات النطاقين.

(٢) سراقة بن مالك الذي لحق برسول الله ﷺ ليأخذ جائزة قريش بمن يأتي بمحمد. العنقاء : الداهيـة والأصل هو طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم وكناية عن عجز الإنسان عن إدراك ما يتمنى.

(٣) إشارة إلى ما حصل لسراقة عندما ساخت قوائم فرسبه في الأرض حتى دعا له رسول الله ﷺ وانطلقت. انظر إلى كل هذه الحوادث في سيرة ابن هشام أو غيرها عند حوادث الهجـرة.

(٤) ندٍ : جواد : أي هم أصحاب الجود والوفـــاء.

وأرادَ ربُّـك أن يكيلَ لمنْ بغـوا نفسَ الصواعِ وللمسيء جزاء[1]
ومضتْ ببــدرٍ للقتــالِ ضيــاغمٌ قـد غُـطِّيتْ بغبـارِهـا الصَّحــراء
بكـرتْ خيـولٌ للوغى وتـدافعتْ إبـلٌ لها عنـد الرحيـلِ رُغـاء[2]
وعلى رمـالِ البيـدِ شبَّ لهيبُهـا إذْ شمَّـرتْ عنْ ساقِهـا الهَيجَـاء
بينَ الضــلالِ وبين حقٍ مُشرقٍ قــامَ اصــطدامٌ عــارمٌ ولــقــاء
الفتيــةُ الأبــرارُ يخفقُ فــوقـهمْ يــومَ الكـريهَــةِ للرســولِ لِــواء
همْ لـلشريعةِ نَبتُهــا إن يُقتلوا فعلى الشريعةِ في الأنام عَفَاء[3]
يا يومَ بـدرٍ قد شهـدتَ لِقاءهم إذ أنْت فصــلٌ بينَـهم وَقَـضــاءُ
يـا يومَ بـدرٍ قدْ رأيتَ صِـراعهم وَعَــرَفْت كيفَ تَنـاثــر الأشــلاء
كيف ارتـدادُ الغيِّ فيكَ مُحـطماً لمَّـــا وَهَتْــهُ الـغــارةُ الشعــواءُ
كيف اندحارُ الشركِ يلعقُ جُرحه قَدْ صُبَّ فوقَ الـرأسِ فيه بـلاء
هـذا أبو جهـلٍ لـديـكَ مُجنـدلٌ ســالتْ على البيـداءِ مِنــهُ دِمـاء
فلعلَّهُ عَــرَفَ الـحقيقــة مَيتــاً إنَّ الحيــاةَ غِـشــاوةٌ وغِــطاء[4]

* . * . * . * . *

وتحــالفَ الأعــداءُ فيمــا بينَهُمْ وعلى المكيــدةِ أزْمَعَ الحُلَفــاء
عَـزموا على غَـزْوِ المدينةِ بغْتةٍ تَـجمَّــعَ الـجُّهــالُ والـغَـوْغــاء
سارتْ إلى حربِ الرسولِ جُموعُهم فَجَـرَتْ بمـا قـامـوا بــه الأنبـاء
وهناك حول الخندقِ المضروبِ قدْ نــالَ الجميــعَ شقــاوةٌ وعَـنــاء

---

(١) الصواع : لغة في الصاع : وهو إناء يشرب فيه وأتى هنا بمعنى المكيال أو الطريقة.
(٢) رغـاء : صوت الإبــل.
(٣) عفــاء : العفــاء : التراب.
(٤) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ لقتلى بدر من المشركين: «يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، يا أبا جهل، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟» انظر سيرة ابن هشام (عزوة بدر).

جاءتهُمُ الريحُ العقيمُ فكمْ هوتْ عُمُـدٌ وأكفأ في الخيـامِ وِعاء[1]

* . * . * . * . *

وقضى الإلهُ بفتحِ مكـةَ فانْبـرى حـادٍ لـهُ عنـدَ المسيـر حـداء

وتَـدفَّقَ الـوادي بخيـلٍ فـوقَهـا أُسـدُ اللِقـاء أنـوفُهـا شَـمَّـاء

مهـلًا أبـا سُفيـانَ ذاكَ مُحمَّـد سُـدَّتْ بخيلِ جنـودِهِ الأرجـاء[2]

طَلَعتْ عليـكَ فـوارسٌ لا تُتَّقى تكبيـرُ هم لـحنٌ لـهم وغِـنـاء

يـا قائِـدَ الأشـرارِ في أحـدٍ ويـا مَنْ أشبَهتْـهُ الحيَّـةُ الـرَّقـطاء [3]

ماذا لقيتُ من الرسولِ وقدْ أتى مِنْ بَعدِ ما خَرجتْ به الشَّحناء

مـا كـانَ ضـرَّ محمـداً لـوْ أنَّـه نـالتكُـمْ مِنْ بـطشِـه بَـأسـاء

أنْتُمْ مَنِ اضْـطهـدوهُ حتى أنَّـه عَنْ أرضِ مكَّـةَ كانَ مِنـه جلاءُ

لَـوْ أنَّـه صبَّ الجـزاءُ مُضـاعفـاً كـانَ المصيبَ ومـا لكُمْ شُفَعـاء

أوَ ليسَ قَدْ رَسَم الطريق إلى الهدى فيكمْ فكـان الصفحُ والإغضـاء؟

نـظروا إلْـيـهِ ذَليـلةً أعنـاقُـهُـم مِـلءُ العيـونِ ضـراعـةٌ وَرَجـاءُ

نـاداهُمْ مـاذا تـروني فـاعــلًا: قـالوا لـه: مـا يَفعـلُ الـرُّحمـاء

فأجابَهمْ : إنِّي عفوتُ عن الذي قــدَّمتمــوه فـأنتمُ الـطُّلقـاء[4]

* . * . * . * . *

يا سيدَ الـرُّسلِ الكـرامِ وَمنْ بِهِ قــدْ قـامَ للدينِ العـظيمِ بِنـاء

---

(١) إشارة إلى ما فعلته الريح بخيام قريش وجيشها عندما كانوا يحاصرون المدينة في غزوة الخندق حتى أخزاهم الله سبحانهُ.

(٢) إشارة إلى لقاء أبي سفيان مع العباس رضي الله عنهم عند فتح مكة وكان أبو سفيان يستطلع خبر النيران التي رآها من بعيد حتى عرف أنه جيش رسول الله ﷺ (انظر فتح مكة) في سيرة ابن هشام.

(٣) الحيـة الرقطاء : نـوع من الحيات المنقـطة بالسـواد والبياض وهي من أخبث الحيـات.

(٤) إشارة إلى قوله ﷺ لأهل مكة «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وعفا عنهم.

الحقُّ نــورٌ أنتَ مُـظهِــرُ فَجْرِهِ — والشـركُ ليـلٌ أنتَ فيـه ذُكـاء[1]
والعدلُ أنْتَ وضعتَ ثابت رُكنِـهِ — فمضى على سَنَنٍ لــهُ الخُلَفــاء
والسلمُ دأبُـكَ ما ركبتَ كـريهـةً — حتى بــدا لـلمشــركـين عَــداء
لولا أجتراءُ الزُّورِ لم يُسفَك دمٌ — صُبِغتْ بِحُمـرةِ لـونِـهِ الحَصباء
الــرائـدُ الأُمــيُّ عـلَّم قــومَـه — حتى سمــا مَجــدٌ لهم وَسَنــاء
نَـظْمُ العدالـةِ مِن رسالتِـكَ الَّتي — لا تـستبـين بُهــدِيـهــا أخــطاء
بالسيف والدمِ قد شَقَّقت طريقها — ولـكـــلِّ أمــرٍ حــادثٍ شـهــداء
مُهَجٌ مِن الأبطالِ في يومِ الوغى — سـالَتْ عليهـا في الـزَّمـانِ ثَنـاء
بــاعــوا نفــوسهُم بجنــةِ رَبِّهِمْ — فــالبــذْلُ بَيــعٌ عـنــدَهُ وشــراء
الــدينُ والدُّنيــا لنــا جَمَعْـتهمـا — لــكَ شِـرعــةٌ قــدسيــةٌ غَــرَّاء
لَمْ يعـرفِ الجُهَّـالُ قَـدْرَكَ إنمـا — نـــاديتَ صُمـاً مــا لَهمْ إصغـاء
إنَّ المـريضَ وإنْ تـألَّم طــالمـا — عــافَ التَّـجــرعَ إذ أتــاهُ دواءُ
أَيْنَ الغـداة من الصلاةِ وذكـرِهـا — بـالبيتِ تصـديــةٌ لهمْ ومُكـاء[2]
بـلْ أَيْنَ من نـورِ الإلـهِ وهـديه — ظلمــاتُ ليـلٍ شــاءَهُ القُـدمــاء
يـامُـرسـلاً بـالحقِّ يحمـلُ وحيَـهُ — فَجــراً لــدينٍ ليسَ فيــه مِــراء
إن المُشـرِّعَ قـدوةٌ في شــرعِـهِ — إنْ لمْ يَكُنهــا فــالجهــودُ هَبَــاء
الجــودُ عنـدكَ ديـدنٌ وغـريـزةٌ — والصبـرُ منـكَ شجــاعــةٌ وإبــاء
والـظلمُ قد أُخِـذت عليـه سبيلُهُ — هـذي الهـدايـةُ فـالقلوبُ صَفـاء
ليس الغنيُّ على الفقيـرِ بسيـدٍ — فهمــا أمامَ الحقِّ منـكَ سـواء
أمــا الـزكــاةُ فتلكَ حقٌّ ثــابتٌ — لا يعتــري من يَبـتغيــه حيــاء
والمسلمــونَ جميعهُم جسـدٌ إذا — عضوٌ شكا سهرتْ له الأعضـاء

---

(١) ذكـــاء : الشمس.

(٢) التصدية: التصفيق، والمكاء: مصغر التصغير وهكذا كانت صلاة الجاهليين لقوله تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديـةً﴾.

كَمْ من يدٍ لك لست أملكُ حَصرها جلَّتْ فليسَ يـضمُّـهـا إحصـاء
يـا سيدَ الشفعـاءِ هذي مـدحتي مني إليـكَ فـريـدة عَصمـاء
اللهُ قـد أثنى عليـكَ فهـل لمن أثْـنـى عـليـهِ الـهُـهُ إطـراء
فـاقبل تحيـة شـاعـرٍ لـو أنَّ مِن مِثلي لمثـلك يَجمُـل الإهـداء

* . * . * . * . *

في الكِفَاحِ الإسْلَامِيّ



فلسطيـــن

[باكورة الشعـــر]

[عندما أقرت هيئة الأمم مشروع تقسيم فلسطين، تحركت في قلب كل عربي النخوة والشهامة لإنقاذ هذه الدولة ـ فنظمت هذه القصيدة حاثاً شباب العرب على التطوع والجهاد .. وهي أول قصيدة نظمتها، والمقصود من ذكرها هنا الـــذكـــرى فقـط].

آنَ الجهـادُ فـأقـدمْ أيُّهـا البـطَلُ ... وأمسك حُسامك واطعن قلب صهيونا[1]

جاءُوا يريدونَ تقسيماً فقـلْ لهُمُ ... والسيفُ يشطرُهم لنْ نقبلَ الهُونا

قِدْماً ملكنا زمامَ الأرضِ أجمعَها ... هنـداً وتركـاً كذا فُـرساً وروميـانا

* . * . * . * . *

---

(١) سنثبت بعض الأبيات هنا مع وجود الأخطاء، واعتمدت فيها على النسخة التي صنعها الشاعر وأسماها «نسيم السحر» وقد صححت بعض الأخطاء كما صححها الشاعر في النسخة الثانية: «آهات شريدة» بعد أن اشتد عوده وازدادت خبرته في الشعر.

محنة اليمــن

[٢٢ مارس ـ آذار ـ ١٩٤٨]

[في إبان الفتنة العمياء التي اجتاحــت الأمة اليمنيــة بعد مقتل إمامها والتي اكتوى بنارهــا الكثيرون كتبت أقول]:

انْـظر «لصنعـا» اليــومَ والأرجـاءِ ... تجـدِ الـدمـارَ أقـامَ في الأنحـاءِ

تجدِ الحروبَ وقـد تفاقمَ شـرُّها ... في الأرضِ حيثُ جرى دمُ الشهداءِ(١)

كمْ مِنْ فتىً كنَّـا له في حـاجةٍ ... ذهبَ الشهيـدُ ضَحيـةَ الأهـواءِ

يـا أيُّهـا اليمنُ الشقيقُ تحيَّتي ... أهـديكهَـا وإنْ تَشـأْ فَـرِثـائي

ما بالُ أهلُكَ قـد طغوْا وتفـرَّقوا ... مـا بينَ تخـريبٍ وسفكِ دمـاءِ(٢)

إنَّ الـديـارَ ديـارُهم وبـلادهم ... مـا الغزوُ للبلدِ الغـريبِ النـائي

يـا أيُّهـا القـومُ الألى أعمـاكُمُ ... حبُّ التملُّكِ أنصتـوا لدعـائي(٣)

إنَّ العـدوَّ يـريـدُ غـزوَ بـلادكم ... ليُـذِلَّكمْ في صُبحِـهِ ومسـاءِ(٤)

بالأمسِ قد قَتَلَ الإمامُ مليكَكم ... والـيـومَ قـامَ بفتنـةٍ عـميـاءِ

---

(١) في نسيم السحر:

تجد الحروب تشيِّب الطفل الذي ... في المهد حين جرى دم الشهداء

(٢) أهلك في مجموعة آهات (قومـك).

(٣) في آهات شريدة البيت كما يلي:

يـا أيهـا القـوم الـذين أضـرهم ... داء التنـاحـر أنصتـوا لـدعـائي

(٤) ليذيقكم منه كؤوس شقاء (في مجموعة آهات شريدة).

إنَّ التفــرقَ أُسُّ كــلِّ هــزيمــةٍ   فتعــاونـوا لنفــوزَ بــالأعــداءِ[1]
ولَنُلحِـقنَّ بـهـم أشـــدَّ مـصيبــةٍ   ولنقهَـرنَّ القــومِ في الهيجـاءِ[2]
ولنـرْفَعنْ علمَ العـروبــةِ عـاليــاً   ونعيشُ جَمعـاً في هنـاً وصفــاءِ

* . * . * . * . *

(١) (إن التفرق) بدلاً منها (هذا التفرق) في مجموعة (آهات).
(٢) البيتان الأخيران غير موجودين في مجموعة (آهات).

تحيـة الشباب(*)

حيِّ الشبابَ العاملين ... خيرَ الكتائبِ أجمعينْ
مَن شيَّدوا صرْحَ الرَّشا ... دِ ليرفعوا للهِ دينْ
مَنْ قد أبوا إلاّ الجهاد ... فَدَيتُهم مِنْ مُصلحينْ
لا يَعملون لِغايَةٍ ... إلا فلاحَ المسلمينْ
جاءوا الملا برسالةٍ ... لأخالُ مِنْ وحي الأمينْ
ودعوا إلى السَّيرِ القو ... يم على غِرارِ السَّالفينْ
قَسماً لهم مجدٌ أغرُ ... فاقَ مجدَ الخالدين
ومَشى الرِّكابُ بذكرِهم ... نداً على مرِّ السِّنين[1]
أنشاصُ يا تاجُ البلادِ ... ودرَّةَ العرشِ المكين
هذا الرداءُ من التكا ... سُلِ والخمولِ ستخلَعين
إنْ كَلَّ عزمٌ للشيوخِ ... وبالنجَّاحِ لهم نَدينْ
لا تَجزعي أو تَيْأسي ... عزمُ الشَّبيبة لا يَلينْ
يا فتيَةَ الإرشادِ جُندَ ... المجدِ مصباحَ اليقينْ
يا فخرَ مَنْ حَملَ المشاعلَ ... للهُدى في العالمينْ
سيروا إلى العلياءِ لا فَرَّ ... تْ عيونُ الحاسدينْ
واللهُ جلَّ يَمُدُّكم ... بالعونِ والنصر المبينْ

(*) نظمت في ٢٢ يونيه ـ حزيران ١٩٥٠ وقال في مقدمتها: «إلى الشباب الفتي من طلبة إنشاص الذين قامت على أكتافهم «رابطة الطلبة» إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم رشداً.

(١) نــد : الريح الطيب.

الدستور الخالــد(*)

مـنْ مُقـلتيَّ تَـدفـقتْ عَـبـراتي ... فنـظمتُ من حبَّـاتهـا أبيـاتي

أقسمتُ لا حباً شكوتُ ولا هوى ... يُـدمي الفؤاد فيـرسـلُ الآهـات

كـلّا فلستُ من الذين شقـاؤُهم ... وهـنـاؤُهُـم بـمـشيئـةٍ لِـفَـتـاةِ

لكنني أبـكي وحُـقَّ ليَ الـبُكـا ... مَـجـداً أضعـنـاهُ بـغـيـرِ أنـاةِ

* . * . * . * . *

مَنْ لي بقبـرِ ابن الـوليـدِ أبثُّـهُ ... حُـزني وأُسمعُـهُ أنينَ شَكـاتي(1)

وأقـومُ منْ فوق الـرفات منـادياً: ... في الله مـا أبليتَ من غَـزوات

ذهبَ الذي خلَّفت مِن مجدٍ ومن ... عـزٍ طـلبتَـهـا بـضـربِ قـنـاة

والـدينُ أوشكَ أنْ يـزولَ ضياؤُهُ ... وبنـوه راحـوا في عميقِ سُبـات

* . * . * . * . *

تـركوا كتـابـاً لـلإلـه ومـا حـوى ... مـنْ رِفعـةٍ وهـدايـةٍ وعِـظاتِ

ومَشَوْا وراءَ الغربِ حتى أغـرقوا ... في اللّهـو والآثـامِ والشَّهـواتِ

كم من فقير باتَ يشكـو جوعـه ... ضـنَّ الغـنـيُ عـليـهُـم بـزكـاةِ

ومضى إلى الَّذاتِ يجرعُ كأسها ... ووراءَهُ مَنْ يجـرعُ الـحسـراتِ

* . * . * . * . *

(*) مجلة العالم الإسلامي «الثقافية» فبراير - شباط - ١٩٥١ [الشاعر].

(١) يقصد به خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويريد من ذكره استنهاض همم المسلمين للجهاد في سبيل الله عز وجل.

مَنْ ذا يعيدُ إلى الحنيفةِ مَجدها ... ليعـز شـأنـاً كـالـعـدو الآتي
أيـامَ كـانَ الحق حقـاً أبلجـاً ... والعـدلُ عدلاً أبيض الصفحـاتِ
ليس الغنيُّ على الفقيـر بسيِّـد ... مـا لم يَسُدْهُ بحجـةٍ وصَـلاةِ
خيرُ الرَّعيـةِ في صلاحِ رُعـاتِها ... كمْ مِن رعيـةٍ اقْتدتْ بـرُعـاة

* . * . * . * . *

صدق الرسولُ ومن سواهُ مصدَّقٌ ... إذ قـالَ حينَ دنا من السَّكـرات
إني تـركتُ لكمْ كتابـاً جـامعـاً ... هـوَ خيرُ دستـورٍ لخيـرِ قُضـاة[1]
قسمـاً بـربي لنْ تَضِلُّوا طـالمـا ... هـوَ بينَكم بمشـابـةِ المِشكـاة
ومضى الـرسولُ فليتنـا من بعده ... كنَّـا لنُصـحِ حـديثه بـوُعـاة

. . * . * . * . *

يـا قومُ بعضـاً من صـواب إننـا ... نمشي بليـل حـالـكِ الجنبـاتِ
اللهُ أنـزلَـه كـتـابـاً خـالـداً ... فخـذوا بـه تنجـوا من العَثَـراتِ
ليستْ فرنسا حينَ تحذوا حذوها ... في حُكمِها الخالي من الحسنات[2]
بـأجَـلَّ من نـورِ الإلـه وهـديـه ... شتَّـانَ بينَ النـورِ والـظُّلمـات

* . * . * . * . *

إنَّ الأوائـلَ حينمـا حكمـوا بـه ... جَعَـلَ الأوائـل أفضـل السَّـادات
فتحوا الممالكَ والشعوبَ وأخضعوا ... حكـامَهـا من كـل بـاغٍ عـاتِ
حتى إذا راحـوا وأقبـل بعـدَهم ... خَلَفٌ أضـاعـوا مُحكمَ الآيـات
هـانوا ولـو حكموا بِـهِ مـا ذلَّهم ... أعـداؤهم وقتـاً مـن الأوقـاتِ

* . * . * . * . *

---

(١) إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ : « . . فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله وسنتي» . . . . من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع.

(٢) ذكر فرنسا لأن أكثر الدساتير الوضعية في الوطن العربي وغيره أخذت من الدستور الفرنسي .

ثـــــروة(*)

هـاتِ الحسامَ وودِّع هـذه الدّارا فالخطبَ أشعَلَ في أحشائيَ النارا

واثأرْ لنفسِكَ يا ابنَ المجدِ مقتحماً ساحَ المعاركِ وامحُ الذُّلَ والعارا

بالأمسِ هدَّدنا بالسجنِ وا أسفا واليومَ حاصرَ بغياً هـذِه الدارا(1)

الأزهـرُ الـفـردُ تيـاهٌ بـقـوتـهِ كـالسيـلِ يقتحمُ الآكـامَ هـدَّارا

جيشُ الفتـوةِ والإيمـانِ تـكلؤُهُ عينُ الإلهِ، إذا ما جلَّ أو سارا

كهفُ العدالةِ في دنياهَ ما فَتِئتْ يداهُ تولي الـورى عِلماً وأسـرارا

كمْ بثَّ في الكونِ هدياً منْ شريعته وفـاضَ كـالشمس آلاءً وأنــوارا

وقـادَ في مصرَ والأيـامُ شـاهـدةٌ كتـائبـاً جمعتْ للبـأسِ أحـرارا

نـورُ النبوةِ يجـري في مَفـارقِهمْ نُبـلاً وفضـلاً وإقـدامـاً وآثـارا(2)

الحكمُ للهِ يـا من بـاعَ أمَتـهُ كيْ يأخذَ الحكمَ من مولاهُ إجبارا

هذي الكنانةُ لنْ تنسى لكمْ أبداً في حُكمِـكَ المرِّ آثـامـاً وأوزارا

مـا للفرنـجِ بمصرٍ من مـآثِرهـا حتى تكونَ لهمْ بينَ الورى دارا

ولستُ أنسى وإنْ طالَ الزمانُ بنا لــونـاً طَليتَ لنـا آفـاقَـه قـارا

وجئتَ في جحفـلٍ شاكٍ بيـارُقـه حمراءُ تحملُ في عيدانِها العارا

يـا أيها الحـاكمُ الطاغي بقـوتـهِ لا تُغرِ بالأزهـرِ المعمورِ أشـرارا

(*) أرجح أنها قيلت أواخر سنة ١٩٥٢، أو سنة ١٩٥٢.

(١) إشارة إلى محاضرة دار الشاعر من قبل رجال الأمن زمن الملك فاروق.

(٢) إشارة إلى كتائب الفدائيين من الشباب الإسلامي الذين اقضوا مضجع الجيش البريطانـــي.

إن كانَ في طوعكَ البوليسُ إن لنا يـومَ الجهـادِ قلوبـاً تلقفُ النـارا
وإن في «مصحفِ القرآنِ» خيرَ حمى لـلأزهـريِّينَ إعــلانـاً وإســرارا
مهمـا علوتَ فإن الـطيرَ مـرتفعاً عندَ السقوطِ يذوقُ الموتَ تكرارا

* . * . * . * . *

الأســد السجيــن (*)

محمد مصـــدق

يــدٌ تُــطوى، ومكــرمــةٌ تُعق	وحكمٌ فيــه إحجــافٌ وحمقُ(١)
ويــدك أيُّهــا الــرَّاميــةِ ظُـلمــاً	لأنـــتَ بـمــا أردتَ لــهُ أحــقُ
هــزبــرٌ لم تنــل منــهُ الليــالي	ولمْ يقعــدْ بــهِ للشيبِ حَق(٢)
ولــم تـثـلمْ لــه الأدواء عَــزمــاً	ولا لـلقلبِ قــد أضـنــاهُ خفـقُ
رأى إيــرانَ قــد أضحت بنيهــا	تُســاق إلى الـقيــودِ وتُستــرَّق
فشــاء لنيــل عــزَّتهــا بلوغــاً	ولــو كــان الــوصــول لهــا يشق
وصمَّمَ أن ينــال المجــد قســراً	ولــو مُلئتْ لــه بــالمــوتِ طُـرق

* . * . * . * . * . *

بــلادٌ قــد جــرى البتــرول فيهــا	فـمـنــه لأهــلِهــا قــوتٌ ورزق
فـكيـفَ ينــالُــه فـيهــم غــريبٌ	وينبض بينهم بــالجــوعِ عِــرق
لهمْ بعــدَ الــذي يكفيــه سُؤرٌ	أبين صنيعِـهِ والغصب فــرق؟(٣)

(*) ٢٤ ديسمبر ـ كانون أول ـ ١٩٥٣.

(١) وضع الشاعر أرقاماً بين أشطر الأبيات، ولعله كان يريد انتقاء هذه الأبيات من القصيدة لنشرها في إحدى المجلات والله أعلم.

(٢) الهزبــر : الأسد.

(٣) السؤر : البقيــة، يلاحظ أن الشاعر ينسج على منوال إحدى قصائد شوقي في وصف دمشق وضرب الفرنسيين لها عام ١٩٤٥ ومطلعها:

سـلام مــن صبــا بــردى أرقُّ ودمــع لا يـكـنـكَف يــا دمـشـق

سلِ الشيخَ الذي طلب المعالي ... بجسمٍ باتَ من داءٍ يَدقّ[1]

وأرهبَ جند الاستعمارِ حتى ... أذلّتْ منهُ في عبدان عُنق[2]

أفي الأدواءِ للمرضى سلاحٌ ... له في الكربِ نَقع لا يُشقّ[3]

وهلْ في الشيبِ للأوطانِ مجدٌ ... إذا أعيا الشبابَ إليهِ سبق

أخاف وملؤه داءٌ وسُقمٌ ... أخا جيشٍ له في الحربِ رشق

وما أنساه يومَ عليهِ صالوا ... وللإرهاب أبوابٌ تُدَق

مِظلات الجنود لها هُبوطٌ ... يهدده وللأسطولِ صَعق

فلمَ يك غيرَ ذي عَزمٍ تراءى ... وفي فمه من الإقدامِ نُطق:

لئن لم ترحلوا عنا سَيُفني ... بكم عبدان إتلافٌ وحرق

ففروا عنه يدفعُهم هوانٌ ... وعزمٌ من كهولته أرَق

ولما أنْ تبدّى منه شَهمٌ ... له في الحقِّ إقدامٌ وصدق

أتوا بالكيدِ، إن الكيدَ أمرٌ ... لهمْ فيه تدابيرٌ ونسق

هم دخلوا العرينَ عليهِ ليلاً ... وقد سكن الدجى واسودَّ أفق

وباتَ الليث مقهوراً، وأعطوا ... زمام الحكمِ مَنْ لا يستحق

وزائف نصرِهم منه قيودٌ ... لطُلابِ الفخارِ وفيه رق

دَسائس ما جنا منها لهيبٌ ... ولمْ يرتق لها في الأرضِ فتق

وللمستعمرينَ بكلِّ قُطرٍ ... خداعٌ عدّه في الصدْقِ خُلق

فلم يسلَمْ من الأحداثِ غربٌ ... ولمْ يأمنْ شرور القومِ شَرق

ففي الوادي لهم كيدٌ ومُكرٌ ... وفي إيرانَ ارعادٌ وبرق

وفي مراكشٍ سالتْ دماءٌ ... بكتْ مصرٌ لها ورثتْ دمشق

هَبوه أتى الذي عدوه جُرْماً ... ففي ماضيهِ تكفيرٌ وعتق

---

(١) يدق : يضعف.

(٢) عبدان : اسم بلدة في إيران، تقع على الخليج العربي.

(٣) النقع : الغبار.

سلوا من أصدروا بالسجن حكماً   ألم يأخذْهم بالشيخِ رفق؟
حكمتُم حكمكم فبكلّ قلبٍ   كأمثالِ الحجارة لا ترق؟
وللدنيا على الأحرار حُكمٌ   أتى للحقِّ قَبلكُمُ يُحِق

* . * . * . * . *

دمــاء في السودان(*)

كفى فتنةً فليغمدِ السيفَ صاحبُهْ ... فـإنَّ أخاهُ اليـوم من هو ضـارِبُه

متى كان للإنسانِ من أهلِ داره ... عـدوٌ لدودٌ بـالسيـوفِ يُـواثبـه[1]

أيصرعُ فينا البعضُ بعضـاً كأننـا ... فقـدْنا عـدواً في البلادِ نحـاربُـه

وتنتَظِمُ الأهلينَ حربٌ، فكم بها ... تهاوى قتيلٌ ساكنُ العرق نـاضبه

دهتنا الليالي الحالكاتُ بغـاصبٍ ... دسـائِسُـهُ مـا تنقضي ومصـائبــه

إذا جمعَ الوادي ائتـلاف ووحدة ... مشت لاشتعال النارِ فيه تغالبهُ[2]

ألا سائل الخرطومَ من ذا أثارها ... فسال الدمُ المهراقُ وانهلَّ ساكبه

رمتها سيوفٌ أرهفَ المكرُ نصلها ... ليُـردى بكفِّ المرءِ فيهـا أقاربـه

فكمْ من صريعٍ بـالدمـاءِ مُجلَّلٍ ... طـواهُ الرَّدى لمـا رمتـه مَعـاطُبـه

لهـا الله من مكلومةٍ طلعـوا لهـا ... بقاطعِ سيفٍ ليس تنبو مضارِبُه[3]

وصبَّحهـا بـالمشــرفيــةِ والقنــا ... أخو حسدٍ باغٍ تدبُّ عقـاربُه[4]

أثـارَ بيـومِ الحفـلِ مـذبحـةً إذا ... رآها وليدُ المهدِ شابَتَ ذوائبه[5]

(*) كان المقرر يوم الاثنين أول مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤ أن يفتتح أول برلمان سوداني لولا تلك المذبحة الدامية التي دبرها الاستعمار وأعوانه.

(١) كان البيت في الأصل:

متى كـان للإنسـان من أهل داره ... عــدواً لدوداً بــالسيـوف يــواثبـه

(٢) كناية عن المكر والمؤامرات التي تصنع للفرقة وإراقة الدماء.

(٣) تنبـو : من نبا بمعنى تجافي وتباعد، ونبا السيف ينبو، إذا لم يعمل في الضريبة ولم يقطع.

(٤) المشرفية : سيوف تنسب إلى قرى من أرض العرب تقرب من الريف.

(٥) الذوائب : جمع ذؤابة وهو مقدمة شعر الرأس.

فما راعها والبشرُ في مِهرجانِها ... تسيـرُ بـأرجـاءِ البـلادِ ركـائِبُـهُ
سوى الهولِ منْ جيشِ العبيد يلفها ... بـأيمـانِـهِ أرمـاحُـه وقـواضبُــه[1]
وما زال يسقي أهلها حامل الردى ... فيشربُ كأسَ الموت من هو شاربُه
إلى أن تراءى الليلُ أسوانَ قاتماً ... كـأن حدادَ الشاكلاتِ عنـاهبُه[2]

* . * . * . * . *

أرى ذلك المحتلَّ أشعـلَ نارهـا ... وأنَّ يد الأنصارِ فيهـا مخالِبـه[3]
وباتَ لها المهديُّ يذكي أُوارهـا ... على الحقدِ إذ ضاقتْ عليه مذاهبه
صنيعةُ الاستعمارِ ما أنت بالذي ... على ذلك الجرمِ الشنيع تعاتبـه
أهجتَ لنـا نـاراً تلظَّى وفتنـةً ... لها الظفرُ لا ينفكُّ في العنقِ ناشبه
ومـا زلت للمحتلِّ حتى تحققتْ ... بحدِّ الظُّبا أطمـاعـهُ ومآربـه
زحفتَ على الخرطومِ ، بالله نبني ... أكان بها «غوردونُ» جئت تحاسبه[4]
لعلَّ خداعَ القـومِ أنساكَ نَبشُهم ... لقبـرِ أبٍ حـرٍ تسـامت مـراتبـه
أبوكَ فتى الإقدامِ والعزم من إلى ... سماء العُلا والمجدِ سارت مواكبه
أولئكَ تدري أنَّهم - بعد موته - ... قـد امتهنوا قبـراً سقته سحـائِبُـه
وباتَ هناك الرأس - رأسُ أبيكَ - في ... متـاحفِهم بـالـذمِّ يـرميـه عـائبـه
فإنْ تكُ يوماً حامل السيفِ فليكن ... من القومِ هذا الثأرُ ما أنتَ طالبه
ذكرتُ أباكَ القرم حين انبرى لهم ... وحين دهتهم في البلادِ كتائبه[5]
وما كانَ منْ مجدٍ له بالغِ الذُّرى ... تليـدٍ فإنَّ السيفَ بـالدَّمِ كـاتبـه
ظنَنَّـاك تمضي في تَتبُّـعِ خـطوِهِ ... ولكنَّـهُ مجـدٌ نـأى عنـك ذاهبـه

---

(١) قواضـب : جمع قاضب. وهو السيف القاطع.
(٢) أسوان : بمعنى حزين.
(٣) الأنصار : هم جماعة الأنصار التي كان يرأسها المهدي في السودان.
(٤) غوردون : اسم المندوب السامي البريطاني والقائد العسكري في مصر والسودان.
(٥) القرم : السيد المبجل. وأصل معناه للبعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة.

وكنتَ على الأهلين حرباً طحونةً ومصدر شرٍ ليس يُؤمنُ جانبه
تُحالفُ أعداءً وتقصي عشيرةً إذاً قدْ تولّى عنك في الفكر ثاقبه
ركبتَ لهذا الأمرِ أخطرِ مَركبٍ على أنه لم تخفَ عنك عواقبه
رأى فيكَ الاستعمارُ روحاً وضيعةً تعاونَهَ حتى تَتمَّ رغائِبُه
فأصبحت للمحتلِّ كفاً وساعداً لينعبَ فينا بالمكيدةِ ناعبه
فكان له ما شاءَهُ من دسائسٍ تُدبِّرُها أهواؤهُ ومشاربه

* . * . * . * . *

إلا إنَّ الاستعمار قد كانَ باغياً علينا، وإن الحقَ لا شكَّ غالبه
وكلُّ الذي آوى إليه نعدُّهُ عدواً لنا بينَ البلادِ نُجانبُه
وسوف يرى الشعبُ الذي هب ثائراً أخا ثورةٍ حتى تُجاب مَطالبه

* . * . * . * . *

فإنْ كانَ يا ابن النيلِ رمحك ظامئاً فأوردْهُ محتلّاً توالتْ نَوائبه
ولا تُلقِ بالاً للوعودِ فإنَّه كعهدك فيه مخلفُ الوعدِ كاذبه
ولنْ يترُكَ الشطرينِ عنْ طيب خاطرٍ لأهلهما أو يَترك الضرعَ حالبه

* . * . * . * . *

شرق وغرب (*)

أيقظِ الشرقَ وهزَّ العَرَبَا　　فبريقُ المجدِ في الشرقِ خَبا
علَّ مَنْ عاشوا على الماضي الذي　　بذَّ في نيل الفَخارِ المغرْبا
يَسْتعيدون سنا مُلكٍ لهمْ　　قَدْ توانَوْا عنهُ حتى ذَهبا

* . * . * . * . *

قفْ على بغدَادَ ـ واندبْ منْ بها　　رَفَعوا للشرقِ ذكراً طيِّبا
وابكِ في الأيَّامِ مَنْ قال وقدْ　　أبْصرَ الغيَم تهادى صَيِّبا
سِر يميناً أَوْ يساراً إن لي　　خرج هذا الماءِ أنَّى سَكبا[1]
ودمشقُ الأمسِ سَلْها عنْ فتىً　　ركبَ الأمواجَ فيما ركِبا
أمويٍّ من بنيها باسلٌ　　ذاكَ من شقَّ العبابَ اللَّجبا
ومضى للشاطِيء الغربيِ ما　　قدَّرَ المقدام أنْ ينقَلبا[2]
تِلكَ أسدُ شيَّدت أمْجادَهَا　　بقناةٍ أعملوها وظُبا[3]
سبقوا الناسَ بما قَدْ أبْدعوا　　وأناروا للأنامِ الحُقُبا
وورِثْنا بعدَهم مُلكاً سَما　　عزةً، عِلْماً، سناءً، أدَبَا
فأضَعنا كلَّ ما قَدْ جَمَعوا　　وهدمْنا ما بَنَوْا . . وَاحرَبا

(*) سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٥٤ .

(١) يشير إلى هارون الرشيد حيث خاطب السحابة قائلاً : (اذهبي حيث شئت فسيأتيني خراجك)

(٢) إشارة إلى عبد الرحمن الداخل الذي هرب من العباسيين حتى وصل إلى الأندلس وبنى دولة أموية ظلت مئات السنين .

(٣) القناة : يعني بها الرماح، والظبي : السيوف .

لا تقـولـوا: نحن عُـرْبٌ إنَّنـا   لـهـمُ لا نـسـتـحـقُّ الـنَّـسَـبـا

* . * . * . * . *

كانَ هذا الشرقُ في الدهـرِ فتىً   حينَ كانَ الغربُ طِفـلاً ما حبا
وقـديمـاً كـانَ خصبـاً مُثمـراً   وأراهُ اليـومَ أمسى مُجـدِبـا[1]
عـادذت الأذنـابُ رأسـاً للورى   وغـدا الـرأسُ لـديهم ذَنَبـا[2]
أينَ نحنُ اليـومَ مِنْ ركبِ الأُلى   وطَّـدوا للعلمِ هـذي الطُّنُبـا[3]
سخَّـروا الذَّرَةَ، بـلْ قد أوْشكـوا   أنْ ينـالـوا في السمـاءِ الكَـوْكبـا
بلغـوا للبحـرِ قـاعـاً وانْثَـنَـوْا   في فَخَـارٍ يـركبـون السُّـحُبـا
وأضـاءَ الكـونَ مـا جـاؤُوا بِـهِ   مِنْ فُنـونٍ قـدْ أثـارتْ عَجَبـا
أحْـرَزُوا قَـصَـبَ السـبْـقِ ومـا   بيْنَنَـا مَنْ يُحـرِزُونَ القَـصبـا
سـارَ من سـارَ إلى العليـاءِ لَمْ   يـأخـذِ اللهـوَ إليهـا مَـرْكبـا
ومضى في الغـربِ أبـطالٌ إلى   مَجـدِهمْ لا يعـرفـونَ اللَّعِبـا
فَلَنَـا الأمسُ. وهــذا يـومُهـم   مـا أرى الأيَّـامَ إلا قُـلَّبـا
دُولُ الـغـربِ إلى غـايـاتِـهـا   أسـرعتْ حتى تنـالَ المـأرَبـا
كـلُّ شعبٍ راحَ يَسعى جـاهِـداً   كي يُـرى في الأرضِ ليثاً أغْلَبـا
صـنـعَ الـقـوَّةَ حـتـى أنَّـهُ   أنبتَ الأرضَ عنـاداً وشَبـا[4]
إنمـا الـدولاتُ في أحـوالِهـا   حَـمَـلٌ عـانٍ وذئبٌ وثَـبـا[5]
وأرى الـشـرقَ سيبـدو دائِمـاً   مُستَـذَلاً في الـورى أو يَـرهَبـا

---

(١) المجدب : الذي لا نبات فيه ويقصد الشاعر أن أمسنا كان مليئاً بالمفاخر . واليوم تمتلكنا الأزمات والضعف من كل جانب.

(٢) يتحدث عن ظاهرة امتلاك زمام الأمور لمن لا يملك الأهلية. بينما يحارب الصالحون.

(٣) الطنب: حبل الخباء والجمع أطناب، وأطب.

(٤) شبا : جمع والمفرد شباه، وهي حد الشيء وطرفه والقصد هنا السيوف.

(٥) هذه صورة العصر الحديث حيث يتحكم القوي بالمادة ويسوق الناس كالأنعام، وهذه سمة الحضارة الأوربية وحوش تفترش الشعوب دون أن تروي ظمأها.

ها هو العالَمُ في إعصارِهِ   كهشيمٍ كادَ أن يَلتَهِبا
جرَّهُ نحوَ الرَّدى قادَتُهُ   أتُراهم يَعشقونَ النُّوبا
وَيْحَهمْ مِنْ قادةٍ إني أرى   شَرَكَ الموتِ بهم قد نُصِبا
قادةٌ في نَيلِ أطماعٍ لهم   نَشَروا الرُّعبَ به والرَّهَبا
شامهم يومُ الرَّدى فاندَفَعُوا   في جُنونٍ يُرْهِبونَ القُضبا[1]
وكأنِّي بالنُّسورِ انطلَقَتْ   في متونِ الجوِّ ترمي العَطَبا[2]
وبدتْ للحوتِ في لُجَّتِهِ   سُفُنٌ سُدَّتْ عليهِ المَسرَبا
إنْ تكنْ في الغربِ شُنَّت غارةٌ   سيكنُ الشرقُ فيها الحَطَبا
وإذا حربٌ بدتْ أخطارُها   فإلينا سَهمُهَا قدْ صُوِّبا
أتُرانا قدْ أخذْنا حذْرَنا   ورَكِبْنا للنِّضالِ الدَّأبا
لا أرى فيهم صناديدَ الوغى   مَنْ أراهُمْ يُحسنونَ الخُطبا

..*.*.*

ما لِهذا تَوَّاقٌ إلى   أنْ يرانا عالَماً مُكتَئِباً
قدْ مضى نحوَ الرَّدى لم يَكفِهِ   مِنْ وراءِ الحربِ ما قَدْ خرَّبا
سائلِ الأنقاضَ مَنْ ذا دكَّها   وأحالَ الصرحَ قَفْراً مُرْعِبا؟
مَنْ أخافَ الطفلَ في رَقدتِهِ   فبكى في مَهدِهِ واضْطَربا؟
مَنْ بغى بالنارِ. . . مَنْ هذا الذي   أفزعتْ أهوالُهُ قلبَ الظِّبا؟
مَنْ مضى في الجوِّ يسري ركبُهُ   يُمطرُ الأرضَ بليلٍ شُهُبا؟
رُبَّ طفلٍ تحتَ طيَّاتِ الدُّجى   فَقَدَ الأمَّ رضيعاً والأبا
وغلامٍ قدْ مضى عائِلُهُ   في لظَاها كادَ يَقضي سَغبا
ونساءٍ والهاتٍ في أسى   هائماتٍ يلتمسنَ المَهرَبا
فكفى العالَمُ ما قَدْ ذاقَهُ   دَمُهُ منْ عِرْقِهِ قَدْ نَضَبا

(١) القضب السيوف القاطعة.
(٢) العطب : الهلاك.

مَنْ لهـذا الكونِ بـالعقـلِ الـذي | إنْ دعى الداعي إلى الحربِ أبى
خيَّمَ الـهـولُ عـلى أرجـائِـهِ | فـتـراءى بـجـبـيـنٍ قُـطّبـا
خـدعـوهُ مَنْ رَعَـوْا سلمـاً لـه | فـرأى في السلمِ برقـاً خُلَّبا [1]
غـرَّروا في مجلسِ الأمنِ بـهِ | وبـاد الـحقُّ لـديهـمْ كَـذِبـا
ليْتَهم في الخيـرِ يسعُـونَ إذاً | لغـدا في الخيرِ سعيـاً مُخصبـا

* . * . * . *

طُـرُقُ المجـدِ تـراءَتْ جـمّـةً | سـارتْ الـدْولاتُ فيهـا خَبَـبـا[2]
وأرى الـيـومَ على مـفـرِقِـهـا | سـادةً كـانـوا كـرامـاً نُجُبـا[3]
ضَيَّعـوا الأمسَ، وهـذا غَـدُهُمْ | مَجـدُهُ بينَ الـورى مـا طُلِبـا
قـدْ غدا العـربُ إذا ما ضُـرِبُـوا | لا يَـهـبُّـون إلـى مَـنْ ضَـربـا
وإذا سِـيـمُـوا بـيـومٍ خُـطَّةً | فـهْـوَ أمـرٌ لا يثيـرُ الغَضَبـا
ورأيتُ القـومَ قـدْ صـاروا إلى | ذِلَّـةٍ مـدَّتْ عـليـهـم غَيْـهَـبـا
أصبحـوا لـقمـةَ أعـداءٍ لـهمْ | كـدجـاجـاتٍ تبيضُ الـذَّهَـبَـا
ففلسـطيـن أُضيـعَـتْ وغـدَتْ | ينـدبُ اليومَ بهـا مَنْ نَـدَبـا
جَـاءَهَـا كـلُّ يـهـوديٍ بـدا | هـائمـاً بينَ الـورى مُغتَـربـا
فـأقـامـوا شـوكـةً في أرْضِـهـا | ذلـكَ الـرقُ بهـا قـدْ نَكِـبـا
ه ليسَ مَنْ نـالَ الأمـاني مُشبِهـاً | مَنْ على أمـرٍ لـهُ قـد غُـلِبـا
لا رعى الـرحمنُ يومـاً مَنْ بهـا | في اندحارِ العُـرْبِ كانـوا السَّبَبا

* . * . * . *

واستُـذِلَّ القـومَ فـي مـرَّاكشٍ | وبـهـمْ ظُـفْـرُ العـوادي نَـشَـبـا

---

(١) البرق الخلب : الذي لا مطر وراءه.

(٢) الخبب: نوع من العدو، وخبب الفرس، هو عدوه حين يراوح بين يديه ورجليه.

(٣) المفْرق : بكسر الراء وفتحها : وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر، ومفرق الطريق : مكان تشعبه.

ضَــرَبَ البؤسُ قِبــابــاً فَــوْقَهم ... ورَمــاهــمْ مَنْ رَمى مُغْـتَـصِبــا
وشعـوبُ العُرْبِ في صمتٍ إلى ... أنْ ظَنَنّــا مجـدَهم مــا سُـلِبــا
وكــأنَّ الأمــرَ لا يَــعـنـيــهــمُ ... أتُــرى الــذلُّ إلـيـهـمْ حبِّبــا؟
يــا بني الإسـلام هبُّـوا وانهضـوا ... لا تنامـوا، بَلغَ السيــلُ الـزُّبى
واذْكـروا عهـداً سَمَتْ أمجـادُكُم ... فيــهِ حينــاً إذا سَمــوتُـم رُتبــا
رُبَّ سـيفٍ صــارمٍ ذي نـبــوةٍ ... وجــوادٍ ســابــقٍ يــومــاً كـبــا

* . * . * . * . *

رسالة في ليلة التنفيذ(*)

أَبَتاهُ، ماذا قد يخطُّ بناني ... والحبلُ والجلادُ منتظرانِ
هذا الكتاب إليكَ من زنزانةٍ ... مقرورةٍ[1] صخريَّةِ الجدران
لم تَبْقَ إلا ليلةٌ أحيا بها ... وأحسُّ أن ظلامها أكفاني
ستمرُّ يا أبتاهُ - لستُ أشكُّ في ... هذا - وتحملُ بعدها جُثماني

* . * . * . *

الليلُ من حولي هدوءٌ قاتلٌ ... والذكرياتُ تمورُ في وجداني
ويهدُّني ألمي، فأنشدُ راحتي ... في بضعِ آياتٍ من القرآن
والنفسُ بين جوانحي شفافةٌ ... دَبَّ الخشوع بها فهزَّ كياني
قد عشتُ أومنُ بالإلهِ ولم أذقْ ... إلا أخيراً لذةَ الإيمان
شكراً لهم، أنا لا أريدُ طعامَهم ... فليرفعوه، فلستُ بالجوعان
هذا الطعامُ المرُّ ما صنعتْه لي ... أمي، ولا وضعوه فوقَ خُوان[2]
كلا، ولم يشهدْه يا أبتي معي ... أخوانِ لي جاءاه يستبقان
مَدُّوا إليَّ به يداً مصبوغةً ... بدمي، وهذي غاية الإحسان

(*) كتبت هذه القصيدة في آذار-مارس-١٩٥٥ ولها بقية طويلة في ديوان «جراح مصر» للشاعر. وكان ناشر المجموعة الأولى من شعر الرفاعي (محمد كامل حتة) قد وضع لها مقدمة يوحي بها أن القصيدة كتبت سنة ١٩٥٨ وأنها قيلت بمناسبة أحداث العراق زمن عبد الكريم قاسم . . ولكن أصول هذه القصيدة توضح أن كتابتها كانت سنة ١٩٥٥.

(١) مقرورة : باردة.

(٢) الخوان : بضم الخاء وكسرها: منضدة الطعام.

والصمتُ يقطعُهُ رنينُ سلاسلٍ عبثتْ بهنَّ أصابعُ السَّجان

ما بين آونةٍ تمُرُّ... وأختها يرنو إليَّ بمقلتَيْ شيطان

من كوَّةٍ بالبابِ يرقبُ صيدهُ ويعودُ في أمنٍ إلى الدوران

أنا لا أحسُّ بأيِّ حقدٍ نحوَهُ ماذا جنى؟ فتمسُّه أضغاني

هو طيِّبُ الأخلاقِ مثلُكَ يا أبي لم يبدُ في ظمأ إلى العدوان

لكنَّه إنْ نامَ عني لحظةً ذاقَ العيالُ مرارةَ الحرمان

فلربما وهو المروِّعُ سَحنةً[1] لو كان مثلي شاعراً لرثاني

أو عاد - من يدري ؟ - إلى أولادِهِ يوماً وذُكِّر صورتي لبكاني

وعلى الجدارِ الصُّلبِ نافذةٌ بها معنى الحياةِ غليظةَ القضبان

قد طالما شارفتُها[2] متأملاً في الثائرين على الأسى اليقظان

فأرى وجوماً كالضبابِ مصوِّراً ما في قلوبِ الناس من غَليان

نفسُ الشعورِ لدى الجميعِ وإن همُ كتموا، وكانَ الموتُ في إعلاني

ويدورُ همسٌ في الجوانح ما الذي بالثورة الحمقاءِ قد أغراني؟

أوَ لَمْ يكنْ خيراً لنفسيَ أن أُرى مثلَ الجميع أسيرُ في إذعان؟

ما ضرَّني لو قد سكتُّ، وكلما غلبَ الأسى بالغتُ في الكتمان

هذا دمي سيسيلُ، يجري مطفِئاً ما ثار في جنبيَّ من نيران

وفؤاديَ الموَّارُ في نبضاتِهِ سيكفُّ في غده عنِ الخفقان[3]

والظلمُ باقٍ، لنْ يحطِّمَ قيدَه مَوْتي، ولن يودي به قرباني[4]

ويسيرُ ركبُ البغي ليسَ يضيرُهُ شاةٌ إذا اجتُثَّتْ من القُطعان

* . * . * . *

(١) السحنة: بسكون الحاء وفتحها: الهيئة، اللون.

(٢) شارف المكان: علاه. شارف الشيء: اطلع عليه من فوق، قاربه ودنا منه.

(٣) الموار : السريع.

(٤) يودي: يزيل ويذهب، قرباني: تضحيتي.

هذا حديثُ النفسِ حين تشقُّ عن ... بَشَـرِيَّتي . . وتمورُ بعـد ثـوان

وتقـولُ لي : إنَّ الحيـاةَ لِغـايـةٍ ... أسمى من التـصفـيقِ لـلطغيـان

أنفاسُكَ الحرَّى وإن هيَ أُخمدت ... ستـظلُّ تغمـرُ أُفْقَهُـم بـدخـان

وقروحُ جسمِكِ وهو تحتَ سياطِهم ... قسمـاتُ صبحٍ يتقيهِ الجاني[1]

دمـعُ السجينِ هناكَ في أغـلالـهِ ... ودمُ الشهيـدِ هنـا سيلتـقيـان

حتى إذا مـا أُفعِمَتْ بِهما الـرُّبا ... لمْ يبقَ غيـر تمـرُّدِ الفـيضـان

ومِنَ العواصفِ ما يكونُ هبوبُهـا ... بعـدَ الهـدوءِ وراحـةِ الـرُّبـان

إنَّ احتدامَ النِار في جوف الثرى ... أمـرٌ يثيـرُ حفيـظة البـركـان

وتتـابُـعُ القـطرات ينزل بعـده ... سيـلٌ يليـه تـدفُّق الـطوفـان

فيموج . . يقتلع الطغـاة مزمجـراً ... أقـوى من الجبـروت والسلطانَ

أنا لست أدري ، هل ستُذكَر قصتي ... أم سوف يعروها دجى النسيان؟

أو أنني سـأكـون في تـاريخنـا ... متـآمـراً أم هـادمَ الأوثـان؟

كـل الـذي أدريـه أن تجـرُّعي ... كـأسَ المذلـةِ ليس في إمكـاني

لـو لم أكن في ثـورتي متـطلّباً ... غيـر الضيـاء لأُمتَّي لكفـاني

أهوى الحياة كريمةً لا قيـدَ ، لا ... إرهـابَ ،لا استخفافَ بـالإنسانِ

فإذا سقطتُ سقطتُ أحملُ عزتي ... يغلي دمُ الأحـرارِ في شـريـاني

* . * . * . *

أبتاهُ ، إنْ طلعَ الصباحُ على الدُّنى ... وأضاءَ نـورُ الشمس كلَّ مكان[2]

واستقبـلَ العصفورُ بين غصـونـهِ ... يـومـاً جـديـداً مشـرق الألـوان

وسمعتَ أنغـامَ الـتفـاؤلِ ثـرَّةً ... تجري على فمِ بائعِ الألبان[3]

وأتى يـدق ـ كما تعـوَّد ـ بابَنـا ... سيـدقُّ بـابَ السجن جـلَّادان!

---

(١) القروح : الجروح جمع قرح.

(٢) الدنى : جمع الدنيا.

(٣) ثرةً : كثيرة.

وأكـون بعـدَ هنيهـةٍ متـأرجحـاً ... في الحبلِ مشدوداً إلى العيـدان
ليَكُنْ عزاؤك أنَّ هذا الحبـلَ ما ... صنعْتَهُ في هذي الـربوع يـدان
نسجـوهُ في بلدٍ يَشِـعُّ حضـارةً ... وتُضـاءُ منـه مشاعـلُ العِـرفـان
أوْ هكذا زعموا، وجيء بِهِ إلى ... بلدي الجريحِ على يـد الأعوان
أنا لا أريدُكَ أنْ تعيشَ محطّماً ... فـي زحمـةِ الآلام والأشـجـان
إنَّ ابنَـك المصفـودَ في أغـلالـه ... قد سيق نحو الموتِ غير مـدان
فـاذكـرْ حكـايـاتٍ بـأيـامِ الصبـا ... قد قُلتَها لي عن هَـوى الأوطانِ
وإذا سمعتَ نشيجَ أمي في الدجى ... تبكي شباباً ضاع في الريعان(١)
وتُكَتِّم الحسـراتِ في أعمـاقهـا ... ألـمـاً تـواريـه عن الـجيـران
فاطلب إليها الصفح عني، إنني ... لا ابتغي منهـا سوى الغفـران
ما زال في سمعي رنينُ حديثها ... ومقـالِهـا في رحمـة وحنـان
أبُنَيَّ : إني قـد غـدوتُ عليلةً ... لم يبق لي جَلَدٌ على الأحـزان
فأذِق فؤادي فرحةً بالبحث عن ... بِنْت الحلال ودَعْكَ من عصياني
كـانت لهـا أمنيّـةً . . ريـانـةً ... يـا حُسْنَ آمـالٍ لهـا وأمـانْ!
غزلتْ خيوطَ السعد مخضلا ولم ... يكن انتقاضُ الغزلِ في الحُسبان(٢)
والآنَ لا أدري بـأيِّ جـوانـح ... ستبيتُ بعـدي أم بأي جَنـان(٣)

*. *. *. *

هذا الذي سطّرتُهُ لَكَ يا أبي ... بعض الذي يجري بفكرٍ عان
لكنْ إذا انتصـر الضياءُ ومُـزِّقَتْ ... بيَدِ الجموع شريعةُ القُـرصان(٤)
فلسـوف يـذكـرني ويُكْبِـرُ همّتي ... مَنْ كان في بلدي حليفَ هوان
وإلى لقـاء تحت ظل عـدالـةٍ ... قـدسيـة الأحكـام والـميـزان

---

(١) النشيج : غصـة البكاء.
(٢) المخضـل : الناعم.
(٣) الجوانح : الضلوع الجنان: القلب.
(٤) القرصان : لصوص البحـر.

جزار الغرب

[ألقاها بندوة الشباب برابطة موظفي الحكومة مساء ٥ ديسمبر / كانون أول / سنة ١٩٥٧].

سنا أملٍ مـلءُ الربـا والمعـالمِ وأشـلاءُ ليلٍ غـالهُ الصبـحُ قاتمِ

تأملتُ في هذي الحياة فلمْ أجدْ سوى ذلِّ مظلومٍ وطغيـانِ ظالمِ

وآمـالِ قلبٍ ينشـدُ الخيـرَ تلتقي إذا أشرقت يوماً بأطماعِ جارم[١]

وذي قوةٍ قد راحَ يسطو بمخلبٍ ونـابٍ على شعبٍ وديعٍ مسـالم

جـريءٍ على من يستكينُ بجندِهِ جبانٍ لدى القَرْمِ القوي المقاوم[٢]

حياةٌ منَ الغاب استعارتْ شريعةً فلا يلتقي فيها الضعيفُ بـراحم

ومنْ ضمَّ في جَنبيهِ قلبَ نَعامةٍ فـلا ينتظرْ إلا وثـوبَ الضَّـراغِمِ

* . * . * . * . *

ففي الشرق لحنُ البعثِ يهدرُ ثائراً فيودي بكابوسٍ من الضعفِ جاثمِ

وينتفضُ العِملاقُ، ينضو[٣] قيودَه ويمحو دُجَى ذلٍّ على الناسِ قائم

ويجلو من الماضي جوانبَ لوحةٍ فتشرقُ منْ خلفِ الثَّرى المتراكم

وما هو بالباغي على الحقِّ مُورِياً زنـادَ أسىً أو نـاشـراً للمـظالم

---

(١) جارم : بمعنى مجرم.

(٢) القرم : السيد المحترم والمقدم بين الناس وأصل الكلمة للبعير الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ويترك للفحلة.

(٣) ينضو : ينزع.

وليسَ بمن يسعى إلى بعثِ فتنةٍ ... تذيبُ الورى في شرها المتفاقم
ولكنَّـهُ يبغي الحيـاةَ تَـزَاحُمـاً ... ولا يرتضي في حَقّه من مُسـاوم
وفي الغرب جزارٌ سعى غربُ نصلِه[1] ... بـأسـودَ قتـالٍ من الحقـدِ فـاحم
وعـربدَ في الآفـاقِ، ليس بمنتَهٍ ... عن البغي، أو مصغٍ إلى صوتِ لائم
يعتّقُ خمـراً من دمـاءٍ أبـاحهـا ... ويصنعُ كأساً من عظام الجماجم
يداهُ: يدٌ تدني إلى الكون حتفَهُ ... فتشحـذُ أمضى شفـرةٍ للجـرائم
وأخـرى تُنيلُ المُعْـوزِين معـونةً ... تُشابُ إذا سِيقت بِسُمِّ الأراقم[2]
يؤرِّقـهُ أنْ يبنيَ الشـرقُ عـزةً ... فيهـرعُ مـذعـوراً بمعـولِ هـادم
ويسكب في الأسماعِ لفظاً مُنمقاً ... لنسبحَ في حلمٍ من الأمنِ واهم
ونصحو على قصفِ المدافع ناعياً ... إلينـا مـواثيقَ العـدو المهـاجم
هو الشرُّ يا ابن الشرقِ ما فيه خِسّةٌ ... لمنهـزمٍ، أو فيـه فخـرٌ لهـازم
ولكنَّ سوطَ الظلمِ ينضـحُ قسوةً ... على جسد المصفود[3] في يد آثم
تـراك عيـونُ الجـانبينِ فـريسـةً ... فلستَ ـ وإن شئتَ الحياد ـ بسالم
فإنْ سلبوكَ الحقَّ في المجد فاحتَكِمْ ... إلى مدفعٍ عاتٍ، إلى حدٍّ صارم
متى تنتـظرْ من دولةٍ أو جمـاعةً ... مؤازرةً، تُمسـكْ بـأوهـام حـالم
فكلهمُ في الخزي غربٌ، وتحتَهم ... يعـالجُ محكـومٌ سلاسـل حـاكم
ذئـابٌ إذا أبـدوا خـلافـاً رأيتَهم ... قد اختلفوا حولَ اقتسامِ الغنائم
وإن أطفئُـوا ناراً تشبُّ فمـاؤهم ... دموعُ الثكالى في الأسى المتلاطم
وإن لوَّحوا بالسلم للناس فارتقبْ ... جنـازةَ شعبٍ، أو قيـام المـآتم

* . * . * . * . *

---

(١) غرب نصله: حده.

(٢) الأراقم: جمع أرقم وهو نوع من الثعابين المشهورة بسمها.

(٣) المصفود: المقيـد.

الجــزائــر الثائـــرة

[ألقيت في حفل نادي الطلبة الشرقيين بالقاهــرة لتأييد كفاح الجزائريين، يــوم ٢٨ سبتمبر/ أيلول/ ١٩٥٨، ونالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب].

بِهواكِ، وبالدمِ فوقَ تُربك يا جزائرْ
يجري وينبُعُ من حُشاشةِ[1] كل ثائر
بشهيدكِ المُلقى على سفحِ المجازر
بالسخطِ يغلي في القلوبِ وفي الحناجر

بـالـرابضيـنَ على الـقِمـم
الـثـائـريـنَ عـلى الـظلم
سنفجِّرُ الأضواءَ في تلكَ الدياجـر[2]
وتسيـلُ أفراحُ الحيـاةِ على المقـابـر

* . * . * . *

لنْ نستكينَ لبـطشِ جـزاري فـرنسـا
لنْ تعرفَ الآمالُ في الأضلاعِ يأسا
والصبـحُ نبـذُرهُ على الآكـامِ بـأسـا

---

(١) الحشاشة: بقية الروح.
(٢) الدياجر: جمع ديجور، وهو الظلمة.

والحتفُ[١] بين الصخرِ لا نألوهُ غرسا[٢]

حتى تعــودَ ذُرى الهضـاب
حمـراءَ.. تَنبُتُ بـالـرقـاب
ونرى الحصا يطفو على أشلاءِ غادر
جاءتْ لتلقى الموتَ، موعدهُ الجزائر

* . * . * . *

السفـحُ متّقد الجـوانبِ بـالـرصـاصْ
فيهِ الدمُ المسفوحُ يصرخُ بالقِصاص
كمعـالمٍ حمراء في طـرقِ الخلاص
والموتُ في كهفٍ يحدّق من خَصَاص[٣]

يــده تــمــزِّق قــنــبــلهْ
فــوقَ الـحشــودِ المقبـلة
ويخلِّفُ الطرقاتِ مخضـوبَ الأظافـرْ
يمشي على هـامات أعـداء الجزائـر

* . * . * . *

هـذا المُدِلُّ[٤] ببـأسِـهِ فـوقَ التـلالْ
سـاغتْ على فمِـهِ مــرارةُ الاحتـلال
علِقت بجبهتِـهِ انـطبــاعـاتُ النِّعــال
مِن وطأةِ الألمانِ، من بأسِ الرجـال

بــاريسُ تُـحني صــاغــرهْ

---

(١) الحتف: الموت.
(٢) أي لا نخشى تقديم الضحايا والفداء بالنفوس في سبيل طرد الكفرة والمستعمرين.
(٣) الخصاص: الفرجة في الباب وغيره.
(٤) المدل: المفتخر.

رأسَ المجونِ الداعرهْ
وترنُّ في أعناقِها أغلالُ قاهر
تلكَ التي تعدو على شعبِ الجزائر

* . * . * . *

القريةُ الملقاةُ في أحضانِ غابْ
كانتْ تطوفُ بها أغاريدُ الشباب
ما راعَها إلا (طوابيرُ) الذئاب
مجنونَة الأظفارِ تحطِم كلَّ باب
وتضيعُ خلفَ القافلهْ
شمسُ السلامِ الآفلة
وعلى الثرى غصنٌ من الزيتونِ ناضرْ
سقطتْ حمامةٌ به فوق الجزائر

* . * . * . *

الطفلُ مُلْقىً تحتِ أرجلِ مُجرِمِهِ
والرملُ يحسرُ ما تدفَّق من دمه
قتلوا أناشيدَ الرجاءِ على فمه
وخبا على الصحراءِ نورُ تبسُّمِهِ
وقدْ انحتْ فوقَ الجراحْ
أمٌ تَعَضُّ على السلاح
شَقُّوا بجانبِ لحدهِ لحدَ الضمائر
منزوعةً من جنبِ جلادِ الجزائر

* . * . * . * . *

هذي القلاعُ القائماتُ على الجبلْ
ورصاصُها المذعور في صدرِ البطل

لن تـوصِدَ الأبـوابَ في وجهِ الأمـل
فالبعثُ يزحفُ نَحوها زحفَ الأجـل

ويـقصُّ أجنـحـةَ الـدمـارْ
الـعـاديـات على الـقفـار
وغـداً سيخنقُ صـوتَهـا دقُّ البشـائـر
يملي على الدنيا انتصاراتِ الجزائـر

* .* .* .*

ستعـودُ ألحـانُ المُـنَى.. لـلرابيـةْ
نشـوَى بـأصبـاغِ الحيـاة الـزاهية
ويـرنُّ في الـوادي نشيـدُ الـراعيـةْ
يـروي المـلاحمَ عن حـروبٍ داميـةْ

روّتْ ثـرى التـلِّ الجـديب
وأتتْ على المرعى الخصيب
وغـدتْ وقائعُهـا حكايـةَ كـلٍّ سـامـرْ
مِن بعدِ أن دارتْ على أرضِ الجزائر

* .* .* .* .*

رسالة من افريقية

[جنود الإستعمار يتساقطون في كل مكان، وهذا واحد منهم، يكتب من إفريقية رسالة إلى فتاته. ألقاها الشاعر في ندوة رابطة موظفي الحكومة مساء ٩/ أكتوبر / تشرين أول / ١٩٥٨].

الغابةُ السمراءُ من حولي يغلِّفُها الضبابُ
تَهَبُ السيادةَ للقويِّ ومَنْ له ظِفرٌ ونابُ
وأنا وراءَ الغِيلِ[١] تطلبني الأسّنة والحرابُ
مترقبٌ للهولِ، يرعشُ في يدي هذا الكتابُ

فمنَ البقاعِ النائيهْ
خلفَ السهولِ الداميهْ
أزجي إليكِ الشوقَ دفاقاً وأبعثُ بالحنينْ
متمنياً أن يرجعَ الماضي الجميل. . . أتذكرين؟

* . * . * . * . *

كانتْ لنا دنيا تُجَمِّلها الوداعةُ والسكينةْ
الريفُ والمرعى النضيرُ وربوةُ الحبِّ الأمينةْ
وسرورُنا الوثّابُ في يومِ الذَّهابِ إلى المدينةْ
والآنَ حيثُ خناجرُ الثوارِ تلمعُ بالضغينهْ

---

(١) الغيل الشجر الكثير الملتف.

أحيـا لتقتيـلِ الشيـوخ
فـي كـلِّ زاويـةٍ وكـوخ
ويداي تَـغمسُ كلَّ يومٍ في دمِ المستضعفينْ
الثائرينَ على القيودِ وسطوةِ المتجبرينْ

* . * . * . * . *

ومع المساءِ تزلزلُ الأحراشَ دقاتُ الطبولْ
وترنُّ أنغامُ الدمارِ على الروابي والسهولْ
ومراجلُ الأحقاد تغلي في المراعي والحقولْ
وأمامَ حَشدِ الزاحفينَ تفرُّ أسرابُ الوعولْ

حتى إذا صرخَ.. النـذيرْ
وَدَنْـوا من السـورِ الكبيـرْ
جُنَّتْ بنادقُنا، وخاضوا نارَها متقحّمينْ
فإذا النصالُ من الشمالِ تلفُّنا ومن اليمينْ

* . * . * . *

اليومَ كنتُ مع الجنودِ أسيرُ في المستعمرهْ
شاكي السلاحِ وكلُّ شبرٍ تحت رجلي مقبرهْ
فتدفقوا من جوف أكواخٍ هناك مبعثرةْ
طلعوا علينا في مناجِلهم وكانت مجزرةْ

دوّى بهـا صوتُ الـرصاص
وتعـذرتْ سُبُلُ الخـلاص
وودتُ لو ظفروا بقائدي الشهم الأمينْ
ذاكَ الذي ألِف التثاؤب خلفَ مكتبِهِ الحصينَ

* . * . * . *

ورجعتُ محمومَ الفؤادِ وقد تأجلَ مصرعي

وذراعيَ الدامي تجلَّد ثم ناءَ[1] بمدفعي
وفقدتُ في الميدانِ صورتكِ التي كانت معي
وفقدتُ إحساساً جميلاً كانَ يملأ أضلُعي

أحسستُ أني صرتُ وُحشا
أوْ لا أقصِّرُ عنه بطشا
والفرقُ أن الذئبَ لا يُودي بذئبٍ في كمين
وأنا.. أنا الإنسانُ أقتلُ إخوتي في كل حين

* . * . * . * . *

ويسيلُ فيضُ الذكرياتِ إذا جلسنا للسمرْ
هذا يحدِّثُنا عن العُشاقِ في ضوءِ القمرْ
وسواهُ يسخرُ من أسى الدنيا وأطماعِ البشرْ
وأنا أحنُّ إلى ليالينا وما قبلَ السفرْ

وتدفقِ الأملِ الحبيب
في نُضرةِ الوادي الخصيب
وتدورُ عيني تسألُ الأصحابَ في صمتٍ حزين
عن غايةٍ جئنا لندركِها قساةً معتدين

* . * . * . *

أوَ ليسَ يكفينا لكي نحيا نتاجُ المزرعهْ
حتى أُصبَّ على أخي سَوطَ العذابِ لأُخضعه
ويقضُّ حيناً مضجعي وأقضُّ حيناً مَضجعهْ
وأعيشُ مغترباً هنا بين الرماحِ المشرعهْ

يأتي الطعامُ إلى فَمي
مُراً تلَوَّثَ بالدمِ

---

(١) ناء : سقط.

وأصوغُ منْ آلامِ قومٍ جنةً للمترفين
الحالمينَ، ثورةُ البركانِ تهدرُ منْ سنينْ

*. *. *. *

فإلى متى يستعذبونَ البغيَ في ليلِ الجراحْ
قولي لهم: لا تغمضوا الأبصارَ عن ضوءِ الصباح
لا توصدوا الآذانَ قد دوّت أناشيدُ الكفاحْ
لنْ نُسكتَ الصوتَ القويَّ بما لدينا من سلاح

وأنـــا إذا عـــادَ الـــجـنـــودْ
سـأعـودُ، أرجـــو أن أعـودْ
ولـربما تـأتيك أنبـاءٌ عن المتمـردين
من يقرأون ويسمعونَ: «الموتَ للمستعمرينْ»

*. *. *. *. *

أغنيـة صوماليـة

[ألقاها الشاعر في حفل الصوماليين بنادي الطلبة الشرقيين مساء ١٢/ أكتوبر/ تشرين أول سنة ١٩٥٨].

أبـداً لـنْ تـخـنُـقَ آمـالـي　　لنْ تَبقى في وَطني الغـالـي
سـأُحـطمُ يـومـاً أغـلالـي　　سيهُـزُّكَ بـركـانُ نـضـالـي

حتى يرجَع لي صومالي

* . * . * . *

ستعـود الأشـلاءُ الـخمسُ[1]　　جَسـداً لا يـطويـهِ اليـأسُ
وجـحيـمـاً سعَّـرهُ البـأسُ　　تُـذكيـهِ نـفـوسُ الأبـطالِ

يبنونَ مفاخِـر صومالي

* . * . * . *

صـومـالي مـا كـانَ صبيـاً　　لـتكـونَ على الأرضِ وصيـا
وتـكـبِّـل بـالـقيـدِ يَـديـا　　وتـبـاركَ قـتـلي وقـتـالـي

(١) الصومال قطر إفريقي يكافح في سبيل الحرية والوحدة. مزقه الإستعمار خمسة أشلاء. . . اقتسمتها فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والحبشة وكينيا ـ وكانت مستعمرة بريطانية ـ وبعد تصفية المستعمرات الإيطالية عقب الحرب العالمية الثانية. قررت الأمم المتحدة وضع الجزء الذي اغتصبته إيطاليا تحت الوصاية الدولية، على أن يتولى الصوماليون شؤون بلدهم بعد عشر سنوات، وذلك في يوليه سنة ١٩٦٠، وقد استشهد في سبيل استقلال الصومال المرحوم كمال الدين صلاح عضو الوصاية الدولية. اغتالته يد آثمة من صنائع الإستعمار.

فإلامَ تُمزِّقُ صومالي

الـغـابـةُ قـد مُلِئت نـاراً والـوادي يـهـتـاجُ شـراراً
والـسـفـحُ تـدَّفـقَ أحـراراً أفـنـوا أيـامـاً ولـيـالـي
يبغونَ تحرُّرَ صومالي

* .* .* .*

اللـيـلُ تـركـنـاهُ صـبـاحـاً والـحـقُّ حـمـلـنـاهُ سـلاحـا
والـمـجـدُ لـبـنـاهُ وشـاحـا نُـهـديـهِ غـداً لـلأجـيـالِ
أجيالٍ تبني صومالي

* .* .* .*

لي وحـدي تقـريـرُ مصيـري وبِـوحي شعـوري وضميـري
وإلـى مـعـركـةِ الـتـحـريـر سـأسـيـرُ تـدمـدمُ أهـوالـي
وتروعُكَ وثبةُ صومالي

* .* .* .*

(مقـديشـو) يملُؤهـا الفجـرُ أضـواءُ فـجَّـرَهـا الـنـصـرُ
قـد ظـلَّلَهـا عـلـمٌ حـر بـدمي، بيـقيـني، وبـمـالـي
أفديه وأفدي صومالي

* .* .* .*

قـد عشتُ سجينـاً محتـرقـاً وعـرفـتُ الـظلمـةَ والـرِّمَـا
وبـنـيـتُ نـعـيـمـاً مـؤتـلقـاً من قُـوتي، من قـوت عيـالي
فاليومَ أحرُرُ صومالي

* .* .* .*

سـتـرانـي فـي كـلِّ طـريـقِ أسحقُ مـن حـاولَ تمـزيـقي
فـهـتـافُ الـبـعـثِ الإفـريـقـي دوَّي فـي قـلـبِ الأدغـال
فصحوتُ لأنقذَ صومالي

فـــلامـــاً إن شئت ســـلامـي   أو نـــاراً في غـــدنـــا الـــدامي
ســـأنـــضـــرُ بعـــدَك أيـــامـــي   وأمـــدُّ يـــمـيـــنـي وشـــمـــالـي
لأدعِّمَ نهضة صومالي

* .* .* .* .*

دين وعروبــة

[نظم الشاعر هذه القصيدة في ١٢ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٥٨]

أيهـا السـائـرُ بينَ الـغيْـهبِ عـاثـرَ الخـطوِ جليَّ التعبِ(١)
ضـاربـاً في لجـةٍ غـامضـةٍ من محيطِ العـالمِ المضـطربِ
لا تقفْ حيـرانَ مشبوبَ الأسى هكـذا نهبـاً لشتَّى الـرِّيـبِ(٢)
ذلـكَ الـدَّرْبُ سلكنـاهُ معـاً من قـديمٍ لستَ بـالمغتـربِ
أنتَ في الـدنيا نمـاءٌ هـائـلٌ مشرقُ المـاضي عـريقُ النَّسبِ
أنتَ لا تعـرُف مـنْ أنتَ وَلَـمْ تقرأِ التـاريخَ يـا ابنَ العـربِ

* . * . * . *

عُـدْ لتاريخِـكَ وانشُـد قَبَسـاً من سنـاً بـدّد ليـلَ الحُقُبِ(٣)
تـلمسُ العـلةَ تشـكـو بـأسهـا ثم لا تـدري لهـا مـن سبـبِ
أنـا أُنـبيـكَ عـن الـداءِ وعـن طبِّـهِ المهجـورِ مـلءَ الـكُتُبِ
يـا تـرى، عنـدَك ألقى خبـراً عن أنـاس بصعيـد مُـجْـدبِ؟
مِن رُعَـاةِ الشـاءِ عـاشـوا زمنـاً لم يسيـروا للعـلا في مـوكبِ
أدركـوا الـذلـة ذاقـوا مُـرَّهـا عـرفـوا بـطش القـويِّ الأجنبي

(١) الغيهب : الظلمة والجمع غياهب.
(٢) الريب: الشكوك، الظنون.
(٣) الحُقُب: بضم الحاء والقاف،وهو الدهر، وجمعه أحقاب أما الحُقْب: بتسكين القاف وهو ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك وجمعه حقـاب

ثم في يومٍ أبيٍّ مشرقٍ جاءهم بالمجد والنور نبي
فسما في ظلِّ ما جاءَ به مَن أجابوه ومنْ لم يُجبِ
كمْ رقابٍ فكهَّا مِنْ صَفَدٍ كم أسىً قد حطَّهُ عن مَنْكبِ[1]
ومشى في ساحةِ المجدِ بهم سادةً تحتَ ظلالِ القُضُبِ[2]
عرفَ العالمُ عنهم نبأً أُفعِمَتْ آياتُهُ بالعَجَبِ
لم يزلْ في خاطري أنَّ الذي قوَّضَ الرومانَ بالرمحِ أبي
كيفَ لا أذكرُ أجداداً لهم فتْكَةُ الإعصارِ عندَ الغضَبِ
وجواداً قَبَّلَتْ حافرَهُ لجةُ البحرِ تُجاهَ المغربِ[3]
وملوكُ الصينِ تَهدي تربها لفتاناً في صحافِ الذهبِ
أيُّ روحٍ مِنْ هُداها انبَجَستْ هذهِ الأضواءُ مثلَ الشُّهبِ
أيُّ إشراقةِ نفسٍ رفعت هذهِ الأمجادَ فوقَ الكوكبِ
إنَّها قصةُ بعثٍ كُتبتْ بحروفٍ من سناً، من لهبِ
نهضةٌ بالدين شادوا صرحَها ثابتَ الركنِ قويَّ الطُّنُبِ[4]
أَعَرَفْتَ الآنَ معنى أنْ ترى حاقداً يلبسُ جلدَ الثَّعلبِ
عَرَفَ الإسلامَ، ما غايتُهُ، ما الذي يحملُ لمغتصبِ
فمشى بالكأسِ مسموماً وكمْ يشهدُ الليلُ دبيبَ العقربِ
همُّهُ أن يُصبحَ العرب بلا عاصمٍ كالدينِ عندَ النُّوَبِ[5]
همُّهُ المصباحُ، لو أطفأَهُ أهلكَ السارينَ ليلُ العطبِ

---

(١) الصَّفد: ما يوثق به الأسير من قيد وغل.

(٢) القضب : السيوف.

(٣) يشير إلى ما روي منسوباً إلى القائد المسلم عقبة بن نافع الفهري إذ خاض بقوائم فرسه شاطىء الأطلسي بعد فتوح المغرب وهو يقول: «اللهم لو أني أعلم أن وراء هذا البحر يابسة لأقتحمت هذا الهول المائج لأنشر اسمك العظيم في أقصى بقاع الدنيا».

(٤) الطُّنب: حبل الخباء.

(٥) النوب: المصائب.

واختلفنــا في الــورى ألســنةً   يجهـلُ المصريُّ لفظَ الحلبي[1]
وافــترقْــنـا بــيـنــهــمْ أفئـدةً   جُمعت حـول التراثِ الـطيبِ
وابـتعـدنا كـلُّنـا عـن هـدفٍ   بـات يُـدْنيـه اتحادُ المشـرَبِ
أمــةُ العـربِ بخيـرٍ طـالمـا   هي في إسـلامهـا لم تُـنْكَـبِ

* . * . * . * . *

(١) الحلبي : نسبة إلى مدينة حلب وهي مدينة كبيرة في شمالي سورية وكانت عاصمة سيف الدولة الحمداني .

وصيـــة لاجىء

[ألقاهـا الشاعر في ندوة الشبان المسلمين لنصرة قضيـة فلسطين مسـاء ١٨/ نوفمبر/ تشرين ثـاني ١٩٥٨،/ ونالت جـائـزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب].

أنــا يـا بُنيَّ غــداً سيـطويني العَسَقْ
لمْ يبقَ من ظِـلِّ الحياةِ سـوى رمق
وحـطامِ قلبٍ عـاشَ مشبـوبَ القلق
قـدْ أشرقَ المصباحُ يـومـاً واحتـرق
جـفّتْ بــهِ آمــالــه حتى اختـنـق

فـإذا نفضتَ غبـارَ قبـري عن يـدِك
ومضيتَ تلتمس الـطريق إلى غـدك
فـاذكـرْ وصيـةَ لاجىءٍ تحتَ التـراب
سلبــوهُ آمـالَ الكهــولــةِ والشبــاب

* . * . * . *

مــأسـاتُنـا مـأسـاةُ نــاسٍ أبــريــاءُ
وحكـايـةٌ يغلي بــأسـطُرهــا الشقـاء
حملتْ إلى الآفـاقِ رائحـةَ الــدمـاء
وجــريمتي كـانتْ محــاولَـةَ البقــاء
أنا لم اعتديتُ ولا ادخرتَكَ لاعتداء

لـكـنْ لـثـأرٍ نـبـعُـه دامٍ .. هُـنَـا
بين الضلوعِ جـعلتُـهُ كـلَّ الـمنى
وصبغتُ أحـلامي به فـوقَ الهضـاب
وظمئتُ عمري .. ثم متُّ بلا شراب

* .* .* .*

كـانتْ لنـا دارٌ، وكـانَ لنـا وطنْ
ألقتْ بـه أيـدي الخيـانَـةِ للمحن
وبـذلـتُ في إنـقـاذِهِ أغـلى ثَـمَـنْ
بيـدي دفنتُ أخـاكَ فيـهِ بـلا كَفَنْ
إلا الـدمـاءَ، ومـا ألمَّ بِيَ الـوهَنْ

إنْ كنتُ يـومـاً قـد سَكبتُ الأدمعـا
فـلأنَّني حُمِّلْتُ فقـدَهُمـا .. معـاً
جـرجانِ في جنبيَّ: ثَكْـلُ واغتـراب
ولـدُ أُضيـعَ .. وبلدةٌ رهنَ العـذاب

* .* .* .*

تلكَ الربوعُ هناكَ قدْ عـرفَتَكَ طفـلاً
يجني السنا والزهرَ حين يجوبُ حقْلا
فـاضتْ عليـكَ ريـاضُهـا مـاءً وظِـلاً
واليومَ قد دهمتْ لكَ الأحداثُ أهلا
ومـرُوجُك الخضـراء تحني الهام ذُلا

همْ أخرجوكَ فعد إلى من أخرجـوك
فهنـاك أرضٌ كـانَ يـزرعُهـا أبـوك
قد ذُقت من أثمارها الشهدَ المذاب
فـإلامَ تتـرُكُهـا لألسنـةِ الحـراب؟

إن جئتَهـا يـومـاً وفي يـدكَ السـلاح
وطلعتَ بينُ ربـوعِهـا مثـل الصبـاحْ
فاهتفُ على سمعِ الـروابي والبطاح
إني أنا الأمسُ الذي ضَمَـدَ الجراح
لبيـكَ يـا وطني العـزيـزَ المُستبـاح

أو لستَ تـذكُرني؟ أنـا ذاك الغـلام
منْ أحرقوا مـأواهُ في جنحِ الـظلام
بلهيبِ نـارٍ حـولهـا رقصَ الـذئـاب
لفتْ حيـاتي بـالـدخـانِ وبـالضبـاب

* .* .* .*

لا تبكينَّ، فمـا بكتْ عينُ الجنـاه
هي قصـةُ الطُّغيـانِ من فجرِ الحيـاه
فـارجـع إلى بلدٍ كنـوز أبي حَصـاه
قـدْ كنتُ أرجو أن أمـوتَ على ثراه
أمـلٌ ذوي، ما كـانَ لي أملٌ سـواه

فـإذا نفضتَ غبـار قبـري عن يـدك
ومضيتَ تلتمسُ الـطريقَ إلى غـدك
فـاذكـرُ وصيـةَ لاجىءً تحتَ التـراب
سلبـوهُ آمـالَ الكهـولـةِ والشبـاب

* .* .* .* .*

أضـواء من السماء

[نظمت هذه القصيدة أول ديسمبر كانون أول ١٩٥٨]

ليـلٌ، وليسَ هنـاكَ غيـرُ شعـاعِ	لم يَنْعَـهُ للمُـدلجيـنَ النـاعـي
مـا زالَ وضّـاءَ السَّنـا في أمـة	وضلَّ القطيـعُ بها وض الـراعي
سالتْ على الصحراءِ من عهدٍ مضى	أضـواؤه ومشتْ إلى الأصْقـاع
يا للمنار السَّمح، قدَ غَشَّى الدُّجى	متكـامـلَ البنيـانِ في إبـداعِ
دينٌ بنى الإنسـانَ، كَـرَّمَ شـأنَـهُ	وأقـامَ ركنَ هنـائِـهِ المتـداعي
وإذا تَـقَنَّـعَتِ الـحقَـائقُ كلُّهـا	بـرزتْ حقيقتُـهُ بـغيـرِ قِنـاعِ

* . * . * . * . *

في آسِيـا وعلى جـديبِ رِمـالهـا	شهـدَ الـورى ميـلادَ شعبٍ واعِ
نبتَ الهـدى والحقُّ في جَنَبَاتهـا	وجرى الضياءُ على لسانِ الداعي
وكما يسيلُ الفجرُ سالَ النورُ مِن	هَـدْيِ السماءِ على رُبـاً وبقاعِ
ومشتْ مـواكبُـهُ وفي أَقْمـانِهـا	آيٌ تُـبـلِّغُـهـا إلـى الأسـمـاعِ
مِنْ كـلِّ صنـديـدٍ تضم ضلوعُـهُ	إحسـاسَ قـديسٍ وقلبَ شُجـاعِ
وإذا الضلالُ طغى على صوتِ الهدى	فـالسيفُ بعضُ وسائِـلِ الإقنـاعِ

* . * . * . * . *

وكسا الضياءُ الأرضَ في إفـريقيا	مـا بين غابـاتٍ بها... ومـراعِ
بَسَـطت ذِرَاعَيْهـا لِيحْتَضِنَ السنا	طبَّـاً يخـلِّصُهـا مِـنَ الأوجـاعِ

عَـرَفَتْـهُ فتحـاً للبنـاءِ وللعُـلا قـدْ جاءَ، لا لمجـرد الإخضاعِ
وتنسّمتْ ريحُ المنى في زحفِهِ مِنْ بعـدِ حـالـكِ هـونِهـا اللَّذاعِ
فـإذا الوجـوهُ السُّمرُ مِنْ أبنـائهـا تَطوي خَضَمَّ البحرِ فـوقَ شراعِ
وتدكُّ خلفَ الماءِ عـرش محَكَّم في الناسِ أو مَلِكٍ هناكَ مُـطاعِ

* . * . * . *

يا مَنهلًا عذباً، وكَمْ مِنْ ظامىءٍ والمـاءُ يجري منـه قَيد[1] ذراعِ
أيُّ الشـرائع قـدْ حملتَ لعـالمٍ متـأرجِـحَ القـانـونِ والأوضـاعِ
إنْ كـانَ همُّهمُ السـلامُ وأمـرهُ وسَعى إلى نـاديـهِ منهمْ سـاعِ
فليـأخذوا ممـا لديـك إنِ ابْتَغوا إقـرارَ سَلمٍ في الحياةِ مُضـاعِ
أو قـامَ منهمْ بـالإخـاءِ مُـطالبٌ فحـديثُـهُ للنـاس محضُ خـداعِ
ليسَ الإخـاءُ شـريعـةً تُمْلى ولا عهـداً يُـدَبَّـجُ نصُّـه بِيـراعِ
لكنَّـهُ ـ وكما رسمتَ خـطوطَهُ ـ شيءٌ نحِسُّ صَداهُ في الأضلاعِ
وعـلاقَـةٌ يسمـو بهـا الإنسـانُ لا كعـلاقَـةِ السـاداتِ والأتبـاعِ

* . * . * . *

هـذا هو الإسـلامُ لا شـرقٌ ولا غـربٌ يعـرِّضُنـا لكلِّ صِـراعِ
واللهِ ما اختلفوا لمصلحةِ الورى لـكنَّـهُ خُـلْفٌ عـلى الأطـمـاعِ
فـإذا رأوا حقـاً ضِعـافـاً أهلُهُ جـاءوه فـانتهبـوهُ بـالإجمـاعِ
والضعفُ لا يحيـا بـأيَّـةِ أمـةٍ قـد حُصِّنت مِنْ دينهـا بقـلاعِ

* . * . * . *

---

(١) قيد: بفتح فسكون، وبكسر أوله: قدر.

شباب الإسلام

[ألقاها الشاعر في ندوة أقيمت بجمعية الشبان المسلمين مساء ٩/ فبراير شباط/ سنة ١٩٥٩ لمناقشة انحراف الشباب، وأبان الشاعر في هذه القصيدة عن خصائص شباب الإسلام].

مَلكنا هذهِ الدنيا قُروناً ... وأخضَعَها جدودٌ خالدونا

وسطَّرنا صحائفَ من ضياءٍ ... فما نسيَ الزمانُ ولا نسينا

حملناها سيوفاً لامعاتٍ ... غداةَ الروع[1] تأبى أنْ تلينا

إذا خرجَتْ من الأغمادِ يوماً ... رأيتَ الهولَ والفتحَ المبينا

وكنَّا حينَ يرمينا أناسٌ ... نُؤدِّ بهمْ أباةً قادرينا

وكنَّا حينَ يأخُذنا ولي ... بطغيانٍ تدوسُ لهُ الجبينا

تفيضُ قُلوبُنا بالهديِ بأساً ... فما نُغضي عن الظلمِ الجُفونا

وما فتِىءَ الزمانُ يدور حتى ... مضى بالمجدِ قومٌ آخرونا

وأصبحَ لا يُرى في الركبِ قومي ... وقد عاشوا أئِمَّتَهُ سنينا

وآلمني وآلَمَ كلَّ حرٍ ... سؤالُ الدهرِ: أين المسلمونا؟

* . * . * . *

تُرى هل يرجعُ الماضي؟ فإني ... أذوبُ لذلكَ الماضي حنينا

بَنَينا حُقبةً في الأرض مُلكاً ... يدعِّمهُ شبابٌ طامحُونا

---

(١) الروع : الحرب.

شبــابٌ ذَلَّلوا سُبــلَ المَعــالي ... وما عَرفـوا سوى الإسـلامِ دينا
تَـعَهَّــدَهـمْ فــأنبتـهـمْ نبــاتــاً ... كريماً طابَ في الدنيا غُصونـا
همُ وردوا الحيــاضَ مباركــاتٍ ... فســالتْ عنـدَهمْ مــاءً مَعينــا
إذا شهـدوا الوغى كــانـوا كُمـاةً ... يـدكُّـونَ المعــاقِـلَ والحُصــونـا
وإنْ جنَّ[1] المسـاءُ فـلا تـراهم ... من الإشفــاقِ إلا ســاجِـدينـا
شبــابٌ لمْ تُحــطِّمــهُ الليــالي ... ولمْ يُسلمْ إلى الخصمِ العرينا
ولمْ تشهــدُهُمُ الأقـداحُ يـومــاً ... وقــد مـلأوا نـواديهم مُجـونــا
ومـا عـرفـوا الأغـاني مـائعـاتٍ ... ولكنَّ العُــلا صِيغتْ لُـحـونــا
وقــد دانـوا بــأعـظَمِهِمْ نِضــالاً ... وعلماً، لا بـأجـرِئِهِمْ عيـونــا!
فـيتَّـحــدونَ أخــلاقــاً عِــذابــاً ... ويــأتـلفُــونَ مُجتمعـاً رزينــا
فمـا عَرَفَ الخـلاعَـةَ في بنـاتٍ ... ولا عَــرَفَ التخنُّثَ فـي بنينــا
ولـم يتشــدَّقـوا بقشــورِ علمٍ ... ولمْ يتقيَّبـوا في الـمُلحـدينــا
ولم يتبجحـوا في كــلِّ أمــرٍ ... خـطيـرٍ كيْ يقــالَ مثقفـونــا

* . * . * . *

كـذلكَ أخـرجَ الإسـلامُ قــومي ... شبــابــاً مُخلصــاً حــراً أمينــا
وعلَّمــهُ الكــرامــةَ كيف تُبنى ... فيــأبى أنْ يُقيَّــدَ أو يـهــونــا
دعــوني مـن أمــانٍ كــاذبــاتٍ ... فلم أجـدِ المُنى إلا ظُنـونــا
وهــاتـوا لي منَ الإيمــانِ نـوراً ... وقَــووا بـينَ جنبـيَّ الـيَـقـينــا
أمــدُّ يـدي فــأنتزعُ الــرواسي ... وابنِ المجـدَ مؤتـلقـاً مكينــا

* . * . * . * . *

---

(١) جن الليل: أظلم.

أغنيـــة أم . . . . .

[محنـة الإسلاميين في مصـــر، ومحنـة العراق كله، ومحنة المسلمين في كل مكان يصورها الشاعر في أغنية أم لوليدها الذي أعدم أبوه، ويتبع أسلوب التوريـــة خوفاً من بطش الطغاة، فيتظاهر أنه يتحدث عن محنة العـــراق سنة ١٩٥٩].

[نظمت هذه القصيدة في ١٩ مارس آذار

نَمْ يا صغيري، إنَّ هذا المهد يحرسهُ الرجاءْ
منْ مُقلةٍ سهرتْ لآلامٍ تثورُ معَ المساء
فأصوغُها لحناً مقاطِعُه تأجَّجُ في الـدماء
أشدو بأغنيتي الحزينةِ، ثمَّ يغلبني البكاء
وأمدُّ كفي للسماءِ لأستحثَّ خُطا السماء

نمْ، لا تُشـاركني المـرارةَ والِمحن
فلسَوفَ أُرضعكَ الجراحَ مع اللَّبن
حتى أنالَ على يديكَ مُنىً وهبتُ لها الحياه
يا من رأى الدنيا، ولكنْ لنْ يرى فيها أباه

* . * . * . *

ستمُرُّ أعوامٌ طوالٌ في الأنينِ وفي العذاب
وأراكَ يا ولدي قويَّ الخطوِ موفورَ الشباب

تأوي إلى أمٍّ محطمةٍ مغضَّنةِ[1] الإهاب[2]
وهناكَ تسألُني كثيراً عن أبيكَ وكيف غاب
هذا سؤالٌ يا صغيري قدْ أعدَّ له الجواب

فلئنْ حييتَ فسوفَ أسردهُ عليك
أو متُّ فانظرْ من يُسِرُّ به إليك
فإذا عرفتَ جريمةَ الجاني وما أقترفتْ يداه
فانثرْ على قبري وقبرِ أبيك شيئاً من دماه

غدُكَ الذي كنا نؤمِّلُ أن يُصاغَ من الورود
نسجوهُ منْ نارٍ ومن ظُلمٍ تدَجج بالحديد
فلكلِّ مولودٍ مكانٌ بيَن أسرابِ العبيد
المسلميَن ظهورهمْ للسوطِ في أيدي الجنود
والزاكميَن أنوفهمْ بالتُربِ من طولِ السجود

فلقد وُلدتَ لكي ترى إذلال أُمه
غفلتْ فعاشتْ في دياجيرِ المُلَّمه
ماتَ الأبيُّ بها ولْم نسمعْ بصوتٍ قد بكاه
وسعَوا إلى الشكي الحزين فألجموا بالرعبِ فاه[3]

* . * . * . *

أما حكايتُنا فمنْ لونِ الحكاياتِ القديمهْ
تلكَ التي يمضي بها التاريخُ داميةً أليمهْ
الحاكمُ الجبارُ، والبطشُ المسَّلح، والجريمة
وشريعةٌ لْم تعترف بالرأي أو شرفِ الخُصومه
ماعادَ في تنُورها لحضارةِ الإنسانِ قيمه

---

(١) مغضنة : مجعـدة .
(٢) الإهـاب : الجلد.
(٣) لعله يشير إلى إعدام قادة الإخوان المسلمين والتنكيل بهم.

الحـرُّ يعرُفُ مـا تريـدُ المحكمـة
وقُضـاتُهُ سلفـاً قد ارتشفـوا دمه
لا ترتجي دفعاً لبهتانٍ رماهُ بهِ الطغاه
الُمجرمونَ الجالسونَ على كراسيٍّ القضاه

حكموا بما شاءوا وسيقَ أبوكَ في أصفادهِ
قدْ كان يرجو رحمةً للناسِ من جلّادِهِ
ما كانَ ـ يرحمهُ الإله ـ يخونُ حبَّ بلادِهِ
لكنَّـهُ كيـدُ المُـدلِّ بجنـده.. وعتـادهِ
المشتهي سفكَ الدماءِ على ثرى بغداده

كذَبوا وقـالوا عن بـطولتِهِ خيـانه
وأمـامنا التقـريرُ ينـطقُ بـالإدانـهْ
هذا الذي قالوه عنه.. غداً يُرددُ عن سواهْ
ما دمتُ أبحثُ عن أبِّي في البلادِ ولا أراهْ

* . * . * . * . *

هو مشهدٌ من قصةٍ حمراءَ في أرضٍ خصيبهْ
كُتبتْ وقائِعُهُ على جُدرٍ مضرَّجةٍ رهيبهْ
قد شادَها الطُغيانُ أكفانـاً لعزتنا السليبهْ
مشتِ الكتيبةُ تنشرُ الأهوالَ في إثرِ الكتيبهْ
والناسُ في صمتٍ وقد عقدتْ لسانهمُ المصيبهْ

حتى صدى الهمساتِ غشاه الوهن
لا تنـطقوا، إن الجـدارَ لـه أُذنْ
وتخاذَلوا، والظالمونَ نعالهُمْ فوقَ الجباهْ
كشياهِ جزارٍ، وهلْ تستنكرُ الذبحَ الشياه؟

* . * . * . * . *

لا تُصغِ يا ولدي إلى ما لفَّقوه وردّدوهْ
من أنهم قاموا إلى الوطنِ الذليلِ فحرروهْ
لو كانَ حقاً ذاكَ ما جاروا عليهِ وكبَّلوهْ
ولمارَموا بالحُرِّ في كهفِ العذابِ ليقتلوهْ
ولما مشوا للحق في وهجِ السلاحِ فأخرسوهْ

هذا الذي كتبُـوهُ مسمومُ المـذاقْ
لم يبقَ مسموعاً سوى صوتُ النفاق
صوتُ الذين يُقدسونَ الفردَ من دون الإلهْ
ويسبِّحونَ بحمدِهِ ويقدمونَ لهُ الصلاهْ

* . * . * . * . *

لا ترحَمِ الجاني إذا ظفرتْ به يوماً يداكْ
فهوَ الذي جلبَ الشقاء لنا، ولْم يرحم أباكْ
كمْ كان يهوى أن يعيشَ لكيّ يُظلِّل في حماك
فاطلبْ عدوَّكَ، لا يفتُكَ، تُرح فؤاداً قد رعاك
هذي مُناي وأمنياتُ أبيكَ فاجعَلَها مُناكْ

فإذا بطشتَ بهِ فذاكَ هـو الثَّمن
ثمنُ الجـراحاتِ المشـوبةِ بـاللَّبن
وهناكَ أدركْ يا صغيري ما وهبتُ لهُ الحياه
وأقولُ هذا ابني، ولْم يرَ في طفولتِهِ أباه

* . * . * . * . *

غرام لاجىء

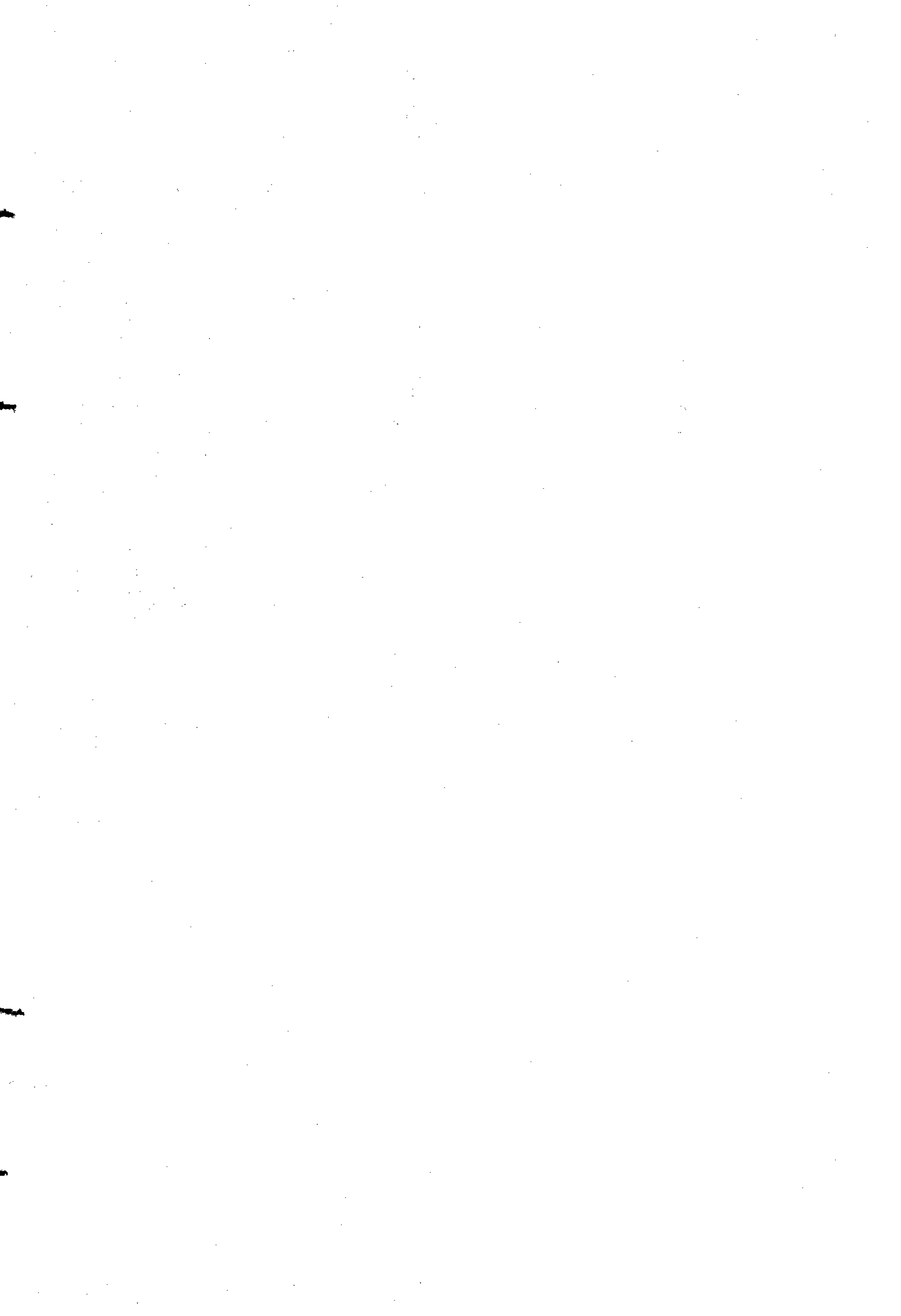
[قصيدة لم تكتمل، تحدث فيها الشاعر بلسان لاجىء يصور غرامه، ويناجي وطنه السليب].

يــا بنتَ عمِّي مــرتِ الأعــوامُ ... وتَفتَّحتْ عن زهــرهــا الأكمــامُ
ولبستِ أثــوابَ الشبـابِ قشيبــةً ... ونمــا كـأعــوادِ الـربيــعِ غــرامُ
قلبــانِ مغتــربــانِ أينعت الُمنى ... بهــما، ورَّفــتْ لـلهــوى أحــلامُ
أمــلٌ يُــراوِدنــا ودونَ بــلوغِــهِ ... نــارٌ، ويــومٌ، هــائـلٌ، وصــدامُ
إنَّــا نُعـدٌّ لــهُ. . فــلا تتــرقبي ... أنْ تشهـدَ العرسَ البهيـجَ خيامُ
فهنـاكَ في وطنٍ سليبٍ، في غـدٍ ... أفــراحُنــا، بــربــوعِــهِ ستُقــامُ
وطنٌ يعيشُ، ، هواهُ ملءُ جوانحي ... لي في ربــاهُ رضــاعــةٌ وفِــطام

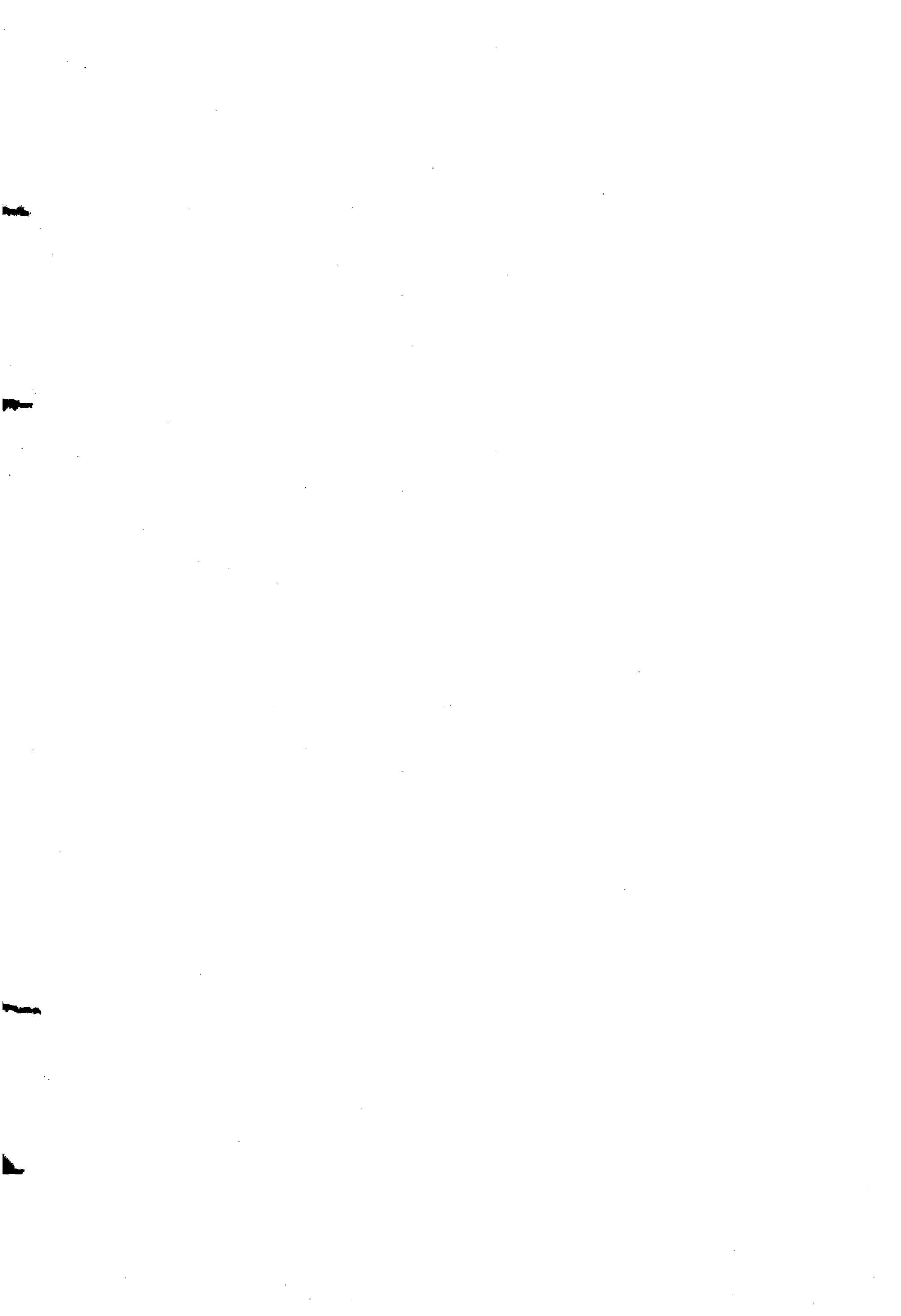
* . * . * . * . *

قــد باركَ الليمــونُ يومــاً مَولـدي ... فيــهِ ورفـرفَ بــالســلامِ حَمَــام
واليــومَ حـين تعــودُني أطيـافُــه ... يهتــاجُ في قلبـي أسـىً وقـتــام
ذُعِـرَ الحمامُ على الغصونِ فلم يعد ... يشـــدو ولم يشـرقْ عليــه ســلام
وحـدائقُ الأعنـابِ حــولَ بُيـوتنـا ... لْم أدرِ مــا فـعـلتْ بهــا الأيــام
قــد كــانَ آخرُ عهـدِهِ بمــروجـه ... يــومــاً تمــرُّ بَهــولِــهِ الأعــوام
لْم أدرِ ســاعَتهــا لمــاذا أسـرعَت ... أمـي لتـحمـلنــا ونـحـنُ نـيــام

* . * . * . * . *



جَـرّاح مِصْـر
القَصَـائِدِ العَشْر



مصـــــر. . . .

بيـــن احتلاليـــن

[أكتوبـــر / تشرين أول / ١٩٥٤]

قَالوا الجلاءَ.. فقلتُ حلمُ خيالِ | لا تطْمَعوا في نيلِ الاستِقلالِ[١]
ليسَ الجلاءُ رحيلَ جيشٍ غاصبٍ | إنَّ الجـلاءَ تحـطم الأَغـلال
إنْ يتـركِ الوادي الـدخيلُ فـإننـا | نحيـا بمصـرَ فـريسةَ الإِذْلال
مـا كـانَ هـذا الأجنبيُّ ببـالـغٍ | في البطشِ مبلغَ سالمٍ وجمال[٢]

* . * . * . * . *

يا نيلُ إنَّ السيلَ قد بلغَ الـزُبى | وغـدتْ بلادُكَ دُميـة الأطفـال[٣]
الشعبُ مشـدودُ الإِسـارِ مُكمَّمٌ | يشكـو القيـودَ، وَمَا لَهُ مِن وال
ولقـدْ ظَننا أننـا في عهـدهمْ | سنـزيـحُ عنـا مُـرهِقَ الأَثقـال
حتى تكشَّفَ للبـلادِ خـداعُـهُم | هـيهـاتَ لـلظمـآنِ ريُّ الآل[٤]

---

(١) كان ذلك بعد عقد اتفاقية الجلاء عن قناة السويس وقبول شروط بريطانيا بعودة القوات البريطانية إليها إذا وقع اعتداء على تركيا وغيرها من حلفاء بريطانيا آنذاك.

(٢) جمال عبد الناصر، وصلاح سالم.

(٣) لأن البلاد كانت تمر بفترة مضطربة ووقعت فريسة لنزوات الضباط وصراعاتهم، (وبلغ السيل الزبى) مثل مشهور. الزبى: الرُّبى.

(٤) الآل: الســراب ويعبر عن خيبة أمل الشعب بهذه الثــورة.

طعنوا جَبَابـرةِ الكفاحِ وألصقـوا | عـارَ الخنُـونِ بجبهـةِ الأبـطال[1]
ورَموا بخنجرِ كيدِهِم مَن قَدمـوا | زهـرَ الشبابِ لمـذبحِ الآمـال
همْ أخرسوا الأصواتَ حتى أنَّها | بـاتَـتْ تُـكـتـم رنـةُ الإعــوال
همْ حطَّموا الأقلامَ . . . وما تركوا لنا | غيــرَ النفــاقِ بغيثِـهِ الـهُـطال
بثُّوا عيونَ البغي فينـا، واشترَوا | بعضَ النفـوسِ حقيـرةً بـالمـال
واشتدَّ لفحُ الرعبِ حتّى أَخْمدوا | حــريَّـةَ الآراءِ والأقــوال
وهوتْ منَابرُنا . . . فـرُبَّ صحيفةً | أدمتْ جنـوبَ عـدوِّنـا بنِصـال
كـانتْ أشـدَّ من السِّهـامِ مـرارةً | إنْ أرْهفَتْ أقـلامـهـا لنضـال
حتَّى إذا انـتـظمَ الكنـانـةَ غيهبٌ | قـامـتْ تكـشِّفُ لـيلَهُ بـمـقـال
فعـدا عليها الـظالمون وحـطَّمـوا | منها الصروحَ . . . وإنها لَغوال[2]

* . * . * . *

ما عدتِ يا أرضَ الكنانَةِ موطنـاً | للحرِّ . . . بل قد صِرْت دارَ نَكال
قَدْ حُورِبَ الأحـرارُ في أرزاقِهِمْ | من ظالمٍ في الظُّلمِ ليس يبالي
لا تَغضبي إنْ فـرَّ منكِ مهـاجـرٌ | حرٌ، عنِ الإقدامِ ليسَ بسال
مـا عادَ قـولُ الحقِّ غيرَ جـريمةٍ | تـأتي لكـلِّ مــواطـنٍ بــوبـال
عُـدْ يا جمـالُ بما تشـاءُ مُظفـراً | إنَّ الـطغـاةَ قـصيـرةُ الآجـالِ
واظلمْ كما تهوى . . فظُلمُكَ سائغٌ | لا تـستَـكـنْ لـبـوادِرِ الـزلـزالِ
وارمِ البـلادَ لكيْ تظلَّ تسـومنـا | خسفـاً، بمثلِ مكيـدةِ العمَّالِ[*]

---

(1) يقصـد بهم الفدائيين الذين أقضوا مضجع الانكليز في القناة وهم من الشباب المسلم الغيــور.

(2) غــوال : أي ثمينــة.

المحاكمات معروفة إذ تصدر الأحكام قبل الإتهـام.

وقتل مئات منهم تحت التعذيب.

(*) القلاقل التي أثارها العمال عقب صدور قرارات ٥ مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤، من إضرابات ومظاهرات تهدف إلى إبقاء جمال وعصابته في الحكم [الشاعر].

لم يعرفِ الباستيلُ يوماً بعضَ ما في سجنِكَ الحربيِّ مِنْ أهوالِ[1]
مَنْ كانَ يخشاهُ فمصرٌ قدْ غدت سجناً كبيراً مُحكمَ الأَقفال
ما أخْطَأتكَ رصاصةٌ من بُغضِنا إذْ أخطأتكَ رصاصةُ المُغتال[2]
فاغنمْ من اللَّذاتِ حظاً وافراً قدْ أذنتْ شمسٌ لكمْ بزوال
ومدى الحياةِ... وفي القبورِ.. عليكمُ
ستظلُّ تَهمي لَعنَةُ الأَجيال

* . * . * . * .

يا أيّها الشعبُ الذَّليلةُ روحُهُ هذا هوانُكَ مضربُ الأَمثال
فيمَ التطلُّعُ للكرامَةِ والعُلا هلْ تعرفُ الهيجاءَ ذاتُ حِجال[3]
في مصرَ والذلُّ الرهيبُ يلفُّها عِشنا.. ولكنْ ليسَ عيشَ رجال

* . * . * . * . *

(١) السجن الحربي : وهو السجن الذي جرت فيه أفظع صور التعذيب بمصر للإخوان المسلمين وغيرهم.
(٢) يشير إلى الرصاصات التي انطلقت ضد جمال عبد الناصر وجرت بعدها اعتقالات الإخوان المسلمين والتي أظهرت كثير من الحقائق أنها كانت مسرحية لإعدام قادة الإخوان وشبابهم (أنظر مذكرات حسن عشماوي) التي تنشر في مجلة روز اليوسف.
(٣) ذات الحجال : هي المرأة.

جـلاد الكنانـة (*)

[مارس – آذار – ١٩٥٥]

أنـزلْ بهـذا الشَّعبِ كـلَّ هـوانِ وأعـدْ عهـودَ الـرِّقِّ لـلأذهـانِ
واقتلْ بهِ ما استعطتَ كلَّ كرامةٍ وافـرضْ عليهِ شـريعةَ القُـرصانِ
أطلقْ زبـانيةَ الجحيمِ عليـهِ منْ بـوليسـكَ الحـربيِّ والأعـوانِ
واصنعْ بهِ ما شئتَ غيرَ مُحاسبٍ فـالقيدُ لم يُخلقْ لغيـرِ جبانِ

* . * . * . * . *

يـا باعثَ الـوادي أَمَـا من جنـةٍ لـلمتقيـنَ بجـانـبِ الـنيـرانِ؟
هـدَّمتَ صرحَ فسـادِهِ لكن على حـريَّـةِ الأرواحِ والأبدانِ !
مـا بين محكمـةٍ تُقـامُ، وأختُهـا مُني الضَّميـرُ بغفـوةِ النَّعسـانِ
الشعبُ يلعنُها، وتُقرنُ باسمه(*) أرأيتَ كيف تَبجـحُ البـهتـانِ ؟
فيها القضاةُ همُ الخصومُ، وإنها لـعـدالـةٌ مختلَّةُ الـميـزانِ[1]

* . * . * . * . *

هِبني خُـدعتُ بكـلِّ مـا زيفتَـهُ عَنْ سادةِ الأحزابِ والإخـوانِ[2]

(*) إشارة إلى تسميتها بمحكمة الشعب. [الشاعـر].

(١) لأن رجال الثورة هم الخصوم وهم القضاة، وأصبحت تلك المحاكمات معروفة إذ تصدر الأحكام قبل الإتهام.

(٢) وهي المؤامرة على الإخوان المسلمين التي ذهب ضحيتها عدد كبيـر من قادتهم وشبابهـم.

هلْ خانَ قائدُنا «نجيبٌ» عهدنـا   أمَ رَاْحَ نهبَ الحقـدِ والأضغـانِ
لمْ يـرضَ بالحُكم انفـراداً غادراً   بعـدَ العهودِ وبيعـةِ الـرِّضـوانِ[1]
أوَكُـلُّ شهمٍ لا يطيقُ خِـداعكم   أضحى لـديكمْ خائِنَ الأوطـانِ؟
إن الشهيـدَ قتيلَكمْ - وطريـدَكم   حـرٌّ. . . وليسَ سجينُكم بمُـدانِ
كـفِلوا لـكـلِّ مـواطنٍ حـريَّـةً   في الرأيِ . . . إنْ أثنى على الطغيانِ
مَنْ ذا الذي يخشى الكلامَ وهاهمُ   قَـدْ أطلَقـوا للزورِ كـلَّ لسـانِ
هـذي الصحـافـةُ حُـرةٌ أقـلامُهـا   في جـوفِ أربعـةٍ مِنَ الجـدرانِ
لم تخشَ بأسَ رقابةٍ - من بعد أن   ألقَـوا بهـا في ظلمـةِ القضبـانِ
أمـا الإذاعـةُ فهي بـوقُ دعـايـةٍ   عـادتْ بـداءِ الـوَقـرِ لـلآذانِ[2]
مُلئتْ بكـل مُخـدِّرٍ. . ومُضللٍ   مِنْ مـائعِ الأخبـارِ والألحـانِ

* . * . * . * . *

زعمـوهُ عهدَ تقـدُّمٍ نحـو العُـلا   جَعَلَ المواطنَ صـاحبَ السُّلطانِ
فعجبتُ كيفَ يـريدُ مجـدَ بلادِهِ   مَنْ راحَ يـطبَعُها على الخِـذلانِ
جلبوا الشقاءَ لنـا - فأيُّ نقيصـةٍ   لمْ تنتشـرْ يـومـاً بكـلِّ مكـانِ
وصفـوا الدواءَ لـرشوةٍ مـذمـومـةٍ   فـإذا بهـا أنكى مِنْ السَّـرطـانِ
وتَـظاهـروا بفَنـاءِ محسـوبيـةٍ   وشيـوعُهـا مـا احْتـاجَ للبـرهـانِ
ودعـوهُ عهـدَ تحـررٍ من قيـدِنـا   لبسـوا مسـوحـاً فيـهِ للرهبـانِ
فـرأيتُ شعبـاً مُستـذلاً صـاغـراً   نحـوَ السجونِ يُسـاقُ كالقـطعـانِ
يستعمـلُ الأشـرارُ في تعـذيبِـهِ   مـا فـاقَ كـلَّ وسـائلِ الشيـطانِ
الـرفقُ بـالحيـوانِ أصبـحَ واجبـاً   أفـلا ننـالُ الـرِّفقَ بـالإنسـانِ

---

(١) يقصد بذلك محمد نجيب الذي كان يريد الرجوع للحياة النيابية ولم يرض الانفراد بالحكم حيث كان عبد الناصر يحيك المؤامرات للانفراد به.

(٢) الوقـر : الثقل في السمع . وكانت الإذاعة وسيلة مهمة يعتمد عليها عبد الناصر للتأثير على الناس وتزييف الحقائق وإثارة المشاكل في البلاد العربية الأخرى.

قالوا: اقضاءُ عى الفوارقِ بيننا ... وإزالـةُ الألقـابِ مُقـتـرنـانِ
أيَّ الثمـارِ أصـابَ بعـد زوالِهـا ... مَن باتَ يجرعُ سابقَ الحِرمـانِ
قـدْ أُبدِلَ البـاشـا القـديمُ بسيِّدٍ ... والشعبُ بينهُما المريضُ العـاني
كم جائعٍ قـدْ خافَ جـلاداً لهُ ... فـأُسرَّ بـالشكـوى إلى عـريـانِ
ومعـذَّبٍ سمعَ الـدُّجى أنـاتِـهِ ... مُـتَـعَـلِّلاً بـالـصَّـبـرِ والإيـمـانِ
ماردَّ جوعاً... أوَ كسا عرياً بدا ... تحـديـدُهُمْ ملكيـةَ الأطيـانِ[1]
المـالُ قـدْ أفنوهُ كيْ يتظاهـروا ... بتتـابـعِ التشييـدِ والـعُمـرانِ
مـاذا أفـادَ النيـلُ مِنْ كـورنيشـهِ ... إنْ كـانَ يشكـو ذلَّـةً ويُعـاني
إنَّ السجينَ إذا ارتدى من سندسٍ ... في القيـدِ لا يـرتـاحُ للسجَّـانِ

* . * . * . *

شَغـلَ الكُمـاةُ الغُـرُّ كـلَّ وظيفـةً ... وتسلمـوا في النيـلِ كـلَّ عنـانِ
حتى كـأنَّ بمصـرَ كـلَّ كفـاءةٍ ... قَصرت على أبطالِها الفُرسانِ[2]
وأرى العــدوُّ ببـابنـا مُتـربصـاً ... ويكـادُ أنْ ينـقضَّ كـالعُـقبـانِ
كمْ شَنَّ عنـدَ حدودِنـا من غارةٍ ... قـدْ قُوبلتْ بـالصفـحِ والغُفـران
والجيشُ مشغـولٌ بإذلالِ الحمى ... هل خوضُ معـركتينِ بالإمكـانِ؟
يكفيهِ عرضُ الجندِ في حفلاتِـهِ ... والكشفُ عمن فيـهِ من شُجعانِ
لنْ ندركَ النصرَ المرادَ إذا التقى ... يـومـاً بـإسـرائيـلَ في ميـدانِ
أتـريـدُ من جيشٍ هـزيـلٍ قـادهُ ... «صاغٌ» دفاعـاً ساعـةَ العدوانِ[3]

* . * . * . * . *

جـلادَ مصرَ!! ويـا كبير بُغـاتِهـا ... مهـلاً ـ فـأيـامُ الخـلاصِ دواني

---

(١) المقصود بالأطيان : الأرض الصالحة للزراعة.

(٢) استغلال السلطة، وتقلد الضباط لكل المناصب السياسية والفنية مما أدى إلى تأخر البلاد وإشاعة الفوضى في كثير من القطاعات.

(٣) وتحقق ذلك سنة ١٩٥٦ م عندما احتلت إسرائيل سيناء ثم في سنة ١٩٦٧ م ، وماحل بالجيش من هزيمة منكرة.

من أيِّ غـابٍ قد أتيتَ بشـرعـةٍ ... ما إن يُساسُ بها سوى الحيوان
وبـأيِّ قانـونٍ حكمتَ فلمْ تـدعْ ... شيئـاً لـطاغيـةٍ مـدى الأزمـانِ
أبـرأيكُم ؟! واللهُ يـشهـدُ أنَّـهُ ... فيـهِ الهـوى والـغيُّ يَـلتقيـانِ
أمْ ذاكَ رأيُ الشعبِ وهـو مَكبَّلٌ ... فحيـاتُـهُ والمـوتُ يستـويـانِ؟!
قد باتَ مثلَ الزوجِ مخدوعاً متى ... يعلمْ فبعـدَ تحـدثِ الجيـرانِ
لو كانَ عهدُكَ قبل عهـدِ محمدٍ ... لَلُعِنْتَ يـا غـرعـونُ في القـرآنِ

* . * . * . * . *

في ظـلِّ فترةِ الانتقـالِ بنـا إلى ... دارِ الـبقـاءِ ورحـمـةِ الـديَّـان
هجرَ القضاءَ الحـرَّ مجلسُ دولةٍ ... قـدْ نـامَ مـلءَ العينِ والأجفـانِ
وأُضيـعَ دستـورُ البـلادِ وحقُّهـا ... في بـرلمـانٍ ثـابتِ الأركـانِ
نيـرونُ لـو قيستْ بكم أفعـالُـهُ ... سيكـونُ ربَّ الخيـرِ والإحسـانِ
يـا رُبَّ مغلوبٍ ينامُ على الأذى ... لـكنْ بـمقـلةٍ سـاهـرٍ يقـظانِ
لا يُغـرينَّكمُـوا بضـرب رقـابنـا ... هـذا الـسكـونُ فـإنَّـهُ لأوانِ
ومنَ العواصفِ ما يكونُ هبوبُهـا ... بعـدَ الهـدوءِ وراحـةِ الـرُّبـانِ
إنَّ احتدامَ النارِ في جوفِ الثرى ... أمـرٌ يُثيـرُ حَفيـظةَ الـبُـركـانِ
وتتـابُـعُ القـطراتِ ينـزلُ بعـده ... سيـلٌ يليـهِ تـدفقُ الـطوفـانِ[1]
كمْ من قـويٍ ظـالمٍ قَـدْ نـالَـه ... من شَعبِهِ ما ليسَ في الحُسبانِ
فتشتُ لمْ أرَ مستبـداً نـاجيـاً ... دَمـعُ الضحـايـا فـاحشُ الأثمـانِ
عرفَ «الشيشكلي» قبلكم في سوريا ... مـاذا وراءَ الـصمـتِ والإذعـانِ
فاروقُ لمْ يكنِ الخيالُ يـراهُ في ... يومِ الخروجِ يُجرُّ في الأحزانِ
مـا كـانَ فينـا حـالمٌ بنـزولـهِ ... عن عَـرشـهِ في لحـظةٍ وثـوانِ
لكنَّـهُ ظلمُ الـطغـاةِ شعـوبَهـا ... جعـلَ الحياة تـدبُّ في الجُثمان

(١) هذه الأبيات الثلاثة من (ومن العواصف) إلى هذا البيت من قصيدة (رسالة في ليلة التنفيذ بل هاتان القصيدتان قصيدة واحدة، ولكن لم يستطع الشاعر إذاعة إلا تلك الأبيـات.

في الربيـــع

[ابريـــل ــ نيســـان ــ ١٩٥٥]

ربيـــعٌ أظلَّتـــهُ العيـــونُ الســـودُ ... ومـاتَ لـهُ فـوقَ الشفـاهِ نشيـدُ
فـلا النيـلُ بسَّـامٌ بيـومِ ورودهِ ... ولا عيـدُه بينَ المصـائِب عيـدُ
بِنا من زُكامِ الرعبِ ما ليس عندهُ ... يُشـمُ نَسيـمٌ أو تُشـمُّ ورودُ
وعـادتْ أناشيـدُ البلابـلِ صرخـةً ... من الظُّلمِ في الوادي لها ترديدُ
وأصبحَ تحنـانُ الأغـاريـدِ آهـةً ... لكـلِّ بـريءٍ أثـقـلتـهُ قيـودُ
ذكـرتُ بمصفـرِّ الـورودِ مُعـذَّبـاً ... يُلاحقُهُ الإرهـاب وهـو طـريـدُ
وأحمـرُ من زهـرِ الـرياضِ كـأنـهُ ... على الأرضِ مخضوبُ الجراحِ شهيد
وسـاقيـةٌ بـاتتْ تئنُّ فخِلتُهـا ... لدى الليل ثكلى والفؤادُ عَميـدُ
بـدا ماؤُهـا ينسابُ حتى ظَنَنتُها ... على مصرَ بالدمعِ الهتـونِ تُجودُ
يـدورُ بهـا أعمى كليـلٌ كشعبِنـا ... يسيـرُ وفي الأعناقِ منه حـديـدُ

* . * . * . *

أخي إن في مصر المراجلَ جمةٌ ... تُـفجِّـرُ أسـوانٌ بـهـا ورشيـدُ
ونّدتْ عن الدلتا من الظلمِ صرخةٌ ... فـردَّهـا في أرضِ مصـرَ صعيـدُ
وحين بـدا أن التَّجبُّـر زائـلٌ ... وكـادتْ بهم أرضُ البـلادِ تَميـدُ
رمـونا بمـا قد دبَّـروا من مكيدةٍ ... لهـا بُذِلتْ تحتَ الـظلامِ جهودُ
وثارَ من العُمالِ كُـل أخي هوى ... لِتخـلُدَ فيـنـا للشـقـاءِ عهـودُ

إرادةُ شعبٍ قد أُذلتْ وحُطمِّت | كذلك نحيا: سادةٌ وعبيدُ

* . * . * . * . *

ألا ليتَ شعري هل نعيشنَّ مرةً | وليسَ لبطشِ الحاكمينَ وجودُ
وهلْ نُدركُ اليومَ الذي نرتقي به | ولمْ يَبدُ منا للطُّغاةِ سُجودُ
نريدُ لمصرَ العيش حراً - وانهُ | عن الشعبِ مُذْأَلِفَ الخضوع بعيد
ونأملُ أن نحيا بمنأى عنِ الأسى | فينزلُ من فيضِ الشقاءِ مَزيدُ
أفي مصرَ نحيا اليومَ أم في جهنمٍ | فقد نضجتْ منَّا الغداةَ جُلودُ
ثلاثةُ أعوامٍ رأينا خلالها | منَ الهولِ ما لا قدْ رأتهُ ثمودُ
وذقْنا من الإرهابِ ما لا يذوقُهُ | ولو مرَّةً عندَ الحدودِ يهودُ
ولو كانَ ذلٌ ينتهي لاحتَملتُهُ | ولكنَّهُ لمْ يَبدُ منهُ حدودُ
سقَينا هُمومنا الودادَ مُجبَّباً | فطالَعنا لؤمٌ لهم وجحودُ
سنغسِلُ عنا العارَ يوماً بغضبَةٍ | لها من دماءِ الثائرينَ وَقودُ

* . * . * . * . *

زفـــرة. . . . .

[أبريــل – نيســان – ١٩٥٥]

أنا يا أخي في النيلِ. . والظلمُ المخيِّمِ والجراحْ
في ظُلمةِ الإرهـابِ أحيا. . تحتَ تهـديـدِ السـلاحْ
مُتلهفـاً للفجرِ. . فجـرِ النـورِ. . أحلمُ بـالصبـاحْ
والشعبُ مجـروحُ الإباءِ. . . يُمضُّـه وخز الـرماحْ
دامي الفؤادِ من التعسُّفِ. .مـن جمـالٍ. .مـن صلاح[1]

* . * . * . *

أنا يا أخي في مصرَ أرسفُ في السلاسلِ والقيودْ
بـالنارِ يَحكُمني الـطغاةُ. . وبـالمشـانقِ والحـديـد
والغلِّ. . غلِّ الظالمينَ. . مضى يُطوِّقُ كـل جيد
لمْ نـرتضي هـذا الهـوانَ بنـا. . ولَسنـا بـالعبيـد
قد ضِقتُ ذرعاً يا أخي بالمجدِ، والعهدِ الجديد

* . * . * . *

أَأظـلُّ أمضي في الحيـاةِ بـلا لسـانٍ أو فـمٍ
أبكي على حُـريَّتي. . بـالـدمعِ يقـطرُ والـدمِ

---

(١) جمال : هو جمال عبد الناصر.
صــلاح : صلاح سالـم.

وأعيشُ عيشَ الذُّلِ.. عيشَ العبدِ.. عيش الأبكم
ألقى الهــوانَ وأنحـني.. لـلمُسـتبـدِّ الـمُجـرمِ
وأرى البــلادَ ذليلةٍ، وأقــولُ يــا مصــرُ اسـلمي
السيفُ في كفِّ الـطغـاةِ مُخضبٌ بــدمٍ مُــراقْ
ويقــابَلونَ إذا مشَــوا فيــنـا بمعمــولِ الـعنــاقْ
أمـا الصحـافـةُ فـالـذي كتَبتـهُ مَسمــوم المـذاق
أنـا يا أخي في لجـةِ التضليلِ أحيـا... والنِفاق
في مـوكبِ الـزورِ المُهين أسيـرُ مشـدودَ الـوثـاقْ

..*.*.*

إني كفرتُ بمصرَ.. بـالأهرامِ.. بـالنيلِ الحبيب
في أرضِ آبـائي أعيشُ وليتَ لي عزُّ الغـريبْ[1]
أصبحتُ من يومِ الخلاصِ أعيشُ في شكٍ مُريب
والشمسُ.. شمسُ عزيمةِ الأحرارِ تَجنَح للغروب
قـد لفَّها شَفقُ الـدماءِ، وحُمـرةُ الدمعِ الصَّبيب

..*.*.*

ســأظـلُّ أذكــرُ صـرخــةَ المحـزونِ والمستنجَــدِ
وهناكَ في فصلِ الشتــاء القرِّ.. حـولَ الموقـدِ[2]
أروي لأولادي الصغـارِ حـديثَ حكـمٍ أســودِ
مَـلأتْ مـرارتُــهُ فمي.. وطـوتْ سـلاسلُهُ يـدي
كيْ يـأمنوا بـطشـاً لـطاغٍ مُستبـدٍ في الغــدِ

(١) اعتاد الحكم إثارة القلاقل في الدولة العربية عن طريق الدسائس والمؤامرات والحرب الإذاعية ويؤدي هذا إلى مشاغبات وصراعات يخرج على أثرها كثير من الناس هاربين خوفاً من الاعتقال، وكانوا يجدون مأوى في ظل عبد الناصر فيمنحهم حق اللجوء السياسي، ويغدق عليهم الأموال ويستخدمهم للتآمر على شعوبهم وحكوماتهم.

(٢) القــر : البارد ـ البــرد.

جمـــال . . .

يعود من «باندونغ»

[مايـو ـ أيـار ـ ١٩٥٥]

قـومي!! علامَ تُهلِّلونَ عـلاما؟ ولمنْ نَصبتُم هـذهِ الأعـلامـا؟
ولأيِّ عيـدٍ قـدْ أقمتم مـوكبـاً أبصـرتُ فيـهِ حـرارةً وزِحـامـا
هلْ صارَ وادي النيلِ حُراً بعدَ أن عَـرَفَ الحياةَ تعسُّفاً وظـلاماً؟!
هـلْ عادَ دُستـورُ البـلادِ يُـظلِّهـا منْ بعدِ أنْ ذُقنا الأسى أعواما..؟
هـلْ قامَ مِنْ بعـدِ التجبُّرِ نـائبٌ في البرلمانِ يحاسبُ الحكامـا؟!
قدْ خلتُ[1] في دقِّ البشائرِ أنَّهم نـزعوا القيـودَ وحـرَّروا الأقـلامـا
وظننتُ أنَّ هتافَ مَنْ هتفوا على أنقـاضِ سجنٍ فـارقـوهُ حـطامـا
بَشَّرتموني بالخلاصِ.. ومَن يذُق مُـرَّ الحقيقـةِ يـألفُ الأحـلامـا
يـا أمـةً مُنيتْ بـأفـدحِ نكبـةٍ زادَتْ شـقـيَّ حَيـاتِـهـا آلامـا

*. *. *. *

مَنْ ذلـكَ الصنديـدُ ردَّدَتِ اسمهُ هـذي الألـوفُ وقلَّدتـهُ وِسـامـا؟
أَوَ ليسَ مَنْ فـاقَ الطغـاةَ ضراوةً وأحـلَّ مِنْ حُـرِّ الـدِّمـاءِ حـرامـا

---

(١) خلـت : ظننت .

أَوَ ليسَ من صبِّ البلاءَ مُضاعفاً ... وأثـارَ للرعبِ البغيضِ قَتـامـا[1]

أَوَ ليسَ مُنكرَ كـلِّ حقٍ حـولَـهُ ... ولـو استـطاعَ لأنكـرَ الإِسـلامـا؟

قـد كانَ أَولى بـالبـلادِ لـو أنهـا ... مِنْ حُزنِها خَفَضَتْ لذاك الهامـا

هلْ عادَ منْ باندونجَ يا قومي سوى ... مَن ســامَنـا الإذلالَ والإِيــلامــا

قد راحَ يُعلنُ في المجامعِ رأيَهُ ... ويخطُّ للسِّلمِ المضـاعِ نِـظامـا

ويصيحُ مِنْ فوقِ المنـابرِ صيحـةً ... لمْ تَعُدُ يوماً أنْ تكونَ.. كـلاما

أَيـريدُ أمنَ النـاسِ مَنْ في أرضِهِ ... مـا شاءَ عـدلاً. أو أقامَ سـلامـا

عجباً لتِلكَ صفاقةً... بقيودِنـا ... عَلمَ الجميـعُ ولمْ يـزَلْ يَتعـامى

الكلُّ يعرِفُ ما بنا... فإلى متى ... يُخفونَ وجهاً في الرمالِ. نَعاما[2]

*. *. *. *

«نِهـرو» رعـاكَ اللهُ ثـائِـرَ أمَّـةٍ ... أجَلَستَ في صفِّ الرجالِ غُلاما[3]

هـوَّنتَ مِنْ شأنِ البـطولةِ حينمـا ... أنــزلتَـهُ للمـخلصـينَ مَـقـامـا

قد كانَ مؤتمـراً يضمُّ مَنْ ابتَغوا ... ببـلادِهِمْ خيراً... يضمُّ كِـرامـا

فبـأيِّ حقٍ قـدْ دَعـوتَ إليـهِ مَنْ ... لمْ يـرعَ للشعبِ الكريمِ ذِمـامـا

*. *. *. *. *

مـا ذقتِ يـا مصـر التَّحـررَ مـرةً ... أعليـكِ قدْ كـانَ العذابُ لِـزامـا

النيـلُ يشكو. والقلوبُ مَـراجلٌ ... والشعبُ ممتلىءُ النفوسِ ضرامـا

والسجنُ يَفغَــرُ فـاهُ لاستقبـالنـا ... والسـوطُ فوقَ ظهـورنـا أحكـامـا

هوَ لعنةٌ نزلَتْ على قومي.. وما ... زالـوا على رغمِ الهـوانِ نيـامـا

أُعفيـهِ مِنْ كـلِّ المــلامِ فـإنَّـهُ ... ذئبٌ رأى في جــوعِـهِ أَغنـامـا

---

(١) القتـام : الغبـار.

(٢) أي يخفون وجوههم كالنعامــة.

(٣) لم يكن نهرو أقل من عبد الناصر ظلماً وطغياناً حيث ذاق المسلمون على يديه الأمرين في الهند، ولكن شاعرنا لم يكن لديه ذلك الوعي السياسي ليدرك ارتباط الطواغيت ببعضهم.

مـع الثـورة

في ربقـة القيـد

[أغسطـس ـ آب ـ ١٩٥٥]

هو الظلمُ يا ابنَ النيلِ بالنيلِ نازلٌ ... تمـرُّ بكَ الأعـوامُ والليلُ شـاملُ
صباحُكَ ديجورٌ. . وحقُّكَ ضائعٌ ... وعهُدكَ مخفورٌ فما أنتَ فاعـلُ؟
عَهِدَتُكَ لا تستعذبُ الضيم مَشربا ... وإنْ أُحكِمتْ حولَ اليدينِ السلاسلُ
اضـرَّ بك الكيـدُ المدبَّـرُ والأذى ... ونـاءَ بمـا حُمِّلتُـهُ اليـومَ كـاهِـلُ
خــداعٌ ومكــر واعتــداءٌ وفتنــةٌ ... تموجُ بها أرضٌ، ويطفحُ ساحلُ
أرى كـلَّ يـومٍ للطُّغــاةِ مكيـدةً ... فلا الحقُّ موضوعٌ ولا الجوزُ زائلُ
سجونٌ قد اكتظتْ بمن نزلوا بها ... ومعتقــلاتٌ أفعمتهـا الجَحـافـلُ
وقد نُصبتْ فوقَ الرؤوسِ مشانقٌ ... لمنْ يبتغي دفعـاً لهم أو يُحاولُ
يقـولونَ: عهـدُ الانتقـالِ ورفعـةٌ ... سيعقُبُهُ حُكمٌ من الشعبِ كامـلُ
لئنْ كان حقاً ما يُقالُ. . فما لهمْ ... على غير ما قالوا تدلُ الدلائلُ؟[1]
مهـازلُ ما زلنـا نُقاسي جَحيمهـا ... وقـد كَثُرتْ فيمـا أتـوهُ المهـازلُ
بِلا أي قانونٍ سوى شِرعةِ الهوى ... نسيـرُ ولا تنفكُّ تتـرى الغـوائـلُ

---

(١) هكذا ادعى عبد الناصر ورجال الجيش، حتى استبد بالحكم إلى أن قبضه الله إليه، وهكذا يدعي كل من ينجح في تدبيـر انقلاب لاستلام السلطـة.

وأنى مشَوا في كلِّ وادٍ. . . فحولُهم ... يُصفِّقُ مأجورٌ ويهتِف جاهلُ
عليهمْ سياجُ الجندِ يُضربُ. . إنهم ... يُؤرِّقهم طيفٌ من الخوفِ ماثلُ
فلا يأمنِ البطشَ المدبَّرَ جائرٌ ... وليسَ يخافُ الناسَ إن سار عادلُ
فكيف ولمْ يُغضِ الجفونَ على القذى ... أخو ترةٍ أودي بأهليهِ قاتلُ[1]
ولا مصرَ قَدْ نامت على ما أصابَها ... ولا الشعبُ قد شُلَّتْ لديهِ الأنامل
ولا هُمْ عن الغيِّ الذي عمَّ أقصروا ... فيسكتُ موتورٌ ويهدأُ ثاكلُ
فلا يستطيعُ الجيشُ كبحَ جماحها ... يدكُّ لديها حصنَهمْ والمعاقلُ
كأني بهذا الشعبِ قد ثارَ ثورةً ... وليست على الإخمادِ تقوى القنابلُ[2]
سيُعلنها الناقوسُ يوماً. . وعندَها ... يُحسُّ أخو نومٍ ويشعُرُ ذاهِلُ[3]
فلا عهدُهمْ قد كانَ خيراً كما أدعوا ... ولا عَذُبتْ عندَ الورودِ المناهلُ[4]
فذلكَ عهدٌ بالهوانِ مُسمَّمٌ ... وذلك حكمٌ بالإساءاتِ حافلُ
وما بينهم ـ لو يصدقُ الظنُّ فيهمُ ـ ... وبينَ الرَّدى إلا ليالٍ قلائِلُ
أما قدْ تداعتْ وحدةٌ عربيةٌ ... ولمْ يبدُ في الحلفِ الثلاثيِ طائلُ[5]
سلِ القومَ بالسودانِ. . أين نداؤهم ... بوحدةِ وادي النيل. . فالخطبُ هائلُ
وأين الذي قد راحَ يرقصُ عندَهم ... وِداداً قد التَّفَّتْ عليهِ القبائلُ؟[6]
على دبلوماسيِّ العروبةِ رحمةٌ ... فقدْ لفظَتهُ كالنواةِ المحافلُ
لئنْ أسكتونا بالمشانقِ مرةً ... وبالسجنِ أخرى ـ ليسَ ينطقُ قائلُ
فَمن مُسْكتُ السودانِ؟ أو منْ يسومُه ... من القومِ خسفاً كالذي هو حاصلُ

---

(١) أخو ترة : صاحب الثأر الذي قتل له قتيل.
(٢) تقوى : تستطيع.
(٣) الذاهل عن الشيء: الغافل والناسي له.
(٤) الورود: الحضور، المناهل: جمع منهل وهو النبع.
(٥) يقصد بذلك وحدة مصر والسودان.
(٦) يقصد به الصاغ صلاح سالم.

ولستُ أرى السودانَ لقمةَ جائعٍ كمصرَ التي ساغتْ لمنْ هو آكلُ
أكانوا أرادوهُ احتلالاً مقنعاً عليه من الودِّ الرخيصِ غلائلُ
فهيهاتَ - ما كلُّ البلادِ كنانةٌ ولا شعبُهمْ كالشعبِ في مصرَ غافلُ

* . * . * . *

سقوط ركن من أركان الطغيان

الصاغ صلاح سالم

[سبتمبـر ــ أيلول ــ ١٩٥٤]

أبى اللهُ إلا أن تُــذلَّ وتخضعـا ... وشـاءَ لركنِ البغيِ أنَ يَتصـدَّعـا

ويا طولَ ما أوَجَعت في مصر آمناً ... فبِتْ مثلَ مَنْ قَدْ باتَ بالأمس موجعاً

وفارقتَ دستَ الحكمِ والأنفُ راغمٌ ... فمُتْ بالأسى أو عِشْ ذليلاً مُضيَّعاً

هو الكأسُ قد ذُقناهُ فاشربه علقماً ... وُعُـدْ بمريـرِ الخزيِ منـا مُشيَّعاً

هوى غيرَ مأسوفٍ عليهِ ـ فلم يدَعْ ... بــأيِّ فؤادٍ للتــرُّحُمِ مَــوضعــا

وكانَ سقوطُ الفردِ مَصدر فـرحةٍ ... فكيفَ يكونُ الأمرُ لوْ سقطوا معاً؟

تَخذتُم مِن الجندِ الكثيفِ حصونَكم ... وكانتْ قلوبُ الشعبِ أقوى وأمنعا

وشاركتَ في نشرِ الـظلامِ فَتَبني ... أما كانَ حكمُ النورِ أجدى وأنفعا

وَثَبتُم . . فقلنا: وثبةُ الحقِّ والهدى ... فكنتمْ وبـالاً مـا أشـدَّ وأفـظعــا

وجُــرتمْ علينـا مــرةً بعـدَ مــرةٍ ... وجرعتمونا الكأسَ بالهونِ مُتـرعا

أَدَرْتُم جهازَ الحكمِ وفقَ هواكُمُ ... ولمْ تَـرتضوا منّـا سواكم مُشـرِّعا

ومالتْ بكمْ فُلكُ السياسـةِ بَينما ... أشارَ أخو رأيٍ فلمْ يلقَ مَسمَعا

أرى مصرَ والسودانَ مِنْ بعدِ وحدةٍ ... تفـرَّقَ مِنْ شمليهمـا مـا تجمَّعـا

فعدوانكم قد ألبسَ النيـلَ فرقـةً ... وأسخـطتمـوا مِنـهُ مَصبـا ومَنبعـا

ومـا نالَ أقـطارَ العروبـةِ غيرَ أنْ ... تقـطَّع مِن ميثـاقِهم مـا تقـطَّعــا

تقاضيتمـوا منّـا جزاءَ وثـوقِنـا   بِكم يـومَ أنْ جِئتُمْ دماءً وأَدْمعـا
وأشعلتمـوا نـاراً رأينـا لهيبَهـا   رعى من بني مصرَ العزيزةِ ما رعى
وقدْ فرغتْ منـا . . فأنتم وقـودُها   ولا بُدَّ أنْ يَلقى أخو البغيِ مَصرعا

* . * . *

ذكريات عام ضائع

[أبريل - نيسان - ١٩٥٦]

خيالٌ تمرُّ عليهِ الصورْ   يعيدُ مِنَ الدهرِ ما قدْ عبرْ
ويضربُ في لججِ الذكريات   فترجعُ ماثلةً للنَّظَر
تصوِّرُها عينُه حيَّةً   كَأَنَّ عهودي بها لمْ تمرْ
ويحملُني اليومَ عبرَ السنين   لماضٍ بأحداثِهِ قد ذَخرْ
أطالعُ في سِفْرِ أيامِهِ   حياتي وأنقلُ فيها البصرْ
حياةٌ بأيّامها ما يسوءُ   على أنَّ في بعضِها ما يُسرْ

* . * . * . *

سُقيتُ الهزيمةَ منْ كفِّها   وذقتُ بها نشوةَ المُنتَصِرْ
ومرَّ بيَ اليأسُ مثلَ الظَّلام   وأَذْنتْ ليَ الأمَلَ المُزدَهر
بلوتُ بها خُلقَ الأصدقاء   فكمْ كنتُ مستخلصاً للعِبَرْ
وما خنتُ عهداً لمنْ قدْ وفى   ولا صُنتُ وداً لمن قد غَدَرْ
وقد يُبعِدُ الدهرُ عني الصديقَ   وتنأى بهِ الدارُ والمستَقَر
فأَذْكُرُ أيامَنا في الصِّبا   وأذكرُ أعوامنا في الصِّغرْ
وأحلامَنا في هدوءِ الحياةِ   وآمالَنا في الشبابِ النَّضِرْ
مُنىً لو نظرتُ إلى حاضري   لألفيتُها زهرةً تَنتَثِرْ

* . * . * . *

عـرَفـتْ الـليـالـي وإقبَـالـهـا وجُـرِّعتُ إدبـارَهـا كـالصَّبـرْ
وعشتُ بهـا حَـطَبـاً للهـمـوم وقـضيتُهـا في شهـيِّ السَّمـرْ
خبرتُ الأسى كيفَ يُدمي القلوبَ ويعصِـرُهـا قبـلَ أنْ يَنحسـرْ
تجـاريبُ مـا أدركتْهـا الشيـوخُ مـررتُ بهـا في ربيـعِ العُمُـرْ
ليالي الكفاحِ ، أمـا قد شهـدتِ فتىً لا يـدبُّ إليـهِ الـخَـوَرْ
يـهـمٌّ فـلا يَـنـثـني لـلوعـيـد ولمْ تُغنِ يـومـاً لـديـهِ النُّذرْ
ويؤمِنْ بـالـرأيِ حـراً يُـذاعُ وإنْ كـانَ فيـهِ ولـوجُ الخـطرْ
أمـا تـذكـريـنَ لـهُ وقـفـةً تحـدي بهـا الجـورَ في المؤتمرْ
فلمْ تـكُ منـهُ سـوى صيحـةٍ وكـانَ صـداهـا انـدلاعُ الشَّـررْ

*. *. *. *

مَنِ الفتيـةُ الصيـدُ شقَّ الفضـاء هتـافٌ لهمْ قـد عـلا وانتشـرْ
غضـابٌ وقـدْ رضيَتْ مَصـرعـا أتـى الـمـسـتـدُّ بـهِ أو أَمَـرْ
وأيَقـظَهُمْ مـا أنـامَ الـجميـعَ من الـظلمِ في ليلهِ المعتَكـر
هيَ الثـورةُ اندلعتْ في العـرينِ وبـركـانُهـا احتـدَّ ثمَّ انفَجَـرْ
وإنَّ الـعقـابَ أثـارَ الـغضـابَ كـزيتٍ على لـهبٍ ينهمـر(١)

*. *. *. *

ويـا ليلةً في الشتـاءِ الكئيبِ عـوى ريحُهـا فـاستقرَّ الشجـرْ
شَـدتْ أمُّ كلثـومَ في حَـفلهـا وهـزَّ الـخـليَّ رنـينُ الـوَتـرْ
ونـمـتُ عـلى نـغـمٍ حـالـمٍ فـأيقَظني صـوتُ شيخِ الخَفَرْ
أتى يـطرقُ البـابَ في لهـفـةٍ فـأحسستُ بـالخـطرِ المنتـظرْ
ومـا كنتُ لـولا سجـونٌ طغى بهـا البطشُ في قسوةٍ بل فُجُـرْ
بِـمُـغـتـِنِـمٍ فـرصـةً لـلفـرارِ فـأغفي الجفونَ إذا قيـلَ فَـرْ
ولـكنَّـهـا الـنـارُ ذاتُ الـوَقَـودِ من الجـورِ لـواحـةٌ لـلبشـرْ

---

(١) يشيـر الشاعر إلى ثورته على الظلم والقيود في المعهد الديني، مما أدى إلى إبعاده.

نجوتُ بنفسيَ من شرِّها   فلستُ أرى بعد أَنْ أنتَحرْ
خرجتُ وجلبابُ نومي يذيقُ   عظامي من البردِ لذعَ الإبرْ
وما هدأ القلبُ حتى نعمتُ   بدفءِ الفراشِ وأَمْنِ المَقرْ
فلمْ أدرِ، والسهدُ داءُ المَطاردِ   هلْ طالَ بي الليلُ أمْ قَدْ قصُر
ودلَّ على الفجرِ لألاؤهُ   فأصبحتُ في قلقٍ مُسْتمرْ
أسائِلُ نفسي عن الصحبِ كيفَ   قَضوا ليلَهم في رَطيبِ الجُدُرْ
إلى أينَ سِيقوا، وهلْ يَرجعونْ   أم الظُّلمُ يُلقي بهمْ في سَقَرْ
مَصيرٌ يُحيطُ بمجهولِهِ   عذابُ زبانيةٍ مُبتكَرْ

* . * . * . * . *

وفتيانُ صدقٍ بإيمانِهم   حقائبُ قدْ أُولعتْ بالسَّفرْ
تَنادوا ببذلِ أشقِّ الجهودْ   لرفعِ القرارِ الذي قدْ صدرْ[1]
وما هو هزلٌ.. ولكنَّهُ   فناءٌ... ومستقبلٌ يَحتَضرْ
تراهمْ وعاصمةَ النيلِ قدْ   تراختْ ضحىً بعدَ طولِ السَّهر
يسيرونَ في يدهِمْ للولاة   مذكرةٌ لمْ تدعْ أو تَذرْ[2]
فَسَلْ رمضانَ الكسولَ الخمول   عن السعيِ في قيظهِ المُستسعِر

* . * . * . * . *

يُدمِّرُنا عطشٌ قاتلٌ   وإنَّا لَهُ لكرامٌ صُبرُ
إدارتُنا مروةٌ والصَّفا   وزيرٌ إلى عونِهِ نفتقرْ
نهرولُ بينَهما في الهجير   بما زادَ عن سَبعِهِ المُعتمرْ[3]
ونسألُ في الأمرِ مَنْ يستجيب   ومن خدُّهُ كَلِفٌ بالصَّعَرْ

---

(١) يشير إلى مطالبة زملائه وأصدقائه باعادته إلى المعهد.

(٢) إشارة إلى المذكرة المقدمة من الطلبة إلى المسؤولين بشأن عودة الشاعد إلى المعهد.،

(٣) إشارة إلى السعي بين الصفا والمروة أثناء العمرة والحج وما ترمز إليه من طاعة الله والبحث عن ماء الحياة، وهنا يصور كثرة ترددهم على المسؤولين والوزير بشأن فصل الشاعر من المعهد.

نـروحُ ونـغـدو وأجـسـادُنـا تـنـوءُ بـعـبئـيـنِ صـومٌ وحَـرّ
ونـشـهـدُ تـقـويضَ آمـالِـنـا فـلا يُضعِفُ الجَهدَ منا الضجر

*. *. *. *

زقـاقُ السبـاعيِّ كمْ فيـكَ مِنْ لـيـالٍ لـنـا طـيـبـاتُ الـثَّـمـرْ
حَملنا لكِ الـذكرياتِ العـذاب يَـمـرُّ الـزمـانُ ولا تَـنـدَثـرْ
أتـذكـرُ عـزةَ شهـرِ الصِّيـام ونـحـنُ بِـهِ غـربـاءُ الأسـرْ
تـضـاعفُ أشجـانَنـا فـرحـةٌ لمنْ حـولنا بـالهـلالِ الأغـرْ
ولـيس الـشجيُّ كَـمَـنْ قـلبُـهُ خليٌّ ولا الصفـوُ مثلُ الكَـدَرْ
فَمِنا الـذي قـد دعـاهُ الخـلاق فصامَ، ومِنا الـذي قَـدْ فـطرْ
أتـذكـرُ إفـطارنـا إذ أُعـدَّ على سرعةٍ من شهيٍّ الخُضَـرْ
تَـضُـمُّ بـأفـواهِـنـا بـارداً إلى سـاخنٍ لا نخافُ الضـرَّر
ومـا زادَ نُبقيـهِ حتى السُّحـور فنـأكـلُ مِنْ قـوتِنا المُـدَّخـرْ
وإن ضاقَ بالفـولِ جوفُ الـوعاء فـآنـيـةُ الـشـايِ لا تَـعـتـذرْ
وخبـزُ الـرِّفـاقِ لـذيـذ المَـذاق أَتـيـنـا عـليـهِ بـيـومٍ عَـسِـرْ
ومـطَـبَـخُـهُـم كـامِـلٌ عـامِـرٌ ومسكَنُهُم حـافـلٌ بـالسُّـرُرْ[1]
وربَّ مُـذكـرةٍ قـد سَـهـرتُ أُدبِّـجُ أَشـطُرهـا في السَّـحَـرْ
وتـأبـى صحـافَـتُـنـا أنْ تـمـدَّ يَـديهـا وتؤثِـرُ فينا الحـذَرْ[2]
ونـذهـبُ نحمِلُهـا في الصَّبـاحِ لأشيـاخِنـا والـجهـتِ الأُخـذر
وضـجُّ الثَـرى تحتَ أقـدامِنـا من السَّيـرِ حتى احتوانـا النَّهرْ
ورُحنـا إلى النيـلِ نَبغي العـزاءَ على زورقٍ حـالمٍ قـد عَـبـرْ
نَـبُـثُ أبـا مـصـرَ مـا نـالَـنـا فيُبـدي حنـانَ الـرَّحيم الأَبـرّ

---

(١) السـرر: جمـع سرير.
(٢) يشيـر إلى سكوت الصحافة وعدم تحدثها عن مشكلة الطلبة المفصولين وكان ذلك خوفاً من السلطـة.

ونُلقي إليهِ بكلِّ الأسى فيغرقُ في مَائِهِ المُنحدرْ
ويبعثُ آمالَنا في الصدور كأن لمْ تُبكرْ إليها الغِير
وأنشدتُهُ الشِّعرَ في الظالمين مريراً فما باحَ يوماً بسرْ

* . * . * . *

كذاكَ وقد ضيَّعوا عامنا يضيعُ بأوطانِهِ كلُّ حر
وعدْنا فوا عجباً للزمان ببسمتِهِ جرْمُهُ يُغتفر
وقد تُشرِقُ الشمسُ بعدَ الغمام ويعتدلُ الجوُّ بعدَ المطر[1]

* . * . * . * . *

---

(١) هذه القصيدة تدل دلالة واضحة أن الشاعر تعرض للفصل من معهد الزقازيق في عهد عبد الناصر وظل كذلك حتى عام ١٩٥٦، بينما أدعى محمد كامل حته في الديوان الذي نشره باسم الشاعر أن فصل الشاعر من المعهد كان في زمن فاروق، وأن الثورة أعادته.
وكذلك تؤكد مذكراته ما جاء في هذه القصيدة، وكانت عودته بعد اتصال الشاعر بالوزير كمال الدين حسين آنذاك وهذه القصيدة التي ضمها إلى ديوانه [جراح مصر] كانت تصويراً لجانب من جوانب الظلم، مع العلم أن هذا الديوان ـ ذا القصائد العشر ـ كان الشاعر قد أخفاه عن الأنظار ولم يعرف به إلا المقربون.

جمــال. . . رئيس الجمهورية

[يوليـه ـ تمـوز ـ ١٩٥٦]

لا مصرُ داري. . ولا هذي الربا بلدي ... إني من الحقِّ فيها قد نفضتُ يدي

أمسي نفـاقٌ، ويومي مِلؤهُ كذِبٌ ... فما أؤمِّلُ من خيرٍ صباحَ غـدي

قد أغمضَ القومُ أجفـاناً مُقـرَّحةً ... على الهوانِ، وإن كانوا ذوي عدد

شعبٌ تلذُّ لـهُ أسيـافُ قـاتِـلِه ... حُمراً، وتُطربُه ترنيمـةُ الصَّفَدِ[١]

وقــدْ أراهُ وسـوطُ الـذلِّ يُلهِّبُـه ... فلا يُحسُّ، ولا يَرثى لمضـطهِدِ

* . * . * *

وقـالَ جـلادُه يـوماً. . يـداعِبُـه ... اخترْ رئيسَكَ لا ترَهبْ أذى أحد

رِئاستي إن تُردها أنتَ كانَ بهـا ... ولا سـوايَ لها إن أنتَ لمْ تُـرد

وسيقَ قـومي إلى تأييـدِ سيـدهمْ ... يلفُّ أعنـاقَهمْ حبـلٌ من المَسَـد

كأنَّهُ لم يَلِغْ[٢] بالأمسِ في دمهم ... بلا قصاصٍ. . بلا ثأرٍ. . بلا قَودِ[٣]

ولَمْ يَرَ النيلَ شطَّيْ حسرةٍ وأسى ... ظمآنَ للنورِ يُعطي الماءَ وهو صدي!!

* . * . * . * . *

وقائلٌ ليَ ـ ينهـاني وينصحُني: ... السجنُ باتَ قريبـاً منكَ فـابتعِدِ

---

(١) ترنيمـة : الصفـد: صوت القيـد.

(٢) يلـغ : من ولغ يلغ وهي بمعنى شرب، والمقصود هنا سفك الدماء.

(٣) القَودَ : القصاص.

إنْ كنتَ ذا شَمَمٍ في معشرٍ جنحوا   للذلّ فاجنحْ له . . تَركنْ إلى رَشد
فقلتُ : فكري ، إحساسي . . . أأقتُله؟   هذا الذي لَمْ يَدُرْ ياقومُ في خلدي
لنْ يحبِسوا الروحَ عن سحرِ انطلاقتها   إنْ يسجنوني . . ولنْ يشقى سوى جسدي
نطقتُ بالشعرِ آلاماً . . . مُصوَّرةً   وعدتُ أضربُ في يأسٍ يداً بيد

* . * . * . *

نــواب الأمــة

[يوليو ـ تمــوز ـ ١٩٥٧]

ها همْ كما تهوى ـ فحرِّكهمْ ـ دُمى　　لا يفتحـونَ بغيرِ مـا تهوى فمـا
إنــا لنعلمُ أنَّهـمْ قــد جُمِّـعــوا　　ليُصفقــوا إنْ شئتَ أنْ تتكلمــا
وهمُ الذين إذا صَببتَ لنا الأسى　　هَتفـوا بأنْ تحيـا لمصرَ وتسلمـا
لمْ تلقَ خيــراً منهمُ ليشــرِّعــوا　　مـا تشتهَي، ويُكبروا لـكَ كُلما
قدْ كنتَ مكشوفَ النـوايا فـاتخذْ　　منهمْ لتحقيقِ المـطامعِ سُلَّمــا
وسطوتَ قبلَ اليومِ تحذرُ لائمـاً　　فـالآنَ تَسـطو لا تخــافُ اللُّومـا

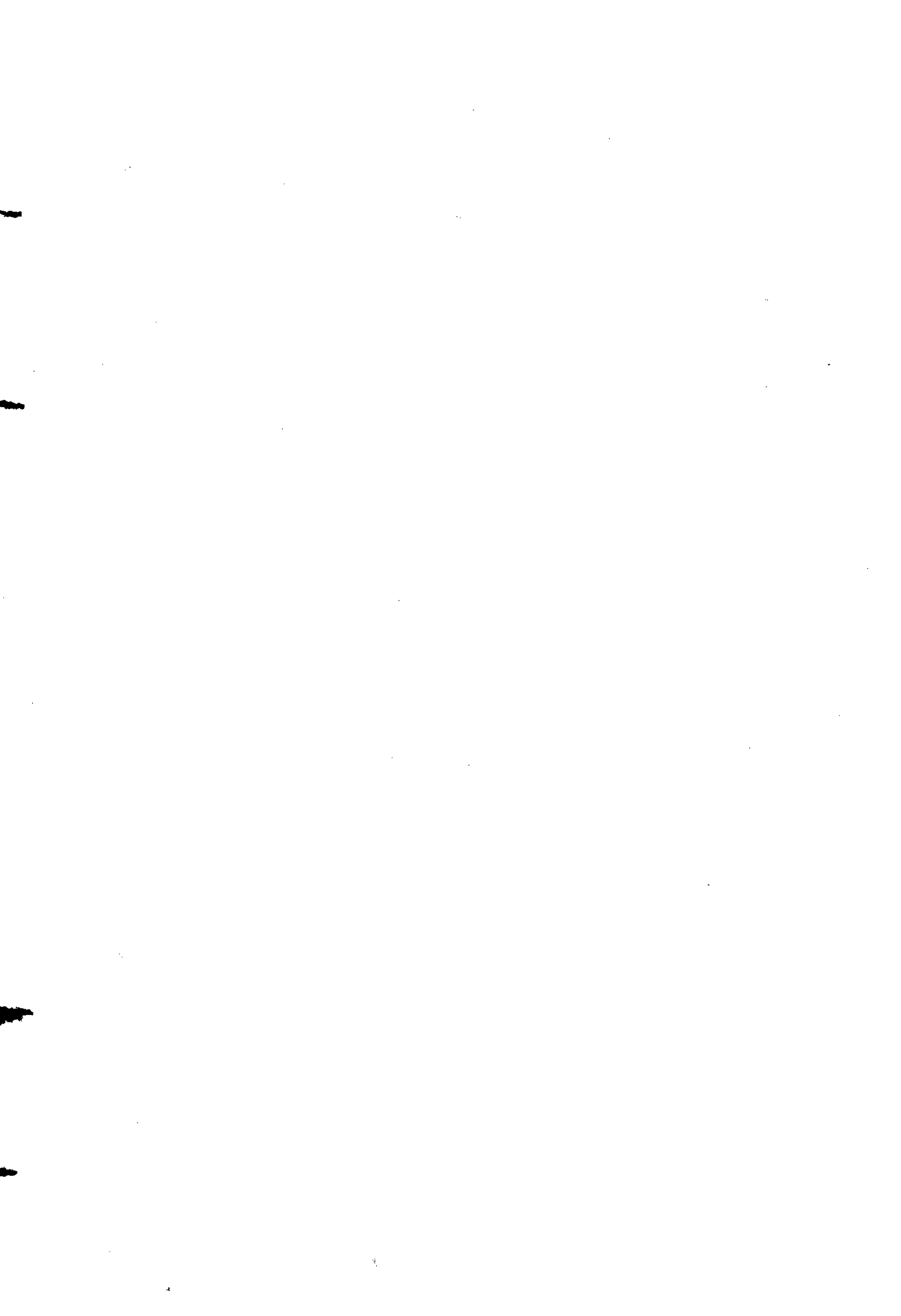
* . * . * . * . *

أيُّ الشيـاطينِ احتباكَ فكنَتَ في　　إحكـامِ تـدبيرِ المكيـدةِ مُلهمـا
كمْ روَّعتنــا لا يجـيء بمـثلِهــا　　بشـرٌ، وجئتَ بها خِـداعاً مُبرما
كلِمـاتُـكَ الجـوفـاء كـان طَنينُهـا　　صرخاتِ ذئبٍ في إهابكَ قد نما
تنســابُ في آذانِنــا مـعســولــةً　　وإذا جلاها الذوقُ كانتْ عُلقمـا
وظللتَ تنسـجُ جنـةً من أحـرفٍ　　للشعبِ. . يلمسُها الغداةَ جهنما
غــرَّرتنا يــومَ القنـالِ وكنتَ لا　　تنفـكُّ ـ إن ذُكر العِـدا مُتهكمـا
وَدعــوتنــا لنـقيـمَ مجلس أمــةٍ　　حـرٍ. . فصـدقنـا وقلنـا. . ربَّمـا
فـأبيتَ إلا أن تكـونَ كعهــدنـا　　بكَ في النُّعومةِ والضراوةِ أَرَقما[1]
وفجَعَتَ أمتنـا بمجلسِهـا الــذي　　سُقتمْ إليــهِ «مـوافقينَ» ونُــوّمـا

---

(١) الأرقــم : الثعبــان.

مُتفَرّقاتٌ وَصُوَرٌ منَ الطّفولةِ والصِّبَا



أحـــزان (*)

[ليس هناك أليــق بهذه القطعـة إلا هذا العنوان. . فهي في الواقع أحزان. . وأيــة أحــزان] .

عيـدٌ بأيَّـةِ حالٍ عـدتَ يـا عيـدُ بما مضي أمْ لأمرٍ فيكَ تجديدُ[1]

أتيتَ للنَّــاسِ لا لي إنّني تَعِسٌ قَستْ عليهِ صروفُ الدهرِ يـاعيدُ

وكيفَ أفرحُ والأحداثُ قد تركتْ بالقلبِ حزن وبالعينين تسهيد[2]

قدْ كنتُ أفرحُ يومَ العيدِ منْ زمنٍ واليـومَ لا فـرحٌ فـالحظُّ منكـودُ

اليومَ أبكي لخطبٍ قد مُنيتُ بهِ والجسْم صارَ من الأحزانِ مجهودُ

مـالي وللعيدِ هيَّـا يـا زمـانُ بِنَـا فـالعيدُ ليس لأقـوامٍ منـاكيـدُ[3]

أسـرعْ وإنِّي سأحْدو كيْ يمرَّ بنا عـامُ فأنجـحَ كيْ تشدو أغـاريـدُ

إذْ ذاكَ أمـرحُ والأفراحُ تغمُـرني هـذا هـو العيـدُ حقـاً إنَّـه عيـدُ

* . * . * . *

(*) يبدو أن الأبيات في أواخر ١٩٤٨ .

(١) واضح من هذا المطلع تأثر شاعرنا بالمتنبي ومحاولة تقليده حيث ابتدأ بيت له وهناك مجموعة مختارات للشاعر من شعر المتنبي .

(٢) وقع الشاعر بخطأ بالإعراب يقتضي نصب حزن وتسهيـــد .

(٣) يقتضي السياق كسر مناكيد. واخطأ الشاعر في تلك الفترة المبكرة من عمره.

ملل وضجـــر

[هذه أبيات كتبتها في أيام.... أيام لا أرجعها الله من سفر]

مَـلَلْت الحـيـاةَ أيـا صـاحبيَّ   كـأنيَّ نـزلتُ خـريفَ العُـمُـر
وكـيـفَ يـودُّ الـحـيـاةَ امـرؤٌ   مهيضُ الجنـاحِ طـريـدُ القَـدرْ

ومنهـــا:

عجبتُ لقـومٍ يـرونَ القضـا   ءَ ذُنـوبـاً كـبـائـرَ لا تُغـتَفَـرْ
وهــذا قـضـاءُ الإلـهِ ومـا مِنْ   قـضـاءِ الإلـه هـنـاكَ مَـفَـرْ

تحيـــة

[بيـت كتبته في مدح الأخ جودة عبد الله]

يـا جـودةٌ جـادَ الـزمـانُ لنـابهـا   ليكـونَ منْـهُ الجـودُ والإحسـانُ

«لا تسقني مـاءَ المـلامِ فـإنني»   عُـذِّبتُ من ظلم الحبيبِ النـائي
وهجرتُ ماءَ الكأس إنّي في الهوى   «صبٌ قد استعذبتُ ماء بكائي»[1]

* . * . * . *

---

(١) زيادة عن مجموعة «نسيم السحر» ورواية القصيدة من مجموعة «آهات شريدة».

هجـــاء

[أراد الأخ «جودة عبد الله مصطفى» أن يصحح بعض أبيات من قصيدتي «يوم النصر» و«آلام عاشق» ويبدلها بأبيات محطمة ذات ألفاظ ما سمعنا بها في آبائنا الأولين، فكتبت إليه مازحاً هذه القطعــة]:

أمِثْلُكَ يبتغي تصحيــحَ شعــري ... وأنتَ جهــولُ عــصــركَ والأوانِ
سمــوتُ مكـانــةً وعلوتُ قــدْراً ... عنِ الأخــطاءِ حتَّى في الـبيــانِ
أتجـرؤُ يـا أقــلَّ النـاسِ علْمــاً ... على نَقــد الأديب أبي المعـاني
لقــد دنتِ القيـامــةُ إذا تخـطَّى ... حـدودَ الشعرِ أذنـابُ الـزمـانِ(1)

[١٩ مارس - آذار - ١٩٤٩]

* . * . * . *

(١) نلاحظ اعتداد الشاعر بنفسه ومبالغاته في الفخر، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على ثقته بنفسه وقوة شخصيتــه.

ليلــة الفــرح(*)

ما لي أرى الكونَ بالأعلام مُزدانا ... وما لنورِ الصفا قد باتَ يغشانا؟!
أمنْ بشيــرٍ أتى بـاليُمنِ بَشَّــرنـا ... فالقلبُ قد باتَ من بُشراهُ فرحانا
أم منْ هناءٍ دَنا أم فرحةٍ شملتْ ... كـلَّ الأحبَّـةِ إخـوانـاً وجيــرانـا
أرى السعادةَ قد فاضَتْ جداولها ... تَروي بماءِ المُنى مَنْ كان ظمآنا
والبِشرُ شاهدتُ قد بانتْ طلائِعهُ ... تُضفي علينـا من الإسعادِ ألـوانا
في يومِ عُرسكَ يا مَنْ نِلتَ مَكرمةً ... قد غرَّد الطيرُ فوقَ الغصنِ ألحانا
والكـلُّ باتَ وفيضُ النـورِ يغمرهُ ... شيخـاً وكهـلاً وأطفـالاً وشُبـانـا
أروضـةٌ هذه أم حفـلٌ اجتمعتْ ... بـه الأزاهيـرُ حتى صـارَ بُستـانـا
هذي الوجوهُ أرى بشراً يصافحها ... والبشـرُ سـاحـاتُـهُ الأفـراحُ
تَـتْــرى أدامَ اللهُ بـهــجـتَـهـا ... تُزجي التهاني زرافـاتٍ ووحدانـا
فكـانَ تَشـريفهم سيمـا مـودتِهم ... وكـانَ تشـريفهُم للودِّ إعــلانــا
يا مصطفى في الورى عمَّتْ فضائله ... نُبـلاً وبِـرّاً وإصـلاحـاً وإحسـانـاً
إنْ قلتُ إنَّـكَ بحرٌ في مَعـارِفِـهِ ... فليس قولي إذا ما قلتُ بهتانا(1)
أو قلتُ إنـك فردٌ لن يجـودُ لنا ... بمِثلِهِ الـدهرُ أحقـابـاً وأزمـانـا(1)
فقولتي رغم من قدْ باتَ يحسدُكم ... حقٌ ومـا أرتضي للحقِّ كتمـانـا

(*) فبرايــر ـ شباط ـ ١٩٥٠. نـظمت لتلقى في ليلة زفاف أحـد الإخوان، ولكن الظروف حالت دون ذلك.

(١) ترى المبالغـة في مدح صديقـه.

في السعي نحوَ العلاقدِ نِلتَ منزلةً   وفُقتَ في المجدِ إخواناً وأقرانـا
يا منبعَ الصدقِ والإخلاص ها أنذا   لصادقِ الحب قد قدمتُ بُرهـانا
لا زلتَ يا مصطفى للعلمِ مَفخَرَةً   وللجليـلِ من الأعمـال عنـوانـا

* . * . * . *

هزيمة المعهد(*)

جلَّ المُصابُ وضاعَ المجدُ والأمل ... وانهارَ صرحُ العُلا واستنوق الجمل[1]

يا معهداً كان بالأمس القريبِ فتىً ... ببطشِهِ بالأعادي يُضربُ المَثَلُ

أضحى جنودُكَ بعد العزِّ في ضِعةٍ ... وأصبحوا وعليهم من أسىً حللُ

لو أنهم باتحادٍ لُمَّ شعثُهمُ ... ما كانَ يَضربُ آسادَ الشرى حملُ

* . * . * . * . *

(*) فبراير - شباط - ١٩٥٠ - نظمت على إثر حادثة حدثت في هذا التاريخ وألقيت أمام طلبة الفرقة بحضور مدرِّس الأدب.

(١) استنوق الجمل: أي صار ناقة - يضرب للرجل يكون في حديث أو صفة شيء ثم يخلطه بغيره - وينتقل إليه - وأصله أن طرفة ابن العبد كان عند بعض الملوك والمسيب بن علس ينشده شعراً في وصف جمل ثم حوله إلى وصف ناقة، فقال طرفة: قد استنوق الجمل.

مأساة يتيـــم (*)

سجلتُ قصَّتَـكَ الـتي مـثَّلتَـهـا | لما خشينا عنكَ سهو الذاكرهْ (1)
إنْ كنتَ ودَّعت الحيـاة وأهلَهـا | فلسـوفَ تجمعُنا الـديـارُ الآخـرة
فـاسعـدْ جـوارَ الله واهنـأْ قـربَـه | وامـرح بجناتِ الـورودِ الناضـرة

* . * . * . * . *

(*) قصة غلام بائس من أصدقاء الطفولة ذهبت به القسوة وقضى عليه الاهمال «غير موجودة في المختارات» ولعلها قيلت سنة ١٩٥٠. [المحقق].

(١) ورد هذا البيت في مجموعة «نسيم السحر» كما يلي:

سـجلت قـصتـك الـتي مـثـلتـهـا | لتكـون ذكـرى يـا وحيـد وتـذكـرة

عيـــد الأمومـــة[1]

عيـدُ الأمـومـة والـربيــعُ تجمَّعـا ... عيدان قدْ طَلَعا على الدُّنيـا معا
كسيـا الـوجـود محبـةً ونضــارةً ... للهِ مـا أبهى الـوجــودَ وأبـدعـا
هـذا يسطِّرُ للحنــانِ صحـائفـاً ... بيضـاً وذاكَ العطرُ فيـه تضـوَّعـا
وأطـلَّ عيـدُ الأم يغـدقُ رحمـةً ... سـالتْ على زهرِ الـربيعِ فـأينَعا

* . * . * . *

هذي الرياضُ قد ارتدتْ في عيدها ... ثـوباً من الـوردِ الجميلِ مـرصَّعا
لبستْ قشيبـاً للحبيبـةِ وازدهت ... من بعـد أن كانت ثيـابـاً بلقَعـا
وإذا الــربيـعُ أتى بثغـرٍ بـاسمٍ ... سنـراهُ يـومــاً للريـاضِ مــودِّعـا
لكنَّمــا الأمُّ المـجيــدةُ تــرتـقي ... في قلبنـا عـرشــاً مُقيمـاً أرفعـا

* . * . * . *

أمي غـرستِ الحبَّ في أحنائِنـا ... ومـلأتِ بالمُثُـل الرفيعـة أضلعـا
أمي وقــد علَّمت كـلَّ حميــدةٍ ... وهـدى شـربنـاه غـذاء مُـرضعـا
فـإذا فـرحنـا تُظهـرين بشـاشــةً ... وإذا مَــرضنـا تــذرفين الأدْمُعــا
لــو أنَّ غيــرُ اللهِ يُعبَــد بيننــا ... لـوجـدتِ أقـوامـاً أمـامك رُكَّعـا
يا مَنْ سهرتِ الليلَ في تمريضنا ... تهـدينَ كـأسـاً للحنـانِ مُشعشعـاً

---

(١) من البدع التي قلدنا بها الغربيين الذين قطعوا صلة الأرحام، وتفككت الأسرة وأصبحت حياتهم مادة، لذلك اصطنعوا هذا العيد ليذكروا الأمهات فيه.

أمي العـزيزة أنت بيتُ قصيـدِنـا إن نحنُ أنشدناهُ، زنتِ المطلعا
حفـوا بغارٍ رأسَ مَنْ قَـدْ قدَّمت روحـاً وقلبـاً بـالمشـاعـر مُتـرعـاً
إنَّ الفؤادَ لقـد أضـاءَ بحبِّهـا وروابطُ الإخـلاص لن تتقـطَّعـا

* . * . * . *

منشورات

فيـا قلمـي تكـلم لا تـبـالـي بشيء لا عـليـك ولن تـضـارا

* . * . * . * . *

طف بـالمدينـة خـاشعـاً متـذلـلاً واخشـع مليـاً عنـد ذاك الـوادي
قبـر الرسول محمـد مع صحبـه والآل والأحـبـاب والأولاد

* . * . * . *

تهنئـــة(*)

قرأتُ بديعَ شعرك في «الـزمان» فقلتُ لأنتَ معـجـزةُ الـزمـان
بـربِّـكَ نبِّني هـلْ من نُضـارٍ تصوغ عقودَه أم من جُمان؟[1]
قصيـد يتـركُ الألبـابَ نشـوى وإنْ لم تُسق من خمرِ الدِّنان[2]
وسحـرٌ خلتُ هـاروتـاً أتـانـا بـه لكنَّـهُ سحـرُ المعـاني[3]
لقـدْ زادَ القريضُ بك انتعـاشاً كما فعلَ الندى بـالأقحوان[4]
أزفُّ إليـكَ تقـديـراً عـميقـاً وأهـديـكَ التحيـة والتهـاني

* . * . * . *

(*) أهديت للزميل الشاعر محمد عادل سليمان. على إثر نشر قصيدته «الربيع» بجريدة «الزمان» مايو - أيار - ١٩٥٢ .

(١) النضار: الذهب. الجمانة: حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعه جمان.

(٢) الدنان : ج دن وهي الحباب.

(٣) هاروت: اسم أحد الملائكة، ورد في الآية: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾، وقال بعض المفسرين: اسما شيطانيين من الإنس أو الجن، وجعلهما نصباً بدلاً من قوله تعالى: ﴿ولكن الشياطين﴾ . .

(٤) الأقحوان : البابونج ، وهو نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر وجمعه أقاحي وأقاح.

دعابــات

[دعاني، وصديقي الأستاذ أحمد علي. الزميل الكريم غنيمي سكران، لتناول طعام الغذاء ظهر السبت ٢٤ مايو - أيار - ١٩٥٢. وعندما مدت «المائدة المستديرة» تبخرت الآمال التي كنا نمني أنفسنا بها، إذ حضر غنيمي الطعام مكوناً من الفطير واللفت والجبن، فاهتزت قريحتي لهذا الخطب الفادح، وأنشأت أقول على نمط قصيدة امرىء القيس التي مطلعها: «سما بك شوق بعد ما كان أقصرا... الخ»]

أتـانا «غُنَيمي» بـالفطيـر وأحضرا ... وكنـا حسبنـاهُ دجـاجـاً مُحمَّــرا

بكى أحمدٌ لما رأى اللفتَ دونهُ ... وأيقنَ أن الجــوعَ كـان مقــدرا

فقلتُ لـهُ لا تبـكِ عينُــك إننـا ... سنـأكُلُ لِفتـاً أو نَموتَ فنُقبـرا[1]

* . * . * . * . *

---

(١) يعارض فيه امرىء القيس في أبياته:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنــا لا حـقــان بقـيصــرا

فقلت لــه لا تبـك عينـــك إنمـا ... نحـاول ملكـاً أو نمــوت فنعـذرا

يــوم الامتحــان

[والخميس أول مايو ١٩٥٢ الامتحان التحريري، قد بقي على موعده يوم الأحد. والقلوب راجفة، والنفوس واجفة، كأنها في موقف الآخرة، تظن أن يفعل بها فاقرة، وفي ظلام ذلك الرعب وليل هذا الفزع، ينطلق القلم ليسجل بعض ما يجيش في النفس من الخواطــر].

قــدْ جــاءنــا الــتـحــريــري   بــالــويــلِ والــثـبــورِ(١)
الــفــقــه لا أذاكــرهْ   والــنــحــوُ لــســتُ أذكــرَهْ
يــا صــاحِ مــاذا نــصــنــعُ   نــغُــشُ أم نُــضَــيِّــعُ
ســنــفــتــحُ الــكــتــابــا   إن لــمْ نَــجــدْ جَــوابــا
ونــضــربُ الــمــراقــبــا   لــنــأخــذَ الــمــطــالــبــا

*. *. *. *

(١) أي الامتحان الكتابي.

مناسبـــات ودعابـــات

وقلـــت في مناسبـــة:

خليليَّ هذا منزلُ البؤسِ فارحلا ولا تنشــدا فيـهِ الهنـاءةَ مَنـزلا
فـإنـا فـطرنـا فيـهِ فـولاً مـدمسـاً وإنــا تَسحــرنــا خيــاراً مُخـللا

* . * . * . *

وفي مناسبـــة أخـــرى:

لَعمـرُكَ إني قـد بَـرِمتُ بحُـرمـةٍ إذا جئتُ يوماً أطلبُ القرشَ تَردح
وإن قلتُ هــاتي أفطريني رأيتهـا تقولُ: حَدَاكَ العيشُ والجبن فاطفحِ

* . * . * . *

[الصديق الأستاذ أحمد حجـر يمتاز بروح مرحة ودعابة فكهة، وقد جمعتنا الظروف في مسكن واحد أثناء تأدية امتحان السنة الثانية الثانويـــة. وفي إحدى الجلسات داعبته بالبيتين الآتيين، بناء على طلب الاخوان]:

يـا أحمداً هـلا أخـذتَ بـداعي فـلأنتَ في نشرِ الـرذيلةِ سـاعي
أدعــو إلـهي يـبـتـليـكَ بـبـلوةٍ يا سيدة نُضراه، مدد يا رفاعي[1]

وفي مناسبـــة ضاحكـــة:

داري حــمــاركِ أمَّ عيــدٍ داري لا تكشفي ستــراً من الأستــارِ
إنــي أراه بــدا لنــا مُـتـقـلصـاً ومُـعـضـمـاً من قـلـةِ الأ. . . ر

---

(١) هذا مما يقوله الصوفية، بالاستعانة بشيوخهم من دون الله ـ استغفر الله ـ

زارع الخيـــار(*)

[كنا نذهب مع عصر كل يوم من أيام رمضان للسمر تحت ظلال الشجر على رأس حقل الزميل محمد علي مصطفى ولم نك ندري أن بداخل الحقل الذي زرع قطناً ناحية غرس فيها «الخيـار» إلى أن اكتشف ذلك أحد الزملاء فكتبت إلى الزميل صاحب الحقل أقول:

يـا زارعـاً بـالحقـلِ رُكنَ خيـارِ   في القطنِ كيْ يخفى عنِ الأنظارِ
قسمـاً لئنْ لمْ تـأتني بـزيـارةٍ   لأقـولُ فيـكَ قصيـدةً من نـارِ

* . * . * . * . *

(*) يونيـه ـ حزيران ـ ١٩٥٢ .

يوم القيامة(*)

بكره امتحانُ الشفوي ... يا سيدي يا «بدوي»[1]
لستُ من «البلتاجي» ... إن جئتهُ بناجي
متى تَردْ عليهِ ... هَلكتَ في يديهِ
وشيخُنَا «الفرجاني» ... يَسلخُ في القرآنِ
إنْ جاءهُ منكوبُ ... فحظُّهُ الرسوبُ
وإنْ لقيت «الهوبي» ... فاضربهُ بالمركوبِ
فإنَّهُ واللهِ ... كالأفعوانِ ساهي
«عبدُ السميع بشرُ» ... إن شفتموه فاجروا
فإنهُ كالبُعبع ... بشكلهِ المروِّع
«والأزهريُّ» يا فتى ... مُصيبةٌ إذا أتى
بدا لنا مُكشِّراً ... فالخيرُ منهُ لا يُرى
أدعوكَ ربَّ الكون ... فمدَّنا بالعونِ[2]
نسألكَ السَّلامهْ ... مِنْ هذه القيامة

(*) في امتحان النقل من السنة الثانية الثانوية، وفي اليوم الذي يسبق الامتحان الشفوي كتبت هذه الأرجوزة الساخرة، انتقاماً من بعض الأساتذة الذين يشتدون في امتحاناتهم الشفوية. [الشاعر].

(١) هذه من الضلالات التي شاعت في المجتمعات المعاصرة، وهي مناداة الأموات والاستعانة بهم. وهو شرك.

(٢) الكلمات الموضوعة داخل الأقواس « » هي أسماء الأساتذة الذين كانوا يدرِّسونه. ولعلها قيلت سنة ١٩٥٢. [المحقق].

زيـــارة(*)

وأمسيــةٌ عـنـدَ شـاهيـن قَـدْ ... لـمستُ بهـا نُبلَه عـنْ كـثبْ
قـصـدتُ إليـهِ إلـى سـيـدٍ ... جميـلِ المـلاقـاةِ لا يحتجب
فمـا أنسَ لا أنسَ لي مجلسـاً ... بـدارِ أديـبٍ سمـا كـالـشُّهـب
إذا قـامَ في محفـلٍ منشـداً ... رأيتَ «زياداً» يسوق العـرب[1]
أدارَ عـلـيـنـا حـديـثـاً لـهُ ... يفـوقُ حـديثـاً ببـطنِ الكـتب
فـمـنْ حكـمٍ خـالـداتٍ إلـى ... طـرائفَ مـأثـورُهـا من ذهب
ومـنْ نبـأٍ مـنـهُ عـن رحـلـةٍ ... على النيـلِ محبـوبـةٍ منْ عجب
إلـى سـاحـرٍ من دُعـابـاتـه ... لإخـوانِ صـدقٍ كـرامٍ نُـجب
وربَّ قـصـيـدٍ لـهُ صـاغـه ... كـعِقـدٍ من اللؤلـؤ المُـنْتـخب
تـلاهُ عـلـيـنـا فـرحـنـا بـه ... نـحلِّقُ في قـمـةٍ مـن طَـرب
وحـمـراءَ في لـونِ يـاقـوتـةٍ ... أتـانـا بهـا من بنـاتِ الـرُّطب
فـلـو ذاقـهـا شـاربٌ مـرةً ... لأنستْـهُ طعمـاً لـبنـتِ العـنبَ
فمـا نلتُ منها سـوى قـطعـةٍ ... وأُلـهيـتُ عنـهـا بحسنِ الأدب
فـيـا زورةً لي عـلى طـولـهـا ... تقضَّتْ كـومضٍ خـلالَ السُّحب
أمـا مـنْ سـبـيـل إلـى عـودةٍ ... وهلْ من طريقٍ وهلْ من سبب؟

(*) مهداة إلى فضيلة الأستاذ الشاعر «محمد شاهين» المدرِّس بالمعهد ـ ذكرى ليلة جمعتنا فأحسنت. مارس ـ آذار ـ ١٩٥٣ .

(١) إشارة إلى زياد بن أبيه الذي عرف ببراعته في الخطابة، وحزمه في الحكم.

تحيـــة(*)

اعـتـلى الـقُـمـريُّ غـصـنـاً وشـدا في الكـون لـحنـا(1)
ومـضـى يـتـلو نـشـيـداً سـاحـراً عـذبـاً عـلـيـنـا
فـسـألـتُ الـطـيـرَ مـاذا سـرَّه حـتـى تـغـنّـى
قـال: قـم هـنـىءْ أديـبـاً قـدْ حـبـاه الله فـنـا
إنَّ «بـدراً» تـاج مـجـدٍ زادَنـا قـدراً وشـأنـا
كـلُّنـا نـهـديـك بَـدراً أعـمـقَ الـتـقـديـرِ مـنـا
عـشـت فـخـراً لـلقـوافـي دمـت لـلأزجـال حـصـنـا(2)

* . * . * . *

(*) لعلها قيلت سنة ١٩٥٣ . أهديت للزجال «بدر مصطفى يوسف». [المحقق].

(١) القمري : منسوب إلى طير قمر، والأنثى قمريـة.

(٢) القوافي: يقصد به الشعر الموزن، الأزجال جمع زجل وهو لون من الشعر الشعبي.

عودة المنتصريـــن (*)

رجَـع الكميُّ إلى الحمى وأغارا ... متحـديـاً، يُبـدي بنـا استهتـارا
فقفـوا له يـا قـوم وقفـةَ بـاسـلٍ ... يحمي لمعـدنـا العـريق ذمـارا
قد كان في دنيا الرياضة مجدنا ... بسمـو عـليهـم عـزةً وفخـارا
عـرفتْ لنا أرض المـلاعب فتيةً ... شغلوا الأكف ومتعـوا الأنظارا[1]
صيدٌ، بواسل، ما رمـوا بهزيمـةٍ ... لا يلحقـون إذا أتـوا مِضمـارا
حتى إذا راحـوا رأينـا بعـدَهُم ... صـرح الريـاضـةِ عنـدنـا مُنهـارا
في عامنا المـاضي على أيديكُم ... نِلنـا المهـانَـةَ منهم والـعـارا
ولئن نسيتُم يـومـه فهنـاك من ... لم ينسَ يـومـاً أسحمـاً ونهـارا
كم عابسٍ قد كان يرجو نصركم ... قدْ شقَّ من هولِ المُصابِ إزارا
فـإذا أردتُم بعثَ أمجـادٍ لـنـا ... كـونـوا أسـوداً يُـدركـون الثـارا
فـإن انتصرتُم تـوِّجَت هـامـاتُكم ... مني بمنضـودِ القصـائـدِ غـارا
أو كانت الأخرى صفعت وجوهكم ... وتلوتُهـا بـين الـورى أشـعـارا
كالصَّابِ طعمـاً، والسِّهام مـرارةً ... تكسـوا الفـريقَ مَـذلـةً وشنـارا
من كان في يوم السبـاقِ مُقصِّراً ... عنـد الهـزيمـةِ يـظلم الأقـــدار
لن يمنعَ التأنيب إن حاقتْ بكم ... أن تَخلِقـوا وتقـدِّمـوا الأعـذارا
فتـأهبـوا للنصـر واسعـوا إنني ... أعــذرْتُكم وبـعـثـتُـهـا إنـذارا

(*) مهداة إلى فريق المعهد بكرة القدم بمناسبة عودة فريق كلية اللغة لمباراته ٦ يناير ـ كانون ثاني ـ ٩٥٤ .

(١) كناية عن التصفيق للفريق والتمتع بمشاهدة لعبة الجيـد.

آخر خيبة(*)

قِفوا هذا الفريقَ غداةَ خابا	طويلاً إن لي معهُ حسابا
فريقٌ لو عدِمنا لاعبيهِ	إذن واللهِ قدْ فعلوا صوابا
هُمُ نالوا «الخيابة» بامتيازٍ	وأعطُوا كلَّ «دلدولٍ» مَنابا
إذا ذهبوا إلى النادي نَراهمْ	على خوفٍ بهمْ بلُّوا الثِّيابا
يظلُّ هنالكَ المحروسُ منهمْ	«يبرطِعُ» مثلَ عجلٍ فيهِ «سابا»
ويبرعُ في «الهيافةِ» كلُّ «خَلْقٍ»	يُعرِّشُ حجرةً ويسدُّ بابا
ولا يُنبيكَ عنْ سرِّ المخازي	كمنْ في جوزةٍ شربَ «الهَبابا»
«شبينُ الكوم» تَهزمُنا «وطنطا»	يقصِّرُ يومها منا الرقابا
وفي «الإسكندرية» جاءَ منها	وقد ملأتْ هزيمتُهُ «جِرابا»
لنا «المنصورةُ» اكتسحت وعادت	وقدْ مسحتْ بسُمعتنا التُّرابا
«فلوسٌ» من جِرايتِنا عليهِ	لوجهِ اللهِ نصرُفها احْتسابا
وفي «الهاف تايم» يطفحُ برتقالاً	شروْهُ له بأموالِ «الغلابهْ»
ولو في الأمرِ كانَ لنا اختيارٌ	لقدَّمنا بلاغاً للنيابة
أريحونا فإنَّا قد شَبِعنا	كُسوفاً واكسبُوا فينا ثوابا
عليكمْ بالشوارعِ و«الحواري»	وفيها فالعبوا كرةً «شرابا»

* . * . * . *

(*) مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤ ـ الهزائم المنكرة تتوالى محيقة بفريق المعهد لكرة القدم في موسمه الرياضي.

أيام الطفولة(*)

أَتذكُر سحرَ أيَّامِ الطُّفولهْ ... ولهوَك تحتَ أفنانِ الخميلهْ
غداةَ تعبُّ مِنْ صفوٍ متاحٍ ... وبِشرٍ قَلَّ أنْ تلقى مَثيله
وحولَكَ صبيةٌ غرٌّ لِداتٌ ... يُشاطرُ بعضُكم بعضاً مُيولَه
إذا ما جَنَّ ليلُكمُ اجتمعتُمْ ... وقدَ بَسَطَ الهناءُ لكم سَبيله
وحينَ يجيئكُم يسعى رفيقٌ ... يُشمِّرُ عندَ رؤيتكمْ ذُيولَه
إلى أنْ تَقطعوا في اللهوِ شَطراً ... مِنَ الليلِ الذي أرْخى سُدولَه
فيقصدُ ذاكَ مَنزلَهُ وحيداً ... وذاكَ يعودُ مُصطحباً زميله

*. *. *. *

لقدْ مَرَّتْ عهودُ ماضياتٌ ... رعاها اللهُ كمْ كانتْ جَميلة
فهذا الشاطئُ المهجورُ كم ذَا ... وثبتُ عليه ساعات طويلة
أمَا - والشمسُ يطويها مَغيبٌ - ... علوتُ بذلكَ الوادي نَخيلَه
ألستُ به الذي قد كانَ يعدو ... وراءَ فراشَةٍ عبرتْ حُقولَه
صبيٌّ يرقبُ الأحداثَ تجري ... عليه وما روى فيها فُضُولَه
وكمْ قدْ طالَ لهوُكَ في مساءٍ ... وعندَ العوْدِ ما أعيتْكَ حِيلَه
أتنسى الجدَّةَ الشمطاءَ ليلاً ... تقصُّ حديثَها فتخافُ غُولَه؟
وتجلسُ في حِماها مُستكيناً ... ترى صِدقاً خرافاتِ الكُهولة

*. *. *. *

(*) أغسطس - آب - ١٩٥٤.

وتَصحـو والضيـاءُ بـدا خـطوطـاً   فَتَفْـركُ نـاهضـاً عيـنـاً كَلَيـله
ونحـوَ المكتبِ الممقوتِ تمضي   لـتقـضي فـيـهِ أوقـاتٍ ثَـقـيـله
أمامَ الشيْخِ تجلسُ في خشـوعٍ   فـلا تُجـديـك تُـلكَ الـذَّليله
ويَنْفُـثُ إن تثـاءَبَ أوْ تـمـطَّى   عليـك وأنتَ في فـزعٍ خُمـولـه
وحينَ يـراكَ لم تحفظْ دروسـاً   تـداعبُ منكبيـكَ عصـاً نحيله

* . * . * . *

هـيَ الأيَّـامُ لا تُبـقي عـزيـزاً   وسـاعـاتُ السـرورِ بهـا قليله
إذا نشـر الضيـاءُ علَيـك نجمٌ   وأشـرقَ فـارتقبْ يـومـاً أفـولـه

* . * . * . *

شم النسيم(*)

أطلّ على ضفاف النهـ ـر صبحاً موكِبُ النورِ
وطارَ بِهِ إلى الدنيا بشيراً كل عُصفورِ
ولمْ يترك نسيم الروضْ زهراً غيرَ مخمورِ
ورقرق للندى حبًّا كُدرٍ فيهِ مَنثورِ

*. *. *. *

هنالكَ في ربوعِ الريـ ـف حيثُ منازلُ الأهلِ
وحيثُ خمائلُ الصفصا ف والجميز والنخلِ
وحيثُ يظلُ ممتداً بساطُ الشبِ والظلِ
وحيثُ القومُ قدْ عاشوا بلا حقد ولا ختلِ(١)

*. *. *. *

بَكَرْتُ إلى الرُّبا أبغي شذا جناتِها الخضرِ
على دراجةٍ والشمـ ـس لم تبرز من الخدر
وقدْ دبّت بأوصالي عُقَاراً نسمةُ الفجرِ(٢)
تسلل دفؤها في نشـ ـوةٍ يسعى إلى الصدر

*. *. *. *

(*) نظمت في أول يونيو ـ حزيران ـ ١٩٥٥ .

(١) ختل : خداع .

(٢) العقار : الخمر.

وأطفالٌ على الطرقات في ثوبِ الصِبا الغضِ
تخالهُم وقدْ ساروا ملائكةً على الأرض
بأيديهم مناديلُ المنى والخُبزِ والبيض
يسرُّ الدهرُ بعضَهم وقدْ يقسو على البعض
ذكرتُ بهم عهوداً من سناً في فجرِ أيامي
أَرَوْني صورة الماضي مجسمةً لأحلامي
تماماً قدْ لهوتُ كما لَهَوْا في ظلِ أوهامي
وأدركتُ الشبابَ فما شعرتُ بغيرِ آلامي

* . * . * . *

قطعتُكَ يا ربيعَ العمرِ مهموماً بأتراحي
ولم أملأ كغيري من نعيم العيشِ أقداحي
نهاري مُتعَبٌ شاكٍ وليلي قائمٌ صاحِ
كتابي في يدي يغفو على أنّاتِ مصباحي

* . * . * . *

قضيتكَ يا ربيعَ العمرِ لم أعرف بكَ الحُبَّا
فلا أسعدتَ لي روحاً ولا أحييتَ لي قلبا
مضى العشاقُ في فرحٍ ولم أدركْ لهمْ ركبا
وما ذاقَ الهوى قلبي وغَيري عبّهُ عبّا

* . * . * . *

ألا ليتَ الصبا طالتْ لهُ في الدهرِ أزمانُ
وليت العمر نقطعهُ ونحنُ لديهِ صبيان
بقلبٍ ما أمضتّهُ مِنَ الآلامِ ألوان
ولم تنزل بساحتِهِ على الأيامِ أحزان

* . * . * . *

أســوان

[كان الشاعـر في رحلة إلى أسوان مع زملائه طلبـة معهـد الزقازيق الديني في الفترة من ٢٨/ يناير إلى أول فبـراير / شباط ١٩٥٦، وفي هذه القصيدة سجل مشاهده ومشاعره].

سـلامٌ في شمالِـكِ صِيـغَ لحنَـا إلـى واديـكِ يـا أسـوانُ مِنَّـا
وشـوقٌ ليس يعـدِ لـهُ اشتيـاقٌ لجّنـاتٍ لـديـكِ تُخـالُ عَـدنـا
نـزلتُ رُبَـاكِ يسبقني خيـالي وقـدْ مـلئـوه تـزييفـاً ومَيْنَـا
فهم ظلمـوكِ إذْ زعمـوكِ مَنفى وجـارَ عليكِ مَنْ يـدعوكِ سجنـا

* . * . * . *

تعـالى اللهُ بـارىءُ كـلِّ حُسْنٍ لقـدْ ملأَ الجـزيـرةَ فيـكِ حسنـاً
وشق خـلالَ صخـركِ أيَّ نهـرٍ يفيضُ نَضَـارةً ويسيـلُ يُمْنَـا
إذا مـا الصخرُ سـدَّ لُـهُ طـريقـاً تحـوَّل سـاخـراً يمشي الهَـوَيْني
لَقـدْ تركتْ روبـوعُـك ذكـريـاتٍ بقلبي منْ نـعيـمِ العيشِ أهنـا

* . * . * . *

ودَاعٍ للرحيـلِ دعـا فجئنـا . . وقـدْ طِـربَ الفؤادُ لـهُ وغـنى
وزادي مـا استـرحتُ إليـهِ حتى مـلأتُ حقيبتي حَلوى وجبنـا
عـرفتُ الجوعَ يفسد كـلَّ بِشْـرٍ فـأعـددتُ الشـطائرَ منهُ حصنـا
وسـارَ بنـا القـطارُ فليسَ يهفـو لسهـلٍ أو يخافُ الأرض حَـزْنـا
ونـافـذةٍ بـجـانـبـهـا أرانـي خلعتُ مـلابسي ولـزمتُ ركنـا

إليهـا قـدْ جلستُ فَخلتُ أنّـا إلى دارِ الخيـالةِ قـدْ جَلسنـا
تمـرُ بنـا المشـاهـدُ في تَـوَالٍ تـجـدَدَ روعـةً أبـهـى وأسـنـى

* . * . * . *

مَشينـا نلتـقي بـالـنيـلِ طـوراً وطـوراً قـدْ نـأى مجـراهُ عنـا
ويـخضـرُّ الـبسـاطُ بـضفـتيـهِ ونـرقـبـهُ على الـبيـداءِ يـفنى
وَجَـنَّ الليـلُ بـينَ مُـنى ولـهـوٍ فمـا نمنـا إذا مـا الليـلُ جنّـا
وكيفَ ينـامُ مَنْ معـه رفـاقٌ رأوا في النـومِ مضيعةً ووهنـا

* . * . * . *

ووقفتُنـا على أمجـادِ مـاضٍ ملكنـا العـالمينَ بـهِ وسُـدْنـا
بنينـا صَـرحهـا والـدهـرُ غُضٌّ فشـابَ ولمْ يشبْ مـا قـد بنينـا
بـدت بـالأقصـرِ الأثـارُ تـروي حـديثَ خُلودِهـا حِسـاً ومعنى
فقف بالكرنـكِ المرفـوعِ واشهدْ صخـوراً سجلتْ علمـاً وفـنـا
وربَّ مَسلة شـهـرتْ سـلاحـاً تصـونُ تـراثنا قـرنـاً فَقـرنـا[١]

* . * . * . *

وفي أسـوانَ طـابَ لنـا مقـامٌ وآوانـا عـلى الصحـراءِ مبـنىَ
تضيقُ بنـا القبـابُ فـلا نبـالي كـذلـكَ ينشـدُ المقـرور فُـرْنـا
فـأكـثـرُ ليـلنـا سـمـرٌ شـهـيٌ يـدورُ فـلا يـزور النـومُ جفنـا
ومـوسيقـا تُـرددهـا الفيـافي متى طلعَ النهـار لهـا طـربنـا

* . * . * . *

---

(١) المسلـه بالفتح والكسر: مفرد المسال وهي الابر العظام. وأصبحت تدل على نصب تذكاري من الحجر الصلد أو غيره يكتب عليه معلومات عن الآثار التي أقيمت عندها.

ليالي الزقازيـــق

[قضى الشاعــر بالزقازيــق، في معهـدها الـدِّيني، من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٥٦، وفي هذه القصيـدة يصور الشـاعر ذكرياته، ويودع معهده وموطن صباه].

ربـوعٌ قد صحبتُ بهـا الشبـابَـا ... وعشتُ بَـواكـرَ العُشْـرِ اغتـرابَـا
وَرَدْتُ حيـاضَ معهـدهـا صبيّـاً ... يـدقُّ بـكـفِّـه لـلنـورِ بـابـا
بـه نـزلـوا المـدينـةَ ذاتَ يـومٍ ... فـأبصـر في شـوارِعِهـا العُجـابا
تـنـازَعَتِ الـمشـاهـدُ مُـقْـتَيْـهِ ... فقلَّبَ طَـرَفـه فيهـا اقتضـابـا
وعـادوا بعـد أن تـركـوه يبكي ... حـزينـاً لا يـود لهـم إيـابـا

* . * . * . *

وظـلَّ هـنـاك يـغلبـه حـنـيـنٌ ... وشـوق يؤلـم الـقلبَ انـتيـابـا
فمـا شغَلَتْـهُ أضـواءُ الليـالـي ... بهـا عن قـريـةٍ خصبتْ جنـابـا
بعيـدٌ عـن ديـار الأهـل نـاءٍ ... يـذوب ليـوم عـودتـه ارتقـابا
يـؤرّق جـفـنَـه ذكـرى لـداتٍ ... إليهم شـاء في البعـد الـذهـابا
وسـار بـه الـزمـان يـطيب حينـاً ... وحينـاً يمـلأ الأقـداح صـابـا
إلى أن صـار يعـشقهـا فتـيّـاً ... ولـذَّ لـه المقـام بهـا وطـابـا
رعـاهـا الله أيـامـا قضـاهـا ... بصحبـة رائدٍ[1] يهـدي الصوابا

(١) الأستاذ مصطفى الرفاعي الأخ الأكبر للشاعر. كان أول طالب أزهري من أنشاص، ثم توالى بعده الطلبة على معهد الزقازيق، وأقاموا معه في مسكن واحد، فكان كبيرهم ورائدهم، وكان يأخذهم بكثير من الجد والحزم.

وإنّ العيش يحلو في رفاق إذا خافوا لراعيهم حسابا
فلا يخشاهُ في شيء بريءٌ ولا يألوا أَخَا ذنبٍ عقابا
فتلك عهود غرسٍ قد تقضّت وما عرفوا بها إلا الكتابا

* . * . * . *

ومجلسُ فتيةٍ جُمعوا بليلٍ فدار حديثُهم شهداً مذابا
دعابةُ مازحٍ، وضجيجُ لاهٍ وصوتُ مهرّج يشدو غرابا
وكم كانت أحاديث الأماني تلذّ لهم - على ظمأٍ - شرابا
وكم أملٍ جميل أمّلوه فما وجدوا المنى إلا سرابا
وما فتىء الزمان يدور حتى أعاد بشاشةَ الوجه اكتئابا
تفرق شملهم بعد اجتماع وعامرُ أنسهم أضحى خرابا

* . * . * . *

وساعات الأصيل على مُوَيْسٍ[1] وقد جمع الأحبةَ والصحابا
يدغدغ صفحةً للماء فيه جناحا زورقٍ شقّ العبابا
ويختالُ النسيم بشاطئيهِ نديّاً ينعشُ النفس انسيابا
إذا ما أقبلت تمشي كعابٌ يداعبُ فوق ضفته الكعابا
فَطَوْراً قد أثار الشَّعْرَ لثماً وطوراً أرهق الثوب اجتذابا

* . * . * . *

ورُبَّ لظىً لأيام امتحانٍ لبسنا للشقاء بها ثيابا
تريك جلودَنا، والصيف وارٍ[2] يكاد الحَرُ ينضحها التهابا
تمر بنا الليالي حاملاتٍ لهولٍ إن رآهُ الطفلُ شابا
ولا ننسى لنا في اللهو قسطاً وغُلٌ[3] نضالنا يدمي الرقابا

---

(١) مويس : بحر مويس، ترعة بالزقازيق.
(٢) وار : انطلقت ناره.
(٣) الغل طوق من الحديد أو الجلد يجعل في اليد أو العنق.

فكنتُ أصوغه شعراً ضحوكاً   نبدد للغناء به ضبابا
عهود من جحيم غير أَنَّا   نذوق إذا قطعناها الرضابا
وبعد السير في بِيد الليالي   أشقُّ السهل منها والهضابا
وقفتُ مودّعاً طيب المغاني   وداراً تنبت العلم اللبابا
سأذكر ما حييتُ بها هناء   وأُطَّرِحُ المتاعب والصعابا
فسقيًا للعهود البيض ... مرت   علينا - رغم ما نَلْقَى - عِذابا

* . * . * . *

نشيـــد الوادي

للموسيقار محمد عبد الوهاب(*)

أُنشـودةٌ عـطَّرتْ أرجـاءَ واديـكِ　　شَدا بها في الورى يا مصرُ شَاديكِ
لمّـا تَـرنَّمَ مِنْ مـزمـارِهِ غَـرِدٌ　　يـدعو لِنيْـلِ العُـلاَ أَبنـاءَ واديـكِ
تاقَتْ نفوسٌ لنا بينَ الضُّلوعِ إلى　　يومِ الوغى حينَ يَعلو صوتُ داعيكِ
كمْ صيحـةٍ صاغَهـا للنيـلِ بُلْبُلُهُ　　لحنـاً يهزُّ الحنـايا في نَـواحيـكِ

(*) لعلها قيلت قبل سنة ١٩٥٦. [المحقق]

نشيـــد الجامعـة

في فمي ألحـانَ مجـدٍ رائعـةْ　　وفـؤادي مـفـعـمٌ بـالأمـلِ
أنا من مصرٍ. أنـا ابن الجامعـة　　غُـدَّةُ الأهـرام لـلمسـتقبـل(١)

* . * . * . *

كـلُّ ما تـرجوه أرضي الخـالـدة　　من أمـان مـلءُ هـذا الحـرم
ومصـابيـحُ الجمـوع الصـاعـدة　　مـبضـعي أو مـعمـلي أو قلمـي

* . * . * . *

للعـلا أمضي فـإن جـاء غـدي　　ورأيتُ الـزهـر وضّـاح الـرواء
سـوف أزهـو إنـه غـرس يـدي　　ويميني شـيـدت هـذا البـنـاء

(*) نظم الشاعر هذا النشيد وكان لما يزل يعيش في الحدود الضيقة لوطنه الصغيـر. فهو «ابن مصر» وهو «عدة الأهرام» ولكنه سرعان ما تخلص من مشاعره الضيقة، وانطلق يشدو ويحدو في آفاق الوطن العربي الكبير والعالم الإسلامي الواحد.

(١) موضوع القصيـدة يوحي أنها قيلت ما بعد ١٩٥٦ والله أعلم. [المحقق].

شكـــر . . . (*)

[فريال ونبيلة وفائزة، من زميلات الشاعر بكلية دار العلوم، أرسلن إليه مهنئات بفوزه بجائزة الشعر في مسابقة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، فكتب إلى كل منهن - شاكراً - هذه الأبيـــات].

— ١ —

شُكـري إليكِ يسـوقُـهُ قلبي ولا   يجدي لساني فيـه يا فـريالُ؟(١)
لي أُمنيـاتٌ كـانَ فـوزي واحـداً   منهـا فهـل تَتحَقَّقُ الآمـالُ؟(١)

— ٢ —

هكــذا فليكنْ شُعـورُ الـزميلة   لـفـتـةٌ حـلوة وروحٌ جـمـيـلةْ
إنَّ هـذا الإحسـاسَ كـان رقيقاً   ونـبيـلاً فـأنـتِ حقـاً «نـبيلهْ»

— ٣ —

إذا فـازَ فـي دارنـا فـائـزٌ   فـإنـكِ مـنْ قَـبلهِ «فـائـزهْ»
وإنَّ تـحـيـاتـكِ الـعـاطـراتِ   لأحسنُ عنـدي من الـجـائِـزةْ

(*) لعلها قيلـت سنة ١٩٥٧ .

(١) كان الشاعر قد تقدم لخطبة هذه الفتاة، ولم تكتمل رغبته هذه، ويبدو تلميح الشاعر في رده لها وتبادله العاطفة معها، بينما لا يبدو ذلك في بقية الأبيـات.

الغانيـــة المعذبـــة (*)

فـاتــنـةٌ مُـهــذَّبَـة مِـنْ نـشــوةٍ مُـركَّــبـه
تــوسَّــدتْ أنــامــلي واسـتسـلَمَتْ مُلتَهـبـه
وعــربَــدتْ عـلى فمـي أنفـاسُهـا المضْـطَربـة

* . * . * . *

تــظلُّ وهـيَ فـي يــدي مُـبـعـدةً مُـقـربـه
وكــلَّمـا أَدنَـيـتُـهـا لـلَّحـظَةِ المُسـتَعـذبـة
تـحمـرُّ مـنْ حيـائـهـا وجـنتُهـا الـمخـضَّبـة

* . * . * . *

وهـبتُـهـا لـصـاحـبي فلمْ يَـرُدَّ المـوهَـبَـه[1]
وراحَ يـعـلو ثَـغـرهـا يـشـفَـةٍ مُـرَحِّـبـه
ولـم يـكـنْ بـآثـمٍ ولـم تـكـنْ بـآثـمـة

* . * . * . *

أحبُّـهـا فِضيَّـةَ الـرداءِ أوْ مُـذَهَّــبـه
تــذوبُ كـيْ تَـمُـدُّنـي بـالـمتعـةِ المـرتـقبـة
مـشـغـولـةٌ يـقـبـلتي عن روحِهـا المغْتَصبـه

(*) لعلها قيلـت سنة ١٩٥٨ . [المحقق].

(١) الموهبــة : العطيـة، أو الشي الموهوب.

في كـل حينٍ أصبحتْ رفـيـقـةً مُـصـطَحبـه
أمـتـصُّـهـا حـتـى إذا قـضى الـفـؤادُ أَرَبَـه
أدوسُـهـا بـقـدمـي ذلـيـلةً مُـكْـتَـئـبة

* . * . * . *

فـهـلْ عـرفـتَ هـذ هِ الغـانيـة المعـذَّبـة؟
إيـاكَ والـظنَّ الـذي يـمـدُّ حـولي رِيَـبَـه[1]
ولا تـلـمْ فـإنًّـهـا «سيجـارتي» المحبَّبَه[2]

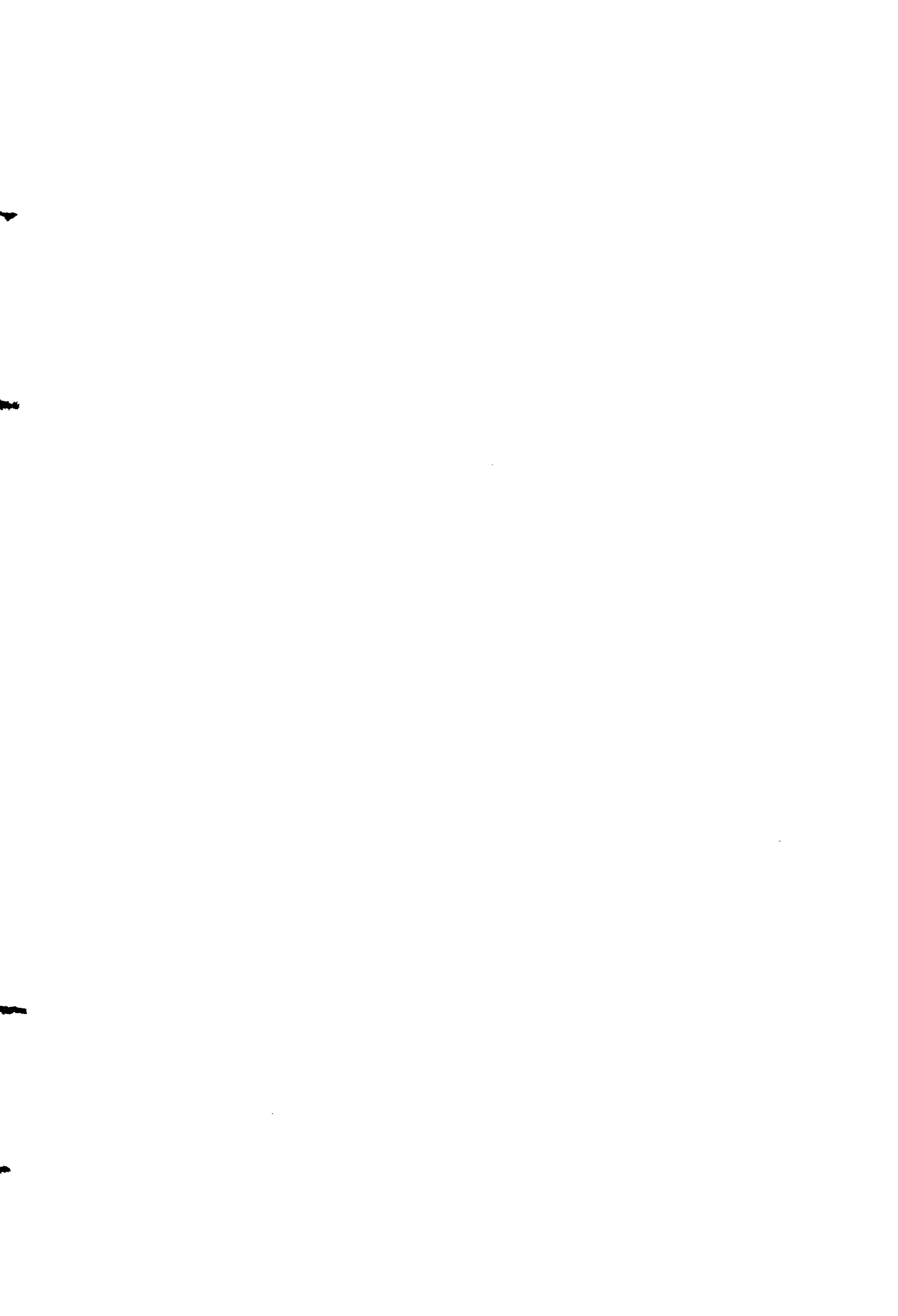
* . * . * . *

(١) الريـب : جمع ريبـة وهي الشك والتهمـة.

(٢) الشاعر يصف (السيجارة) هذا الوصف المحبب، ويصوغ هذه القصيدة بأسلوب قصصي مع لغز في آخرها، ولكن هذا ينبغي أن لا ينسينا خطر السيجارة على الصحة والعقل، ولهذا فإن كثيراً من علماء المسلمين إن لم يحرمها يجعل قضية شربها مكروهاً كراهيـة تحريميـة.

القِسْمُ الثّانى

الزجَل والشِّعْر الفُكاهي



نشيـــد الأم

وحياتـك عنـدي يـا مـامـا	إن أنــتـي عــزيــزة عــليــه
تـسـتـاهـلي ألـف سـلامــة	دي غــلاوتــك أدعـيــه
طـول عمـرك على خــدمتنـا	أيمــه وبــالليــل سـهــرانــه
وتـشــوفي تـمـللي راحـتـنــا	ولا يــوم بـتــأولي تـعـبــانــه
يـا سـلام على طيبـــة ألبـك	عشتي يـا غــاليــه يـا أميــره
دا شـويــة إن ألت بــاحبـك	وجــمــايـلك والله كــثــيــره
واليـــوم دا اهــه يـــوم عيـدك	عــمـلوا الأفــراح أصــنـــاف
راح أبوس لما ارجع ايديـك	عـلشــان تــدعـي لـعـفــاف

[مدرسة إنشاص الابتدائية]

* . * . * . * . *

يكفي بقى هدم في مبانيه(١)

وطني العزيز غالي عليه أفديه يا الروح
أنا بت على حالته دهيه عيان مطروح
وبكيت عليه لما عينيه من كتر النوح
دبلت وشاف قلبي أسيّه وصبح مجروح

* . * . * . *

شفت الفضايح في السيما منها راح انجن
ما بقاش كرامة ولا قيمة أبداً للفن
والعاقبة راح تبقى وخيمة ولا حد يحن
علشان أشوف حاجة عظيمة صوتي مدبوح
وبكيت كتير لما عينيه من كتر النوح
دبلت وشاف قلبي أسيّه وصبح مجروح

* . * . * . *

وشفت خمره بتنباع فيه بقى دا اسمه كلام
دا شي يا ناس ما أمرناش بيه دِّين الإسلام
يكفي هدم في مبانيه دا، دا كله حرام
لأوا الفساد دايماً بلاقيه ماأطرح ما أروح
حتى بكيت لما عينيه من كتر النوح

(١) تم التأليف يوم ١٦ يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٠.

دبلت وشاف قلبي أسيّه   وصبح   مجروح
والشاب يا مصر تمايع   بقي   دلوعه
يقضي وقته ما فيش مانع   مع   جربوعه
أفعال جنابه لو طاوع   مش   مبلوعه
ما تقول لي ليه ما انتش نافع   ما   ترد   يا   لوح
وبكيت عليه لما عينيه   من   كتر   النوح
دبلت وشاف قلبي أسيّه   وصبح   مجروح

* . * . * . *

أما البنات حا تولعها   وتنفوخ   فيها
مش لاقيه حد بيرجعها   من   أهليها
تفضل مع «روميو» بتاعها   طول   لياليها
لحد ما النار تلسعها   وترد   الروح
ترجع وتقول كنت ضحيه   وتبكي   وتنوح
مِنْ دي الأمور لاقي أسيّه   قلبي   المجروح

* . * . * . *

أحسن مجلة حاجيبها لك   خد   شوف   فيه   إيه
صور الفجور ناشرينها لك   ما   أعرفش   دا   ليه
وإن قلت عيب ما انتش سالك   من   سيدنا   التيه
وحاجات كتير لو أقولها لك   بالسر   تبوح
خلتني أبكي وعينيه   من   كتر   النوح
دبلت وشاف قلبي أسيّه   وصبح   مجروح

* . * . * . *

زجالي الإسكندريــة

[أنشاص معهد الزقازيق ٢٥ مارس - آذار - ١٩٥٠]

فكــــري :

منفـوخ على إيه وعـاملي أديب وبتفهم في التأليف
عمرك ما نظمت زجل بالذمة في يوم ما كنتش سخيف
وواخـدهـا بفتحـة صـدرك لكن فنـك لسـه ضعيف
تستـاهـل شـارة كبيـرة تعـرف إيـه «دبلوم تخـريف»

عقـــل :

من قلة عقلك دايماً بادعي وأقول ألطف يـا لطيف
فتّحت يـا واد من أمْتي ومـدة عمـــرك وأنت كفيف
راح أدلك ع اللي يناسب قدر جنابك شوف يا خفيف
من بكره قوام في الحاره لف وقول «يخلق برغيف»

كمشـــوش :

يـا كمشمش اختم واشهد أنـك صاحب فن نـظيف
وتملي كـلامـك غـالي لأنـك غـالي وذوق وظـريف
دا جواب القلب إليك يا أمير أزجالنا بدون تحريف
أمــا البـاقين ينقصهم فكـــر وعقـل غيـــر التعـريف

* . * . *

بقـك دا راح اقفله

لساني يا فكري، حذرتك، لسان ماضي
وليـه يا فكـري في فن الـزجـل مـاضي
تلقـاني في الارتفـاع دايمـاً أنـا مــاضي
واكتب على الحقيقة ما اختشي من لـوم
لوحتي فيها «طره» وباسمي أروح ماضي

كـان اتفـاقنـا مـا فيش شتمـــة ولا سبّـه
رجـعت لـيــه يــا غبـي زودتهــا حــبــه
يا للي على آخر الزمان جيت للزجل نكبه
نقضت ليـه العهـود جنيت على روحـك
بقــك دا راح أقفله واكسـر لــك الضّبــه

صبرك شويـه لبعد اللخمـة دي ما تفـور
واخلص من الامتحان وارجع كده مسرور
ح أهزل مقامكم صحيح يا زجالين بالزور
واظهـر عيـوبكم وأبين ضعف أزجــالكم
ما دام ما حدِّش رضي يخلي الطبق مستور

*. *. *. *

إلى فكـــــري :

بــالقلب راضين وبينـا القلب مش راضي
تتحدى ليه من جديد باين عليك فاضي

جيت لـك يا فكـري «الميدان» حـامل سـلاح مـاضي
قـرّرت أحمل عليـك أوعى بقى لنفسك
حـانكـون خصـوم فـي الـمـيـدان والـمـفـتي بـيـه قاضي
لما أنت مش مالي عينك في البلد زجال
وقعت في المعركة يا فكري ليه أمال
شمَّت كـل الأعـادي فيـك مـع العـذال
حكمـه عـظيمـه من اللي قبلنا قـالـوا
أوعى الغـرور يركبـك أصل الغـرور بطَّال

* . * . *

المرأة والانتخاب

في يوم مسكت الجريدة والتقى مكتوب   إن الهوانم بتطلب حق كان منهوب
والستت دول ضروري تنتخب وتنوب   ويكون لها حق في . . . .

* . *

حامـــي الاستعمـــار

[زجل نظمه الشاعر في ٩ فبراير ـ شباط ـ ١٩٥٢، وكان الاستعمار البريطاني قد فقد صوابه، فراح يصب نقمته على المواطنين العزل، ويتنكر للشعب الذي آزره في أيامه السـوداء].

كُـلُ الشعـوبُ تلعنـكْ يـا حــامي الإستعمـار
يـا بـاغي عَ الحقّ دايمـاً بـالحـديـدْ والنــارْ
أسمـكْ صبـحْ من تـاريخـه للنـدالـة شعــارْ
بكـرهْ الزمنْ راحْ يسجـل في صحايفـهْ السّود
أفعــالــك اللي حـتنـطق بــالـهـوانْ والعــار
أشهـد إنـك يـا مستـر[1] في السفـالـة زعيم
خــايـنْ لإنــك بتـتـنـكّـرْ لـشـعـبْ كــريـم
فضلــــه عليك قبـلِ غيرك يـا خواجـه عميم
وانْ كنتْ نـاسي جنـابـك زنقـة العَـلميـن
يفكّـركْ «مـونتجمـري» اللي بيـومهـا عليم[2]

---

(١) مستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الأسبق.

(٢) واقعة العلمين، إحدى الوقائع الفاصلة في الحرب العالمية الثانية بين الانجليز وقوات المحور، تحول فيها انتصار قوات روملِ وزحفها الساحق لضرب القوات البريطانية في مصر إلى هزيمة، وكان من أهم انتصار القوات البريطانية بقيادة مونتجمري، تعاون مصر التي يسرت المواصلات ومواد التموين للقوات البريطانية، وحمت ظهورها وهي تواجه عدوها الغلاب، في معركة يائسة عند العلميـــن.

يُوم ما بكِيت بِالدمــوع يـا عـاهـل الـطغيـان
وقلتْ يـا مصرْ سـاعـدي العــاجـزَ الغَلبــان
بـاسم الصـداقـةَ حَمينـا ضهــركم يـا جبــان
ولا نــابنَا بعــدين خــلافْ الهمّ يــا ريتنــا
سْبنــاك تــوّطـىء وتـلطعْ جــزمــةِ الألــمــان
كان فين «إرسكين»[1] بتاعكم قـاتل الأطفـال
وِانْتُمْ فـ«دنكـرك»[2] شايفين العـذاب أشكـال
وقفت تخـطب نهـارهـا وتشكي سـوء الحـال
وتقـول ما عنـديش خلاف الـدمـع[3] دلـوقتي
داهـيــه تـسـمْ الـبـعـيــد الـخَـايـن الـبـطال
قـضيـتْ على دولـتــك بــأمــورك الخــايبـه
وفـاهم انك سياسي . . غـور جـاتـك نـايبـه
وفي الختــام يــا زعيم انجلتــرا الشــايبــه
أهـدي إليـك لعنــة من أبـطالْ بــلاد النيـل
اللي حَيقضّــوا عليـك بسهــامهم الصــايبــه

* . * . * . *

---

(١) إرسكين قائد القوات البريطانية في منطقة القناة، في الفترة التي اشتدت فيها وطأة الفدائيين على معسكرات الاحتلال. ارتكب عدة جرائم وحشية ضد المدنيين، وقام بحملات إنتقامية . . فهدم الدور ونسف المقابر وقتل النساء والأطفال.

(٢) دنكرك : ميناء فرنسي اتخذته القوات البريطانية قاعدة للانسحاب من شمالي فرنسا، بعد أن هوت فرنسا تحت أقدام الألمان. وكانت الطائرات الألمانية المنقضة تضرب المياه وتطارد القوافل البحرية الهاربة إلى الشاطىء البريطاني.

(٣) كلمة تشرشل المشهورة بعد هزيمة فرنسا، وخوف بريطانيا من الغزو الألماني . . قالها لقومه : لم يبق لكم إلا العرق والدموع والدم . . . .

أيـــام هواك....

[أغنية تنبض بالأسى واللوعة، نظمها الشاعر في ٢٤ سبتمبر - أيلول ١٩٥٣]

أيـامْ هـواك كـانـتْ أحـلامْ   يـا ريتهـا طـالت أحـلامـه
دامتْ لمين في الهـوى أيـام   لـمّـا تـدوم لـنـا أيـامـه!
كـانـت لـنـا دُنْيـةْ أفـراحْ   فيهـا الأمـلْ، فيهـا النشـوهْ
كُنّـافْ هَنا والبـالْ مُـرتـاح   أيـامنَـا نِقـضيهـا ف غنـوه
مـا فـضلش مـنـهـا غـيـر ذكـرى
فـيـهـا الألـم، فـيـهـا الـحـسـرة
كـانْ كـلْ دا كـانْ أوّهـام   والـقـلـب تـكـتـر أوهـامُـه
دمتْ لمين فـي الهـوى أيـام   لـمّـا تـدومْ لـنـا أيـامـه
يـا مـا ليـالي علينـا كـتيـر   فـاتـت وكنتْ قـريـبْ منّـي
تِشكي الهـوى من قلبْ أسير   ودمـوعـي تشكي لـك عـني
راحـتْ وراح أمـلي فـيـهـا
مـا بـقـيـتـش أفـرحْ يـومْ بـيـهـا
مـاتت على عـودي الأنـغـام   ويـامـا رَنـتْ أَنـغـامـه
دامتْ لمين في الهـوى أيـام   لـمّـا تـدومْ لـنـا أيـامـه
لـو كـان زمـانـكْ تـاني يعـود   أفـرحْ بـقـربـكْ واتـهـنّـا
لكن الـزمان عمـره مـا بيجـود   ويـرّجـع الـلي يـروح مـنـا
أمـلْ .. وضـاع ويّـا حـبـيـبـي

وَقَـلّ فـي الـحـب نـصـيـبـي

والـقـلب أصـبـح كـله ألام وطـال عـليـه لـيـل آلامـه

دامت لمين في الهـوى أيـام لـمّـا تـدومْ لـنـا أيـامـه

* .* .* .* .*

هزيمـــة

[كانت الهزائم تتوالـى على الفرق الرياضية بمعهد الزقازيق الديني.. انهزم فريق كرة السلة، وانهزم فريق كرة القدم.. فنظم الشاعر هذه القصيدة في ٢٣/ ديسمبر/ كانون أول/ ١٩٥٣].

«تعـالى» يا فـريقُ هنـا «تعـالى» ... فـذمُّـك بيننـا أضحى حــلالاَ

لمن أُهدي القصيدةَ؟ لستُ أدري ... أأُهــديها «حبيبــاً» أم «هــلالا»

كــلا البـطلينِ فِـرقتُــهُ تبـارت ... فمـا ساوت لـدى اللعب العيالا

لنا في «الباسكت» اختاروا فريقاً ... يحــاكي في ضخـامتِـهِ البغـالا

وفي «الفــوتبـولِ» أفــرادُ تبــدَّوْا ... عِــراضـاً في مَـلاعبها طــوالاَ

إذا مــا صــوبــوا كــرةً يمينــاً ... لخيبــةِ أمــرهِم طلعتْ شمــالا

ولـيس لهـم بهــا عِـلمٌ ولـكـن ... خَــدُهــا بــالتــلامــةِ والــرَّذالا

أيصلحُ للريــاضــةِ فيــلُ قــومٍ ... إذا مــا سار تحسبــه الجبــالا

يحــرِّكُ جسمــه المكتظِّ لحمــاً ... ويحســب نفســه فيـنــا غــزالا

إلى المحــراث شــدُّوهم وإني ... ســأفتِـل كي تَجُــرُهُمُ الحبــالا

* . * . * . *

ليلــة الفرح

[٣١ ديسمبر / كانون الأول/ ١٩٥٣]

ليــهْ يــا ليــالي الفــرحْ من العمــرْ تبقى قليــل؟
وليــه يكــون انتــظارنــا ليــومِ لقــاكي طــويــل؟
دي بَهجتِـك الفـؤاد مــالهــا مِنْ شبــه ومَـثيــل
غـنَّت بـفـتِـنــةْ جـمــالــك وأنــتِ عــارفــاني
شــاعــرْ يحبُّ الجمــال ويميــل لـكــلُ جميــل

مــا أحـلى ليــالي الـهـنى لـمّــا لـنــا بِتـعــودْ
ونـسمــعْ الـلَّحنْ بِسِحــر مـن كمــانْـجَــه وعــود
والـفــرحْ يسقينــا كــاسُــه مـن صـفــا وسُـعُــود
ســألـتْ فِـينْ الـهــنــا قــالــوا بـتــســأل لـيــهْ؟
الــفــرحْ مش بعــرفــه دا الــفــرحْ لـلمــوعــود

والـسـعــدْ وَعــدْ ونـصـيبَــك غـيــرهُ مــا تــلاقـي
والـطيِّـب الـلي عــمـلتُــهْ فــي دِنـيْــتَــكْ بــاقـي
لا تـقــولْ بـمــالــي عِـليــثْ لـكــنْ بــأخــلاقـي
أمــانِــهْ لــو دُرتْ يــومْ بــالسعــد تسقـي النــاس

لتفـوتْ علـى حيِّنـا وتِسـقِيـنـا يـا سـاقـي
لـيـهْ يـا ليـالي الـهـنـا طـالْ الـغـيـابْ عَـنَّـا
والـقـلـب يـا مـا انـتَـظرْ رؤ يـاكـي واسـتـنـى
نـفـسـي أزورْ الـحـبـايِـبْ مـرهْ واتـهـنـى
ولمّـا أشـوفهم كِـدَهْ في سـاحـةِ الفـرح قـاعـدين
نـدريـن عـليَّ لأرشَ الـمـسـكْ والـحِـنَّـه

هـاتـوا الـودْعْ واسـألـوهْ يـمـكـنْ يَـطمِّـنـي
فـيـن الـحبيبِ اللِّي أغـلى عـنـدي م الـنِّـنـي
جـدعْ حـليـوهْ صـغـيـر كـفُّـه مـجـنِّـنـي
وهـاتـوه لي حـالاً ادي انـتـو عـرفتـو أوصـافـه
بـدِّي أربـاك لـه لـلـيـة الـدُّخـلَهْ وأَغـنـي

منـسـوبْ لـعـيـلِهْ لـهـا رِفـعـه ومقـامْ عـالـي
همُّـه الـحـبـايـبْ وفـيـهـم مَـدحـي بـحـلالـي
مـبـروكْ عليـك يـا صـديـقَ الكُـلِّ يـا غـالـي
يـا لـلـي تـركـتْ الأعـادي قَـلـبـهـا قـلـيـان
وكـل واحـدْ يـقـول: يـا ربْ عُـقـبـالـي

فـرحـتْ قـلـبـي مـع قـلوب الـلّلي بـحـبـوك
والـكـلْ حـولـك يـهـنُّـو بَـعض ويـهـنُّـوك
إدعـي إلـهـكْ يـطوِّل لـك فـي عـمـرِ أبـوك
لـمـا يـشـوفـك كـده في الـمـركـز الـعـالـي
ويـفـتـخـرْ بـك وأهـلكْ في الـعـين يـشـيـلوك

دي الــلـيـلة لــلـيـلة الــمُـنـى أمــا الــنــهــار دي
نـــور الـــســعـــادة يـــزيِّـــنْ الــحــفــلة والـــنـــادي
نـــادي الـحـبـايـب يجـوا لـنـا يـشـرفـوا نـادي
وغـنِّـي لـحـن الـهـنـا مـن قـلـبْ كـلـه سـرور
دي الــلـيـلة الــلّي لـهـا طـال انـتـظارنـا، دي

عمـري مـا حَنْسى جمـالهـا يـوم من الأيـام
قيمـوا الـرايـات يـا حبـايب وانصبـوا الأعـلام
وهـاتـوا يـالّـلا الـورقْ وابـرولـه الأقـلامْ
عَـلَشـان تحـيُّـوا حبيبنـا في لـيـلة الـفـرحـة
حقيقـه دي والـلاَّ أنـا في حـلمْ مِ الأحـلام؟

الـفـرحْ بـات جَنبِنـا والـخيـر بقى فـريـحـنـا
إحـنـا الـلِّي لِـنـا الـمُـنى وزيـادة وفـراحـنـا
فـاقتْ عن المسـك في ليـلة الـزفـاف ريحـنـا
ولـمـا نـادى بـشـيـر الـسَّـعـدِ والأفـراح
سِـعـدتْ نفـوسنـا وغـنـى الـقـلـب وفـرحـنـا

يـا عـم الـلِّي مـلاك الـبِشـر غـنـى وعـيـد
أصـلْ الليله دي لهـا في القلب فـرحـة وعـيـد
والـسَّعـد وافى وحـالـنـا كـله في الـمـواعـيـد
وشـربـنـا كـاسِ الـصَّـفـا والـبِشِـرِ قـدامـنـا
والـيُمـنِ من خلفِنـا روح يـاعـذولـنـا بـعـيـد

عـنـدي جـواز الـقـريبـه بـالـقـريـب مـطلوب
تصفى مـا بينهـمْ على الـعيشـه نفـوس وقـلوب
والـعـرقِ داس وبـعـد الـخُـلق فـيـهـا عـيـوب
وع الـعمـوم دا نـصيب أصـل الجـواز قـسمـه
وشـيءْ مقـدَّر، ومـينْ يـهـرب مـن الـمكـتـوب؟

أصـبـحْ جـواز الـغـريـبـه شـغـله ومـحـاولـة
وكـلَّه تـعـذيـب وأخـذ وردْ ومـداولـة
والـحـكـمْ بـعـد اسـتـشـارة مـجـلس الـدولـة
على أيـة قـرفْ أو تعبْ أو مـا هـو المثـل بيقـول
جـحـا في سـالـف زمـانـه بلحـم طـوره أولـى

قـالـوا الأصـيـل لـلأصيلة تـزينـه ويـزينـهـا
ودهْ بـنتِ عـمُّـه عـروستـه مش غـريـب عنـهـا
تـاج الـطَّهـارة يـحـلِّي جـبـيـنـه وجـبـيـنـهـا
والـرِّكْ عـلى الأصـل دولـة عيـله لـهـا أمـجـاد
والـطِرحْ فـي الـشـجـرة يـاخـذ سكـره مـنـهـا

الـشـمسِ لـلـبـدرِ مش عـايـزة كـلام تـانـي
وادِّيـنـي لـلـبـدر مشْ طـاقـتـي قـلتْ أوزانـي
وإن كُنتْ قصـرت بـرضـة الـبـركـة في إخـواني
لـو عـمـري طـال لمـا تـجي لـيلة تـشـبـه دي
لأقـول زيـادة وأهـدي زهـر بـسـتـانـي

أنشـــاص

[١٥ / يوليه / تموز/ ١٩٥٤].

عاوز أقول كلمتين بس اسمعوا يلا
يرتاح ضميري واخلص ذمتي من الله

واللي عليّ أعمله والحق راح قوله
أهو والسلام منها فايده ومنها نتسلى

عاوز أقول كلمتين عندي ما فيش غيرهم
عن أهل بلدي وعن حالهم وعن سيرهم

واللي حايزعــل يلاقي البحر قدامه
يشرب ويشبع . . وطبعاً كله من خيرهم

اللي أعرفه راح أقوله حاجه ع المكشوف
واللي يقول الحقيقة ليه يكون مكسوف

لا مؤ اخذة يا أهل البلد إن كنت راح أصرح
وأكشف عيوبنا كدة قدام جماعة ضيوف

مش راح أجامل ولا أظلم حد أرواح أكش
وأكون منافق كبير كداب بستين وش

واكمنكم أهــل يعني أمــدحكم
واخلق لكم لحمه ضاني من البصل والمش

يا ما كان في نفسي أمجد وأكتب الأزجال
وأقول بلدنا عظيمة وحاجة عال العادل

لكن أعمل أيه داحنا دافنينه سوا واللي
من بنت عمه اختشي ما يجبش منها عيال

خيبتك يا انشاص ، يا بلدي خيبة مش على حد واجني ليه ما انته عارفه الحاله مش ولا بد

لو كان حدا يا هدوم غير دي لشقيتها
نفسي أعيط وخايف لتقولولي سد

الأوله ليه كده فيكي الغني مفجوع
كرشه اتملا والفقير رايح يموت م الجوع

يستخسر القرش وانتي شايفه بعنيكي
لا نادي نافع ولا جمعية ولا مشروع

اللي فلوسه كثيرة وحاجه ما لها حساب
من بخله دايما على نفسه يسك الباب

وان رحنا نطلب تبرع منه للإصلاح
يفتح لنا حلقه ويخلي عيشتنا هباب

والثانية ليه كلمنا كلمتنا مش واحدة متفرقين والبلاد حولينا متحدة
واكمننا ناس؟ أقول إيه مش بني آدمين ضاع مننا النادي والمستشفى والوحدة
«سلمنت» جارتنا نفعتها أهاليها «وميت معلا» خلاص الوحدة جت منها[1]
وادي احنا لا كلنا لا أبيض ولا أسود وعن قريب راح نجيب عاليها في واطيها
والثالثة حاجة سخيفة بعيد عن السامعين دايماً بشوف إننا في بعض غير واثقين
وان ربنا قدر الطلبة وعملوا لهم جماعة بتقول عليهم دول عيال فاضيين
وناس كتير رأس مالها التريقة والفشر يادوب بتصفي الحقيقة في مزعهم ع العشر
مركب النقص مستولي على عقولهم وبحشر وانفسهم في كل مجلس حشر
والرابعة داء ما يشوفوش يارب كل حبيب ليه الغبي ، والنبي يعمل ذكي وأديب
ولو ف يوم زي دا واحد وقف يخطب يفضل يألس عليه ويقول عامللي خطيب
جاهل ما يعرفش من فن الأدب حاجه وعنده دايماً برود ما تقول تلاجه
لا هو بيعمل ولا بيكسب ولو جيت له تقول له عيب راح يهاجمك دوغري بسماجه
يكفي بقى دول بلاش الخمسة والستة ما فيش لزوم للكلام داحنا ولا دحته
لكن صحيح ليه في حفلة زي دي ما تجوش وإن انعديتم في ختمه تجروا ع الفتة
نهايته قصر الكلام ادخل في موضوعنا قلة عملنا وكذلك ضيعنا
طبعاً عرفنا المخيم والغرض منه وإنه في الأصل جاي علشان يشجعنا
ونادي يعمل لنا جمعية للإصلاح يلاقي فيها الموظف فايدة والفلاح
ودي حاجة طبعاً عظيمة بس عايزالها ناس يعملوا والتعاون أصل كل نجاح
مش راح يتم العمل إلا إن تبرعنا وحا تساعدنا الحكومة زي ما سمعنا
وكل واحد يجود باللي عليه يقدر والقرش ع القرش يبقى كتير وينفعنا
حا تنضف الحتة وتركب لنا الفوانيس وتخلي إنشاص جميلة أحلى من باريس
وتعلمك ياللي ما بتقراني ولا بتكتب يا رب وفقنا وابعد عنا إبليس

---

(١) سلمنت : قرية قريبة من أنشاص، وكذلك «ميت معلا» .

وفي الختام أهدي ألفين شكر وزيادة لضيـوفنا اللي ملونـا بِشر وسعـادة
عقبال ما بيجو يزورونا بالسنة الجاية ما هي خلاص دي بإذن الله بقت عادة

* . * . * . * . * . *

عريس المستقبل

[صور للحياة الزوجية كما يراها الشاعر. نشر هذا الزجل بمجلة البعكوكة في ١٠/ يوليه/ تموز/ ١٩٥٥].

يا كريمة أنا جيت اتقدم — أكون عريس المستقبل
واديني شاب ومتعلم — وللنجاح دايماً بعمل
عزيمتي يا عروسة قوية — وقلبي كله أملْ وطموحْ
وفي الشهادة الثانوية — وطريقي قدامي مفتوح
طيب.. ومن عيلة أصيلة — غاوي الهدوء مش غلباوي
وخصالي محبوبة جميلة — يشهد عليَّ الشرقاوي
ما نيش غني.. لكن يعني — الحالة عال مش بطالة
وتطلبي إيه غير إني — على أهلي مش عايش عالة
جانبني عش جميل وسعيد — أساسه حبي وحنانك
وكل يوم الود يزيد — يملا عواطفي ووجدانكْ
وفي غرام روميو وجولييت — نقضي الحياة الزوجيهْ
ومدام حانبقى سوا في البيت — ما فيش معارك زجلية[1]
حاكون أنا آمر ناهي — والكلمة راحْ تبقى بتاعي

(١) معارك كانت تثيرها مجلة البعكوكة بين الزجالين.

أراضيكي لكن واللهِ　　لو تطمعي.. عندي عصايتي
فيه لسه حاجة حاقولها لك　　ولو انها يعني خطيرة
لو كنت حاتطولي بالك　　حا تبقى بالحب جديره
أنا ضد إعطاء الستات　　شيء م الحقوق السياسية
لافِ برلمان ولا فِ انتخبات　　كافر بدعوة درّية[1]
بيتك وبس دا مملكتك　　والشعب جوزك وعيالك
ربِّيهم أنتي ف مدرستك　　يبقى اتفقنا على ذلك..؟..

..*.*

---

(١) درية شفيق.. وكانت الدعوة إلى حقوق المرأة إذ ذاك، كغيرها من الدعوات المزيفة المنحرفة.

في المعركة الزجليـــة (*)

يـا عـم الحـاج أنـا آسـف ... لأنـي غـلطت فـي حـقـك
وأصـلي مـن زمـان عـارف ... وسـاخـة أو لـعـدي بـقـك
صحيـح أنـا قلت بلسـاني ... إهـانـتـك بـالـوطـا لازمـه
واديـنـي بـا عـتـذر تـانـي ... لكن مش لـك .. دا للجـزمـه
لأن الـنـعـل لـو يـنـزل ... عـلى صـداغـك ح يتـوسـخ
ومش مـمـكـن أنـا أقـبـل ... يـروح فـي الـوحـله ويـلـخ
كـتـابـتـك لـلغـبـاوة مـثـال ... وخيـبتـك عـنـدنـا تـقـيـله
وجـاي تـعـمـل لـنـا رجـال ... يـا شيـخ قفـل.. جتـك نيله
مـشـبـعـنـا كـلام فـاضـي ... وعـامـل في المـيـدان ده أمير
زمـانـك راح مـع الـمـاضـي ... وليـه ما خـدوكش في التطهيـر؟
كـلام داروين صحيـح معقـول ... وبـنـلاقـي عـلـيـه بـرهـان
لكن لـو شـافـك أنت يقـول ... بـأن الـقـرد كـان إنـسـان
حـا تفضـل خيبـة طـول عمـرك ... وحـا تمـوت م البـلغ مهـري
وتـكـتـب يـومهـا عـلى قـبـرك ... هـنـا الـعـرة هـنـا فـكـري
مـعـاك أنـا أصلي بـتـسـاهـل ... وأقـول راجـل كبيـر مـعـذور
لـو أنـك يعني «تيس» تـاهـل ... و«مـع ذلـك» جبـان مغـرور
لكن حـا ارجع أقـول لـك ليـه ... وأنـا عـاملك صـاحـب لـيـه

(*) نشر في العدد السابع من مجلة البعكوكة تاريخ ١٩ يونيو/ حزيران ١٩٥٥.

وتستعجل وترفض ليه | تئر وتعترف بيه
وبعد أنصحك على خيبتك | وخيبة زجالين بلدك
أقول اللي نتف شيبتك | ومن فن الزجل طردك
وأخشى أموت يا شرقاوي | يا ناس كُل إخوانك
على زيارتك أنا ناوي | بسرعة ابت لي عنوانك
أمانة لو تلاقي حمار | في ٩ شارع الليثي
هاتو لي أما اركبه مشوار | وأعميه العمى الحيثي

* . * . * . * . *

الفول أكلي ما حييت (*)

الفقرُ يملأ بالمذلةِ كاسي ... إني سأُشهر في الورى إفلاسي
لا الجيبُ يعمرُ بالنقودِ ولا يدي ... فيها فلوسٌ زيِّ كلِّ الناس
أصبحتُ باطي والنجومَ[1] ولا أرى ... أحدٌ يُخففُ كُربتي ويواسي
الفولُ أكلي ما حييت.. وإنني ... متحرقٌ شوقاً إلى القلقاسِ[2]
قد كدتُ يا قومي أصيحُ منهقاً ... وتخلعت من أكله أضراسي
البطنُ خالٍ ـ كالجيوب ـ وأشتهي ... ما في المسامِطِ من لحوم الراس
وإذا مشيتُ فإنني متهالك ... وأكادُ ألفظُ جائعاً أنفاسي
وأمرُّ بالحاتي فأهتفُ قائلاً: ... كم ذا يكابدُ مفلسٌ ويقاسي
قد بعثُ مهرِيَّ[3] الهدوم وفي غد ... سأبيع حتماً للعبادِ نُحاسي
وإذا ذهبتُ لحفلةٍ أشدو بلا ... أجرٍ، كعبدِ الحيِّ أو حوَّاس[4]
فهناك من يأتي يهدد صائحاً: ... أجلسْ لحاكَ اللهُ من هلَّاس
فألمُّ أبياتَ القصيدِ وأنثني ... أمشي على الطرقاتِ كالمُحتاس
ويظلُّ ينخلعُ الحذاءُ على الثرى ... فمقاسُ صاحِبه خلافُ مقاسي
لو كان هذا الفقرُ شخصاً بيننا ... لقطعتُ حالاً رأسهُ بالفاس

(*) نشرت بمجلة البعكوكة في ٢٤ يوليه تموز سنة ١٩٥٥.

(١) يقال: باطه والنجم ـ مثل عامي يضرب للإفلاس. يعني ليس بين إبطه والنجم حائل.. إن ذراعة عارية، ويده خاوية.

(٢) القلقاس: البطاطا المسلوقة.

(٣) مهري أصله مهروء: للحم الذي زاد نضجه حتى سقط عنه العظم، شبه به ملابسه البالية.

(٤) أسماء مغنين مشهورين بمصر آنذاك.

بلــدي (*)

على تــرعــة الإســمــاعــيــلــيــة | دره فــي جــبــيــن الــوادي
عــملوهــا مــديــنــة ســيــاحــيــة | لــجــمــال الــجــو الــهــادي
عــلى شط الــتــرعــة الــحــلوة | امشي اتــمــخــطــري يــا صــبــيــة
دا جــمــال الــدنــيــا فــي غــنــوة | مــنــك ســاعــة الــصــبــحــيــة
الــنــار في الــقــلب أهــي والــعــة | م الحســن صــبــحــت فــي حــيــرة
طفيهــا يــا شــايلة الــزلــعــة[1] | دي الــمــيــة مــعــاكــي كــتــيــرة
بــلدي روضــة مــن الــجــنَّــة | لــجــمــالــهــا الــبــال بــيــروق
والــقــلب فــرحْ واتــهــنــا | من يــوم مــا طــردنــا فــاروق
جــنــايــنــهــا فــتــنــة وزيــنــة | حــرمــونــا كــتــيــر من نــورهــا
والــخــيــر بــقــي مــلو ايــديــنــا | ويــومــاً لي على الله بــزورهــا
كــم مــرة يــعــدي عــلــيــنــا | شم نــســيــم مــا نــعــتــبــهــا
نــعــطش ونــشــوف بــعــيــنــيــنــا | مــيــتــنــا ولا نــشــربــهــا
مــطــبــوع فــي ذهــني مــنــاظــر | مــن أيــام الــتــفــتــيــش
والخير كــان يــا خــدة الــنــاظــر | والــلي زارعــيــنــه مــا فــيــش
دلــوقت بقــت حــاجــة تــانيه | شــمــت بــالــشــورة نــفــســهــا

(*) ٢٤ / يوليــه / تموز / ١٩٥٥.

(١) الزلعــة : جرة الماء تصنع من الفخـــار.

دايماً بالخير والتقوى والود عاشت مليانة
وكفاية ان احنه شرافوه بالجود الناس عرفانه
يا ما شفتي كتير يا بلدنا أقول إيه وأعيد إيه يا أنشاص
دا احنا أحسن من أجددنا ما انزاح الظلم خلاص

* .* .* .*

حديث أم علي صباح العيد

[صورة ريفية أصيلة الملامح صادقة التعبيـر، نشرت بمجلة البعكوكة في ٣١ يوليه / تموز / ١٩٥٥].

عيـدنا الكبيـرْ جانـا يتمِّ الفرحـة يا حاجّ قوم الفجر شقشق واصحَى
فين يا خديجة شبشبِك والطَّرحة ياللا البسي واتجهزّي يا عروسة
أحسن عريسك جاي لنا حايزورنا ويقول على ميعاد الفرحْ ويشوُرنا
ويـزيد هنـانا في البلد وسـرورنا ونخلي حسـادنا تبـاتْ مفـروسـة
صحي أخوكِي على قَوامْ من نُومه مـاله كِـدهْ وادنِي لِيه مِنْ يـومـه
المَيه سَخنة وجهـزي له هـدومُه علشان يقوم من فَرشته يتشـطَّف
هاتي المداس أحسن أبوكي طالع رايحْ يصلي العيد هناك في الجامع
يا ربِّ آدي أنت آهُهْ شايفني وسامع عيده على الإسلام بخير واتلطَّف
المنـدَره نضفيـه تملِّلّي وحلوة والسكـر اشتـرينـاه وبُنِّ القهـوة
أنا خايفة ليَطُبوا الضيوف على سهوة ما تشوفي شُغلك ياللاليه اللَّبخة
رياحة القرافة يا بنتي قبل الزحمة أطلع على خالك حسن بالرحمه
وأديني جهـزت الحلَل للَّحمـة إبقي انتِ بسْ ارمي الحطب للطبخَه
قوم يا علي هُوَّه أنتَ لسَّه صغيرْ قوم يا بني قوم ياللااستحمه وغير
م ِ الفجرْ والنوم من دماغي مطير والشمس طلعت وانتَ برضُك نايم
جـزار بلدنـا من زمـانْ داعيينُـه دلـوقتْ راح يِجي لَنا بسكـاكينه

وخروفنا من رجب اللي فات شاريينه ... يا ربِّ خِيركْ على الغـلابه دايم
لما الصلا تِخلص أبوك حايشوفك ... بوس إيدُه يِدِّلكْ قوامَ مَصروفـك
اصرف على نفسك وحيِّ ضيوفكْ ... أولادْ خالاتك يا علي حايجولك
واعملْ حسابكْ راحْ تروح وتعيد ... على ست أبوك اختك وجوزها سيّد
الجحش عندكَ في الزريبه مقيد ... يـا رب يا بني يبلّغـك مأمـولك

* . * . * . * . *

صديـــق في ضيـــق

[للشاعر صديق كثيراً ما كان يورطه كرمه وحياؤه في مغارم تخلف له الضيق والحاجة، وقد نشر الشاعر هذه القصيدة في ١٥/ ديسمبر كانون أول/ ١٩٥٥ يداعب صديقه على أثر ورطة ذهبت بمصروفه الشهري. . .].

مـــا بـيـــن بـؤسٍ وضـيـــقِ — عِشْ حـــائـــراً يـــا صـــديـقـي
ضـيـــوفـــك الـيـــوم جـــاءوا — مـــنْ كـــل فـــج عـــمـيـــق
ولـيـس يـــأتـــون إلا — فـــي كـــل ظـــرف دقـيـــق
«لـلـسـيـنـمـا» والـمـقـاهـي — صـحـبـتَـهـم. . كـالـغـريـق
ولـسـتَ تـمـلـك قـرشـاً — فـي جـيـبـك الـمـخـروق
ضـيّـعـتَ «مـصـروف» شـهـر — فـيـمـا لـهـم مـن حـقـوق
فـداؤك الـيـوم نـفـسـي — مـن حـاتـمـي عـريـق
كـمْ اسـتـلـفـت نـقـوداً — مـن «هـيـكـلِ» الـمـزنـوق (*)
راحـتْ جـمـيـعـاً عَـلـيـهـم — يـا لـلـشـعـور الـرَقـيـق
قَـدْ غـادروك لِـغُـلـبٍ — مُـرٍّ وتـنـشـيـفِ ريـق
«فَـتُّـوحُ» يـصـرخ: مـالـي — ومـالـهـم، فـي زعـيـق (*)
و«عـابـد» بـات يـهـذي — فـي غـضـبـة الـمـفـلـوق(*)
والـشـيـخ «هـيـكـل» جـفـت — دِمـاؤه فـي الـعُـروق(*)
فـنـم بـكـلِ غـروب — ولا تَـقـم فـي الـشـروق
واهـربْ ولا تـبـدُ يـومـاً — لِـزائـرٍ فـي طَـريـق

(*) أسماء الذين كان يستدين منهم صديق الشاعر من أصحاب المحلات والأصدقـاء.

من وحي الرحلـة

[كـان الشاعـر في رحلة لطلبـة معهد الـزقـازيق إلى الأقصـر وأسوان، وفي حفلة سمر أقيمت بمعسكر الشباب بأسوان مساء يوم ٣٠ يناير كانون الثاني ١٩٥٦ ألقى هذه القصيدة...]

أتـيـتُ إلى هـذهِ الـرحـلـة ... أُجـرِّرُ أذيـالَ كـاكـولـتي
وقيـل لي: الـزيَّ لا تـنسـه ... فـلم تنـجُ رأسـيَ من عِـمَّـتي
وقـد لبسَ الكـلُّ مـا عنـدهم ... مِـنَ البنـطلونِ إلى البـدلـة
وهـأنذا بـيـنَـكم قـدْ ظـهـر ... تُ حـزينـاً.. بهـاتيكم البلوة
ومـا أنسَ لا أنسَ أمرَ الـطعا ... م أوقـع الـكـلَّ فـي ورطـة
غمـوسي أكثر مـا قـد حملـ ... ـتُ وعيشي تضيقُ بِهِ شَنطتي
ومـا ينفـعُ الخبـزُ في شنـطةٍ ... وقـدْ كـانَ يـوضَـع في قُفَـةِ
لقـد قتـروا فـي مصـاريـفنـا ... ومـا «لَا يَمُـونـا» على الفكـة
إذا قلتُ هـاتـوا لنـا مـأكـلاً ... يقـولون: هـل نحنُ في ختمـة؟
وهـا نـحن لـم نَلْقَ زاداً لـنـا ... سـوى العيشِ والملحِ والجبنـة
و«شـاهين» جاء لنـا عـامـداً ... يـحنِّسنـا الـيـوم بـالـفـرحـة
وراحَ يـقـطِّعـهـا بـيـنَـنَـا ... ويبلعُ مـا طـاب من لحـمـة
ومـا قـال: هـاشمٌ.. خـذ حتَّـةً ... وقـد كـنتُ نفـسي في حـتـة
فـأقسمُ إنْ لـم يجـيبـوا لنـا ... لحـومـاً مـن الـغـد بـالأُقـة
ويـحصـلُ طبـخٌ ولهطٌ وشفـ ... ـطٌ ونغـرقُ في الـدهن والفتنـة
سـنـعـلنُـهـا ثـورةً لا تـلـين ... وكم أشعـل الجـوعُ مِنْ ثـورة

ذكـــــرى (*)

على باب حارتنا الفرحه جايه ورايحه | وازاي يا قلبي راح تساع الفرحه
حـارة الأمـارة يـاللي زي الجنـة | نـدرنْ عليـه لافـرشـك بـالحنـه
قبل الصيام ادي احنا أهه حانعيد | عيـدنـا الكـبيـر يـوم(. . . .)
ولا كـل فـرح يتم زي فـرحنـا | إحنـا اللي فيكم يا عـواذل إحنا
ادعـوا حبـايبنـا وجيـرة الجيـرة | بس ادعوا الحسن نيكووا م الغيرة
قابلني يا أمة وكنت شايله الزلعة | خلا الفؤاد من حبه زي الـولعة
بانشر غسيلي يا أمة في الشمساية | خطى السطوح وجـه قعد ويـايه
جيتـه يا أمـه دي الجـدع جيتـه | والحب باق في عينيه مـا جنيته
يا مقسم الأفراح ونـاسي نصيبي | دا مسيري يوم افرح بقرب حبيبي
والله إن قابلــته في الطريق لاندهله | واطلب رضاه واخده واطير من أهله

* . * . * . *

(*) أول ابريل / نيسان / ١٩٥٥ الواحدة صباحـــاً.

أميـــر الهعهع

[زميل أزهري التحق بكليـة دار العلوم، فتبدلت حالة وتبدَّل في مسلكـه. نظم الشاعر فيه هذه القصيدة السـاخـرة. تاريـخ القصيدة/ ١١ يناير/ كانون ثاني/ ١٩٥٧].

زينُ الشبـاب الجـامعي الـتـابعـيُّ التـابـعي

الضـاحِـكُ المـرحُ الـطروب العـاطفي اللَّوذعي

«الـدون جـوان» الفـذُّ من تهـواهُ ذاتُ البـرقـع

الغيـدُ قـد دلَّعنـهُ أفـديـهِ مـن متـدلـعِ(١)

قـد كـانَ يبـدو الأزهـري لهنَّ مثـل البُعبُـعِ

حتى أتى هـذا فقـوبِـلَ بـالفؤادِ المـولـعِ

يا صاحِ : يا ملكَ الفُكاهةِ . . يا أمير الهعهعِ(٢)

أصبحتَ تجتـذبُ القلوبَ بمشيـةِ المتقمـعِ(٣)

ويشارُ نحوك إن مـرَرت على الحسان بـإصبعِ

أنسيتَ مـا حـوتِ المتُـونُ ومـا رواه الأصمعي

أنسيتَ يـوم تخـرَّقتْ عينـاكَ من جخلنجعِ(٤)

(١) المدلع : الناشيء في العز والنعمة. وهو من كلام المولدن.

(٢) الهعهع: اسم صوت من هع . . هع.

(٣) المتقعقع: المتحيـر. ولكن هذا اللفظ في معناه الشائع الذي يقصده. الشاعـر يطلق على المختـال.

(٤) جخلنجع : إشارة إلى الألفاظ الحوشيـة الغريبـة.

الآنَ تـأنسُ بـالفتـاةِ ولا تقـولُ افـرنقعي[1]
فـإذا استعطتَ خـداعهنَّ فـإننـا لمْ نُخـدعِ
إني أرى أثـرَ العمـامـةِ في جبينِ المجْـدعِ

* . * . *

(١) افرنقعـي : تنجي ، ابتعـدي .

مشـي الهلافيـت

لا بـالملام ولا بـالنصـحِ تنتفـعُ ... متى أراكَ عن التهليس[1] تمتنع
رأيتُ ذقنَكَ مثلَ الصوف شايبـةً ... ولستَ عن سيركَ البطال تنقـطع
كيِّفُ مـرمطةٍ. . حَـرِّيفُ شعبطةٍ ... من غيـرِ لخبطةٍ للطيشِ تنـدفـع
وأنتَ مِشْ عيِّـلٌ حتى يليقُ بـهِ ... هـذا الهزار وهـذا اللهو والـدلع
قضيتَ خمسين عاماً كلهـا قرفٌ ... حتى كبرتَ وعاد الضرس ينخلع
عارٌ عليكَ، إذا أصبحتَ منحيـاً ... وفيك كلُّ صنوفِ الهلس، والبدع
وقـد بدا رغم «مكيـاجٍ» تزاولُـه ... في رأسكَ الأبيضان: الشيب والصلع
قطعتَ عمركَ في هزلٍ ومسخرةٍ ... وعنـدكَ البؤس بالتشبيـح يجتمع
فكم سهرتَ بكازينـو تبعزق في ... مصروفِ بيتك والأولاد ما شبعوا
وإن رأيت «لهاليبو[2]» لك ابتسمت ... تطبُّ في حبها كالعجلِ إذ يقـع
لـك انبسـاطٌ وتهييصٌ وفـرفشـة ... وللوليـة[3] هم القلبِ والـوجـع
وحين تطلبُ شيئاً منـكَ تطبخـهُ ... أراكَ تـخلق أعـذاراً وتـختـرع
اسمع كلامي يا هذا وكن رجلاً ... مَشيُ الهلافيتِ مشيٌ ليس ينبلع

* . * . * . *

(١) التهليس: من الهلس وهو داء يسلب العقل، وهو في العامية قريب من هذا المعنى.
(٢) لهاليبـو: من الأسماء التنكرية أو الساخرة للراقصات.
(٣) الوليـة: كناية عن الزوجـة.

هل تعرف أساتذتك؟

[ثمانيـة من أساتذة الشاعر بكلية دار العلوم، وصف كلا منهم بمسياه ثم تسأل من يكون؟].

بـالنُّبلِ معـروف ودي مش حاجـة من عنـدي
وكلنـــا نشيله في العين دي وفِ الـعيـنْ دِي
مــلاكْ على الأرضِ مــاشي، وامــا بنقــابلهْ
فـي رحـمــةِ الأبِّ يــاخــدْ مـنِـنــا ويـــدِّي
دا يبقى مين؟[1]

أستاذ ما يرضاش عن اللِّي يمشي بـالمقلوبْ
طلَّعْ كـلام سيبـويــه في النحـوِ كلُّه عيــوبْ
وتنـاقشه ف محـاضرتـه تضربْ معـاك لخمـه
وان كنتْ غـــالبْ. . تملِّلي يقعِّــدك مغـلوب
دا يبقى مين؟[2]

محـــاضـرتـــه فِ الغـــزلْ أحلى من التـــوفي
كتبِ فِ أنـــواعـه: كن ليـــه نِسي الصـــوفي

---

(١) الأستاذ علي الجندي عميد كلية دار العلوم (سابقاً).
(٢) الدكتور عبد الرحمن محمد أيـــوب.

أسلوبــه أسلوب جميــل لكنْ بتحفظ فيـه
نصوص كتيره.. يا خوفي منها يا خوفي
دا يبقى مين؟[1]

النقــدْ بيـدرِّسـهْ بطريقـة عـال العـالْ
لكن احنا مافْهِمنَهاش.. والحق راح ينقال
وعلشـان مـا يظهرشِ منـا الجهلِ قـدامُه
كـنـا بنسكـتْ ولا نسـألشِ أيَّ سـؤال
دا يبقى مين؟[2]

شــرقـاوي طيِّبْ، وقلبـه أبيض من النيكـلْ
شـاعرْ، وفِ محـاضرتـه أسرع من الديزل
تعبتْ علشـان أجيب القـافيـه على إسمـه
ما لقيتش إسم يساويه في الوزن غير فيصل
دا يبقى مين؟[3]

بـاحث وعقله كبيـر فعـلاً، ودا مش فشـرْ
ومعلومـاتـهْ عظيمـة تستحق النشـر
جـهْ السنا دي جـديـدْ وادانـا في التطبيقْ
حـاجـات كتيره ذاكرنا منها بيجي العشـر
دا يبقى مين؟[4]

عـالمْ متين، وان سألته سؤال يروح زهقان
إدانـا في الفقـه مقلبْ مستـويِ مليـان

---

(١) الدكتـور أحمد الحوفـي.
(٢) الدكتور محمد غنيمي هلال.
(٣) لدكتور أحمد هيكـل.
(٤) الدكتـور كمال محمد بشـر.

وجــابْ لنــا أسئلة صـعبــة مــا حــلِّنَهــاش
وتقــابله يضحكْ . . كـأن اللي جرى مــا كان
دا يبقى مين؟[1]

دِينمـو فِ دار العلوم مليــانْ حــاجـات تنفــعْ
لــكـــل فــكــرة جــمـيـلة يُـعــتـبــر مــنـبــعْ
آراؤه دايمــاً سـديــدة، بس فِ الجــامعــة
روتين معقَّــد . . ومين يـقــرا ومـين يســمــعْ
دا يبقى مين[2]

* . * . *

(١) الأستاذ بدران أبو العينين بدران.

(٢) الدكتــور عبد الحكيم بلبــع.

في المعركة الزجلية

[أنشاص]

شو فوله مركوب وأدوله	دم في طوله
وهاتوا كوديه ودقو له	يمكن ملبوس
الراجل الندل الخايب	أبو ديل شايب
من غير لجام تلقاه سايب	علشان منحوس
الفن من أمثاله بريء	واطي ودنيء
وان كان ما يسمعش التهزيء	يصبح عيان
شلق، سفيه، جاهل عرّه	إطلع بره
ما لكش مطرح بالمرة	جوه الميدان
قدرت تشتمني.. يا ويلك	يا سواد ليلك
ولسه بتهز فِ ديلك	لكن على مين
يا للي المرة أحسن منك	لازم أرنك
دا مستحيل أبداً إنك	م البني آدمين
كل اللي بيشوفك على طول	يرمي لك فول
وادي احنا أههُ من غير ما نقول	عارفينك دون
في العطارين لما يقابلوك	يمشوا يزفوك
ودغري على وشك يكفوك	يا بو داء ملعون

خلينا نضحك على جهلك يلعن أهـ...
حاسب لتغرق على مهلك يا خروف نطاح
بلاش بقى تصب تلامتك وحياة ما
مالك كمشت كده... سلامتك رد يا مشكاح

رذالة ما تقولش مزين راح تتلين
نهارك أسود ومطين قول انشا الله
طب لا أنت زجال ولا حاجه أمّا سماجه
إيه البرود ده يا تلاجه فيك حاتسله

حلفت يا فكري لادشك واكشف غشك
الكل حا (...) في وشك يا زميل إبليس
عالفن جي بتتطفل ليه يا مغفل
قفل دا جهلك بان... قفل وبلاش تهليس

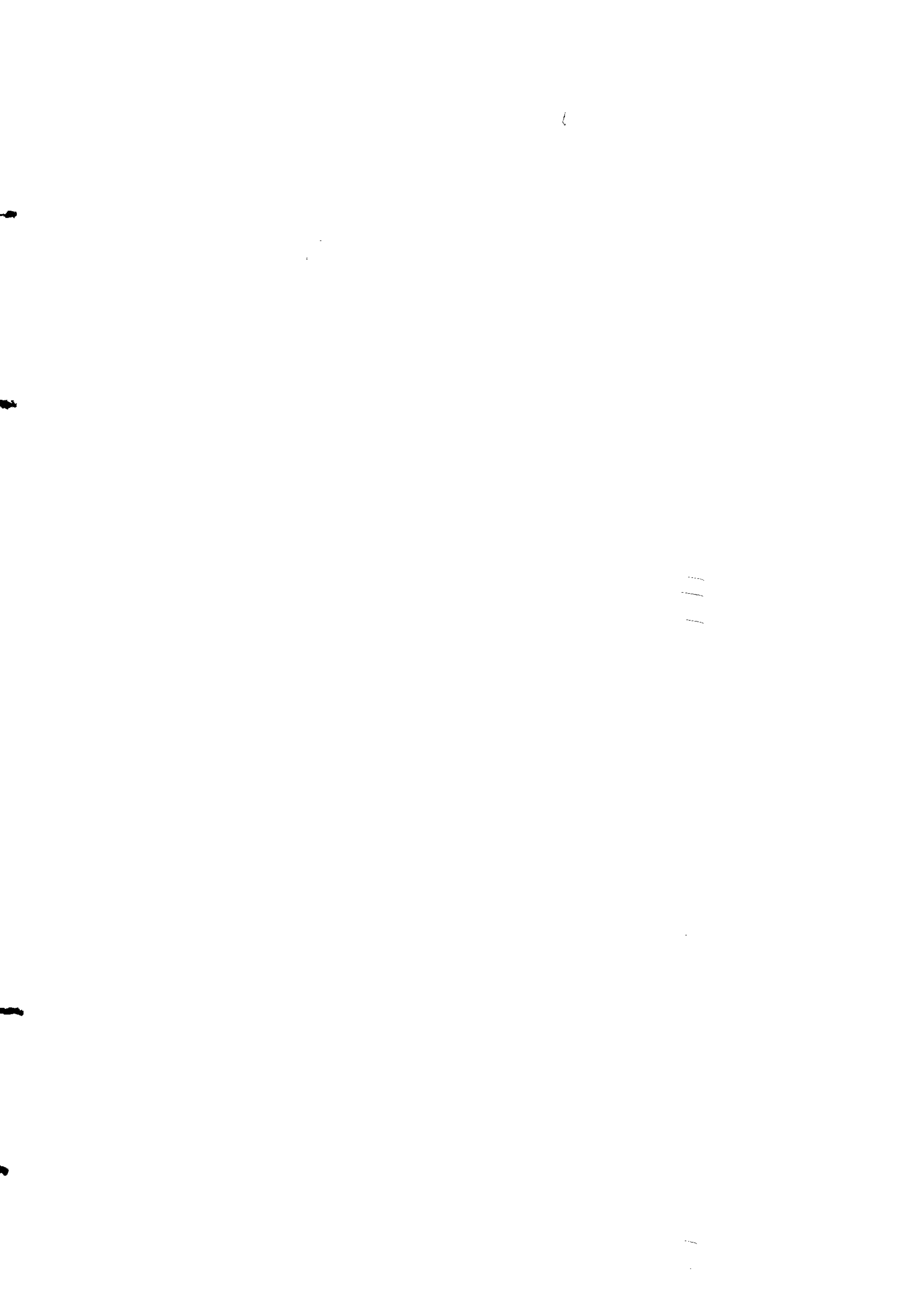
أبعد بعيد لتنجسني لو تلمسني
عجوز زغبي واللي فارسني كونك مغرور
خليك يا حاج بقى في حالك ربي عيالك
صعبان عليّ اللي جرى لك بزيادة يا طور

حاكسب ثواب لو ربيتك يا خراب بيتك
ما ابقاش أنا إن ما سقيتك مش بدوره
يا زجالين آدي كلامي صعب وحامي
واللي حايظهر قدامي حامحي وجوده

وإن جيتو يا إسكندرانيه تشتموا فيه
حاخلي أثنخكو وليّه يا بتوع أَيوّه
اديني علناً باتحدى وكله من ده
والله أشوفه هايتعدى حالعن له أبوه

القِسْمُ الثّالِث

مَسَرحيّة شَهيد بَنِي عُذْرَة



تعريـف بالقصــة(*)

[هو عروة بن حزام بن مالك بن ضبة بن عبد بن عذرة، شاعـر لبيب حاذق، متمكن في العشق، قيل إنه أول عاشق مـات بالهجـر من المخضرمين أو من العذريين، ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العــرب والمولــدين].

قــال المجنــون:

عجبتُ لعــروةَ العــذريَّ أمسـى ... أحــاديثــاً لقــومٍ بعــدَ قــومِ
وعـروةُ مـاتَ مــوتـاً مستــريحـاً ... وهــا أنــذا أمــوتُ كــلَّ يــوم

وقــال قيس لُبنى:

وفي عروةَ العذريّ إنْ متُ أسوةٌ ... وعمرو بنِ عجلانَ الذي قتلتْ هندُ
وبي مثلُ ما قـد نابَـهُ غيرَ أنني ... إلى أجـلٍ لمْ يـأتني وقتُه بعـدُ

وقــال جريــر :

هـل أنتِ شافيـةٌ قلباً يهيمُ بكمْ ... لم يلقَ عروةُ مِن عفراءَ ما وَجدا
مـا في فؤاديَ من داءٍ يخـامره ... إلا التي لـو رآها راهبٌ سجـدا

وقــال أبو عيينــة:

فما وجد النهديُّ إذ مات حسرةً ... عشيــة بـانت من حبــائله هنـدُ

(*) داود الأنطاكي : في كتاب «تزيين الأسواق».

ولا عروةُ العذريُّ إذ طال وجدهُ بعفراء حتى شفّ مهجَته الـوجدُ
كوجدي غداةَ البينِ عندَ التفاتِها وقد طأر عنهـا بين أترابِهـا البردُ

إلى غيـــر ذلــك.

وعفراء هي بنت هصر أخي حزام، كلاهما ابنا مالك، من بطن من العذريين يقال له «نهد» قال في تسريح النواظر: إنَّ سبب عشقه لها أنَّ أباه حزاماً توفي ولعروة من العمرِ أربعُ سنين، وكفله هصر أبو عفراء فانتشئا جميعاً، فكان يألفها وتألفه، فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه إلى الشام ببعيرٍ له، وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحج فنزل بعمه هصر، فبينما هو جالس يوماً تجاه البيت إذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل جداوة سمن وعليها إزار خز أخضر، فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة. فخطبهـا من عمه فزوجه بها. وإن عروة أقبل مع العير وقد حمل أثالة عفراء على جمـل أحمر، فعرفها من البعد وأخبر أصحابه، فلما التقيا وعرف الأمر بهت لا يحير جواباً حتى افترق القوم فأنشد:

وإني لتعـروني لـذكــراكِ رعـدةٌ لهـا بينَ جلدي والعـظامِ دبيبُ
فمـا هــوَ إلا أن رآهــا فجــأةً فــأبهتَ حتى مــا يكــاد يجيبُ

وحين وصل الحي أخذه الهذيان والقلق وأقام أياماً لا يتناول قوتاً حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحداً. وكان باليمامة عراف يقال له رياح بن راشد فحملوه إليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرُّقى فلما لم ينجع ذلك أخبرهم أن ما به ليس إلا من العشق. فلما أحس عروة باليأس أنشد:

فقلتُ لعــرّافِ اليمــامــةِ داوني فــإنــكَ إنْ أبــرأتَـني لــطبيبُ
فما بيَ من حُمَّى ولا مسِّ جنّةٍ ولكنَّ عمي الحميْـرَيّ كــذوبُ

بنا من جوى الأحزانِ والبعدِ لوعةٌ   تكـادُ لهـا نفسُ الشفيقِ تـذوبُ
وما عجبي موتُ المحبينَ في الهوى   ولكنْ بقـاءَ العـاشقينَ عجيـبُ

وحُمل إلى عراف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فأنشد في نونيته:

جعلتُ لعـرَّافِ اليمـامـةِ حكمـةً   وعـرَّافِ نجـدٍ إنْ همـا شفيـاني
فمـا تـركـا من رُقيـةٍ يَعلمـانِهـا   ولا سـلوةٍ إلا وقد سـقيـانـي
ومـا شفيا الـداءَ الـذي بي كلَّه   ولا ادخـرَ نصحـاً ولا ألـواني
فقـالا شفـاكَ اللهُ، واللهِ مـا لنـا   بمـا حملتْ منكَ الضلوعُ يـدانِ

ولما أيس من الشفاء تمرض بين أهله زماناً حتى شاع انتحاله في العرب مثلاً وأن ابن أبي عتيق مرّ به يوماً فرأى أمه تلاطف غلاماً كالخيال فسألها عن شأنه فقالت: هو عروة، فسألها نضو الغطاء عنه، فلما شاهده قضى عجباً، ثم استنشده فأنشده: «جعلتُ لعراف اليمامة. . الأبيات». ولما علم الضجر من أهله قال لهم احتملوني إلى البلقاء فإني أرجو الشفاء. فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر في مظان مرورها عاودته الصحة، فأقام كذلك إلى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له: متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم. فقال: من؟ قال عروة، قال: أنت أحق بما وصفته به، والله ما علمت بقدومه. وكان زوج عفراء موصوفاً بالسيادة ومحاسن الأخلاق في قومه، فلما أصبح جعل يتصفح الأمكنة حتى لقي عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات أنه لا ينزل إلا عنده، فوعده ذلك فذهب مطمئناً وأن عروة عزم ألا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل قومـه.

ولما بلغ عفراءَ وفاتُهُ قالت لزوجها: قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد، وأن ذلك على الحسن الجميل، فهل تأذن

لي أن أخرج إلى قبره فأندبه فقد بلغني أنه قضى؟ قال: ذلك إليــك.. فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلاً ثم أنشدت:

ألا أيها الركبُ المخبّون ويحكم   بحقٍّ نعيتُمْ عــروةَ بـنِ حــزامِ
فإن كان حقاً ما تقولونَ فاعلموا   بـأنْ قدْ نعيتُمْ بـدرَ كـلِّ ظـلامِ
فـلا لقي الفتيـانُ بعــدَكَ راحـةً   ولا رجعــوا مِنْ غيبــةٍ بســلامِ

ولما فرغت من شعرِها ألقت نفسَها على القبر فحركت فوجدت ميتة.

ولما قضت دفنت إلى جانبه فنبتت من القبرين شجرتان حتى إذا صارتا على حد قامة التفتّا، فكانت المارة تنظر إليهما ولا يعرفان من أي ضرب من النبات.

وكثيراً ما أنشدت فيهما الناس. فمن ذلك قول الشهاب محمود:

بالله يا سرحةَ الوادي إذا خطرتْ   تلك المعاطفُ حيثُ الرند والغار
فعانقيهم عن الصبِّ الكئيبِ فما   على معــانقةِ الأغصــان إنكـار

وتوفـي عروة بن حزام على ما ذكره الذهبي في تاريخه في خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجــرة.

* . * . * *

أشخـاص المسرحيــة

عروة بن حزام: عاشق عفراء وابن أخي هصـر.

هصر بن مالك: من شيوخ بني عذرة ووالد عفراء.

عفــــراء : محبوبة عــروة.

أثالـة بن سعيـد : زوج عفراء وابن أخي هصــر.

عبد الله بن أبي عتيــق: من وجوه العــرب.

أم عـــروة:

أم عفــراء :

العراف : طبيـب نجـد.

أبو سلمى
عامــــر — من رجال بني عذرة.
راشـــد

سعـــاد
ربـــاب — صديقتان لعفراء.

«رجال ـ نساء ـ فتيان ـ فتيات»

زمن الروايــة : عصــر الخلفاء الراشدين.

مكان الروايــة : الجزيرة العربيـــة.

الفصـــل الأول

[المنظـر : ساحة في حي بني عذرة أمام خباء هصر بن مالك أحد شيوخ القبيلة يجلس هصر متوسطاً ثلاثة من رجال الحي

راشـــد :

يا قومُ ماذا ترونَ اليوم في حدثٍ ... بِـهِ تـوالتْ لنـا الأنبـاءُ والنُـذرُ

أبو سلمـــى : ما ذاك؟

راشـــد :

نــارٌ يـكـادُ الشـرُّ يـضـرمهـا ... شعواءُ، نكباءُ، لا تُبقي ولا تذر

إنَّ ابن عفانَ قد مادتْ خلافتُـه ... هيهـاتَ ينفعهُ الإشفـاق والحـذرُ

مـا زالَ بالفتنـة العميـاءِ يُشعلُهـا ... حتى تراءىَ لها بينَ الـورى شررُ

آلتْ إليـهِ مقـاليـدُ الأمـورِ فمـا ... ساسَ الأمورَ كما قدْ ساسها عمرُ

ذَوُو قـرابتِـهِ صـاروا الـولاةَ ولا ... ترى سواهمْ بثوبِ الحُكم يأتـزرُ

ما كانَ هذا يُرى من صاحبيهِ ولا ... جاءت به عنهما الأخبارُ والسيـرُ

لكنَّهـا بدعـةٌ من قبلُ لم نـرهـا ... من خلفِهـا كامنُ الأهـواءِ يستتـرُ

هي الـطبيعـةُ تـأبى غيـرَ خَلتَّهـا ... إن الخليفةَ من قبلِ التُّقى بشر(١)

---

(١) لقد تابع الشاعر أراجيف المبطلين الذين أساءوا إلى تاريخنا، وجرحوا صحابياً كريماً له من شهادة رسول الله ﷺ ـ ما يكفيه ـ وليس ذلك بعجيب، فالشاعر آنذاك شاب يـدرس التاريـخ ـ كغيره من الـطلاب ـ من الكتب المدرسيـة التي ألفها تـلامذة المبشرين، وهذه لإيهامات لا تقوم أمام الحجة الصادقة، والقارىء الكريم يستطيع =

هصـــر :

يا قومُ ما هكذا. . لا تظلموا رجلاً ... منَ الـذين لهمْ في ديننا غُـررُ
ممَّن أُعزتْ بهم في الأرضِ شِرعتنا ... على يديهِم أتاها النصرُ والـظفرُ
السابقونَ إلى الإسلامِ ليسَ لهمْ ... حصنٌ من البغيِ يحميهمْ ولا وزرُ
هذا لعمري حديـثُ الشرِّ فاقتصدوا ... فبعض ما قيلَ جـرمٌ ليسَ يُغتفرُ

أبو سلمـــى :

لا، لانـظنُّ بـهِ سـوءاً فـإنَّ لــهُ ... يداً على الدينِ لا يخفى لها أثر
لكنَّـهُ اللينُ، لا أبغي سـواه بـه ... واللين ـ في بعض أحوالٍ ـ له ضررُ

عامـــر :

الحقُّ ما قالهُ. . . عثمانُ نعـرفُهُ ... أخا تُقىً، ليس في صفوٍ له كدر
لكنَّ قـوماً لـهُ صـاروا حكـومَتَـهُ ... في الناسِ لم يُرضِهِم بدوٌ ولا حضر
بنـو أميةَ مـذْ كـانـوا ذوو دَخَـلٍ ... لم يُسلموا عن رضىً، لكنه الخورَ
قومٌ من الشرِّ صِيغوا، لا تزالُ بُهم ... للجـاهليـةِ في أخـــلاقِهِمْ صُـور
هل كانَ كيدُ أبي سفيان مُستتراً ... للدينِ، أو كانَ منهُ البغيُ ينحسر
ذاكَ الذي تعرفُ الـدنيا مَكيـدتَهُ ... إذ جـاءَ في أُحدٍ للكفـرِ ينتصـر
الحقُّ يـا قومُ مـا أُبديـهِ بينكمُ: ... إنَّ الخليفــةَ للتـوجيـهِ يَفتقـر[1]

= أن يعود إلى كتاب (عثمان الخليفة المفتري عليه) للأستاذ صادق عرجون وإلى كتاب (أبو ذرٍّ الغفاري) للأستاذ منير غضبان، ليتعرف إلى بعض الحقائق التي حاول أعداء الإسلام إلصاقها بتاريخنا وتابعهم في ذلك الجاهلـــون.

(١) الإسلام يجب ما قبله، وأبو سفيان أصبح صحابياً كريماً واشترك في الفتوحات الإسلامية ولا يجوز رميه بالكذب أو النفاق، وقد حسن إسلامه (انظر كتاب معاوية بن أبي سفيان) للأستاذ منير غضبان، ولعل أكثر هذه الإفتراءات على بني أمية من التعصب لآل البيت تحت اسم التشيـع.

أبو سلمـــى :

دعوا المقاديرَ تأتي ما تشاءُ بنا   فللمقــادير في أحــوالِها عِبَــر
عـلَّ الإلـهَ بـروحٍ منه ينقـذُنا   فـإنَّها فتـةٌ في البيـدِ تستَعِـرُ
نبئتُ أنَّ لنـا عيـر تسيـرُ غـداً   للشامِ . هل صحَّ هذا القولُ يا هُصر

هصـــر :

عجبتُ منكَ أبا سلمى ألست تَرى   من حولك القومَ للأحمال قد بَكروا
الكلُّ في الحيِّ يدري أمرَ رحلتِها   وأنتَ للآنَ لمْ يبلغْ لك الخبر

عامـــر :

عـذراً لهُ يـا رفاقي إنَّ صاحِبنا   قد زَلزلتْ لبَّهُ الأحداثُ والغير
نساؤه قد أضعنَ العقلَ منهُ أمـا   تـرَونه هـالكـاً قـدْ نـالـهُ البهَـر

راشــــد:

إذا ألمَّ بسُعـدى جـاءَهـا وَجِـلاً   يكادُ مِن سكراتِ الخوفِ يُحتضر
وإن أتـى زينبـاً كـانَ الشـقيَّ

عامـــر :   ولا كأمّ سلمى ببابِ البيتِ تنتظر
في كلِ صبحٍ تُرى والسوط في يدها   وعنـدَ كـلِّ مسـاءٍ يجثمُ الخـطر

«يضحكـــــون»

أبو سلمـــى :

أما لكمْ من حديثٍ غيـر نائبتي   أخـزاكُمُ اللهُ لا يفنى لكم هَـذر
هـذا قضاءٌ منَ الـرحمنِ سـطَّرهُ   وهــلْ يُـرَدُّ قضـاءُ اللهِ والقــدر

يلتفـت إلى هصـر:

ومَن على العيرِ يرعـاها بخبـرتِهِ   وهلْ يطولُ بها في الغيبةِ السَّفر؟

هصـــــر :

كـلا، فإنْ يسَّـر الرحمنُ بُغيتَهـا تعودُ حين يُرى في تمِّهِ القمر[1]

وقد جعلتُ عليها عروةَ ابن أخي

راشــد :

نِعمَ الفتى، إنـهُ للخيـرِ يُـدَّخـر

قـدْ سرَّنـا ما رأينـا مِن شمـائِلِهِ لا زالتِ البيـدُ بالأمجـادِ تفتخـر

عامـــر :

قوموا إلى الرزقِ نسعى في تَطلبُّهِ طالَ الجلوسُ بنا ياقومُ فـانتشروا

نضمُّ للعيـرِ شيئـاً مِن تجـارتِنـا فقدْ يطيبُ لنا مِن رِبحِها ثَمـر

«ينهضـــون»

أبو سلمـــى : هَيّـــا.

هصـــر :

سأمضي إلى أقصى الحِمى معكم لي في انطلاقي إلى أقصى الحمى وطر

[يخرجون.. وتظهر عفراء خارجة من الخباء وفي نفس اللحظة تظهر سعاد ورباب قادمتين لزيارة عفراء].

عفـــراء :

تعـالَيْ سعـادُ تعـالَيْ ربـاب نقصُ حـديثَ المُنى والشبـاب

فمنْ مُـدةٍ مـا اجتمعنـا ولا عـرْضنـا لـذكـرِ أمـانٍ عِـذاب

لعمـرِكُمـا قـد تَبـدلتـمـا وإلا فمـا بـالُ هـذا الغيـاب؟

«يجلســـن».

سعـــاد :

وحقِّـك يـا أختُ أنتِ التي أحـقُّ وأولى بـهـذا العتـابْ

---

(۱) يجب جزم تعود (تعدْ) جواباً لحرف الشرط (إن).

هبينـا هُنـا مـا سَعينـا إليـكِ فهـلْ عـزَّ منـكِ إلينا ذَهـاب؟

ربـاب :

لهـا العـذرُ، من يلقَ أحبـابَـهُ يعـزُّ عليـهِ لـقـاءَ الصِّـحـابْ

عفـراء :

أمـازحـةٌ أنـتِ، مـا للغـرام ومالـي

ربـاب : لقـد طـالَ عهـدُ الـتَّغَـاب[1]

وإنـي لأعـرفُ أنَّ الـفـؤاد لـهُ في الهوى خفقةٌ واضطراب

يـودُّ ذوو العشـقِ كَـتمـاً لـه فـتفـضَحُـهُـم زفـرةٌ واكـتئـاب

عفـراء:

إذا كـانَ حقـاً فهـاتي الـدليـلَ ففيـهِ إذا شئتِ فصـلَ الخـطاب

وقـولـي بـمـنْ هِـمـتُ حـبـاً

ربـاب: بهِ فتىً في الـديارِ رفيـعِ النصـاب

يُرى في الورى أجسـرَ العاشقين على زورةٍ في الهـوى واقـتـراب

يَـجيئُـكِ فـي أيِّ وقتٍ يَـشـاءْ ولمْ يخشَ للنـاسِ سوءَ ارتيـاب

يـراهُ أبـوكِ فـلا غـضـبـةٌ ولا السيفُ يتـركُ جوفَ القِـراب

ولـيسَ يـضـيـرُكِ أنْ تـدخـلي عليـهِ خبـاءً بـدون النِّقـاب

سعـاد :

إذا كنتِ أخـطأتِ في حـدسِـه فقـدْ ضـلَّ منـكِ ادعـاءٌ وخـاب

فمـا نحنُ يا أختُ مَنْ يستَبحنَ على الحبِّ طهراً كبيضِ الثياب

نقـدسُ عِـرضـاً بـدا قـدسُـهُ يـرفُ علينـا رفـيفَ الـشِّهـاب

لنا الذكـرُ قدْ سـارَ في العالمين يفـوقُ شـذاهُ أريـجَ المَـلاب[2]

---

(١) التغاب : التغابي والتجاهل.

(٢) الملاب: طيب يشبـه الزعفران.

بنـو عـذرةَ الـطاهـرونَ الأُبـاة كـرامُ الشيـوخِ نُقـاةُ الشبـاب
إذا عَشِقـوا كـان عِشقَ التُّقـاة وقـامَ من الـطُّهـرِ فيهم حجـاب
يـمـوتـون حبـاً لأنَّ العفـافَ لهمْ في الصبـابـةِ طبـعُ وداب

عفـراء :

أعـروة مـن تـقـصـديـن ؟

ربـاب : أجـل هو الصبُّ

عفراء في اضطراب يسير: لـمْ تـنـصـفـي يـا ربـابْ
فمـا هـوَ غيـرَ ابـن عمٍ لـهُ حقـوقُ عُـرىً بَيننـا وانتسـاب
فهـلْ تحـسبينَ ودادَ القـريب غـراماً لقـدْ قلتِ غيـرَ الصَّواب

رباب:

رويـدَكِ يـا أختُ لا تُنكـري فليسَ في الأمـرِ شـيءٌ يُعـاب
وإنـي خـرجتُ بليـلٍ كسـاهُ سنـا بـدرِهِ من لُجَينِ الإهـاب
فـمـا كـانَ منـي سـوى أننـي وإيـاكِ فـيمـا وراءَ الـقِبـاب
يَضمُّـكمـا مجلسُ العـاشقَينْ إذا التقيـا بعـدَ طـولِ ارتقـاب
فـمـا كـانَ منـي سـوى أننـي تواريتُ خلفَ نشوزِ الهضـاب
إلـى أن تَجـاوز تُـمَـانـي ولـمْ تُحِسَّـا وجـوديَ عنـدَ الإيـاب
إذا لمْ يكـنْ ذاكَ عيـنَ الهـوى فمـاذا يسمى.؟ أريـدُ الجـواب

سعـــاد:

هـبـيـهـا قـدْ أحـبَّـتـهُ أفـي عَـفٍّ الـهـوى عـارُ
أقِـلِّي الـعـذلَ واتَّـئِـدي فـإنَّ الـوجْـدَ قـهَّـار
ولا تـزجـي الـمـلامَ إذا جـرتْ بـالـحـبِّ أَقْـدارُ

عفـراء في خجـل :

عـلى أنـي وإنْ أحـبـبـتُ والـعُـشـاقُ أسـرارُ

فحبي لا تُدَنِّسُه مِنَ الأهواءِ أَكدارُ
لقدْ باتت تجمِّعُنا على عهدِ التُّقى دارُ
فما رُفعتْ على رِيبٍ لنا في الحبِّ أستارُ

رباب:

أخافُ عليكما ألماً لنا مِنْ مَسِّهِ نارُ
كأني بالغرامِ مشتْ بِهِ في البيد أشعارُ
فردَّدَها أحاديثاً بجنحِ الليلِ أشعارُ
وغنَّى في البلادِ بها على الأيامِ مِزمارُ
هناكَ تَحُول بينكما تقاليدٌ وأفكارُ
ولا تُقْضَى بقربِكما أمانيٌّ وأوطارُ

سعاد:

سألتُ الله بالعشاقِ رِفقاً فليسَ لجرحِ قلبٍ مِن دواءِ
وتلكَ عيونُهم تنهلُّ دمعاً وتلك نفوسُهم رهنُ الشقاءِ

«تنهض .. وتتبعها رباب».

ويا عفراءُ طالَ بنا جلوسٌ وساعاتُ السرورِ إلى انقضاءِ
وآن لنا القيامُ فطبِت يوماً وهيا يا ربابُ

رباب - مودعة لعفراء: إلى اللقاءِ

[تخرجان وتبقى عفراء]

عفراء - مناجية نفسها:

أرى في الغيبِ آلاماً كباراً مُحوطاتٍ بأستارِ الخفَاءِ
فما نطقت ربابُ بغيرِ حقٍ وإنْ أمَّلتُ خَيراً في القضاءِ

[يظهر عروة قادماً من الخارج متقلداً كنانته وقوسه]

عروة: سلامُ الله يا عفرا ءُ

عفــراء :
فــاسـلمْ يـا فـتـى الـعـربِ

أراكَ خــرجــتَ حـيــن بَــرا حُ[1] لـم تبـرزْ مِـن الـحُجُـبِ

فأيــنَ ذهبتَ ؟

عــروة: مــا جــاوزْ تُ بعـدُ النبـع مِنْ كـثَـبِ

مـشيـتُ إلـيـهِ مـبـتـكـراً بـصـحـبـةِ فـتـيـةٍ نُـجُـبِ

نـصـيـدُ ظـبـاءَهُ وَلَـكَـمْ تَـسَـابَـقْـنَـا فـلـمْ أَخِـبَ

وأيــنَ الـعـمُّ يـا عـفـرا ءُ

عفــراء:
نـحـو الـحـيِّ سـارَ أبــي

عُرْوَ،[2] هل تمضي مع العير؟

عــروة: أجــلْ اكـاً في الغـدِ هـذي الأربُعَـا

سأسوقُ العيسَ في عرضِ الفلا مســرعــاً أطــوي بهنَّ البَلْقعــا

عفــراء :

في حمى الـرحمنِ إنْ غـادَرَتَنـا حــفظَ اللهُ فــتــانــا ورعــى

عــروة:

لستُ أدري كيفَ ينـأى ظـاعنٌ بـسهــامٍ يـختَـرِ مَـن الأضلعـا

أوَ يَستــطيـعُ النـوى مَنْ قَلبُــهُ بــاتَ في الحيِّ رهيناً مــودعـا

عفــراء:

لا تُثـر في النفسِ آلامَ الهـوى قـد شربتُ الكـأسَ منها مُترعـا

فـحنـيـنـي فـي فـؤادي كـامـنٌ يبعثُ الشــوقَ إلى أن تـرجعــا

آه مـن قلبـي ومن روحـي ومن أعـينٍ بــاتـتْ تـسـحُّ الأدمـعـا

---

(١) براح : الشمس.

(٢) ترخيــم عروة:

عــــروة:

تحملتُ يـا عفـراءُ حُبـاً كـأنَّـه ... بقلبي على مـرِّ الـزمـانِ لهيبُ
فؤادي فؤادٌ ملؤهُ البثُّ والضنى ... يكادُ من الوجـدِ الشديـدِ يذوبُ
فلا هو عن حبِّ ابنة العمِّ مُقصرٌ ... ولا جـرحُهُ فيمـا يـطيبُ يَـطيبُ
وما زالَ مَذْ نحيتُ عني تمائمي ... إلى اليـومِ يعروهُ لـديكِ وجيبُ
نشأنا سـوياً يجمـعَ الشملَ بيننـا ... على القربِ بيتٌ في الديار رحيبُ
وماذا يفيدُ القربُ إن لمْ يكنْ لنا ... من القربِ في ظلِّ الزواجِ نصيبُ

عفــراء:

تكلمتَ عن حبٍّ تُقاسي عذابـهُ ... وإنَّ الـذي عنـدي لـهُ لَضـريبُ
كلانا له في الوجدِ شكوى ولوعةٌ ... وكـلٌّ قـريـبٍ للفـؤادِ قـريـبُ
عـرفنا الهـوى طفلينِ نرتـادُ ربوةً ... لنـا أرْبُـع من رمـلِهـا ودروبُ
وكنـا نُـري للبيـدِ نـاشيء حُبِّنـا ... وغصنُ الصبابين الربـوعِ رطيبُ
إلى حين أدركنا الشبابَ على هوى ... وأنتَ لقلبي في الحيـاةِ حبيبُ

عـــروة:

لنا اللهُ يا عفراءُ ، ما كانَ بالغاً ... بنـا البثُّ لـو أنَّ الـوليَّ لبيبُ
سـأفضي إليهِ اليـومَ بـالأمـرِ علهُ ... يـلبي نـداءً لـلهـوى ويجيـبُ
وأطلبُ قـربـاً بـالـزواجِ فـربَّمـا ... أتى البشـرُ محزونـا وسُـرَّ كئيبُ

عفــراء ـ ناظـرة إلى الخــارج:

قد عادَ ثَمَّ أبي

عــروة: سـأنـشـدُ عـنـدهُ ... إنصـافَ قلبينا فـديتُـكِ فـادخلي
حُمِّلتُ من ألمِ الغــرام ونــارِهِ ... فَحَمَلْتُ جهـدَ الصابـرِ المتحمل
سأنالُ منـه العهدَ، عهـدَ زواجِنا ... وَابُوعَسَى أيـامي إذا لـم يقبـل

[«تدخل عفــراء خباءها ويظهر هصـــر]

هصر حُيِّيتَ يا ابنَ أخي

عــروة: سـلمتَ لـنـا أبي ... من مُنعمٍ بين الحمى مُتفضِّـلِ
أعدو على صرفِ الزمانِ بِحولِهِ ... وعليـهِ عنـدَ الحادثاتِ مُعـوَّلي

هصـــر بعد أن يجلـس:

أجزلتَ يا ولـدي ثناءَك فـاقتصد ... فلربَّ مـدحٍ كـان محضَ تقـوُّلِ

عـــروة:

أأكــون منكِــرَ نعمــةٍ أولَيتـهـا ... ولقـد نشأتُ وفيضُ بـرِّك منهلي
قدْ ماتَ عني في الطفولةِ والدي ... فـظللتَ تشملني بعـطفٍ مسبَـل
وسقيتَني شهـدَ الرعـايـةَ رَيِّقـاً[1] ... ومنحتني بـر الكـريم المجـزل

هصـــر:

الفضلُ فضلُ أبيك عاشَ يُنيلني ... منهُ العنايــةَ غيـرَ ذاتِ تبــدُّل
مــا ذاكَ إلا الـدَّينُ قـد أديتُـهُ ... ردُّ الحقـوقِ عن الثنـاءِ بمعــزل
أتـراكَ قـدْ أعـدَدت عـروة عُـدةً ... لرحيلِكــم؟

عـــروة: ... عــن ذاكَ لــمْ أتــمــهَّــلِ
كـلُ المـطايا عنـدنـا مـزمــومـةٌ ... والعيسُ عن أحمـالِها لم أَغْفَـل
هيـأتُ للعيـرِ الأمــورَ وفي غـدٍ ... إنْ شاءَ ربُّ الكونِ فجراً نرحل

[يسكت برهة ثم يستطرد في خجل]

لكنَّ لي يـا عمُّ عنـدَك حـاجـة ... ضــاقَ الفؤادُ بهـا ولمّـا يسـأل
أخشى إذا ما جئتُ أطلبُ نيلَها ... ألَّا تجـودَ بهـا ـ أبِي ـ لمؤمِّــل

هصـــر:

أبُنيَّ، تخشى أن أردَّك خــائبــاً ... إنْ ما طلبت؟.. نطقتَ مَيناً فاعدل
إني أراك ظلمتَ عَمَّكَ في الورى ... ما كنتُ يومـاً إن طلبتَ بمُهمل

---

(١) الريــق من كل شيء: أوله وأفضلــه.

كـلُّ الـذي تهـواهُ فهـوَ محققٌ سلفاً، فقل مـا شئتَهُ لا تخجـل

عـــروة:

عفـراءُ يـا عمي، رفيقـةُ نشـأتي ولـهـا بقـلبـي كـلُ ودٍ أنـبَـلِ
وأريــدُهـا بينَ المنـازِل زوجـةً إني أحقُّ بهـا فمـاذا قلتَ لي؟

هصـــر:

أفذاكَ ما تبغيـهِ ؟.. إني خلتهُ أمـراً عسيرَ النيـلِ غيـرَ مُـذلـل
أَبُنيَّ: تعلمْ أنني لـك مُكبـرٌ ورضاك عندي في المكان الأول

قـد نلتَ عند الأهـلِ حباً وافـراً وحللتَ من قلبي بـأكـرم منزلِ
عفراءُ زوجُك يـا بنيَّ فسر غـداً وبهـا عليكَ متى تَعُـدَ لمْ أبخل

عروة ـ في ابتهــاج شديد:

عمي.. جـزاكَ اللهُ خيرَ جـزائِهِ وحبـاك بالعمـرِ المديـدِ الأطـولِ
طيَّبتَ نفسي والفؤادَ وخــاطـري وأنرتَ مِن بعدِ الدجى مستقبلي
يـا قلبُ فاهـدأ، يا زمـانُ فهنِّنا يـا عينُ قري، يـا سعادةُ أقبلي

هصـــر ـ قائماً من مجلِسِهِ:

سـأكونُ حينـاً بالخبـاءِ فعنْ هنـا حتى أعــودَ إليـكَ لا تتحـوَّلِ
فلقد أشيرُ عليـك بالأمـرِ الذي يهـديك عنـدَ رحيلكُم بالمُجهـل
وأحـقُ شخصٍ بالنصيحةِ راحـل ولـربَّ أمـرٍ بـالنصائِـح ينجلي

[يخرج هصـر وتقبـل عفراء من الخباء متهللـة]

عـــروة:

عفـراءُ مالكـةُ الفؤادِ أرى المنى قـدْ ذاقهـا بعـدَ الشقـاءِ حـزينُ
هــذي أمـانيُّ الشبـابِ أنـالَهـا قــدرٌ بتحقيـقِ الـرجـاءِ ضنـين
قد يجمع الشملَ المفرَّق جـامعٌ والـدهـرُ من بعـدِ الجفـاءِ يلينُ

هيهاتَ أن يشقى الفؤادُ من الجوى   أو أن تعـودَ إلى السهادِ جفـونُ

عفــــراء:

إني سمعتُكمـا فـأشـرقَتِ الـدُّنـا   حولي، وأثلجَ في الضلوعِ سخينُ
الآنَ يسمـو في الحمى حبٌ لنا   بينَ الحنـــايـا في الفؤادِ دفيـنُ
أنكـونُ في الـدنيـا يجمِّـعُ بيننـا   عهـدٌ من الشـرعِ القـويمِ متين
هـذي لعَمري غـايةٌ مـا بعـدهـا   مِن غـايـةٍ في العـالمينَ تكـونُ
وأراكَ يـا قلبي هـدأتَ وطـالمـا   فاضت لديك من العذابِ شئون
قـد ذقت طعمـاً للهنـاءةِ بعـدمـا   قُضيَت لنـا في العـاشقين ديـونُ
عفــراءُ إنَّ غــداً تفــرِّقُ بيننـــا   بيـــدٌ سهـــولُ رملُهـــا وحـــزونُ
فإذا رحلتُ فإنَّ حبَّـكِ في دمي   أبـــداً يُحـــرِقني إليـــكِ حـنيـنُ
أخشى إذا ما الشام باتَ يضمني   بَتّ الـوشـائج، والقصيُّ يهـونُ
وأخـافُ من بعدِ الـرحيلِ نـوائباً   للدهـرِ إنَّ صـــروفَـــهُ لفنـــونُ
صوني زمامَ الحبِّ، راعي عهده   إنَّ الكـــريمـــةَ للعهـــودِ تصـــونُ
وإذا تكنَّفَــكِ التبـدُّلُ فــاذكـري   من تحـوَيهِ مِنَ الـطريقِ شجـونُ
وتـــرقبي بينَ المنــازلِ عَـودتـي   إني على عهــدِ الهـوى لأميـنُ

عفـــــراء:

يا عروَ تخشى البعدَ يصدعُ حبَّنا   هيهـاتَ، وُدُّكَ في الفؤادِ مكينُ
ما العهدُ مخفورٌ وإنْ عرضت نَوىً   إنَّ الـوفـاءَ لـدى الحـرائـر دينُ
سر في حمى الرحمن حبُّكَ واطدٌ   بينَ الحنــايــا، أو تُـلِّم منــونُ

[ستـــار]

الفصـــل الثاني

[نفس المنظر في الفصل الأول - يجلس هصر بن مالك وابن أخيه أثالة بن سعيد الذي قدم إلى عمه هصـــر]

هصـــــر :

مـرحباً بـالكـريمِ نجـلِ الكـريم ... فــي ديـارِ الآبــاءِ والأعــمــامِ

منـذُ أقبلتَ قد أضـاءتْ رُبـاهـا ... وتــنــدَّتْ بـعــاطـرِ الأنــســامِ

كيفَ أضحى بنــو أبينا بنجــدٍ ... ؟ . .

أثالـــة :

بـيـنَ عـيشٍ منــعَّمٍ وســلامِ

هصـــر :

وأبــوكَ الـفـتـيُّ كـيـفَ تراءى ... بـعــد مـرِّ الأزمــانِ والأعــوامِ

إنـني مــا رأيتُــهُ مـنــذ حيـنٍ ... لمْ تكنْ أنتَ فيــهِ غيـرَ غــلام

أثالـــة :

هـوَ في صحـةٍ وإنْ كـانَ يبـدو ... في ثيابِ الكهـولِ عنـدَ القيام

يقـطعُ العمـرَ في تُقىً وخشـوعٍ ... قــائمــاً ليلَه كثيــرَ الصيــامِ

قـد دنا من خِتـامِهِ فهـو يـرجـو ... بــرضـاءِ الإلــه حسنَ الختــامِ

ولـقــدْ كــانَ مُــرسلي ومُـنيبي ... عنــهُ في حـجـةٍ لبـيتٍ حــرام

قـال لي: عندمـا تحـلُّ وتمضي ... وتــؤدي مــنــاســكَ الإحــرام

عجْ لدارِ الكريمِ عمّك واقصدْ | لحِمى سيدٍ رفيعِ المقام[1]
وترَّجلْ إذا وصلت خياماً | كرَّم اللهُ أهلَها من خيام
واعرفِ الدارَ دارَ عمكَ عنها | دَلَّ أضيافَها لهيبُ الضرام
وإذا جئْتَها وبُلِّغتَ قصداً | فقفِ العيسَ عند بابِ الهَمام
واقرىءِ العمَّ من أبيكَ سلاماً | طَيباً نشرُه كزَهرِ الشآم
قلْ له من أبي حَمِلتُ خطاباً | جئتُ أسعى بهِ لنيلِ المرام
إنَّ في بيتِنا وليمةَ عُرسٍ | يا كبارَ النُّهى ذوي الأفهام
ولنا الخبزُ ذو مذاقٍ شهي | أترى عندَكم لهُ من إدام؟

هصر:

قد فهمتُ الذي أشارَ إليهِ | وعناهُ مِنْ نيّةٍ واعتزام
واللبيبُ الذي درى في جلاءٍ | غامضَ القولِ أو خفيَّ الكلام

أثالة:

فماذا قلتَ لي يا عمُ حدِّثْ | فإنَّ القلب ينتظرُ الجوابا
أتيتُكَ أبتغي رياً لقلبٍ | يُحمِّلني على ظمأٍ عذابا
فإنِ قرَّبَتني وأجبتَ سؤلي | فقدْ قلّدتني مِنناً رِغابا
وإنْ أعرضتَ بين القومِ عني | فيا لكِ جيئةٍ ساءتْ مآبا
تجشمتُ المتاعبَ لا أبالي | بها، وركبتُ في البيدِ الصِّعابا
وفي رأسي لدى الأفكارِ سيلٌ | مِنَ الآمالِ ينصبُّ انصبابا
تهيجُ بهِ الخواطرُ لست أدري | أأخطأ في الخواطرِ أمْ أصابا
وما أدري أأرجعُ في هناءً | وقد أسقَيتَني شَهداً مُذابا
أمِ الآمَالُ تخدَعُ آمِليها | فيظهرُ نبعُها لهم سرابا
فلا تبخلْ بما أبغي وإلا | فقد جرَّعتني غُصَصاً وصابا

(١) عاج: أقام. عاج بالمكان: أقام به.

لـقــدْ طــالَ الأوامُ بغـيــرِ ريٍ   فهــلْ أرِدنْ بمنـزِلــكَ الشـرابــا

هصـــر :

عــزيــزٌ جــاءَ يسألنــا عــزيــزاً   يــرفُّ على الحمى فينـا شهـابـا
وليسَ لــرفضِ غــايتــه سـبيــلٌ   ولـو طلب النفـوسَ أو الـرِّقـابـا
فــإنْ تــكُ عنـدَنـا عفراءُ تـاجـاً   يــزينُ لنــا المنــازلَ والقبــابــا
فــإنَّك مــذْ وطئتَ لنــا ديــاراً   تــرَّدتْ من فضــائِلكَ الثيــابــا
ويــا ولــدي لئنْ فتشتُ أبـغي   من الفـتيـانِ أرفـعَهـم نصــابــا
لمــا ألفيتُ غيــرَك خيــر كفءٍ   لهـا في البيدِ قـد فـاق الشبـابـا

أثالــة (في فرح):

فـدتـكَ النفسُ منْ عمٍ كــريمٍ   وَلجتُ إلى الهنـاءِ لـديـهِ بـابـا
ولـمْ ألـقَ الـشبـيـهَ بــهِ فــإني   رأيتُ نــداهُ قـد بــذَّ السَّحـابـا
لِغُصنِ عُــلاهُ يَـربــطني انتســابٌ   فـأكرمِ في الـوجودِ بـه انتسابا

هصـــر:

ســأطلبُ من عفراءَ إبـداءَ رأيهــا   عسى أن يتمَّ اليومَ إنْ وافقت قصدُ

أثالـــة :

فــإني إذنْ نحــوَ المنـازِل ذاهبٌ   إلى أن ترى منها لدى العرضِ ما يبدو

[يخـــرج أثالـــة]

هصر(منادياً) أعفراء. . . يا عفراء

عــفــراء   لـبــيــكَ يــا أبــي

هصـــر: تعالي فعندي في الحديثِ لك السَّعد
حديثُ المنى والقلبِ في ميعةِ الصبا   وحلمُ العذارى قد تندَّى به الوَرْد
ببشراهُ ناجتْ ربَّةُ الخدرِ نفسَهـا   لدى روضةِ الأحلامِ والليلُ مسود

أرى العودَ آدتْهُ الثمارُ وقد بدا وليس له منْ جنيِ أثمارهِ بُد[1]
وقد زارنا منْ سرَّنا بقدومهِ فتىً من بني الأعمامِ أفضالُهُ عَد
أتى يبتغي جَنيَ الثمارِ ولا أرى سوى أنهُ أولى بها ولها نِدُّ

عفراء:

أني حدستُ الأمر

هصر: بلى قد عرفِتهِ وأدركت ما أرمي إليهِ، فما الردُّ؟

عفراء:

أبي: ما رأيتُ اليومَ قدْ خالف الذي نطقتَ به من قبلِ أن يصعُبَ الفقد
لعمري لقد حطَّمتَ ما كنتَ بانياً وما شُدتهُ بالأمسِ فاليومَ ينهد

هصر: وكيف ؟....

عفراء:

ألمْ تضربْ لعروةَ موعداً عشية يومِ العير إذ قولُكَ الجِد
أتى يبتغي نيلَ المُنى فوعدَتهُ وما كانَ يدري أنْ سيخطئهُ الجَدّ
فماذا يكون القولُ لو عادَ غائبٌ من الشامِ تحدوهُ المواثيقُ والوعد

هصر:

عرضت لأمرٍ ما أردتُ به سوى مجاراةِ جارٍ حُقَّ منا لهُ الود
وما كنتُ أعني مالعروةَ قلتُهُ أذلكَ يا عفراءُ خيرٌ أمِ الصَّد

عفراء:

أبي: لا يرى الإنصافُ ما قد رأيته لعمري! ولا يرضاهُ بين الورى فردُ
أنهضمُ حقاً للقريبِ الذي نأتْ به العيسُ في الصحراءِ مسرعة تعدو
وفوق رمالِ البيدِ صار يمُضه سرى الليلِ والتأويبُ والرمل والوخد[2]

---

(١) آدته: من آد، يئيد، أيداً: اشتد وقوي أي نضجت ثماره ولا بد من قطفها.

(٢) الوخد: الخطو والمسير..

كأني به قـد عادَ هيمـانَ طامعاً ... فـآلــمــهُ رفضٌ، وعــذبــهُ رَد
ويا أبتا قد عشتَ في البيدِ عادلاً ... فهلْ ينزلنْ يوماً بساحتِكَ الجحد
فإن نمَّ منكَ اليومَ ما أنت قادمٌ ... عليهِ، فلا كانَ الوفاءُ ولا العهدُ

هصـــر:

تكلمتِ يــا عفـراءُ قــولاً رأيتُـهُ ... حديثَ هوى قد غابَ عن طيشه الرشدُ
أكنتِ سوى أنثى أراها الذي رأتْ ... من الأمرِ عقلٌ قد تملَّكهُ الوجدُ
وإنــي لأدري أنَّ في القلب والحشا ... لِعـروةَ وداً ثـائـرَ الشـوقِ يحتَـدُّ
ولكنْ بـذاكَ البيتِ خيـرٌ ونعمـةٌ ... وعيشٌ على الأيـامِ مبتسمٌ رغـد
وهذا ابنُ عمٍ وافرُ المـالِ كابـرٌ ... فملبسُــهُ خـزٌّ ومــطعَمُهُ شهــدُ
ولـوْ أن ما أسعى لإدراكِ غـايـةٍ ... لما فاتني نيلُ المكارمِ والمجدُ
ولكنَّمـا أبغي لكِ العيشَ هـانئـاً ... يلفُّكِ في البيتِ الكريم لـه بُردُ
فليس الـذي تَلقَينـهُ غيــرَ نـزوةٍ ... وطيشِ شبابٍ لا يطولُ به الخلد
وإني لأرجو أن يعودَ الـذي نأى ... وفي صدرِهِ الأشواقُ بدَّدها البعد

عفــراء:

أبي إن في قلبي لعروةَ قد نَمَتْ ... تباريحُ وجدٍ في الجوانـحِ تشتد
وليس إلى السلوانِ ما دمتُ حيةً ... سبيلٌ، فما يخبو لنارِ الهوى وقد
فإن شئتَ عذبني وإن شئتَ هنِّني ... إذا حكمَ المولى فما يفعلُ العبد

هصــر:

أرى الحِلم لا يُجدي فدونكِ غيره ... وكـل احتمـالٍ للحليمِ لـهُ حـد
ألا إن شمس اليومِ ليستْ عن الحمى ... بغــائبــةٍ حتى يضمَّكُمــا عقــد
غداً عندما تدرينَ أن الـذي هنا ... قضيتُ به حقٌ، سيُدركني الحمد

[ينهض هصر في انفعال ويذهب إلى الخبــاء]

عفـــراء:

أرى الدهرَ يا قلبي تأذن صـرفُهُ ... بخطبٍ أليمِ الوقعِ في النفس فادح

سـأركبُ للآلامِ يـدفعُني أبي ... برغمي طريقاً ،مُظلماً غيرَ واضح

ويؤلمُني الحسـادُ لا درَّ درُّهـم ... بمختلقٍ زورٍ من القـولِ جارح

وما حيلةُ العشاقِ فاضتْ عيونُهُم ... بدمعٍ على الخدينِ للحبِّ فاضح

فيـا راكباً والـوجدُ يُضني فـؤاده ... أفدِّيكَ من نـاءٍ عن الدارِ نـازح

تـوالتْ عليَّ الحـادثـاتُ كـأنهـا ... ديـاجيرُ ليـلٍ صبحـه غيـرُ لائِـح

وحلَّتْ بيَ الأحزانُ تترى ذميمـةً ... بتحقيقِ ما يسعى له كل كاشِحِ

وقد بتُّ يُضنيني وقد شطَّتِ النوى ... تأجُّجُ نـارٍ للهوى في الجـوانِحِ

وفي النفسِ مما هالني اليومَ ألهبتْ ... تبـاريـحُ همٍّ قـائمٍ غيـرُ بـارح

ألا هل أتاكَ اليوم أن الذي بـهِ ... تعلّلت دهراً فوقَ ظهـرِ الأباطـح

أطاحَ به صرفُ الليالي وقد غدا ... يهـدِّمُـه مَـرُّ الـطيـورِ البـوارحِ

جـرى دون تحقيقِ الأمانيِّ بيننـا ... تقلُّبُ دهرٍ في المنى جدُّ مـازح

فيا عينُ هذا موطنُ الدمعِ فاسفحي ... لما شئتِ منْ غيثِ الدموع السوافح

ويا قلبُ منذُ اليومَ يقتُلُكَ الهوى ... وتصرعُك الـذكرى ولستَ ببـائح

[يقبل هصر من الخباء ومعه أثالة ووالدة عفراء ووالدة عروة]

هصـــر:

عفـراءُ قـومي لابنِ عمـكِ إنـهُ ... قـد سرَّه منكِ الرضـاءُ الأصدقُ

اليـومَ يزهـو بـاقترانِكمـا الحمى ... ويُـظِلُّ شملَكمـا الهنـاءُ المُـورق

وتـرفُّ فـوقَ الحيِّ أطيـارُ المُنى ... مـتـرنمـاتٍ بـالـغنـاءِ تُـحلِّقُ

شمسٌ وبـدرٌ أنتمـا لسنـا نـرى ... للشمسِ غيـرَ البدرِ كُفئاً يلحقُ

أثالـــة :

عفـراءُ عيشي في ظـلالِ محبـةٍ ... دارٌ مُكـرَّمـةٌ وعيش مـونـق[1]

---

(١) مونق : معجـب.

تجدين إنْ أقبلتِ نحوَ ديارنا — وجهَ المنازل بالسعادةِ يُشرق

يبدو على أفنائها وعِراصِها[1] — نورُ الهناءةِ ساطعاً يتألقُ

دارُ ابنِ عمك، لا الهوانُ بنازلٍ — فيها، ولا بابُ المذلة يطرقُ

لكنَّ فيها للمعامعِ ضيغماً — وبها ليومِ البذل غيثٌ مغدقُ

إنْ قيلَ مَن للحربِ أو مَنْ للندى — ألفيتني نحوَ المكارمِ أسبقُ

هذا شعاري في الحياةِ وإنَّه — خُلُقٌ، وما هو في الخصالِ تخلُّق

أم عفراء:

أدركتِ يا عفراءُ ما أدملتُه — لكِ في الحياةِ فبشرُنا متدفقُ

وحللتِ أكرمَ منزلٍ بفؤادِ مَنْ — يهفو لهُ قلبُ الحسانِ ويَخفق

وجمعتِ للعلياءِ منْ أطرافِها — فالعيشُ حالٍ والقران موفقُ

أم عروة:

عفراءُ هذا اليومُ يومٌ باسمٌ — وعليهِ وشيٌ للسرور منمَّقُ

لمْ تشهدِ البيداءُ مثلَ هنائِها — عرسٌ[2] مطهرةٌ وزوجٌ مُعْرِقُ

عفراء (مناجية نفسها بصوت حزين):

يا لي من الدهرِ الخئونِ وصرفه — وظلامُ ليلٍ بالشقاوةِ يُطبقُ

ظنوا الفؤاد بهِ الهناءَ ولو دروا — ما يحتويهِ من الشقاءِ لأشفقوا

لمْ يبقَ لي غير اضطرابٍ معذَّبٍ — بينَ الضلوعِ، وعبرةٍ تترقرقُ

والنفسُ أضناها الأسى وأصابها — سهمانِ: شوقٌ دائمٌ وتفرُّقُ

منْ لي بنظرةِ ظاعنٍ ومودِّعٍ — يا نازحاً وبهِ الفؤادُ معلَّقُ

أوشكتُ أن أرِدَ الفراق وإنني — أخشى عليكَ من الهلاكِ وأفرَقُ

[هصر: «في صوت مرتفع مخاطباً قومه بينما يسير ومن معه إلى الخباء»]

---

(١) العراص: جمع عرصة وهي ساحة الدار.

(٢) عرس: زوجة.

هَـيـا اشـعـلوا الـنـارَا هَـيـا انحـروا الـجُـزُرا[1]
هَـيـا افـتـحـوا الـدارا نـاغـوا بِـهـا الـوَتَـرَا
هَـيـا اطعـمـوا الجـوعـي بِـرا وإحـسـانـا
والـكـلُ فـليُـدعـى شـيـبـاً وشـبـانـا

أم عفـراء:

يـا فرحـةً رّنـت فـي حـيّـنـا الأزهـرْ
أيـنَ الـتـي غـنـت بـالـدفِ والـمـزهـر
عـفـراء قـدْ لاقـت خـيـرَ الـورى طُـهـرا
يُـمـنـاهُ قَـدْ سـاقـت ألـفـاً لـهـا الـمـهـرا

[يقبل الفتيان والفتيات وينشد الجميع]

الفتيـات:

عـفـراءُ قَـرِّي واسـعـدي فـي بيـتـكِ الـمـشـيـدِ
ذاتُ الـجـمـالِ الأوحـد عـيـشـي بـخـيـرٍ وَدَدِ[2]
يـا بـنـتَ خـيـرِ والـدٍ يـا درةَ الأمـجـادِ
يـا مَـوطـنَ الـمـحـامـد فـداكِ كـلُّ حـاسـد

الفتيـان:

هـيـا اسعِـدي، أثـالـة خـيـرُ الـشـبـابِ حـالُـه
تـفّـيئـي ظـلالـه واسـتـمـطري نـوالـهْ
الـسـعـدُ مـنـكِ قـدْ دنـا وأشـرقـتْ بـكِ الـدنـا
سـمـا الـغـداةَ جَـدُّنـا فـللإلـهِ حـمـدُنـا

[يرقص الجميع رقصة السيوف]

---

(١) الجزر: ما يذبح من النوق والغنم.

(٢) الدد: اللهو واللعب، لأمه واو محذوفة، مثل لام الغد.

أثالــة: خارجاً من الخباء يتبعه هصــر:

شدُّوا الحمولَ على المطيِّ فإنه ... قد حان للركبِ السعيد رحيلُ
وتهيـأوا للسير قـد نلنا المنى ... إنَّ الكـريمَ لـدى السؤال ينيلُ
أقسمتُ بالبيتِ الحرام لقُدْسِهِ ... تمشي المطايا سيرُهنَ ذميلاً[1]
ما كنتَ لي يا عمُ غيرَ سحابةٍ ... ظمىءَ الفؤادُ وريُّها مأمول
أنزلتني لما أتيتُكِ طالباً ... بيتاً عليهِ من السنا إكليل
ومنحتني منكَ الجميل محبّباً ... ومددتَ باع البر فهو طويل
نفسي فداؤك في الورى من سيدٍ ... شـرُفَتْ لـه دارُ وعـزّ قبيـل
قلبي وروحي واللسانُ وخاطري ... أهدوا إليكَ الشكرَ وهو جزيل

هصــر:

أَبُنَيَّ ما قـدْ رُمْتـه فبلغتَه ... حقٌ، فليسَ إلى الثناءِ سبيلُ
ما كنتُ يا ولدي أضنُّ بها إذا ... ما جئتَها، إني إذاً لبخيل
أأردّ دونَ عطاءِ ما هو طالب ... فرعاً لهُ في المَكرُماتِ أصول
سرْ يا بني فإنَّ قومَك في الورى ... قَومٌ عليهم غرةٌ وحجول
وعليكَ زوجُك، فليكنْ من فوقِها ... في الحيِّ ظلٌّ من ذراكَ ظليلُ
واغفرْ لها بدراتِها وهَناتِها ... ضعُفَتْ لرباتِ الحجالِ عقول
وابذلْ لها منكَ الوفاءَ وكنْ لها ... حصنَ الهناءِ فللشقاءِ تزول

أثالــة:

هي في رعايةِ خالقي ورعايتي ... والودُّ مني وافرٌ مبذول
لوْ لمْ يكنْ من أجلها هي فليكنْ ... للجيدِ طوَّقهُ لديك جميل
فلها السعادةُ جمةٌ بديارنا ... ومَبيتُ عِزٍ عندَنا ومَقيل
هذا فراقٌ بيننا، فتحيةٌ ... قد حانَ للوطنِ البعيدِ قفول

[يتهيأون للمسير بينما يدخل من الجانب الآخر للمسرح عروة قادماً بالعير ومعه نفر من الذين كانوا معه]

---

(١) ذميـل: لين.

عــــروة:

علـيــكِ ســلامُ اللهِ دارَ أحبَّـتي ... لقد طالَ بي يا دارُ عنكِ مغيبُ

ومهمــا تناءى بــالبعيـدِ تفــرُّقٌ ... فــلا بــدَّ يــومــاً أنــهُ سيئــوب

فيا لهفَ روحي كمْ يُعذبُ نازحٌ ... إلى الأهلِ شوقاً أوْ يحنُّ غريبُ

ويا نفسُ هذا موطن الأهلِ فاسعدي ... ويا قلبُ مِن عفراءَ أنتَ قــريبُ

فـلا تُشقيـاني بعـدَ هـذا بلوعـةٍ ... فقـد ضمني صحبٌ هنا وحبيبُ

[يبدو عليه الضيق - ويسأل صبياً من المارة]

ولكنَّ مــا للعينِ تنـذرُ بــالأسى ... ومــا لفؤادي يَعتــرَيــهِ وجيبُ

وما بالُ هذا الجمعُ في الحيِّ يا فتى ... ؟..

الصبـــي:

أعروةُ... هذا القولُ منكَ عجيب

ألمْ تدرِ أنَّ اليومَ عفـراءَ زُوِّجت ... فبــالحيِّ ثــوبٌ للزفــافِ قشيبُ

عـروة (لزميلِـهِ في دهشـة):

أتسمعُ ما ألقاهُ لي مِن تَقَوُّلٍ؟.. ... أعفـراءَ يعني.؟.. إنهُ لكـذوبُ

فما كانَ عهدُ العمِّ إياي خائساً(١) ... لعمـري، ولا فيهِ الـرجاءُ يخيبُ

[يمر الموكب ويلمح عروة عفراء تسير إلى الهودج]

إذنْ صحَّ ما قدقيلَ يا نفسُ فأذني ... بــطولِ شـقــاءٍ للفـؤاد يُــذيــبُ

أعفـراءُ هلْ بعـدَ التفرُّقِ نلتقي ... على العهدِ أمْ أنَّ الفراقَ سلوبُ

«وإني لتعروني لـذكـراكِ رعـدةٌ ... لها بين جسمي والعظامِ دبيبُ(٢)»

«فمـا هـو إلا أنْ رآهــا فجـاءَةً ... فـأبْهَت حتى مـا يكــادُ يجيبُ»

تُعـاهدني لا تنقضُ العهـدَ بيننا ... ومـا علمتْ أنَّ الخـطوبَ تنـوبُ

فمنْ أينَ ســرّاءُ الحيـاةِ ولينُهــا ... وقدْ ضاعَ لي منها الغداةَ نصيبُ

وأيُّ سرورٍ يُسعدُ النفسَ بعـدَها ... وأيُّ هــنــاءٍ لـلفــؤادِ يــطيــبُ

[ستــار]

---

(١) خائــس: غادر.
(٢) البيتــان من شعره عروة.

الفصـــل الثالث

[المنـظر: داخل دار هصـر... عروة على فـراش المـرض مستنداً بظهره إلى الحائط، على مقربة من الفـراش يجلس هصر]

عـــروة:

يـا عــمُّ أيـنَ رعـايـةُ الآبـاءِ — وحقـوقُ عهـدٍ بيننـا ووفـاءِ

مـا كانَ منـكَ الوعـدُ مأتيـاً ولا — جـادتْ يـداكَ لـظامىءٍ بـالمـاءِ

صَيـرَّتـني ذا شَـقـوةٍ وتـركتـني — أبغي العـزاءَ ولاتَ حينَ عـزاءِ

هصـــر:

يا عروةُ استمسِكْ بأهدابِ النُّهى — والصبـرِ، لا تَعْجَـلْ لنـا بجفـاءِ

إنَّ الأمـورَ جميعَها تجـري على — قـدَرٍ مـطاعٍ حكمُـهُ وقـضـاءِ

عـــروة:

يا عمُّ قدْ أودي الفـراقُ بروضـةٍ — لـلحـبِّ، ذاتِ مـفـاتـنٍ غَـنَّـاءِ

سعـدتْ بهـا روحي زمـانـاً ليتَـهُ — لم يُـرْمَ منـكَ بـزعـزعٍ نَكبـاءِ

أيـامَ كنَّـا ـ والهنـاءُ يلفُّنـا ـ — في ظـلِّ بشـرٍ وارفِ الأفـيـاءِ

وَاطُـولَ آهـاتِ الفؤادِ غـداةَ أنْ — عصفـتْ بجنَّـاتي يـدُ الأنـواءِ

أخـرجتَني بـالعيـرِ أُخفي لَـوعتي — وأنينَ قلبٍ لاعـجِ البُـرحَـاءِ[1]

---

(١) البُرَحـاء: الحمى، شديـدة الأذى، ولاعج: من علج بمعنى أحـرق، لاعج البرحـاء: أي الحمى المؤذيـة والمحرقـة.

ومضيتُ لا أخشى ـ وقد غلبَ الأسى ـ حـرَّ الهجيرِ، ولفحـةَ البيـداءِ
والنفسُ فيهـا للتفـرقِ حسـرةٌ والقلبُ يحكي وقدةَ الـرمضـاءِ
نائي المنازِل ليسَ يحدوني سوى أمـلٍ يـداعبُ خـاطـري ورجـاءِ
وزعمتَ لي أنَّ الإنابةَ[1] موعدٌ لِـلقـاءِ آمـالي ونـيـلِ هنـائـي
حتى رجعتُ إلى المنازِلِ ظامئاً ووطئتُ أرضَ الأهـلِ بعـدَ تناءِ
فوجدتُ أنَّ الدهرَ فوَّقَ[2] سهمَهَ فـأعادَ شـدْو العرسِ رجـعَ بكاءِ
يـا منيـةً عـادتْ مَنِيَّـةَ وإلـهٍ هـلْ من سبيـلٍ بيننـا لـلقـاءِ

هصـــر:

مهـلاً، فمـا أنصفتَني ووصمتني بـالغدرِ يـا ولـدي وأنت مُليمُ[3]
وكسـوْتَني ثوبَ الظُّلومِ وطالمـا ثـارَ الـظلومُ وأذعـنَ المـظلومُ
لوْ قدْ علمتَ بما رَميتُ إليهِ مِن أمـرٍ لمـا كنـتَ الغـداةَ تـلومُ
ولئنْ رفعتَ عنِ العيـونِ غشـاوةً للوجـدِ تُبـدي الخيـرَ وهـو ذَميمُ
لرأيت ما أنا قدْ رأيتُ لهـا وإنْ أضنى الفؤادَ فـراقُهـا المحتـومُ

عـروة ـ في تهكـم:

ولأيِّ شيءٍ قد رميتَ.. أللأسى يُـدمي فؤادي فـالـفؤادُ كَـلومُ
أمْ للهـوانِ ينـالـني بـسهـامِـهِ أمْ لاضطرامِ النفسِ فهي جحيمُ
أَطننتَ أنْ أرضى الحيـاةَ بدونهـا تُعسـاً، وغيـري في الهنـاءِ يُقيمُ
إنْ لمْ يبلَّ الغيثُ لي أرضاً فلا هـطلتْ بأرضٍ في البـلادِ غيـومُ

هصـــر:

أسـرفتَ في غمزٍ لعمِّـكَ فـاتئدْ فـلرَّبمـا تـركَ الـهـدوءَ حليـمُ

---

(١) الإنابـة: العودة.
(٢) فوق سهمه: وضعه في الوتر.
(٣) مليم: واقع في اللوم.

أَبُنيَّ مـا زوجتُها ـ لـكَ قالياً ـ فـرضـاكَ مـا أرجـو وأنتَ عليمُ
لكنني شئتُ السعـادةَ لابنتي ولهـا أردتُ العيشَ وهـو نعيمُ
أبغي الهنـاءَ لهـا وإنَّ أثـالـة بهنـائهـا بينَ الـورى لـزعيمُ
أنـا لا أقـولُ بـأنَّه خيـرٌ لها عـن ظنَّـةٍ، إنـي إذاً لـلئيـمُ
ما كانَ يفضلُكَ ابنُ عمكَ عندَنا لـولا ثَـراءٌ وافـرٌ وعَـمـيـمُ
أرأيتَ لوْ أحببت يا ولـدي امرءً أَفَـلا تـودُّ هـنـاءَه وتَـرومُ
لـوْ كنتَ تهواهـا لشئتَ هناءهـا ولـو أنَّهُ بحمى سـواكَ يـدومُ

أم عفـراء: كيف أضحى عليلُنـا شـفَّـهُ السـقـمُ والـبَـهَـرْ[1]

عروة في ضجـر:

أم عـروةَ: عروَ مـا الحالُ نَبِّني نـالـني الـهـمُّ والـضـجـرُ

عروة:

أَقَـطَعُ الـيـلَ مُـسـهَـداً فـي عـذاب وفـي فِـكَـر
أرقـبُ الـنَـجـم سـاهـراً آهِ مـنْ وحـشـةِ الـسَـهـر
رقَّ لـي الـلـيـلُ والـدُجـى ورثـى الـنـجـمُ والـقـمـر

أم عـروة:

لـسـتُ أدري إلـى مـتـى ذلـكَ الـدءُ يَـسـتَـمِـرْ
كـلـمـا قـلـتُ إنَّـهُ عـاجـلاً عنـك يـنـحـسـرْ
أُبـصـرُ الـسـقـمَ لا يَـنـي فـيـكَ يـسـري ويـنـتَـشَـر
يـا إلـهـي قـدَرْتَـهُ فـامـنـحِ اللطفَ فـي الـقـدرْ

هصـر:

لا تُـراعِـي فـإنـهُ لـيـسَ فـي سُـقـمِـهِ خَـطَرْ
مـا بـهِ غـيـرُ وعـكـةٍ قـدْ دهـتْـهُ مِـنَ الـسـفـر

---

(١) البهـر : انقطاع النفس من شدة الجهـد.

وغـداً لا نـرى لـهـا - يـأذنُ اللهُ - مـنْ أثـرْ

عروة - في صوت خفيـض كأنَّه يخاطب نفسه:

وعـكـةٌ ! .. آهِ إنـهـا ... طـعـنـةُ الـدهـرِ والـعـمُـرْ
قـدْ دَرى سـرَّ شـقـوتـي ... إنـهُ كـاذبٌ أَشِـر
يـمـلكُ الـروحَ فـظَّةً ... ولـهُ الـقـلبُ مِـنْ حـجـر
نـالـنـي سـهـمُ غـادرٍ ... جـرمُـهُ لـيسَ يُـغْـتَـفَـرْ
لا رعـى اللهُ خـائـنـاً ... يـا لـحـا اللهُ مـنْ غـدر
يـا مُـنـى الـنـفسِ إن نـأى ... منـكِ عـنْ أرضِنـا الـمـقـر
فـخـيـالـي يـزورُهُ ... ودُجـى الـلَيـلِ مُـعـتَـكِـر
وبـهِ طـافَ مـثـلَمـا ... طـافَ بـالـبَـيـتِ مُـعْـتَـمـر
إنَّ نـفـسـي لـصـبَّـةٌ ... إنَّ قـلبـي لـمـنـفـطر
وفـؤادي مِـنَ الأسـى ... دائـمُ الـبـثِّ مُـسـتَـعِـر
إنْ سَـتـرتُ الـذي بـهِ ... لـيسَ دمـعـي بـمُـسـتَـتِـر
هـلْ عـن الـسُّـقـم والـضـنـا ... عـنـدكِ الـيـوم مِـنْ خَـبَـر
بـثُّ أسـوانَ مـنْ هـوىً ... فـي فـؤادي قَـدْ اسـتـقـرْ
أَصـبـحَ الـعـودُ ذابـلاً ... وذَوي زهـرهُ الـنَّـضـرِ
إنـهُ الـدهـرُ فـاصـبـري ... لـيسَ مـنْ صـرفـهِ وَزَر[1]

أم عفــراء:

وقيلَ لنا العرَّافُ يُبرىءُ سقمَـهَ ... فجئْنـا بعـرافِ اليمـامـةِ بـالأمس
فلمْ يـدَّخر جهـداً لنيـلِ شفـائِـهِ ... ببذلِ الذي يدريه من ناجع النطس[2]
ولمـا رأى أنَّ الشفـاءَ منـالـهُ ... من الصعبِ لم يركن إلى حيرةِ اليأس
وقـالَ كـأنَّ الجنَّ مستـهُ بـالأذى ... فإنَّ الذي يضنيهِ ليس سوى مَسّ

(١) الوزر: الملجــأ.

(٢) النطس: الفطين، والنطاسي: هو الطبيب الحاذق والمقصود هنا العــلاج الناجــع.

هصـــر:

لقد كذبَ العرافُ مـا كنتُ بالذي ... يُصدِّقهُ في ذلك الزعمِ واللَّبسِ

فلمْ يبـدُ منهُ القـول إلا وجدتُـهُ ... وقد قامَ مبنياً على الظنِّ والحدْس

أم عـــروة:

ولـمـا رأيتُ الـداءَ عـزَّ دواؤهُ ... وقد شربَ الأسقامَ من مُترع الكأس

بعثتُ إلى عـرافِ نجدٍ رسولنـا ... مُعُذاً يوافيه على ضامرٍ عَنسِ[1]

لعـلَّ خبيرَ الـطبِّ يبرىء سقمـهُ ... فأبعد يوماً من شفائي وعن تَعسي

فيـا أيُّها العـاني فداؤكَ مهجتي ... بروحي أقيكَ النائباتِ وبـالنفسِ

لقدْ حالَ منكَ اللونُ عن حمرةٍ بهِ ... لشدةِ ما تلقى إلى صفرةِ الوَرس

عــروة ـ لنفسه في صوت خفيــض:

«وجـاءوا إليهِ بـالتعاويـذِ والـرُّقي ... وصبُّوا عليهِ الماءَ من ألم النُّكس»[2]

«وقالوا بـهِ من أعينِ الجنِّ نظرةٌ ... ولوْ عقلوا قالوا به نظرةُ الإِنس»[3]

أأصبـحُ في همٍ مـريـرٍ وشقـوةٍ ... وفي لاعجٍ من ذكرياتِ الهوى أُمسي

وفي النفسُ آلامٌ وبـالقلبِ مثلُها ... ألا شدَّ ما ألقاه في الدهرِ من بؤس

تماسكتُ حتى شفَّ مهجتي الأسى ... وأصبحتُ في الدنيا قريباً من الرمس

فلا القلبُ يسلو عن هواها ولا الضنى ... لمـا مـرَّ في عهـدِ الهنـا يُنسي

وكيفَ يطيبُ العيشُ والدهر جائرٌ ... أطـاحَ بـآمــالي وبـدَّدَ لي أُنسي

[تدخــل إحدى الجواري]

الجاريـــة :

عـرَّافُ نجدٍ ببـابِ البيتِ مُنتـظَرُ

---

(١) العنــس : الناقة القويــة.

(٢) الألم النكس : الذي يعاوده مراراً.

(٣) البيتان من شعر المجنون.

[تخرج الجاريــة]

أم عروة: عرافُ نجدٍ أتى. ؟ . . فليدخل الآنا

[يدخــل العراف]

لعـل في يـدِهِ نلقى الشفـاءَ لـهُ ولا نبثُّ سـوى الرحمنِ شكـوانا

العرَّاف: ياسادةَ الحيِّ تسليماًوتكرمةً

هصــر: أهلاً بمن فيهِ خيرُ الناسِ مُذْكانا

يستأصلُ الداءَ من عانٍ أضـر بهِ فكـانَ أشـرفَ خلقِ اللهِ إنسـانـا

العـرَّاف:

أينَ العليلُ؟ . . أهذا من أراهُ هنا ؟ . .

أم عروة

نعمْ ! أليسَ عليهِ السقم قد بانا؟

باللهِ يا مبرىء العاني سألتكَ أنْ تعيرَ ثوبَ الصِّبا منْ باتَ عُريانا

قد صوَّحتْـهُ الليالي جـد عامدةً وكـانَ زهراً يمـجُّ النشرَ ريحـانـا

وأَطُول آهاتِ نضوٍ[1] في الظلام نَبت بـهِ المضاجـعُ يا عـرَّافُ أسوانـا

مـا غادرَ السهـدُ أحداقاً مؤرَّقـةً أو كحَّلَ النومُ عندَ الليلِ أجفانا

أدْرِك شقياً عليلَ الجسمِ نـاحلَهُ من شدةِ السقمِ كمْ قاسى وكم عانى

وابذلْ ـ هُديت ـ له بُرءاً وعافيةً جـزاكَ ربُّك يـا عرَّافُ إحسـانـا

العـرَّاف:

لا تيأسي منْ رضاءِ اللهِ أنَّ لـهُ لــرحــمــةً مــلأتْ أَرجاءَ دنيانا

والآن أدنو مِنَ المكروبِ أنـظُرُهُ فربَّما انقلبَ المحزونُ جذْلانا[2]

[ينصرف إلى فحص عروة وينتحي الجميع ناحيته]

---

(١) النِّضوْ : البعيــر الضعيف المهزول.

(٢) الجــذل : الفــرح.

أم عفــراء:

لعلَّ طِبَّكَ يـا عـرافُ يُبـرئـهُ   فيستـريـحُ شقيٌّ ذابَ أشجـانـا

ويسلَمُ البائسُ المسكينُ من سَقَمٍ   قـدْ أشعلَ الجسمَ آلامـاً ونيرانـا

أم عـــروة:

إني إلى اللهِ بـالآمـالِ ضـارعـةٌ   ولستُ أشكـو لغيـر اللهِ بلوانـا

ما نالني من أذى أو مسني نصبٌ   إلا وثقتُ بـهِ وازددْتُ إيمـانـاً

أم عفــراء:

ها قد تراءى لنا العرَّافُ مبتهجاً   وقـد بدا وجهـهُ بالبشرِ مزدانـا

لـعلهُ قــد درى طـبـاً لِعِلَّتِـهِ   فيبلغُ الرِّيَّ منْ قد بـاتَ ظمآنـا

هصــر:

عسـاهُ لا ينطقُ الألفـاظَ ترضيـةً   ولا ينمقُـهـا زوراً وبُـهـتـانـاً

إني لأخشى خـرافاتٍ يفـوهُ بهـا   قدْ يخطىءُ الطبُّ والعرَّافُ أحيانا

العرَّافُ مقبــلاً عليهم:

يا قومُ لا تجزعوا، ما نالهُ خطرٌ   ولا تُراعوا، فإنَّ الخطبَ قد هانا

ليسَ العليــلُ بـهِ داءٌ يخـامـرهُ   إلا غـرامٌ لـه يُـواليـهِ كِتمـانـا

أم عـــروة:

ماذا تقولُ؟ هوىً في القلب يكتمُهُ   بـاللهِ لا تَـرمِـهِ ظلمـاً وعـدوانـا

لا تنطقِ القولَ أو تدري حقيقَتَهُ   مـا كانَ أغنـاهُ عنْ هذا وأغنـانـا

العــرَّاف في إصرار:

بلْ قدْ علمتُ الذي ألقيه سيِّدتي   من سرٍّ ذي خَلَّةٍ قدْ عاشَ ولهانا

قد مسَّهُ الوجدُ حتى شفَّ مُهجته   وما استطاع له في الناسِ إعلانا

إني أرى في عيونِ الصَّبِّ لوعَتَهُ   وحسبُنـا إنْ أردْنـا ذاكَ بـرهـانـا

هـذا فـريقٌ من العشـاقِ أعـرِفُـهُ   يقـدِّمُ النفس دونَ القلب قربـانا

[يخرج العراف ويخـرج معـه هصـر لتشييعـه]

أم عروة - في أسى وقد أقبلت على ابنهـا:

أَحقٌ ذاكَ ؟ نـبئـنـي بما أخفيتَ منْ أمرِكْ
وهـلْ لـلوجـدِ آلامٌ تَـهيـجُ الـنـارَ في صـدرِكْ
إذا لـم أدرِ سـرَّك مَـنْ سـتُـطلِعُـهُ عـلى سـرِكْ
لقـد أحرقتَ لي كـبـداً بـنـارِ الصمتِ مـنْ صبـرِكْ
فـيـا عـروةُ حـدِّثـنـي بـمـا لاقيـتَ في دَهْـرِكْ
فـكـمْ مـن لـيـلةٍ بِـتـنـا وبتَّ على أسـى جـمـرِكْ
عـداكَ الـسـوءُ يـا ولـدي ومـدَّ اللهُ فـي عُـمـرِكْ

عروة في أسى:

يـا لـقـومـي لـوالـهٍ خـفـاقِ يـتـلـظى بـلاعـجِ الأشـواقِ
يقـطعُ العمـرَ ذا عـذابٍ أليمٍ مـا لـهُ في عـذابـهِ مِنْ واق
في حنايا الضلوعِ صـارَ حُطاماً من غـرامٍ يئطُّ[1] في الأعمـاقِ
بـاتَ من وحشـةِ الفـراقِ كئيباً بـائسـاً، مـا أمـرَّ يـومَ الفـراقِ
ذاقَ كـأس الشقاءِ صـابا مـريراً منْ يـدِ الـدهـرِ إنَّـهُ شـر سـاقِ
ولقـدْ كنـتُ في هـنـاءً وخيـرٍ لا أُلاقي من الأسـى مـا أُلاقي
كان من وجهِها الصبوحِ صبوحي[2] واللقـاءُ السعيدُ كـان اغتبـاقي[3]
إنَّ عـمـي وقـدْ أرادَ لـقـلبـي أنْ يـظلَّ الحيـاةَ نضـوَ اعتـلاقِ
قدْ رمى القلبَ في الصميمِ وألوى بـعـهـودِ الـفـؤادِ والـمـيـثـاقِ
ليسَ يبقى على العهـودِ مُقيمـاً وأرانـي منَ الأسـى غيـرَ بـاقِ

---

(١) بئط : يصوت.

(٢) الصبوح : شراب الصباح.

(٣) الاغتباق: شرب الغبوق وهو شراب المساء.

إيــهِ عفــراءُ هــلْ لقيتِ هنــاءً بعــدما آذنتْ نــوىً بــافتــراقِ
ليتَ شعـري أأطفـأ البعــدُ حُبـاً كـانَ في النفسِ دائمَ الإشـراقِ
أمْ بكِ الشوقُ مثلَ ما بي شديداً لاذعـاً طعمُـهُ، مـريـرَ المـذاقِ
إن يـكـنْ غـيَّـرَ الـفـؤادَ تـنــاءٍ فـفؤادي يُـمضُّـني بـاحـتــراقِ
كـلمــا هــاجَــهُ إليــكِ حنيـنٌ يـذرفُ الـدمـعَ من دمٍ مُهـراقِ
وعـيــونٌ تفـيضُ مثــلَ عـيــونٍ بــدمــوعٍ كــوابــلٍ مِـغــداقِ
لقيَ الـعــاشقــونَ كــلَّ هـنــاءً غيــرَ أني شقيتُ في الـعشــاقِ

[يدخل هصر وفي صحبته عبد الله بن أبي عتيق]

ابن أبي عتيــق:
سلامٌ على الكابرينَ الأباة

أم عــروة: سـلامٌ على ذي النَّـدى والكـرمْ
أميــرٌ عــلا ذكــرُهُ في الكــرامِ من النــاسِ أكـرمْ بـهِ من عَلمْ

ابـــن أبي عتيــق:
لقـدْ جئتُ هـذا الحمى بعـدمـا نمــا لي حــديـثٌ يثيــرُ الألَمْ
يقــولـونَ: عــروةٌ بين الـديــار من الوجدِ أضحى حليفَ العَدمْ
فـجئتُ أعــودُ الـعليــلَ الــذي طــواهُ الـضنى وبــراهُ الـسـقـمْ
وددتُ لــه لــوْ بــدا كــاذبــاً حديثُهمو .. أصحيحٌ

عروة ـ في مرارة: نعم
عـدتكَ عـوادي الأسى يـا أمير لأنــتَ أغــرُّ كــريـمُ الـشيــمْ
لـقــد قَسَـم اللهُ لـي شِـقــوتـي رضيتُ لَعَمــري بمـا قــد قَسمْ
أضـاعتْ نعيمي صُروفُ الحياة وركـنُ هنــائـي وَهـى وانـهــدمْ
وكــلُّ جــريــحٍ ينـالُ الشفــاء وجــرحُ الـصبــابــةِ لا يــلتَئِـمْ
أقضِّي نهــاري صــريـعَ الأسى وإنْ جنَّ لـيـلي بــهِ لـمْ أنــمْ

طريحَ الوِسادِ، حليفُ السُّهاد ... شقيِ الفؤادِ، عيوني دِيَمْ
غزيرَ الدموعِ، قليلَ الهجوع ... وبينَ الضلوعِ جوىً يحتدمْ
أحاولُ كتمَ دموعِ الغرام ... ودمعُ الهوى ليسَ بالمنكتمْ
أساءَ العذولُ وإن الفؤاد ... بهِ عنْ حديثِ العذولِ صَممْ
وما سَلَمَ القلبُ في حُبِّهِ ... فكيفَ يُطيعُ الذي قد سلمْ
أما والذي قد تهادتْ إليه ... مطايا الحجيجِ بأرضِ الحرمْ
لألفيتُ لما رمتني النوى ... شديداً على المرءِ ظُلمُ الرحمْ

ابن أبي عتيق:

سلمتَ من الأدواءِ يا خيرَ عاشقٍ ... وأُلبستَ ثوبيْ: صحةٍ وأمانِ
تجلَّدْ فذاكَ الدهرُ شتى صروفهُ ... يَريشُ لنا سهماً بكلِّ مكانِ
وكل حبيبٍ قد دنا من حبيبِهِ ... فإنما لا بدَّ مفترقان
ولستَ من العشاقِ أولَ بائسٍ ... بكى من أساهُ الناسُ والملَوان[1]

عروة:

ولما رأيتُ العينَ فاضتْ جُفونها ... بدمعٍ على الخدينِ أحمرَ قان
تبينتُ أني بالصبابةِ هالكٌ ... وإنْ كانَ حَيْني[2] مُرجاً لأوان
وكنتُ وإياها على رفرفِ المُنى ... لنا أملٌ نلهو بهِ وأمان
بنا في ربوعِ الحيِّ شوقٌ وصبوةٌ ... وإنا على وجدٍ لَمؤتلفان
إلى أنْ دهتنا للفراقِ نوائبٌ ... فعدتُ أخا هَمٍ ونضوَ هوان
«جعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حكمةً ... وعراف نجد إنْ هما شفياني[3]»
«فقالا: شفاكَ اللهُ واللهِ ما لنا ... بما حَملَت منكَ الضلوعُ يدان»

---

(١) الملوان: الليل والنهار.

(٢) الحيـن: الهلاك.

(٣) الأبيات التي بين الأقواس من شعر عروة.

«وإني لأهوى الحشر إن قيل إنني وعفــراءَ يــومَ الحشــرِ ملتقيـان»

فيا ليتَ شعري هل يُجَمَّعُ شملُنا وهـلْ نحنُ بعدَ البُعـدِ مجتمعان

أجبتُ لهـا داعي الفؤادِ معجِّـلا وعاصيتُ فيها الصبرَ حينَ دعاني

«ألا فـاحملاني بـاركَ الله فيكما إلى حـاضرِ البلقـاءِ ثمَّ دعـاني»

فـإنَّ دوائي نـظرةً يـرتـوي بهــا فـؤادُ شـقـيٍ دائـمُ الـخـفـقـان

ويفــرحُ مَحـزونٌ ويهنــأ يــائسٌ يقاسي عذاباً في الهوى ويعـاني

[ستــار]

* . * . * . *

الفصـــل الرابع

المنظر الأول

[في ربوع البلقاء... واد به عين ماء تحف بها أشجار ونخيل، عروة يجلس على ربوة تشرف على العين]

عــروة:

ألا مَن لقلبٍ نـاوَجتـهُ الـزعـازعُ ... وشوقٍ قد انضمَّتْ عليهِ الأضالعُ

ونـار لهـا بينَ الحنـايا تـأجُّـجُ ... تزيدُ ضراماً إن سقتهـا المدامـعُ

وما زال هذا القلبُ مُذْ شط وَليها[1] ... وقـطَّعَ مـا بينَ الخليلينِ قـاطـعُ

يكلِّفُني عفـراءَ والدارُ قـد ناءت ... وقد صدعَ العهدَ الذي كان صادعُ

فيا قلبُ قد ألوَتْ بها وبنا النوى ... فهلْ أنتَ بعد البين في القربِ طامعُ

ويا قلبُ هذي دارُ عفراءَ قدْ دَنت ... إليكَ بمنْ تهوى فما أنتَ صانعُ

تحـدِّثـني نفسي إليهـا بـزورةٍ ... ودونَ الذي توحي به النفس مانعُ

مخـافـةَ واشٍ أوْ مـظنـةَ عـاذِلٍ ... يمـجُّ لنا مِن سُمِّـهِ وهـو نَـاقـعُ

أقمتُ بـأرضٍ قد أقامتْ بحيِّها ... وإني بقـربِ الدار منهـا لقـانـعُ

أظلُّ مكاني في ارتقـابِ ورودِها ... بسـربِ لَـداتٍ مشيهُنَّ التتـابـعُ

وأرمُقُهـا عنـدَ المجيء بنـظرةٍ ... عجولٍ بها يُشفي من القسمِ جازعُ

---

(۱) الولـى : الهودج.

لقيتُ بقربي من رُباها سعادةً ... وقرَّتْ بمرآها العيونُ الهوامعُ
أقيمُ غريبَ الدارِ والأهلِ نازحاً ... أحِنُّ كما حنَّتْ بغصنٍ سواجعُ
وأذكُرُ عهداً بالكثيبِ قد انقضى ... لنا مجلسٌ في ظلّهِ ومراتعُ
نعمنا بهِ دهراً شربنا هناءهُ ... وقد جمعَ الشملَ المفرَّق جامعُ
فيهتفُ قلبي حينَ يشتدُ وجْدُهُ: ... ألا ليت أوقاتَ الكثيبِ رواجعُ
نظرتُ إلى الأظعانِ يومَ ارتحالِها ... تسيرُ وأعناقُ المطيِّ خواضعُ
ففاضتْ دموعٌ من عيونٍ سواكبٍ ... إذا القلبُ أمسى عهدهُ وهو ضائعُ
وقلتُ سلامٌ من شقيٍ مُعذَّبٍ ... عليكِ، فإن الخطبَ بالبَينِ فاجعُ
فيا دارةَ البلقاءِ تلكَ وديعةٌ ... فيا ليتَ شعري هلْ تُصان الودائعُ
نهاري بهِ الآلام والبثُّ والضنى ... وإنْ جنَّ ليلي أنكرتني المضاجعْ
يقولونَ لي لا تقتربْ من ربوعِها ... وإلا فإن الشرَّ آتٍ وواقعُ
وكيفَ أُردُّ اليومَ عن أرضِ حيِّها ... ولي من جميلِ العهدِ والودِّ شافعُ

[يمر به ظبي فيناجيه]

يا ظبيُ هلْ بكَ مثلَما ... بالقلبِ منْ ألمِ الضنى
فاتيتَ تطفيءُ للفؤادِ ... هوىً بهِ مُتمسكا
هلْ جئتَ مثلي يا مليـ ... ـحَ الطرفِ تسعى هاهنا
تبغي لقاءَ أحبةٍ ... لتنالَ عندَهُمُ المنى
يا ظبيُ هذا موردٌ ... لظباءِ وَجرةَ فأتِنا
يمشينَ نحوَ سِقائِهِ ... يبدينَ حُسناً فاتنا
يا شَبهَهَا إنا تشابهُ ... في الأسى ما نالنا
إن كنَت مثلي فاتَّبعني ... تلقَ إلفاً مُحسنا
مِنْ مُرِّ ما قد ذاقهُ ... ضاقَتْ بعينيهِ الدُّنا
إني تَقصَّدني الزمانُ ... فنِلتُ ظُلماً بيِّنا
وأرادَ لي الدهرُ الشقاءَ ... ولمْ يُردْ بذلَ الهنا

ورمى الحنايا بالسهام من البعادِ فأثخنا
آهٍ لقد نالَ الجميعُ هناءَ هُمْ إلا أنا

[يسمع نشيد تردده العذارى يعلو رويداً رويدا]

العذارى : يا سائقَ الأظعانْ فرقتَ خِلانّا
بالبيتِ ذي الأركانْ قدْ هجتَ أشجانا
يا حاديَ الركبِ بالبانِ والعلَمِ
يا وحشةَ الصبِّ عرِّجْ لذي سلَمِ
واسأل رُبا الوادي عن فتنةِ القلبِ
باللهِ يا حادي بالشوقِ، بالحب
أينَ الأُلى بانوا والوجدُ مشتدُّ
يا ضالُّ يا بان يا شيخُ يا رندُ(١)

[وعند ظهورهن يتجهن نحو عروة ويضعن جرارهن ويجلسن حوله]

الأولى :
سلامٌ على نضوِ الصبابة والهوى
عروة: سلامٌ على سربٍ عليَّ عطوفِ
رثى لي وأضحى بالحنانِ يسُدُّني وكانَ أليفي حينَ غاب أليفي
الثانية :
عداكَ الأسى يا عروَ
عروة: لا بلْ لقيتُهُ إذا كنتُ عن عفراءَ جِدَّ عزوفِ
متى نالني منها على البعدِ عطفها فلستُ على ما فاتني بأسيفِ
الثالثة :
تجرعتَ كأس الحب يا عروَ مُترعاً فكيف وجدتَ الحبَّ

---

(١) الرند : نبات من شجر البادية طيب الرائحة.

عـــروة: سمَ حُتُوفِ

إذا نـالَ قلبَ المرءِ قـلٌ نعيمـهُ وإن كـانَ في قصرٍ يعيشُ مُنيفِ
ومنْ كان في الدنيا أخا الحب لم يزل تُـطالِـعُـهُ أقـدارهـا بصروفِ
إذا شرفُت أحسابهُ قيل قد غوى وإنْ كـانَ عَفًّاً قيـل غيـر عفيفِ

الرابعـــة :

وكيفَ لقيتَ الهجـــر ؟ . .

عروة: مرٌمذاقُهُ لهُ في صميمِ القلبِ وقعُ سيوفِ
يُطالعناـ لا كان ـ عند اجتماعنا بـوجه، كـأشبـاحِ الفـلاةِ مُخيفِ

الأولـــى :

وإن أسقَمَ المـرءَ المعذَّب حبُّـه وباتَ بجسمٍ في الغرامِ ضعيفِ
أينكرُ الخلان يا عروَ

عـــروة: لـمْ أكـنْ وحيـداً فقد كـانَ الشقاءُ حليفي
ولي في دُجى الظُّلماتِ قلبٌ ممزق له من أليمِ الشوقِ رجعُ وجيفِ
أظلِ حليفَ الهمِّ والطرف ساهرٌ وللجفـنِ والآماقِ سيـلُ وكـيفِ[1]
إلى أنْ يُرى وجهُ الغزالةِ مُشرقاً كعفـراءَ مسفـرةً بغيـرِ نَصيفِ[2]
ولمـا رأيتُ القلبَ يشتـدُ داؤهُ وأن احتمـالَ الهجـرِ جـدُّ عنيفِ
حججتُ إلى البلقاءِ آوي بها إلى خـميـلةِ ظـل، للشفـاءِ وريفِ
أتيتُ ولي نفسٌ يفيضُ سناؤهـا وجئتُ بثوبٍ في الغرامِ نـظيفِ
وكنتُ شـريفـاً لا أهمُّ بـزورةٍ لها بينَ حيٍّ في الدِّيارِ خلُوفِ[3]

---

(١) الوكيف : القَطر الغزير.

(٢) النصيــف : الخمار، العمامة. . كل ما غطى الرأس.

(٣) الخلوف: الرائحة المتغيرة، ومنها رائحة الصائم.

ألا إن لي أصلاً يشعُّ طهارةً ... فكيف يكونُ الفرعُ غيرَ شريفِ
فيا ظبيات الحيِّ إني لعاشقٌ ... يطولُ على دارِ الحبيب وقوفي
إلى أنْ يشاءَ اللهُ أمراً وإنني ... وثقتُ بربٍّ في القضاءِ لطيفِ

الأولى: كساكَ الإلهُ ثياب الشفاء ... ومدَّكَ ربُّكَ بالعافيهْ
ونجَّاكَ من شرِ أقدارِهِ ... ومن هذهِ المحنةِ الداميهْ

الثانية: كذاكَ الحياةُ، إذا لم يكن ... بها نازلُ المحنِ القاسيهْ
لما عرفَ الناس طعم الهناء ... ولا أدركوا النِعمَةَ الحاليهْ

الثالثة: ملأتَ البلادَ بشعر مضيء ... عن الحبِّ يا عاشِقَ الباديهْ
وهذا لعمري الخلود المجيد ... وتلكَ هي الذكرةُ الباقيهْ

الرابعة: تذوقتَ عروَ نعيم الحياة ... وعِشتَ بها عيشةً راضيهْ
وفاضت عليك بسيل الحنان ... كأمٍ على طِفلها حانيهْ

ـ ينهضن ـ نعمت صباحاً

عروة: تردنَ المسير! ... فديتُ ظباءً لنا راعيهْ
بكنَّ أرى البِشرَ ثم أعود ... حزيناً على هذهِ الرابيهْ

[تنطلق الفتيات ويسمع صوتهن مرددات]:

يا أيها العاني ... لا تهلِكنْ وجدا
مرآكَ أبكاني ... باللهِ كنْ جَلْدَا
يا شقوةَ الصَّبِ ... يا لوعةَ العشاقْ
بالشوقِ في القلبِ ... والدمعِ في الآماقْ

[ينقطع الصوت الذي كان عروة ينصت إليه في شرود....]

عروة:

ليالينا عندَ الخميلة عودي ... فقدْ أذبلَ الهجرانُ ناضرَ عودي
سقى اللهُ عهداً قد قضيناهُ في الهوى ... وما بيننا من عاذلٍ وحسودِ

وما أنسَ لا أنس الخروج لدى الدُّجى بهـا والحمى مُستسلِمٌ لـهجـودِ
فما الروضُ غشَّاهُ الربيـع فزانـهُ أريـجُ زهـورٍ أو تضـوُّعُ عـودِ
بـأجمل من وادٍ يُجمِّعنا الهـوى على دارسٍ منْ عشبـهِ وجـديـد
ومـوقفُنا يـوم الـوداعِ وقـد بـدا لهـا لؤلؤٌ ينسـابُ فـوقَ ورود
أقولُ لها ـ والقلبُ يقطر حسرةً: أحقـاً بِعـادي منـكِ غيـرَ بعيـد
وأنْ لستُ مرتاداً من الحيِّ روضةً لنـا في روابيهـا جميـلُ عهـود
جرى الدهرُ بالتفريقِ بيني وبينها وآلمنـا بـالنحسِ بعـدَ سعـود
وكـانَ حميـداً فعلُهُ فـإذا بـهِ وليسَ على هـذا الأسى بحميـد
فصـوَّحَ أزهـاري وكـانتْ نـديـةً وماتَ على ثغري الغداةَ نشيدي
فمـا لفؤادٍ بعـدهـا من مسـرةٍ ولا لأسـىً منْ هـدأةٍ وخـمـود

[يدخل أثالة بن سعيد قادماً من الحي]

أثالة ــ محتضناً عـروة:

سـلامـاً أيُـهـا الـدانـي ولـمْ أنـظرْ مُـحَّـيـاهُ
أخـي عـروةُ فـي داري قَـريـبٌ لـسـتُ أَلـقـاهُ
يُـقـيـمُ بـأرضـنـا زمـنـاً ولا أَحـظى بِـرُؤيـاهُ
أخـي إن كنتَ عـن هـذا رضـيـتَ فـمـا رضـيـنـاهُ

عروة في تهكـم:

أثـالـةُ عـشـتَ ذا كـرمٍ لَـكَ الـعَـلـيـاءُ والـجـاهُ
مـتى ـ والـنـاسُ أقـدارٌ ـ يَـزورُ الـعـبـدُ مـولاهُ
فـدارُكَ لـسـت آتـيـهـا وحـيُّـكَ لـسـتُ أغـشـاهُ
وإنـي هـا هـنـا ثـاوٍ

أثالة ـ في عتاب: أخـي سـامَـحَـكَ اللهُ
أَفَـرْعُ الـمجـدِ مـن نَـهـدٍ يَـبـيـتُ الـقَـفـرُ مـأواهُ

أعنْ هذا أخي ترضى — ونفسُ الحرِّ تأباهُ
فيابنَ العمِّ إنَّ لكُمْ — لَدَيناً ما قَضيناهُ
أقمتُ بدارِكُمْ حيناً — وعهداً لستُ أنساهُ..

يسكت ـ برهة ثم يستطرد:

عرفتُ القلبَ ذا ألمٍ — وأدري سر بلواهُ
شقيقُ النفسِ ماذا عن — رُبُوعِ البَيتِ أقصاه
وليسَ بِهِ سوى أهلٍ — و«أخت» فيهِ ترعاهُ
فدْتكَ النفسُ مِنْ قالٍ — لَنا والقلبُ يَهواهُ
دمُ القربى جرى فيهِ — فروّاهُ وغذاهُ
فلولا منْ أتى يسعى — ـ ولمْ يعرفكَ إلاهُ
وقالَ رأيتُ عروةَ قد — دَعا الشوقُ فلباهُ
أَلَا إنَّ الغرامَ إلى — رُبوعِ الحيِّ ناداهُ
تَكَّلَمِ عندنا قولاً — أليمَ الغمزِ مَغزاهُ
ولولاهُ لما أدركتُ أنّكَ — جِئتَ.. لَولاهُ

عروة ـ في هدوء:

أثالةُ إنني عانٍ — رمى الدهرُ فأصماهُ
غريمي في الورى عمي — ألا ما كان أقساهُ
فيا لي من أخي سُقمٍ — رمتهُ اليومَ كفاهُ
وأوّاهُ .. إذا كانتْ — تفيدُ المرءَ أوّاهُ
أثالةُ إنَّ منْ عاني — تضيقُ عليهِ دُنياه
ألا إنَّ الغرامَ إذا — أصابَ المرءَ أرداهُ
يؤرِّقهُ السهادُ ولا — يذوقُ الغمضَ جفناهُ
لِمَا قد ذَاقهُ غُصصاً — تَسحُّ الدمعَ عيناهُ
عليهِ الموت من ألمٍ — يُحلِّقُ فاغراً فاهُ

أثالة ـ في عطـف :

أخي لـو قـدْ عـرفتَ هـوىً　　بـقـلبِـك ثَـمَّ أضـنـاهُ
لـمـا كنتَ الـذي يمشي　　وفـيـهِ الـداءُ أعـيـاهُ
وسُـرَّ الـيـومَ مـحـزونٌ　　وأدركَ مـا تـمـنـاهُ
فـهـيـا لـلديـارِ أخـي　　وحسبُـك مـا أضـعـنـاهُ

عـروة :

كـفى المسكينَ قـربُكـم　　فـإنَّ الـقـربَ أحـيـاهُ
فـدْعـهُ فـي شـقـاوَتِـهِ　　يـبـثُّ الـبـيـدَ شـكـواهُ
وإنـي لَسـتُ بـالـمـاضـي　　حـديثُ الـنـاسِ أخشـاهُ
فـللنـاسِ أقـاويـلٌ　　ألا خابوا . . ألا شاهوا

أثالـة :

فـكـمْ ظَـنُّـوا بـنـا ظـنـاً　　وهـمْ في الـوهـمِ أشـبـاهُ
فـدْعكَ أخي من عـاذلٍ متـوهمٍ　　يصّـدق فينا عـاذلاً متـوّهمـا
وأقبِل إلى دارِ ابنِ عمِّكَ لاتكنْ　　عن الدارِ ـ دارِ الأهل ـ يا عرو مُحجما

عـروة :

ألا إنني ما كنتُ عن ذاكَ راغباً　　ولكنَّني خفتُ الـرجـوعَ مُـذَمَّمـا
أثـالةُ سـرْ نحـوَ الـديـارِ مـودَّعـاً　　وإني سـآتيكم إذا الليـلُ أظلمـا

أثالـة :

إذنْ في حفاظِ الله ما دمتَ ها هنا　　سلامٌ . . وإني في انتظارٍ لدى الحمى

[يخرج أثالة وينشد عروة في صوت حزين]

عـروة :

حنانيكَ رحمنَ السمـاءِ إلى متى　　أعبُّ كؤسَ الهمِّ صـاباً وعلقمـا
سئمتُ حياتي . . أيُّ عيشٍ لوالهٍ　　تكبَّـد أهـوالَ الهـوى وتجشمـا

يقيمُ غريبُ الدارِ . . لا أهلَ عندهُ   يعـالجُ وجـداً في الفؤادِ مكتَّمـا

إذا عادَهُ الشوقُ الممضُّ وهَـاجَهَ   يسيـرُ ولا يدري إلى أينَ يَمَّمَـا

مُعَنّى رماهُ الوجـدُ شرقـاً وَمغربـاً   وأنجـد مكوربُ الفؤادِ وأتهمـا[1]

أظلُّ أجوبُ الأرضَ لا أسأم الوجى   لمضطرمِ الآلامِ نهباً مقسَّمـا[2]

فإن أشك لُمْ أشكُ الهوانَ بل الهوى   وإنْ أبكِ لَمْ أبكِ الدموعَ بل الدَّما

أسائلُ قلبي عنْ هـواهُ الذي بـه   إلى أيِّ حدٍ فيه يُحتمـل الظّمـا

فلمْ يذقِ الهولَ الذي ذقتُ عاشقٌ   ولنْ يؤلـمَ البؤسُ الذي نلتُ مُغرما

فيـا أَرْضَها . . هـذا فراقٌ فبلِّغي   تَحيـةَ عـانٍ عـاش صَبَّاً مُتَيمـا

فبعدَ الذي شاهدتُ من نيلِ زوجِها   مقامي لدي واديكِ صارَ مُحـرّما

وكنتُ أرى بـالقربِ منهـا سعادةً   فما ضحكَ المحزونُ إلا تجهُما

سـلامٌ عليكِ اليـومَ إني لَراحـلٌ   وقُل على أرضِ المُنى أن تسلِما

[ستـــــار]

---

(١) أنجد : أي أتى إلى نجد، وأتهم: أتى إلى تهامـة.

(٢) الوجـى : الوجع نقول : وجي الفرس (بالكسر) وهو أن يجد وجعاً في حافره.

المنظــر الثاني

[وادي القرى. . ربا وأشجار ونخيل، يدخل عروة بادي الإعياء ويتهالك جالساً مسنداً ظهره إلى جذع نخلة.

عــروة - في إعيــاء:

البعــدُ قــاسٍ والفــراقُ مــريــر ... والــدهــرُ عــدوانــاً عليَّ يجــورُ

رقَّت ليَ البيــداءُ حينَ ركبتُــهــا ... أمشي بغيــر هــدىً بهــا وأسيــرُ

فإلى متى؟. . أإلى المماتِ يظلُّ في ... قيــدِ الشقــاوةِ للغــرامِ أسيــرُ

عــانٍ أضــرَّ بــهِ السُّرى وأمضَّــهُ ... إذْ مــا يُؤوِّب للنهــارِ هجيــرُ؟

قد كان أن يردَ الحتوفَ من الأسى ... جَلدٌ على صــرفِ الزمــانِ صبورُ

[يشتد عليه الــداء]

عفراءُ قد حُمّ القضاءُ وليسَ لي ... إنْ جــاءني منهُ الغــداةَ مجيــرُ

قسمــاً بحبِّك والمــواثقُ في دمي ... تضفــو بقلبِ معــذَّبٍ وتمــورُ[1]

بــالشوقِ يحــرقُ في الفؤادِ وإنهُ ... لَــتنــوءُ أضــلاعٌ بــهِ وصــدورُ

بهــوىً قطعتُ بــهِ المفاوزَ جمَّــةً ... عنهــا يُرَدُّ الــطرفُ وهــو حسيــرُ

ما كنتُ إنْ نزلَ القضاءُ بجازعٍ ... فلقد تُــريــحُ من العنــاءِ قبــورُ

ولــقــدْ علمــتُ لَتَــأتِيَنَ مَــنِيَّتي ... إنَّ الممــاتَ نهــايــةٌ ومصيــرُ

لــكنني أخــشى الــفــراقَ وإنــهُ ... بعدَ المــمــاتِ لحقبــةٌ ودهــورُ

---

(١) يقسم الشاعر بغير الله وهذا غير جائز لأنه من الشرك.

أكـذا أموتُ عن المنـازلِ نـائيـاً قــدْ فـاتني خِـلٌّ وعــزّ نصيــرُ
لم يبكني أهـلٌ ولم يندبْ على قبــري بَـوَاكٍ دمعـهن غــزيــرُ
ما منْ خليلٍ فـوقَ غائـرِ حفرتي يحثـو التـرابَ وبـالفؤادِ سعيـرُ

[يدخل رجلان عليهما آثار السفر]

الأول : مشيراً إلى عروة:

صـاحِ مـا هــذا

الـثـانـي : أراهُ قـاطـعـاً لـلـفـلوات

متـعَـبٌ يـبـغي مَـقـيـلاً فـي ظِـلالِ الـربـوات

عــروة: آهٍ . .

الأول: هـل تسمع نَـوْحـاً رنَّ

الثانــي: مِـنْ أي الــجــهـات؟

الأول: منه

الثاني: هـذا؟ . . أعليـلٌ هــو يـشكــو الـنـكـبـات

الأول: علَّهُ ذاك . . . .

الـثـانـي : إلـيـهِ قـدْ نـقـيـل الـعـثـراتْ

[يقتربان من عروة فيرفع رأسه عند رؤيتهما في إعياء]

عــروة: مَــن أرى؟ . .

الأول: أخَـوا طـريـقٍ سـمعـا رجـعَ الـشكـاةِ

لـكَ قـد جـاءا رداءً مــن ألـيـمِ الـنـازلاتْ

عــــروة:

لـكَ شكــري يـا إلهي يـا عـظيمَ المكـرمـات

جئتمـا كـي تحـفِـرا لي حُفـرتي بعـدَ الـممـات

فـأقـيـمـا بـجـواري إنَّـني حـانـت وفـاتـي

فـإذا أسـلمـتُ روحـي بـعـد نـزعِ السَّكَـرَات
فـاغـسَـلاني بـطهـور مـن دمـوعٍ هـاطـلات
وادرجـانـي فـي ثـيـابي ثـم قُـومَـا لـلصـلاة
واحـفـرا قبـري بـعـيـداً عـن شـرورِ السـافيـات
واجـعـفـلا غـاراً عليـهِ وغُـصـونـاً نـاضـراتْ
وابـكيـا صبـاً غـريبـاً كـان يشقى في الـحيـاة
وارشـدا قـومـي إلـيـه وانـدبـانـي لـلدَاتـي
طـالِبـاً لي عـنـد عمـي بعـد موتي بـالتِّـراتِ[1]
واقـصـدا حيـاً بـعـيـداً فيـهِ عـاشت أمنيـاتـي
بـلّغـا عـفـراءَ أنـي ذاهـبُ لـسـتُ بـآتْ
واحـمـلا مـنـي وداعـاً لأحـبِ الـغـانـيـات

الثانـي :
وَيحنـا . . مِمّن الـفتـى؟

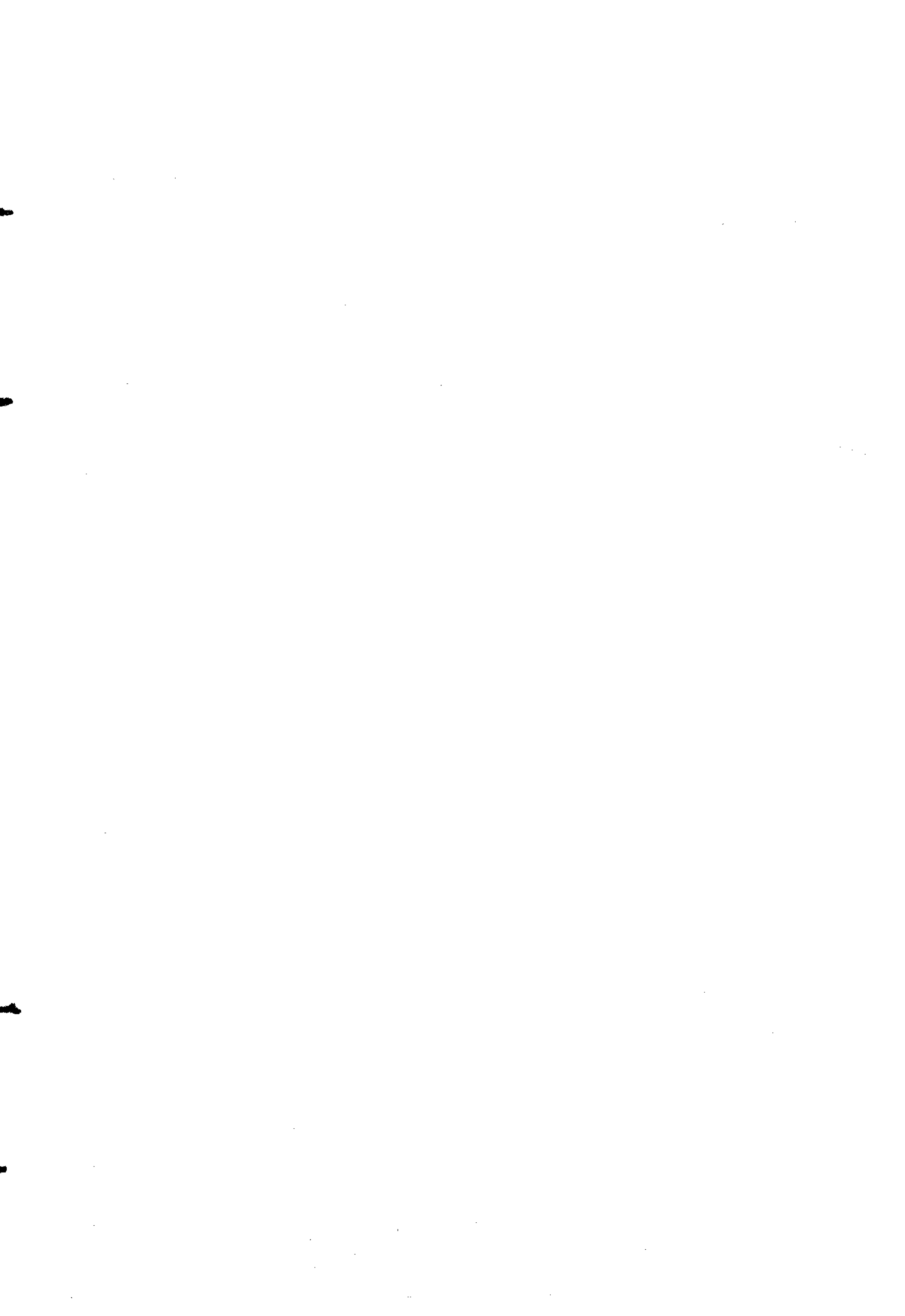
عروة :
وأنـا عـروةُ الـذي من بني عُـذرة النُّجُبْ
ذكـرُهُ سـار في العـرب
تحّملتُ آلام الصبـابـةِ والأسى ولم ألقَ من جرحِ الهوى لي آسيا
وكمْ زفـرةٍ للوجد والليـلُ أسحمٌ ينفّسها القلبُ الذي بات صاديـا
وآلامُ شوقٍ في الجوانحِ والحشا شقيتُ بها، والدمع ينهلُّ جـاريا
ألمَّـا بداري واهتفـا في فنـائِهـا بأني قضيتُ اليوم في البيد نائيا
وقولا لأمي في الديـارِ: تجلدي فـإن ممـاتي كـان طبـاً لِمـابيـا
هل الموت خيرٌ . . أم حياةٌ بها الضنى وداءٌ على الأيـام يـدمي فؤاديـا
وطـوفا على الآثـارِ ـ آثارِ حبنـا وبُثّـا الربـا شوقي لهـا والمغانيـا

---

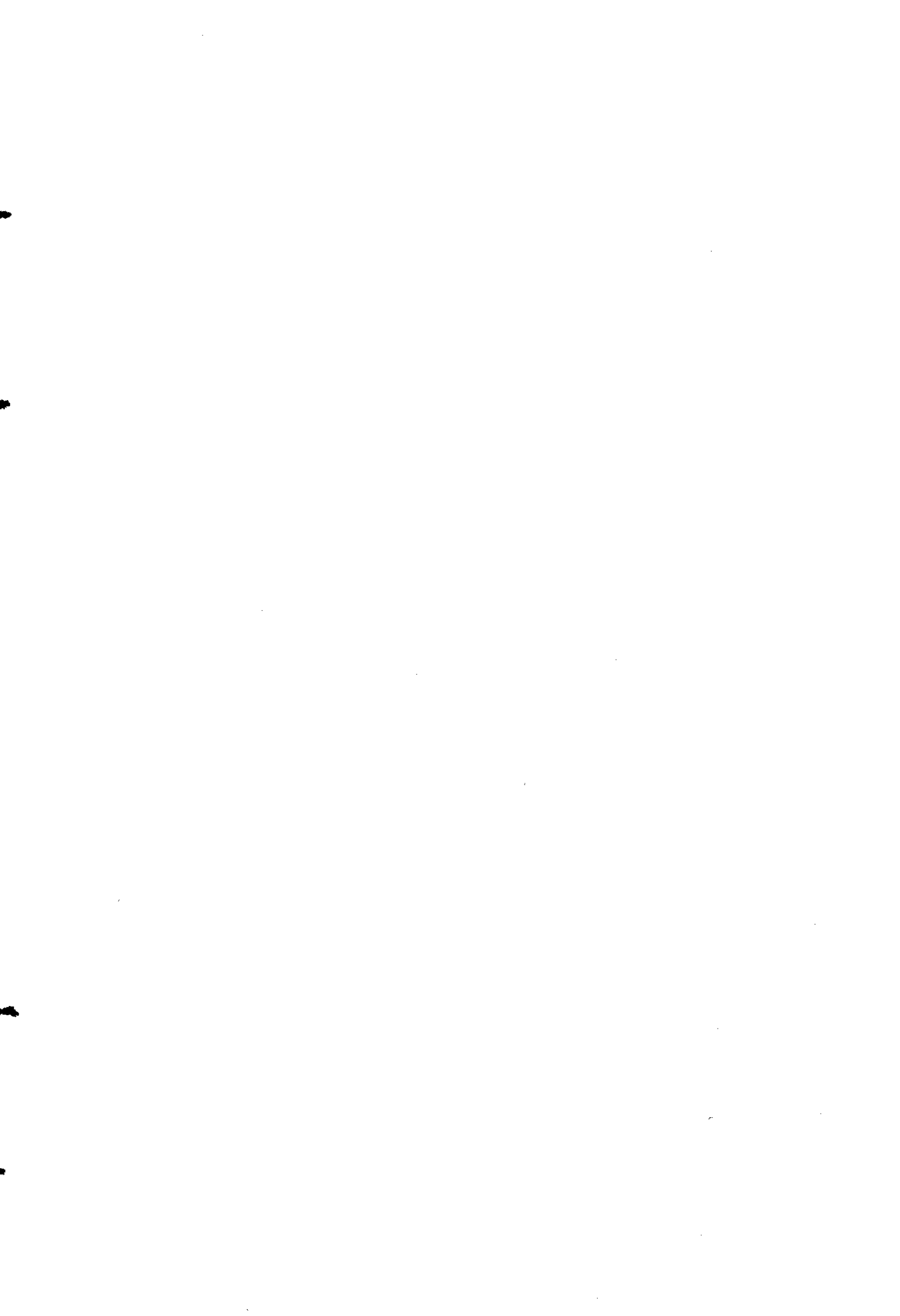
(١) الترات جمع تره وهي الثأر.

ألا حيِّيا بـالله عني مـلاعبـاً شربتُ بها كأسَ الصبابـةِ حاليـا
قفا بكثيبِ الرمل من أيمنِ الحمى وقولا لمهدِ الحبِ: أنْ لا تلاقيا
لقد كان لي في سحفِهِ عيشُ هانىءٍ فما كان طيبُ العيشِ بالسفحَ باقيا
سلامٌ على الدنيا، سلامٌ على الصبا سلامٌ على القلب الذي بات داميا
سلامٌ على العشاقِ، عاشوا على لظى وماتوا، فلم يَلقوا من الناسِ حانياً

[ستار الختـام]



الفهـــارس



فهرس القوافي لمطالع القصائد

حرف الهمزة

حرف البـاء

رقم الصفحة عنوان القصيدة

حرف التاء

حرف الحـاء

حـرف الـدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حــرف الهـــاء

حرف الياء

* . * . * . * . * . *

الفهـــرس العام

الشعـــر

القســم الأول:

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني:

الزجل والشعر الفكاهي:

الموضوع	الصفحة

القسم الثالث:

مسرحيــة (شهيد بني عذرة)

* . * . * . * . *